تطهير أهل الزوايا

من خبائث الطوايا

تأليف

الإمام عبد الوهاب الشعراني

تحقيق

الشيخ أحمد فريد المزيدي






تطهير أهل الزوايا
من خبائث الطوايا



دارة الكرز للنشــر والتــوزيع

الكتاب: تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا

تأليف: الإمام عبد الوهاب الشعراني

الناشر: دارة الكرز

عدد الصفحات: ٣٩٣

سنة الطباعة: ٢٠١٢

بلد الطباعة: القاهرة، مصر

الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: ١١١٦٧/ ٢٠١٢

الترقيم الدولي: 5-83-6156-977

١٧ ش منشية البكري - مصر الجديدة - القاهرة

تليفون: ٠٢/٢٤٥٥١٣٠٤

موبايل: ٠١٢٨٨٩٧٣٢٢٥ - ٠١١٤٥٨٥٠٧١١

Email: darkaraz@yahoo.com

Facebook: دارة الكرز



تأليف

الإمام عبد الوهاب الشعراني

تحقيق

الشيخ أحمد فريد المزيدي

دارة الكرز

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي أرشد من أراد به خيرًا إلى سلوك سبيل الهدى، وملأ قلبه بنور التوفيق ولم يجعله مقابلاً ولا معاندًا، وهيَّأ له أسباب الوصول إليه، وأعظمها أن جعله معتقدًا، ونشر ذكره في الآفاق فأحبه كل ولي لله خفي أو بدا.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على الحبيب المحبوب سيدنا وسندنا وعمدتنا في الوصول إلى الله الذي هو الغاية والمطلوب مولانا محمد بن عبد الله ذي الفضل الكامل والخير الموهوب ﷺ وعلى آله وأصحابه وكل من والاه ما تلا تالٍ ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (الحج: ٣٢).

أما بعد .. فيقول العبد الضعيف الفقير الفاني خويدم أهل الله جملةً وتفصيلاً ومحبهم، وتراب نعالهم أحمد بن فريد المزيدي- تولاه الله وكان له بما كان به لأخصِّ أوليائه، وأتحفه بما أتحف به أكابر أصفيائه إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير آمين.

وهذا الكتابٍ فريد فائق، وموضوعه يعرف من اسمه اللائق، وبسطه الرائق، بفضل الله وعطفه زين الخلائق، كنت قد حققته بإشارة من الشيخ العارف بالله سيدي وسندي مصطفى بن عبد السلام الملواني – قُدس سره – حينما ذكرت له الكتاب فاستعظم أمره على العباد في هذه الأيام، حيث لم تعد الزوايا الصوفية الموجودة الآن بالصورة الظاهرة التي كانت عليها في الماضي كزاوية الإمام الشعراني ومن عاصره؛ لاختلاف الزمان والمكان، واختلفت العوائد تبعًا لذلك، والكتاب وإن كان يتناول الزوايا وأحكامها في عصر الإمام الشعراني؛ فهو زاخر بجواهر في السلوك والتربية كعادته في مصنفاته؛ فهو بحق مدون ما حوته النصوص الشرعية

من الأخلاق المحمدية النبوية التي يجب على كل مؤمن كامل الإيمان الاتصاف والتخلق بها، فجزاه الله عن الأمة خيرًا، فكم نبَّه على سنن مهملة، وأخلاق نبوية مغفلة، ويكفيه شرفًا كتابي: «العهود المحمدية» و«كشف الغمة عن جميع الأمة» و«الأخلاق المتبولية».

وكأن إشارة شيخي إلى عِظم الكتاب وأهميته كمثل قول حضرة الحبيب ﷺ: «أفلح إن صدق» فهي الدعوة إلى عُلو الهمة بدعوى الانتقاص؛ ليحصل المراد من الزيادة.

وبعد انتقال الشيخ – قدس سره- بعامين تقريبًا، في ليلة التاسع من رمضان المبارك عام ١٤٢٨ هـ رأيت فيما يرى النائم مسجد الشيخ الشعراني وزاويته المباركة، وكذلك المنطقة التي بها المسجد في هيئتها وصورتها التي عليها آنذاك، وسور القاهرة المعزِّية القديم بصورته.

ثم إذا بي أبحث عن مسجدي شيخي الشيخ الشعراني فأمشي إلى مسجدٍ وأصعد إليه لأصلي فيه صلاة العصر، فأجد قارئًا يتلو آياتٍ ما بين الأذان والإقامة، ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ (الفتح: ١)، فكان الواقع في نفسي أنه مسجد شيخ الشيخ الشعراني- وكان حقًا هو مسجد شيخه أبي الفتح السروي.

ثم خرجت من المسجد فوجدت أمامي رجلاً سقاء يحمل قربة ماء ويرتدي زي السقا حينئذ، فسألته: أين مسجد شيخ الشيخ الشعراني؟ فوصف لي الطريق، فتتبعتها فإذا بي عند مسجد شيخه سيدي عبد القادر الدشطوطي.

ثم فجأة ظهر لي أمام باب مسجد الشيخ الدشطوطي الشيخ الشعراني في صورته التي رأيته عليها قبل عدة مرات، وكان يرتدي عباءة حالكة السواد،وعمامة

بيضاء، وعليه هيبة العلماء ووقار الأولياء، فأمرني بأن أتبعه في سيره فجعلني أمشي أمامه، ثم جعلني أمشي خلفه متتبعًا في السير آثار قدمه ونعله الشريف، وأذكر أنني كنت أسير بحرص مخافة أن أخرج عن حيز سيره، فإذا بظهور نعله كأنه نعل الحبيب المصطفى ﷺ فوقع في نفسي الهيبة والتعجب والخضوع.

فأوقفني الشيخ فاتحًا عباءته الشريفة مخرجًا منها كتاب: «**تطهير أهل الزوايا**» النسخة المصورة التي بحوزتنا في خزانتنا من قبل، ثم أخرج من جيبه خاتمًا ختم به الكتاب مكتوبٌ عليه: (وأنا مثلهم) وناطق بتلك العبارة، فجاءت عيني في عينيه محدقتين، بجدٍ وإيصاء، ثم قمت متعجبًا من رؤيتي هذه.

فسارعت بالاتصال على الأخ - محب الشعراني- محمد بن عبد القادر- فأوَّل لي الرؤيا بالخير والبشرى، وأكد إشارات صدقها لبعضهم.

فقمت ملبيًّا بتحقيق الكتاب والضبط والتصحيح، والعزو والتخريج، وشرح الغريب، والترجمة لكثيرٍ من الأعلام.

علمًا أيها الأحباب أننا نعتقد أن هذا الكتاب سيقرؤه غوث الزمان، ويأمر بالعمل به، وهو مبشرٌ بقرب ظهور سيدنا المهدي عليه السلام وسيجعلها منهاجًا في العبادة والتربية، كما هو شأن كتاب «كشف الغمة» للشيخ الشعراني، وهذا الأمر الثاني مما كُشف للشيخ، وذكره في مقدمته.

هذا وقد قصدت به نفع نفسي وإخواني في الله بإذن الكريم المنان؛ لينتفع به من سبقت له سابقة الفضل من حضرة الملك الدَّيان الذي كل يوم هو في شان، فنسأل الله أن ينفعني بالامتثال والتشبه بالسادات الرجال الباذلين جهدهم في نصح أمة سيد الإرسال؛ عملاً بالحديث الشائع والبرهان القاطع والنور الساطع، وهو قول

أفضل شافع ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ما سجد لله قلب خاشع: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[1] يعني أن مدار الدين على النصيحة، وهي أعظم أركانه على حد قوله ﷺ: «الحج عرفة»[2] والنصيحة كلمة جامعة لخيري الدنيا والآخرة، وهي إخلاص الرأي وإرادة الخير للمنصوح له من نصحت العسل إذا خلصته وصفيته من الشمع؛ فكذلك المنصوح فإن ناصحه لا يريد بنصيحته إلا تصفيته من الشوائب والأغيار المبعدة عن حضرة الكريم الغفار.

فاللهم اقبل هذا العمل منَّا بجاه سيد السادات - صلى الله عليه وآله وسلم- ما تلا تالٍ: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ (غافر: ٤٤) آمين.

وكان الفراغ من تحقيقنا هذا الكتاب في ليلة الثامن عشر من شهر رمضان المبارك الموافق يوم الجمعة لسنة ١٤٢٩ هـ.

وما هو إلا جهد المقل، ومحاولة الاقتراب من دخول الباب، وحصول بركة الأعتاب، وطمعًا في ورثة أُولي الألباب.

وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ هادي العباد، ولباب اللباب، وموصل الألباب لحضرة القدوس الوهاب.

كتبه/ أبو الحسن والحسين: أحمد فريد المزيدي

---

(١) أخرجه مسلم ٨٥، والنسائي ٤١٥١، والدارمي ٢٦٧٠، وأحمد في مسنده: ٧٧٥٦.

(٢) أخرجه أبو داود ١٦٦٧، والترمذي ٨١٣، والنسائي ٢٩٨٢، وابن ماجه ٣٠١٤، وأحمد في مسنده ١٨٣٩٥، والنسائي في الكبرى حديث رقم: ٣٩٣٨.

هذا الكتاب

«تطهير الزوايا من خبث الطوايا»(١) هو الكتاب التاسع عشر في ترتيب تآليف الإمام عبد الوهاب الشعراني ﷺ والتي أوصل بعض العلماء عددها إلى ثلاثمائة كتاب في علوم الشريعة وآلاتها(٢) وفي الكتاب يتكلم الإمام عن الحياة الاجتماعية والعلمية داخل الزاوية باعتبار دورها ومكانتها في القرن العاشر وما قبله وبعده، من كونها ملجأ وسكنا ومؤسسة تعليمية وتربوية، فرصد الإمام الشعراني ﷺ كل التصرفات التي كانت تدور داخلها، فمثلا ذكر أن من شروط شيخ الزاوية أن يكفي القاطنين فيها من كل العلوم فقهًا وأصولًا وعقيدة ونحوًا وغيرها من العلوم، لما في ذلك من لطائف يعرفها أهلها، كما ذكر آداب المريدين في الزاوية مع شيخهم، وآدابهم مع بعضهم، وقد ألفه سنة (٩٦٧هـ) في أخريات حياته قبل وفاته يرحمه الله بست سنوات ويقع في ٣٢٠ ورقة، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية والمكتبة الأزهرية، والكتاب يطبع بحمد الله وفضله وتوفيقه لأول مرة في مصر وتتشرف دارة الكرز للنشر والتوزيع بأن يكون لها هذا السبق في خدمة الباحثين وطلاب العلم، وسنورد فيما يلي ثبتًا بمؤلفات الإمام الشعراني مرتبة على حسب ورودها في المعجم وهي كالتالي:

(١) الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية. وقد طبع عام: ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م بمكتبة أم القرى في القاهرة، بتحقيق الدكتور عبد الباري محمد داود ﷺ.

(٢) الأخلاق الزكية والعلوم اللدنية.

---

(١) انظر «تذكرة أولي الألباب» ص ٨١.

(٢) المصدر السابق ص ٧٩ فهرس الفهارس ج٢/ ١٠٧٩.

(٣) الأخلاق المُتبوليَّة المُفاضَة من الحَضرة المُحمَّدية. ويُعَدُّ هذا الكتاب من أكبر الموسوعات الأخلاقية للإمام الشعراني؛ لتناوله لِمعظم الجوانب الأخلاقية التي ينبغي أن يتخلق بها المسلم على وجه العموم، وسالك طريق الصوفية على وجه الخصوص، وقد طبعته مكتبة الإيمان بالقاهرة الطبعة الأولى عام ٢٠٠٣م بمجلدين، بتحقيق فضيلة الدكتور منيع ابن شيخ الأزهر الراحل عبد الحليم محمود.

(٤) أدب القضاة.

(٥) أدب المريد الصادق مع من يريد الخالق. وهو مخطوط في مكتبة الأزهر في القاهرة بعنوان (المريد الصادق مع مريد الخالق) (تصوف رقم: ٣٢٩١٤٧) وله نسخة ثانية في المكتبة البديرية في القدس (١٤٩- تصوف -٣/ ٢٤١).

(٦) إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العالمين. وهو مخطوط بمكتبة الأسد بدمشق برقم:(١٧٣٢٥)، وقد طبع عام ٢٠٠٦م بدارة الكرز في القاهرة، بتحقيق: د.محمد نصار وأحمد المزيدي، وطبع حديثاً في دار الكتب العلمية بتحقيق: د. مهدي عرّار.

(٧) إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد، وقد اختصر فيه كتابَي الإمام ابن حجر الهيتمي (الزواجر ومرشد الطلاب) وهو مخطوط في المكتبة الملكية في برلين، ألمانيا، تحت رقم (١٨٣٨- ١٨٣٩).

(٨) إرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء إلى شروط صحبة الأمراء. وهو رسالة مخطوطة، في خزانة الرباط وقد جعله قسمين الأول:في صحبة العالم العلماء مع الأمير، والثاني:في صحبة الأمير معهم. وهو موجود أيضاً في مكتبة الأسد بدمشق تحت رقم (١٥٤١٠) وعدد أوراقه (١٣٢) ورقة.

(٩) أسرار أركان الإسلام أو(الفتح المبين في ذكر جملة من أسرار الدين).

وقد نشر سنة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م بتحقيق: الدكتور عبد القادر أحمد عطا، الذي نص في مقدمته ص١٩أنه: غيَّر اسْمه؛ ليتطابق مع موضوعه تماماً لأن العناوين الطويلة لا تناسب العصر، وأن اسمه الأصلي هو:(الفتح المبين في جملة من أسرار الدين).

(١٠) اعتراضات ابن الجوزي على حجة الإسلام الغزالي، وقد ردَّ فيه ما اعترض به الإمام ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس على الإمام الغزالي، وغيره من الصوفية، وهو مخطوط في مكتبة ولي الدين أفندي بتركيا، تحت رقم (١٦٨٤).

(١١) الاقتباس في علم القياس.

(١٢) الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية. وقد طبع عدة طبعات بمصر، وغيرها، منها طبعة بولاق وطبعة صبيح بِهامش الطبقات الكبرى.

(١٣) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية. وقد طبع بدار الكتب العلمية، بتحقيق: طه سرور ومحمد الشافعي.

(١٤) البحر المورود في المواثيق والعهود. وهو مطبوع عدة طبعات، لا يخلو أكثرها من الدس والتحريف، وإن أصحَّها، وأفضلها طبعة دار الكتب العلمية بتحقيق: محمد أديب الجادر.

(١٥) البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير. وقد طبع بدار الكتب العلمية في بيروت.

(١٦) البروق الخواطف لبصر من عمل بالهواتف.

(١٧) بَهجة النُّفوس والأسْماع والأحداق فيما تميز به القوم من الآداب والأخلاق. وهو موجود بدار الكتب المصرية برقم (٣٩ تصوف عربي) وعدد أوراقه (٥٩٤).

(١٨) التَّتبُّع والفحص على حكم الإلْهام إذا خالف النَّص.

(١٩) تطهير الزوايا من خُبث الطوايا (موضوع كتابنا هذا)

(٢٠) تنبيه الأغبياء على قطرة من بَحر علوم الأولياء.

(٢١) تنبيه المغترين في القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر. وهذا من أجّل كتب الإمام الشعرانية الأخلاقية، فقد ذكر فيه هدي الصحابة ﷺ والتابعين والعلماء العاملين وبيَّن الكثير من المخالفات التي يقع فيه بعض أدعياء العلم والتصوف، وخاصة في القرن العاشر الهجري، وقد طبع عدة طبعات منها طبعة دار البشائر بدمشق، عام ١٤١٩هـ ١٩٩٩م، بعناية الشيخ عبد الجليل عطا البكري.

(٢٢) الجواهر والدرر. وقد ذكر فيه أنه التمس منه بعض الناس أن يذكر لهم ما تلقفه عن شيخه علي الخواص رحمه الله مما فاوضه فيه أو سمعه حال مجالسته له مدة عشر سنين، فأجاب ووسم كل قول منه باسم شيء من الجواهر إشارة إلى عزة الجواب عنها ثم اعتذر عن الخطأ أو قلة الإيضاح لأن الشيخ الخواص كان أمياً لا يعرف الخط، وإنما ترجمه عنه بالعبارة المألوفة بين العلماء.

(٢٣) الجوهر المصون في علوم كتاب الله المكنون، قال عنه الإمام الشعراني: «إنه مشتمل على نحو ثلاثة آلاف علم منثورة على سور القرآن. وله نسختان خطيتان بدار الكتب المصرية الأولى رقمها الخاص (٣٦٧٧ تصوف عربي) وأوراقها (١٢٠)

ورقة، وهو ناقص بضعة أسطر من المقدمة، والثانية برقم (٨٤ تصوف حليم عربي) وأوراقها (٣٢) ورقة.

(٢٤) الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم، وقد أَلَّفَه فرقاً بين علامات المحققين والمتشبهين، وفرغ منه في جمادى الآخرة سنة:(٩٣٢ هـ) وله نسخة مخطوطة في المكتبة الخالدية في القدس الشريف، كما ذكر الدكتور مهدي عرار حفظه الله.

(٢٥) حد الحسام على من أوجب العمل بالإلهام.

(٢٦) حقوق أخوة الإسلام (مواعظ). وهو مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة.

(٢٧) درر الغواص من فتاوى الشيخ علي الخواص. جمع فيها نبذة من فتاوى شيخه المذكور مترجماً عن معنى بعضها.

(٢٨) الدرر المنثورة في زبد العلوم المشهورة. وهو موسوعة في علوم القرآن، والفقه وأصوله، والدين، والنحو، والبلاغة والتصوف، منها نسخة في دار الكتب المصرية، وفي برلين، وقد طبع بدار ابن زيدون، بيروت، بتحقيق الدكتور عبد الحميد صالح حمدان، وبدار التراث العربي مع كتاب أسرار أركان الإسلام، بتحقيق: الدكتور عبد القادر أحمد عطا.

(٢٩) الدرر واللمع في الصدق والورع. يهدف الإمام الشعراني بهذا الكتاب إلى تصحيح المسار الأخلاقي عند بعض المتصوفة الذي بدا انحرافه في عصره، ومحاولة إرجاعه إلى ما عليه الخيرة من علماء هذه الأمة، وقد طبع بتحقيق الدكتور محمد عبد القادر نصار وأحمد المزيدي، بدارة الكرز في القاهرة، عام: ٢٠٠٥ م.

(٣٠) الدر المنظوم في زبد العلوم. وله نسخة مخطوطة في المكتبة الخالدية في القدس الشريف كما ذكر الدكتور مهدي عرار حفظه الله، وله نسخة بهذا الاسم أيضاً في مكتبة الحرم المكي في مكة المكرمة، وهذا الكتاب هو نفس كتاب الدرر المنثورة في بيان زبد العلوم المنثورة.

(٣١) ردع الفقراء عن دعوى الولاية الكبرى. وقد طبع في القاهرة بتحقيق الدكتور عبد الباري محمد داود ﷬.

(٣٢) رسالة الأنوار في آداب العبودية. وهو مخطوط في مكتبة الأزهر بالقاهرة، بعنوان (رسالة الأنوار في معرفة آداب العبودية) [تصوف برقم:(٣٣٣٢٩٧)]

(٣٣) السر المرقوم فيما أختُصَّ به أهل الله من العلوم.

(٣٤) سر المسير والتزويد ليوم المصير.

(٣٥) شرح جمع الجوامع للسبكي في أصول الفقه.

(٣٦) الطبقات الصغرى. نشر سنة ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، تحقيق:عبد القادر أحمد عطا، وبدار الكتب العلمية سنة:١٩٩٩بتحقيق:محمد شاهين، وقد مر الكلام عنه عند الكلام عن صلة الشعراني بعلم التاريخ والطبقات.

(٣٧) الطبقات الكبرى المسماة بـ (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار). موضوع هذا الكتاب: التصوف، تراجم مشاهير الأولياء من أبي بكر ﷺ إلى أيامه، في مجلدين كبيرين. وقد طبع بمصر مراراً، كما طبع في بيروت، لكن أغلب هذه الطبعات فيها من الدَّسِّ والتَّحريف ما فيها، وقد طبع أخيراً في القاهرة بمكتبة الآداب، بتحقيق عبدالرحمن حسن محمود ﷬، وقال عنها محققها:«إنَّها خالية من التَّحريف

والتَّخريف». ومن خلال مقارنة هذه النسخة مع عدة نسخ أخرى مطبوعة وجدت خالية من كثير من تلك التقولات المشوّهة والمخزية.

(٣٨) الطبقات الوسطى وله نسختان خطيتان بدار الكتب المصرية، الأولى بهذا الاسم، رقم (٣٠٠ تاريخ تيمور عربي) (١٧٨) ورقة، والأخرى باسم: لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية، رقم (٢٥٠٦١حليم عربي) ١٧٤ ورقة.

(٣٩) طهارة الجسم والفؤاد من سوء الظن بالله تعالى والعباد. وهو مخطوط بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة، ضمن مكتبة الملك عبد العزيز، بعنوان:(المنهج المطهِّر للجسم والفؤاد من سوء الظَّنِّ بأحد من العباد) ورقمه (١٦٢, ٢١٧ وعظ وإرشاد) وهو من روائع الإمام الشعراني الأخلاقية، لكنه وللأسف ممنوع من التداول من تصوير وغيره بقرار من إدارة المكتبة المذكورة.

(٤٠) العقيدة الشعرانية أو(كتاب العقائد) وهو مخطوط بمكتبة الأسد بدمشق، برقم (١٦٧٥٨) في (٣) ورقات.

(٤١) فتاوى الشعراني.

(٤٢) الفتح في تأويل ما صدر عن الكُمَّل من الشَّطح. وقد طبع بدار أزمنة في عمّان، ط: ١/ ٢٠٠٣م، بتحقيق الأستاذ قاسم محمد عباس.

(٤٣) فتح الوهاب في فضائل الآل والأصحاب. وهذا الكتاب أثبت فيه الخلافة للخلفاء الأربعة على الترتيب الواقع وذكر في أوله مقدمةً جامعة لبيان الطريقة النافعة، وختم بذكر بعض فضائل أهل البيت ﷺ تاركًا في الكل التعصب

الباطل أوله الحمد لله الذي منحنا معشر أهل السنة بالسنة الخ وذكرهم في أربعة أبواب.

(٤٤) فرائد القلائد في علم العقائد. وهو مخطوط في المكتبة الملكية في برلين، ألمانية، تحت رقم (٢٠٣٩) وتوجد منه نسخة في مكتبة الأسد بدمشق.

(٤٥) الفصول في علم الأصول.

(٤٦) الفُلْك المشحون في بيان أن علم التصوف هو ما تخلق به العلماء العاملون.

قال الإمام الشعراني في أوَّله:«هذا كتاب نفيس لم يسبقني أحد إلى تأليف مثله فيما أظن، جمعتُ فيه جملة صالحة من أخلاق العلماء الذين أدركناهم أوائل القرن العاشر في مصر وقراها، وهم نَحو مائة وخمسيْن شيخاً، ذكرنا أسْماءهم في كتاب الطبقات». وهو مخطوط بدار الكتب المصرية في القاهرة، ورقمه الخاص (٧٤ تصوف حليم عربي) ورقمه العام (٤٤٣٧١١) وأوراقه (٦٤٤) ورقة، مع نقص كبير في أوله.

(٤٧) القواعد الكشفية المُوضِّحة لمعاني الصِّفات الإلَهية. قال الإمام الشعراني في مقدمة هذا الكتاب:«وهذا كتاب ذكرتُ الأجوبة عن صفات الحق جل وعلا، وردّ ما يتوهمه الملحدون وضعفاءُ الحال في العلم بحسب مقامي غيرةً على جناب الحق جل وعلا أن يتوهم أحدٌ فيه ما لا يليق بجنابه تعالى». وقد هذا طبع الكتاب، طبعة علمية بتحقيق الدكتور مهدي عرَّار حفظه الله، بدار الكتب العلمية، ببيروت، عام ٢٠٠٦م.

(٤٨) القول المبين في بيان آداب الطالبين.

(٤٩) القول المبين في الرد عن الشيخ محيي الدين. وقد طبع حديثاً بدارة الكرز بالقاهرة بتحقيق الدكتور محمد عبد القادر نصار.

(٥٠) الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر. وقد طبع هذا الكتاب بدار إحياء التراث العربي، في بيروت، بأسفل كتاب اليواقيت والجواهر.

(٥١) كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان.قال الإمام الشعراني عنه:«وهي نيِّف وسبعون سؤالاً في التوحيد سألني عنها علماء الجان»، طُبع هذا الكتاب بدار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى عام ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م بعناية الشيخ عبد الوارث محمد علي.

(٥٢) كشف الغمة عن جميع الأمة. وهو مطبوع طبعات كثيرة، منها بدار الفكر بدمشق وغيرها، وآخرها وأفضلها طبعة دار التقوى بدمشق في مجلدين، بتحقيق أحمد عزو عناية، وتمتاز هذه الطبعة عن غيرها بتخريج معظم الأحاديث الواردة في الكتاب مع قلة الأخطاء الطباعية.

(٥٣) الكوكب الشاهق – أو النور الفارق– في الفرق بين المريد الصادق وغير الصادق. يعالج الإمام الشعراني في هذا الكتاب الأخلاقَ التي يَجب أن يكون عليها المسلم، وخاصَّة المريد في الطريق الصوفي، وما يتحلى به أهل الله من صدق وإيثار وتسامح وإخلاص، وقد طبع عام:١٩٩١م بدار المعارف، مصر، بتحقيق: الدكتور حسن محمد الشرقاوي أستاذ الفلسفة بجامعة الإسكندرية.

(٥٤) لُباب الإعراب المانع من اللحن في السنة والكتاب، أو المقدمة النحوية في علم العربية. طبع هذا الكتاب بتحقيق: د. زيان أحمد الحاج إبراهيم، ونشر في مجلة معهد المخطوطات العربية في الكويت – المجلد٣٠ – الجزء الثاني، في شهر ذي

القعدة ١٤٠٦هـ صفحة: ٥٠١ – ٥٧٤، وطبع مرة أخرى بتحقيق: د.مها بنت عبد العزيز العسكر ود.نوال بنت سليمان الثنيان الأستاذتان المساعدتان في قسم اللغة العربية – كلية التربية للبنات بالرياض.

(٥٥) لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق(المنن الكبرى). له نسخة خطية في المكتبة البديرية في القدس برقم (٧٤/ ١٩٥) وقد طبع عدة طبعات منها بدار التقوى، دمشق، تحقيق أحمد عزو عناية، وبدار الكتب العلمية ببيروت ط: ١/ ١٩٩٩م، بعناية سالم مصطفى البدري.

(٥٦) لوائح الخذلان على من لم يعمل بالقرآن.

(٥٧) لواقح الأنوار القدسية المنتخب من الفتوحات المكية. وله عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية.

(٥٨) المآثر والمفاخر في علماء القرن العاشر.

(٥٩) المختار من الأنوار في صحبة الأخيار، طبع في القاهرة سنة: ١٩٧٣م بإشراف الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، بتحقيق الدكتور:عبد الرحمن عميرة، طلعت غنام.

(٦٠) مختصر الألفية لابن مالك في النحو.

(٦١) مختصر تذكرة السويدي في الطب، ذكر فيه بعض الأمراض ووصف لها الدواء والعلاج.

(٦٢) مختصر تذكرة القرطبي. وله بدار الكتب المصرية عدة نسخ خطية، وأغلبها بالاسم المذكور، منها رقم (١٢١٦تصوف طلعت عربي) في (٢٢٤) ورقة،

ونسخة واحدة باسم: العقد الذهبي بمختصر تذكرة الإمام القرطبي، ورقهما الخاص (١٨٣ تصوف حليم عربي)، وهو مطبوع أيضاً عدة طبعات، أغلبها تجارية.

(٦٣) مختصر الخصائص النبوية للإمام السيوطي.

(٦٤) مختصر عقيدة البيهقي وهو مخطوط بدار الكتب المصرية في القاهرة تحت رقم (٦٥٥ مجاميع طلعت).

(٦٦) مختصر قواعد الإمام الزركشي في الفروع وهو مخطوط بمكتبة الأزهر، رقم (٨٦٧) خاص، ورقم (٢٢٤٣٠) عام.

(٦٧) مختصر المدونة في الفروع المالكية.

(٦٨) مشارق الأنوار أو (لواقح الأنوار) القدسية في بيان العهود المحمدية. وقد طبع الكتاب مرات عديدة، منها بدار الكتب العلمية في بيروت، بتحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم عام: ٢٠٠٥م.

(٦٩) مدارج السالكين إلى رسوم طريق العارفين. موضوعه التصوف، طبع في مصر طبعة حجرية دون تاريخ.

(٧٠) مفحم الأكباد في مواد الاجتهاد.

(٧١) مقدمة في ذم الرأي وبيان تبري الأئمة المجتهدين منه. توجد منه عدة نسخ خطية منها في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق في(١٨) ورقة، تحت رقم (٧٦٦٤ت).

(٧٢) الملتقطات من حاشية ابن أبي شريف على شرح جمع الجوامع للسبكي في الأصول، وهو مخطوط بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق، يقع في (٢٥) ورقة تحت رقم

(٧٦٦٤ت١).

(٧٣) المِنَح السنية على الوصية المتبولية. وهي شرح على وصية العارف بالله المتبولي الأحمدي (تصوف)، توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة الأزهر برقم (٣٠٧٦١٩) وقد طبع في مصر طبعة حجرية، سنة:(١٢٧٦هـ). كما طبع أيضاً في مكتبة الجندي في القاهرة بتعليق محمد مصطفى بن أبي العلا، دون تاريخ.

(٧٤) مِنَح المِنَّة في التَّلَبُّسِ بالسُّنَّة. وقد طبع عدة مرات، منها بدار الكتاب النفيس بحلب سوريا، ط:١/ ١٤٢٣هـ بتحقيق: الشيخ عبد الغني نكه مي.

(٧٥) منع الموانع[1].

(٧٦) منهاج الوصول إلى مقاصد علم الأصول. وقد جمع فيه بين شرح الجلال المحلي لجمع الجوامع وحاشية ابن أبي شريف.

(٧٧) منهج الصدق والتحقيق في تفليس غالب المدعين للطريق. مخطوط في مكتبة الأسد بدمشق، تحت رقم (١٧٧٩٨) ويقع في (٣٧) ورقة.

(٧٨) المنهج المبين في أخلاق العارفين.

(٧٩) المنهج المبين في بيان أدلة الأئمة المجتهدين أومختصر السنن الكبرى للبيهقي).

(٨٠) الميزان الخَضِريَّة. في الفقه المقارن، له طبعات كثيرة منها بدار الكتب العلمية.

---

(١) كشف الظنون ج٢/ ١٨٦٩ هدية العارفين ج١/ ٦٤٢.

(٨١) الميزان الذَّرِّيَّة المْبيِّنة لعقائد الفرق العَلِيَّة. وله في دار الكتب المصرية عدة نسخ تحت منها الأرقام التالية: (٢١٧) (٢١٠)، وقد طبِع عام ٢٠٠٧م في الدار الجودية في القاهرة، بتحقيق:أ.دجودة المهدي وأحمد فريد المزيدي، ود. محمد عبد القادر نصار، ولكن للأسف، إن هذا الكتاب قد طالتْه يدُ الدَّسِّ والتَّحريف الأثيمة، مما لا يخفى على كل قارئ متمرِّس في كتابات الإمام الشعراني، وخاصة الذي يقابل هذا الكتاب مع كتاب القواعد الكشفية يرى ذلك واضحاً جلياً، وعلى سبيل المثال لا الحصر:أن في هذا الكتاب يدافِع مَن دسَّه عن فكرة الحلول والاتحاد. وقد نبه المحققون حفظهم الله على تلك المواضع، وحاولوا تأويلها بما يتفق مع عقيدة أهل السنة، وأوردوا ذلك من كلام الإمام الشعراني نفسه بما يرد هذا الدس، بينما نجد الإمامَ الشعرانيَّ ﷺ يحذر من هذه الفكرة كل التحذير، في أكثر كتبه، بل ويبرهن على بطلانها، ومصـادمتها للعقيدة الإسلامية الصحيحة، ثم يأتي بالتقول عن العلماء بإبطال هذه الفكرة.

(٨٣) الميزان الشعرانية المدخلة لجميع أقـول الأئمـة المجتهديـن ومقلديهم في الشريعة المحمدية، أو الميزان الكبرى. في الفقه المقارن، طبع هذا الكتاب طبعات كثيرة، في سوريا ومصر ولبنان، وأفضلها- والله أعلم- طبعة دار عالم الكتب بتحقيق: الدكتور عبد الرحمن عميرة.

(٨٤) ميزان العقائد الشعرانية المشيدة بالكتاب والسُّنَّة المُحمَّدية.

(٨٥) النصائح والوصايا، وهو مخطوط بمكتبة الأسد بدمشق، برقم (١٦٧٥٨ت١) (٤٩) ورقة، وبدار الكتب المصرية تحت اسم وصايا الشيخ الشعراني في الآداب رقمها الخاص (١٠١٨ تصوف طلعت عربي)، في (١١٨)

ورقة.

(٨٦) هادي الحائرين إلى رسوم أخلاق العارفين.

(٨٧) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر. وقد حاول في هذا الكتاب المطابقة بين عقائد أهل الكشف وعقائد أهل الفكر على مثال لم يسبقه إليه أحد. والكتاب مطبوع طبعات كثيرة، منها بدار إحياء التراث العربي، بيروت، وقد مَرَّ الكلام مفصَّلاً عن هذا الكتاب عند الكلام عن علاقة الإمام الشعراني بعلم العقيدة.

الإمام عبد الوهاب الشعراني

حياته وعصره

وعن حياة الإمام الشعراني يرحمه الله وعن عصره نقول انه عاش في القرن العاشر الهجري فنشأ وعاش في ظل دولتين متعاقبتين هما دولة المماليك والشراكسة والدولة العثمانية وكانت الحالة العلمية والثقافية في مصر في هذا القرن قد أصابها الجمود والانحطاط وتمكنت روح التقليد من نفوس العلماء فلم يُر منهم من سمت به نفسه إلى رتبة الاجتهاد إلا القليل النادر من أمثال الإمام جلال الدين السيوطي يرحمه الله والشيخ زكريا الأنصاري والإمام عبد الوهاب الشعراني، ورغم ما أصاب الجامع الأزهر وهو الذي كان الركيزة الأساسية للحياة العلمية في مصر والعالم الإسلامي كله والمعاهد الدينية والمدارس العلمية الأخرى من الركود والجمود وبالرغم من كل الظروف القاسية التي مرت بها وحاولت اقصاءها عن المسار الريادي العلمي فقد استطاعت مصر أن تنجب علماء أجلاء من جميع المذاهب كانوا

بمثابة النور الذي يضيء للناس دروبهم في عصر اشتدت ظلمته وظلمه لكن علماء الأمة كانت لهم رغم كل هذا مكانة خاصة ومتميزة يكن لها الحكام والعامة كل احترام وتقدير فكان للأزهر وعلمائه المكانة المرموقة بين الناس بالإضافة إلى كون علمائه الأجلاء محل ثقة الشعب والحكومة، فالسلاطين يعتبرونهم زعامة روحية وشعبية يُخشى جانبها وعامة الناس يدركون لهم هذه المكانة والزعامة، فكانوا يلجأون إلى الأزهر وعلمائه كلما حزبهم أمر أو اشتد عليهم جور الحكام والولاة فيطالبون برفع المظالم عنهم وانصافهم، وبهذا أصبح علماء الأزهر وفي مقدمتهم الإمام عبد الوهاب الشعراني وخاصة في العصر الثاني، القوة التي تمثل الرأي العام.

اسمه ونسبه ومولده ونشأته يرحمه الله

هو عبد الوهاب بن الشيخ أحمد بن الشيخ نور الدين علي الأنصاري بن الشيخ أحمد بن الشيخ علي بن الشيخ محمد بن زرفا (بفتح الزاي وسكون الراء) ابن الشيخ موسى المكنى بأبي العِمران، بن السلطان أبي عبد الله أحمد الزُّغلي بن السلطان سعيد، ابن السلطان فاشين بن السلطان محيا بن السلطان زرقا بن ريان بن السُّلطان محمد بن موسى بن السِّيد محمد بن الحنفية بن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، أبو المواهب، الشَّعراني، الأنصاريّ، الإمام، الفقيه، المُحدِّث، الأصولِيّ، الشَّافعي، الأشعريّ، الصُّوفي المُربِّي، الشَّاذلي، المصري.

وقد ولد الإمام عبد الوهاب الشعراني ﷺ على أصحِّ الرِّوايات في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة (٨٩٨هـ)، في دار جَدِّه لأمِّه بقرية من إقليم القليوبية بمصر، تسمى (قلقشندة) ثم جيء به بعد أربعين يوماً من مولده إلى قرية أبيه (ساقية أبي شعرة)، وإليها انتسب فلقِّب بالشعراني.

وقد نشأ في قريته، وفي سنة:(٩٠٧هـ) توفي والده الشيخ شهاب الدين أحمد الشعراني ﷺ وكانت أمه قد توفيت قبل ذلك أيضاً، فنشأ يتيم الأبوين، فقيَّضَ اللهُ تعالى له أخاه الشيخ عبد القادر الشعراني الذي تولى كفالته، وتربيته بعد موت والده، فكان أقرب الناس إليه في مطالبه، وأشفق عليه من جميع أقاربه.

نشأ الإمام يتيم الأبوين؛ ومع ذلك ظهرت عليه علامة النَّجابة، ومَخايل الرئاسة، فحفظ القرآن الكريم وهو ابن ثماني سنين في قريته وكان والده حياً، وواظب على الصلوات الخمس في أوقاتها، ثم حفظ متون الكتب، كأبي شجاع في فقه الشافعية، والآجرُّومية في النحو، وقد درسهما على يد أخيه الشيخ عبد القادر الذي كفله بعد أبيه، فكانت نشأته زاخرة دائماً بعبادة الله تعالى، زاخرة بالتَّعليم، فلم يكن من المْيسور عليه أن يَجد وقتاً؛ لأنْ يعمل بأي عمل أو حرفة من الحرف الدُّنيوية لا بالنَّسيج ولا بغيره، فقد ذكر هو - الشيخ الشعراني - عن نفسه فقال:«لم يكن لي بحمد الله عوائق دنيوية تعوقني عن المجاهدة والوصول إلى المقصود، وكانت القناعة من الدنيا باليسير سُدَاي ولُحمتي، فأغنتني بحمد الله عن وقوعي في الذل لأحد من أبناء الدنيا، ولم يقع أني باشرت حرفة ولا وظيفة لها معلوم دنيوي منذ بلغت، ولم يزل الحق تعالى يرزقني من حيث لا أحتسب إلى وقتي هذا، وعرضوا عليَّ الألف دينار وأكثر، فرددتها ولم أقبل شيئاً منها».

ثم انتقل إلى القاهرة سنة إحدى عشرة وتسعمائة (٩١١هـ)، وأقام في جامع أبي العباس الغمري، مقبِلاً على العلم والعبادة.

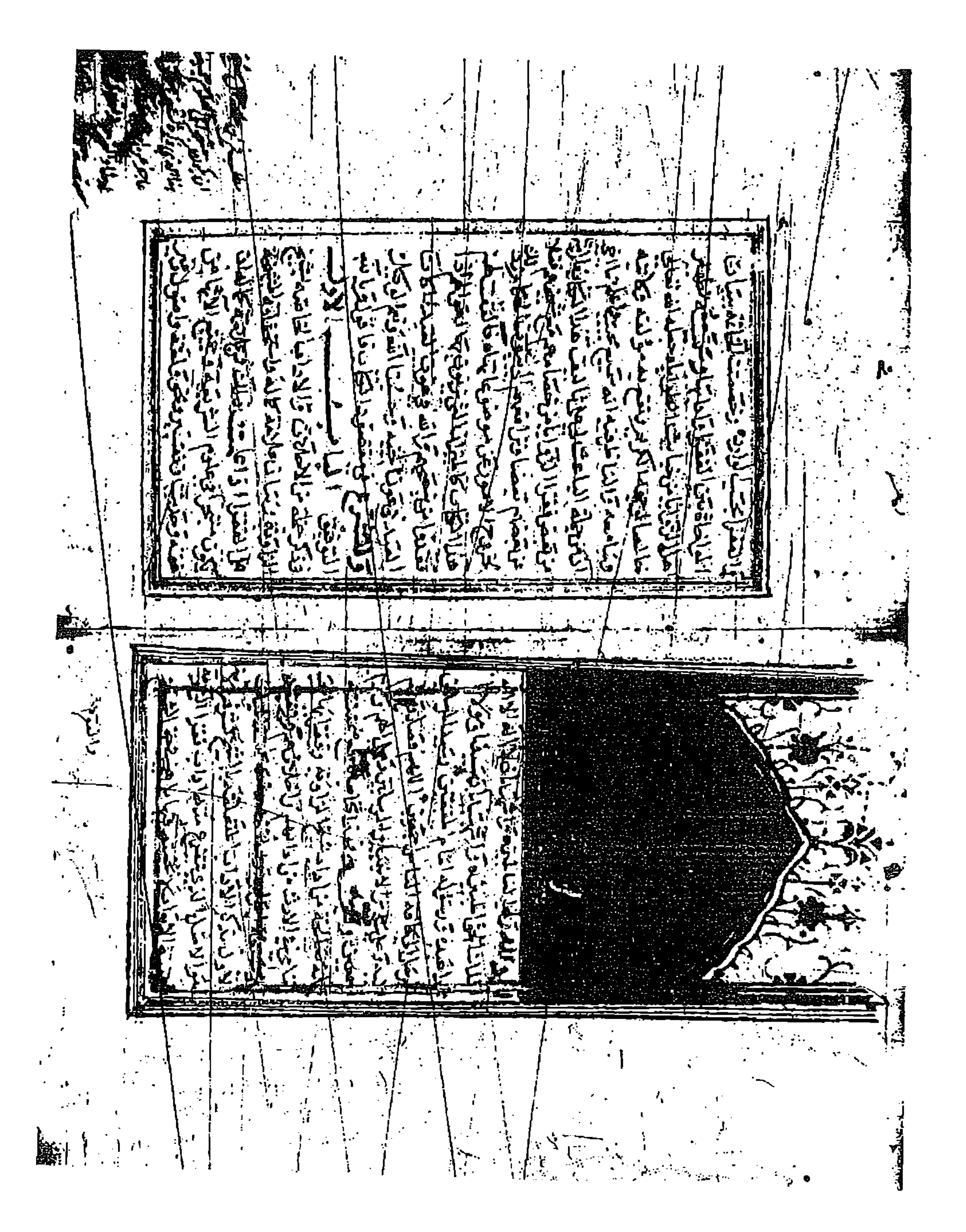
أخلاق الإمام الشَّعراني وصفاته

وفَّر الإمام الشعراني ﷺ جهداً وعناء كبيرين على قارئيه، ودارسي شخصيته بما

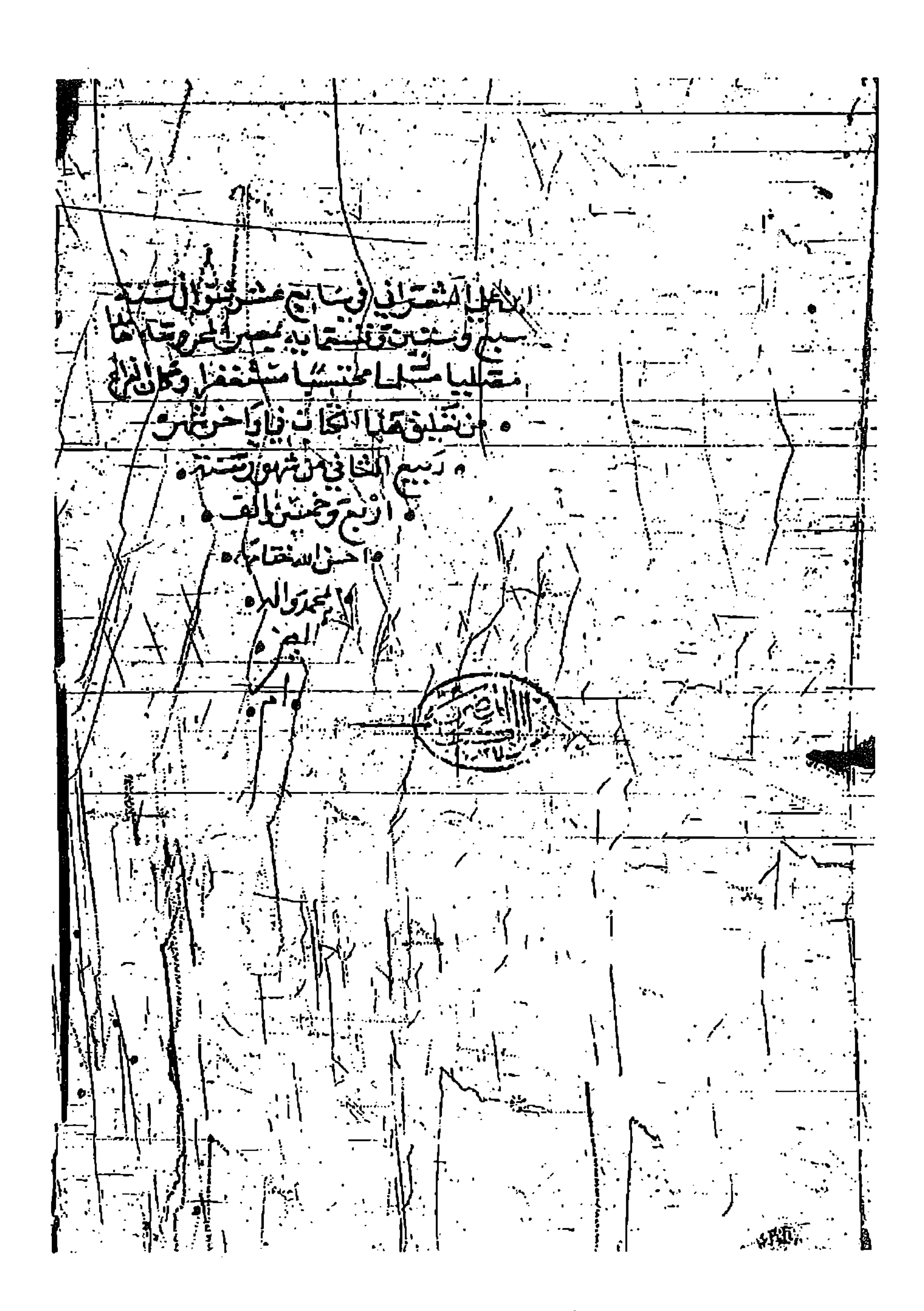
تركه من آثار ضخمة تدل على صفاء صفاته ونقاء أخلاقه، فله في ذلك ثروة ضخمة خَصَّص لها نصيباً وافراً في كتبه، فمنها ما نجده مبثوثاً في عدة أبحاث وأماكن متفرقة من كتبه، ككتاب «العهود المحمدية»، و«البحر المورود»، و«تنبيه المغترين»، و«شرح الوصية المتبولية» الذي يعتبر من أكبر الموسوعات الأخلاقية، ومنها ما أفرد لها كتاباً خاصاً بها وهو كتاب «لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق» والذي يقع في مجلد ضخم.

والذي يقرأ كتابه الأخير قراءةً واعيةً منصفةً متجردة من أي أسبقية فكرية عن الشَّعَراني يخرج منه بصورة دقيقة لأخلاقه السامية، التي تنبع من صميم تخلقه بأخلاق النبي ﷺ وأخلاق السلف الصالح ﷺ فهذه هي الأخلاق التي طبَّقها على نفسه أولاً من حيث تخلقه بها، والتي نادى بها طوال عمره ثانياً.

الناشر



الصفحة الأولى من إحدى مخطوطين للكتاب


[illegible] في سابع عشر شوال سنة
سبع وستين وثلثمائة بمصر المحروسة حامدا
مصليا مسلما محتسبا مستغفرا وكان الفراغ
من تعليق هذا الكتاب في أواخر شهر
ربيع الثاني من شهور سنة
اربع وخمسين والف
احسن الله ختامها
والحمد لله

الصفحة الأخيرة من إحدى مخطوطين الكتاب

مقدمة المصنف

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدًا عبده ورسوله إمام المتقين، وسيد المرسلين إلى كافة الناس أجمعين.

اللهم فصَلِّ وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى آلهم وصحبهم أجمعين.

وبعد ..

فهذا كتابٌ نافع ضمنته جملة صالحة من آداب شيخ الزاوية وفقرائها بحسب مقامي في الأدب من آدابهم وأخلاقهم، ورتبته على سبعة أبواب وخاتمة وخصصت الباب الأول بذكر الآداب المتعلقة بالشيخ لشرفه، ولأنه هو الأول الذي يتفرع منه آداب فقراء الزاوية وبقية الأبواب لا تخصيص فيها، فهي في حق الشيخ والفقيه بحسب الوارد وخصصت الخاتمة ببيان الفقراء ومؤاخاتهم وآدابها، وسميته: «**تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا**» جعله الله خالصًا لوجهه الكريم ونفع به مؤلفه وكاتبه وسامعه والناظر فيه إنه سميع مجيب.

اعلم يا أخي أن من جملة الباعث لي على تأليف هذا الكتاب ما رأيته من بعض فقراء الزوايا من خصامهم مع شيخهم فضلاً عن بعضهم بعضًا، وترافعهم إلى بيوت الحكام وذلك لخروج الأمور عن موضوعاتها، فألفت لهم هذا الكتاب كالميزان التي يَزِنُون بها أحوالهم إذا فقدوا من ينصحهم، «والله في عون العبد ما كان

العبد في عون أخيه»[1] وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولنشرع في مقصود الكتاب فأقول وبالله التوفيق:

ﮋﮊ

(١) نص رواه أحمد (٢/ ٢٥٢، رقم ٧٤٢١)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٤، رقم ٢٦٩٩)، وأبو داود (٤/ ٢٨٧، رقم ٤٩٤٦)، والترمذي (٥/ ١٩٥، رقم ٢٩٤٥)، وابن ماجه (١/ ٨٢، رقم ٢٢٥)، وابن حبان (٢/ ٢٩٢، رقم ٥٣٤).

الباب الأول

في ذكر جملة من الأخلاق والآداب الخاصة بشيخ الزاوية، وبيان علامة كماله واستحقاقه المشيخة على الفقراء

إذا علمت ذلك، فمن علامة كماله أن يكون متبحراً في علوم الشريعة وجميع آلاتها من فقه وحديث وتفسير ونحو ولغة وأصول وغير ذلك بحيث يغني فقراء الزاوية عن القراءة في علم من هذه العلوم على غيره، فإن اختلاف المشارب مضر جدًّا على الفقراء، ويقبح على شيخ الزاوية أن يكون محتاجًا إلى سؤال غيره في مشكلات العلم؛ ولذلك لقبوا شيخ الزاوية قديمًا بشيخ الشيوخ، ولم يزل الناس يراعون هذا الشرط إلى عصر سيدي علي المرصفي ﷺ فكان لا يأذن لفقير بالتصدر لأخذ العهد، وتربية المريدين حتى يتبحر في علوم الشريعة؛ بحيث لو عقدوا له مجلسًا في المناظرة لقطع علماء بلده بالحجج المقاطعة في كل مذهب؛ وذلك ليصير بسلك المريدين ويدخلهم إلى حضرة ربهم من جميع مذاهبهم، ولا يقل لأحد: اخرج عن مذهبك، وتقيد بمذهبي، أربيك وأرشدك إلى مقامات أهل الطريق. فإن ذلك من الشيخ قصور عن مقام الأشياخ.

وسمعته ﷺ يقول: من لم يتبحر في علوم الشريعة فلا يصلح للتصدر، وإن وقع أنه تصدر فما يفسده أكثر مما يصلحه، وسمعته يقول: قبيح بالشيخ أن يأتيه مريد مذهب مخالف لمذهبه؛ فيقول: اخرج عن مذهبك حتى أربيك.

وسمعته يقول: مرارًا ما من مذهب من مذاهب المجتهدين إلا وهو موصل من عمل به إلى باب الجنة، انتهى.

وقد بسطنا الكلام على هذا المبحث في كتاب «الميزان الخضرية» المدخلة لجميع مذاهب الأئمة المجتهدين، ومقلديهم في الشريعة المطهرة، فراجعه ترى العجب، والحمد لله رب العالمين.

ومن علامة كمال الشيخ أيضًا: أن يكون جامعًا بين علم الشريعة، والحقيقة وإن كان العلم بإحداهما يستلزم العلم بالأخرى عند المحققين.

كما أن من علامة كماله: ألا يدرك لنفسه قرارًا يتكلم مع الوقت والحال لا لهما ولا بهما، لا يغفل عن الدعاء لنفسه ولإخوانه من جميع المسلمين مع التضرع، والأدب كل واحد بما يناسب حاله؛ لأنه مسئول يوم القيامة عن الخلق أجمعين من حيث كونهم كلهم رعيته، يتقلب ليلاً ونهارًا في علم الله ﷻ لا يعلم أحد ما هو فيه إلا إن أشرف على مقامه، وقليل ما هم.

ومن علامته أيضًا: ألا يحكم على الأشياء إلا بأوصافها الثابتة في العلم الإلهي، فلا يحكم عليها بالظن، فضلاً عن الوهم، بل يحكم عليها بحكم الله فيها، وقد ثبت عند أهل الكشف تقلب الصفات في كل زمن فرد، فلكل موجودٍ علمٌ جديد، وما ثَمَّ شيء يثبتُ على حالةٍ واحدةٍ في نفس الأمر حتى يصحَ وصفُه بخير أو شر، إلا إن كان معصومًا؛ بل يتنوع ويتغير في حال التعبير عنه، فعلى ماذا يقع التعبير: أعَلى الماضي أم على المستقبل؟ وهو حال غريب من لم يتحقق بعلمه كشفًا فهو من السفسطائيين، لا يطابق قوله وفعله وحكمه زمانين ماضٍ وآتٍ، بل يزيد وينقص.

من علامته أيضًا: أن يكون علمه بالحق لا يتعدى الكون، فليس عنده علم من الحق إلا ما ظهر من الكون بحجابه عن كنه الذات وكثرة أدبه مع الحق تعالى أن يطلب منه معرفة ما لا يصح معرفته ﷺ.

من علامته أيضًا: الرضا بما أقامه الله تعالى فيه ولو جبليًّا أو جِلادًا[1]، مع الرحمة، والقصد الذي يوافق الشرع، لا تنفر نفسُه من ذلك يتغير مع تغير الكون؛ إذ هو نازل تحت حكمه وحيطته، فرحه للكون هو فرحه لنفسه؛ لأنه فرد من أفراده.

من علامته أيضًا: ألا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله، أو لظهور الطبع في المغضوب عليه، أو له، لا يتعدى علمه بالأمر عليه في نفسه، يضع جميع الأشياء في محالها اللائقة بها شرعًا، لا يكاد أحد يراه على مخالفة شيء من أمور الشريعة، يقيم الميزان على نفسه، وغيره بغير صنج يوجب تعديلاً أو ترجيحًا، بل ميزانه كميزان الحق جل وعلا، تطيش على الدر، ومع ذلك فلا يظهر فيها حكم زيادة ولا نقص.

ومن علامته أيضًا: إنه إذا تكلم لا يتكلم بكلام يدخله العجب؛ وإنما يتكلم بكلام يفهم منه العجز، وإن سكت فلا يجد في باطنه شيء يتفكر فيه.

وكذلك من علامة كماله: ألا يسامح نفسه أن تسرح في الكلام على الذات المقدس أدبًا مع الله تعالى، اللهم إلا أن يظهر بذكر ما ورد في ذلك عن الشارع صريحًا، فلا بأس.

وكذلك من علامة كماله: أن يتوجه في قضاء حاجته بجميع قوى حسه.

ومن علامة كماله أيضًا: أن يتكلم مع الخاصة، والعامة بكلام يسع أفهام الخلق أجمعين، لا يراعي في كلامه مصلحة أحد بعينه، يأمر غيره في حين بما ينهى عنه في حين آخر، لا لسبب مخصص إلا أن تصرح فيه الشريعة بأمر أو نهي، فإن ذلك لا يجوز لأحد أن يتعداه؛ منها أن يكون يعرف موازين الرجال؛ بمجرد رؤيتهم بالبصر،

---

(١) هكذا في الأصل.

ويزن النساء بأصواتهن لا بكلامهن، ولا برؤية أجسامهن، ويعرف صوت الشريف الذي لم يجتمع به، والشريفة التي لم يجتمع بها من وراء الجدار، لا يحكم لأحد قط برتبة إلا أن يظهر أثر الرتبة في الكون، لا يأتي من العبادات ما يشق عليه فعله، أو قوله إلا في حين؛ لكونه قد فرغ من مجاهدة نفسه، وما بقي عليه إلا مجازاته لها بالراحة على طول تعبها معه، ومعلوم أن الجهاد لا يكون إلا للكفار، وأما إذا صارت نفسه مطمئنة لا تأمرهُ إلا بما أمره الله به، فلا ينبغي جهادها.

ومن علامته: أن يشكر إخوانه بقدر طاقته هو، لا بقدر مرتبة المشكور، لا يذم شيئًا في الوجود إلا تبعًا للشرع دون حكم الطبع، تتأدب معه حواسه أن تُظهر له عيبَ أحدٍ من المسلمين، فلا يعرف عيبَ أحدٍ إلا إن ذكره له ذلك الأحد؛ وحينئذ يجب عليه إرشاده إلى التخلص، ومتى اطلع على عيب أحد من طريق كشفه وجب عليه التوبة فورًا؛ لأنه كشف شيطاني، لا يكثر من تلاوة القرآن إلا بقدر ما يأذن له فيه ربه، وبقدر ما يحضر فيه معه تعالى؛ إذ القراءة مع الغيبة عن شهود صاحب الكلام من مقام المحجوبين، وإن كانوا مأجورين في ذلك قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (ص: ٢٩) لا يقيد على نفسه بفعل شيء إلا أن قيده الشارع زمنًا كان، أو عددًا، وجوبًا كان ذلك أو مندوبًا؛ إذ الكامل تابع لا متبوع.

ومنها: ألا يرجح أحدًا ولا يجرحه إلا بحق، وذلك باطلاعه على خاتمته، وما يؤول إليه أمره، فهناك له أن يرجح ويجرح على يقين.

وسمعت سيدي عليًا الخواص رحمه الله يقول: لا ينبغي لشيخ أن يكثر وصف أحد بخير ولا شر، خوفًا من المجازفة إلى حد الكذب، فيكذبه الحس.

ومنها: أن يتأدب مع الخلق، لا له ولا لأحدهم؛ بل لإعطاء الوجود والموجود حقه، لا يصلي شيئًا من النوافل المطلقة إلا مقيدًا في شكر، فيرى ذلك من جملة نعم الله عليه، لا مقابلاً لنعمة أخرى، فإن جميع ما يشكر به العبد ربه هو من جُملة نعم الله أيضًا؛ فلذلك كان يقول: أصلي ركعتين - مثلاً - من نعم الله عليّ، الله أكبر.

من علامة كمال الشيخ: ألا يُقرئ العلم الشرعي إلا وهو يشهد اتصال كل مسألة بالحضرة التي نشأت منها تلك المسألة من حضرات الأسماء والصفات، وهو مقام عزيز لا يكون إلا لأفراد من العلماء؛ وذلك لأن فائدة العلم إنما هي جميع قلوب العلماء على الله تعالى به، وكل علم لا يجمع القلب على الله تعالى فهو حجاب عن الله تعالى.

وسمعت سيدي عليًّا الخواص ﷺ يقول: ما شرع العلم بالأصالة إلا ليكون وسيلة إلى الحضور معه تعالى لا للغفلة عنه؛ إذ العلم دليل إلى مدلول، وإذا لم يوصل إلى المدلول فليس هو بدليل، انتهى.

وقد أوضحنا ذلك في كتاب «الميزان الخضرية» المدخلة لجميع أقوال الأئمة، ونقله بهم في الشريعة المحمدية، فراجعها. وما رأيت ألذ من قراءة العلم على الله، أو على رسوله ﷺ وعلى الأئمة المجتهدين، وغيرهم حال كون ذلك العلم، جمعنا على قائله وصرنا مجالسين له مشاهدين لذاته.

وممن أدركته على هذا المقام أخي أفضل الدين، كان يعرف منزع كل مسألة من حضرات الأسماء أو الصفات، فاعلم ذلك.

ومن علامة كمال الشيخ أيضًا: أن يقدم تحصيل أمر معاشه، وكسبه الحلال على سائر عباداته التي لم تجب عليه، فلا يبالي بما فاته من جميع النوافل بسبب تحصيله؛ لأن

تحصيل اللقمة تجمع شتات الحواس، فيعطي الظَّلَمَةَ ما طلبوه منه من المغارم التي وضعت على البيوت أو السوق أو الرءوس بطيبة نفس أدبًا مع الله، الذي قدر ذلك عليه بحكمة بالغة، ثم يسامح ذلك الظالم وحاشيته في الدنيا والآخرة مروءة وكرم نفس، وكذلك لا يقابلهم بالأذى إذا أعطاه الله تعالى التصرف فيهم بالولاية والعزل، والحبس والضرب والخزي؛ بل يترك ذلك لكونهم من جملة عبيد الله ﷻ أو من أمة محمد ﷺ ويحصل ذلك شبيهًا بجريان المقادير عليه من الكلأ بلا واسطة، ثم بتقدير أنه يحمي نفسه عن وزن المغارم، أسوة المسلمين ولابدَّ لهُ من بلاء يأتيه، وهذه أشد من تلك المغارم كما جرت.

وكان سيدي إبراهيم المتبولي ﷺ يقول: من أدب الفقير:الصبر تحت جور الحكام من غير أن يقابلهم بشيء من الأذى، كما أن من أدبه: مقابلتهم بالأذى إذا آذوا أحدًا من إخوانه الذين لا يصبرون على جور الحكام.

ومن علامته: أن يكافئ كل من أحسن إليه ولو بذرة بقناطير من نظير ذلك، ثم لا يرى إنه كافأه بشيء؛ لأن الكامل إنما يعامل الله ﷻ لكون مشهده يعطي ذلك، بل ربما كان لا يرى الخلق مطلقًا؛ لحجابه بشهود الحق تعالى عن شهودهم.

قال سهل بن عبد الله التستري: لي منذ ثلاثين سنة أكلم الله، والناس يظنون أني أكلمهم.

من علامة كماله أيضًا: ألا يبدأ أحد بهدية، أو إحسان خوفًا أن يحوجه إلى كلفة المكافأة لاسيما إن كان فقيرًا ذا مروءة، له عادة بالمكافأة لمن أحسن إليه، فإن كان لا يكافئ بلا كلفة، أو لا يكافئ أصلاً عملاً بمشهده، فلا بأس ببدايته بالإحسان؛ لعدم المحذور الذي ذكرناه.

ومن علامة كماله: أن يحب العلماء والصالحين من أهل زمانه، وإن كانوا غير عاملين بعلمهم؛ إكرامًا لما حملوه من علم الشريعة، ويكفينا في سبب محبتهم أن الله تعالى جعلهم حملة الشريعة، لا يحزن على من تحولت عنه النعمة بوقوعه في معصية، بل يكون مع الحق تعالى عليه، فإنه في مقام التأديب له، وذلك أن الله تعالى ما أفقر أحدًا، ولا أغناه إلا بحكمة بالغة؛ لكن إذا بلغ التأديب فيه حده، فمن الأدب شفاعتنا فيه عند الله إن كنا من أهل هذا المقام، وذلك بألا يكون أحدنا عليه ذنب مكتوبة.

وكان سيدي عليًّا الخواص ﷺ يقول: إذا أدب الله تعالى عبدًا بالفقر، وضيق المعيشة فلا تحسنوا إليه سوى بالرغيف، وستر العورة، وإياكم أن تجلبوا له مالاً وتريدوا أن تغنوه، فإن عقوبة ذلك ربما ترجع عليه؛ لمعارضتكم للأقدار الإلهية لغير طريق شرعي.

ومن علامة كماله أيضًا: ألا يداهن أحدًا من إخوانه كبيرًا كان أو صغيرًا، بل يقول له الحق، وإن كان مُرًّا وعاد عليه بالضرر لا يستتر عنه الحق تعالى بعارض.

ولا يعتب قط أحدًا على كلمة جفاء وقعت له منه، ولا يقول قط لأحد: لم لا تتردد إلينا؟ ولا يوبخ أحدًا قط على زلة وقع فيها، ولا يستعين في قضاء حاجته بأحد إلا عند العجز الشرعي، ينفذ كلامه حجبَ العوائد والعوارض، لا يكتم أحد قط ما يطلعه الله تعالى عليه من المعارف والأسرار إلا لحكمة؛ كأن لم ير أحدًا يقدر على حمل ذلك السر.

ومن علامة كماله: أنه إذا أخطأ في علم أخبر بذلك إخوانه، واعترف لهم بالخطأ إيثارًا لجناب الشرع على جنابه، وإن كانت المسألة سارت بها الركبان أرسل

لهم رسولاً أو كتابًا بذلك؛ ليحفظهم عن العمل بذلك الأمر الذي أخطأ فيه.

ومن علامته أيضًا: أن يحب الاجتماع بالأمراء والأكابر؛ ليرى خليفة الحق تعالى عليهم بالإمارة والكبرياء، وينتفع الخلق، ويقضي حوائجهم عند ذلك الأمير أو الكبير.

ولا يحتجب عن أحد من الخلق إلا لغرض شرعي، يطلب من الله تعالى أن يطلعه على كل حادثة وواقعة على عملها وأدبها، وأن الحق تعالى يتعرف إليه بسائر ما يقع في الكون إذا تكلم فهو من تحت العوائد دائمًا بالله تعالى ولله، وكذلك من شأنه أن يكون مسلمًا لأقدار الله تعالى على الدوام، ومفوضًا إليه في كل الأمور إليه؛ كذلك على الكشف والشهود يسأل من جميع إخوانه الدعاء عقب الطاعات وغيرها، كما يسأل من الأولياء، لا تأنف نفسه قط أن يكون تحت درجة أحد من الفسقة؛ فضلاً عن الصالحين كل ذلك تأسيًا برسول الله ﷺ في قوله لأمته: «وَسَلُوا لِي الْوَسِيلَةَ»(١) وفي قوله لعمر بن الخطاب: «لاَ تَنْسَنَا يَا أَخِي مِنْ دُعَائِكَ»(٢).

ومن علامة كماله أيضًا: ألا يكون عنده قساوة قلب لاسيما عند سماع القرآن والحديث؛ بل تهطل عيناه بالدموع كلما استمع زواجر الحق تعالى؛ التي خوف الله تعالى بها عباده حتى كان الحق تعالى لم يخلق النار إلا له، وأن تكون أهوال يوم القيامة

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/٥٨٦، رقم ٣٦١٢)، وأحمد (٢/٢٦٥، رقم ٧٥٨٨)، وابن أبي شيبة (٦/٧٦، رقم ٢٩٥٩٠) والطبراني في الأوسط (١/١٩٨، رقم ٦٣٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٢/٨٠، رقم ١٤٩٨)، وابن سعد (٣/٢٧٣)، وابن عدي (٥/٢٢٧، ترجمة ١٣٨١ عاصم بن عبيد الله بن عاصم)، والبيهقي (٥/ ٢٥١ ، رقم ١٠٠٩٥)، والضياء (١/ ٢٩٤، رقم ١٨٤).

كلها مشهودة لقلبه ليلاً ونهارًا، يحسن إلى جميع من أساء عليه، فضلاً عمن يحسن إليه تخلقًا بأخلاق رسول الله ﷺ والعلماء العاملين، وتأمل يا أخي تجد الحق محسناً إلى عباده على الدوام، لا يقطع بره وإحسانه عنهم مع مخالفتهم لأوامره ووقوعهم في مناهيه، وإعراضهم عنه.

ومن علامة كماله أيضًا: أنه يحب سماع القرآن، ويقدمه على سماع غيره في العلوم؛ إجلالاً لله ﷻ فإنه تعالى مخاطِبٌ لعبادِهِ بالقرآن على ألسنة التالين؛ لا يرى مفتاح الغيب إلا من عالم الشهادة، وعنده من الخوف من الله تعالى ما يشغله عن الرجاء فيه؛ إذ رجاء فضل الله وعفوه تحصيلُ الحاصل، ومن اشتغل به ضيع عمره في شيء،لا تَرَقٍّ له في مقام من المقامات، عنده من الرحمة بالخلق ما يعمهم على اختلاف طبقاتهم، كل واحد بما يناسبه؛ ليشهد جميع العوالم بعين واحدة تسع الجميع يخرج عند نزول البلاء، وإن علم إنه مصروف الحق تعالى لا يقيد عليه، فمن جملة تعظيمه وإجلاله الخوف في سَطوات غضبه.

من علامة كماله أيضًا: أنه لا يحجب عن شهود صفات عبوديته طرفة عين مع علمه بما الأمر عليه، له في كل شيء علامة يعرف مرتبته عند الله، ويعرف برؤية أنف الإنسان أو عينيه جميع ما عمله من الزلات طول عمره، لا يكون له قط علاقة صارفة له عن حضرة الحق تعالى حتى في حال بوله وجماعه؛ بل يحضر مع الله تعالى بالوجه اللائق بذلك الأمر، فإنه ما من شيء إلا وله سببان:

أحدهما: يتعلق بالله.

والآخر: يتعلق بالكون، يرى أول معرفته لله تعالى وآخرها له؛ كذلك أبد الآبدين، ودهر الدَّاهرين لا يشهد غير الله أبدًا عند استيلاء ذكره عليه فيستمد

الأمداد من ربه، لا من قلبه؛ لشدة معرفته بالله ﷻ.

ومن علامة كماله أيضًا: أن يهابه كلُّ ناظر إليه من حيث باطنه، إذا رآه أحد ذكر الله تعالى برؤيته؛ لما هو عليه من الخوف والخشية؛ كما أشار إليه خبر الترمذي مرفوعًا: «خِيَارُ عِبَادِ اللهِ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللهُ»[1].

ومن علاماته أيضًا: أن يكون دائمًا مع الله تعالى بلا وصل ولا فصل في نفس الأمر، قلبه دائمًا مع الله تعالى لا مع غيره، فهو فارغ من الاشتغال بأمر الدنيا والآخرة، وإن كان لا يخرج عن كونه في عمل واحدة منهما عمره كله عبادة، لا يأخذ أعماله إلا عن الله، ولا يرجع فيها إلا إلى الله؛ كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ (هود: ١٢٣) وقوله: ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ (المؤمنون: ٦٠)، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (الأنعام: ٣٦) ونحوها من الآيات، بطنه جائع على الدوام، وبدنه عار، يشاهِد ذلك على الدوام، ولو كان على بدنه ثياب، وذلك ليدوم إمدادُ الحق تعالى له؛ لأن معرفته إنما هي للمحتاجين بالأصالة.

ومن علامة كماله أيضًا: ألا يتأسف على شيء فاته في أمر الدنيا والآخرة؛ لعلمه بأن الله تعالى لم يقسمه له، تبكي عينه، ويضحك قلبه،هو كالأرض يطؤها البر والفاجر، وكالسحاب يظل كل شيء، وكالمطر يسقي كل شيءولا يتوقف على سقي ما يحبه فقط. لا يقضي وطرَه قطُّ من شيءٍ في الدنيا؛ لأن قضاء الوطر إنما يكون في الدار الآخرة؛ لكونها داراً لا حجابَ فيهابأكل الشهوات، حاله فوق ما يقول، عكس الناقصين، جميع الحالات مستوية عنده؛ من حيث نسبتُها إلى الله تعالى وإمداده لها، فيفتح له على فراشه مع حليلته؛ كما يفتح له في صلاته، وإن اختلفت الموارد

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٢٢٧).

باختلاف المواطن، يصفو به كل شيء قابله؛ كما كان قابلاً للنفوذ،فتضيء له أنوار العلم؛ فيبصر بها عجائب الغيوب.

ومن علامته أيضًا:أنه لا ينتقل قط في مقام من المقامات ولا يستجليه، يسع الأشياء ولا تسعه الأشياء، قد خرج علمه من أقطار السماوات والأرض والعرش والكرسي فلا يتبعه مخلوق، يرجو من الله تعالى دائمًا العفو عمّا يقع فيه حال عباداته من سوء الأدب الذي لا يليق بالحق جل وعلا، يشاهد دائمًا جلال الحق تعالى وجماله في آنٍ واحد، يصادف في أعماله التي لم تصرح بأحكامها الشريعة طريقَ الصواب من غير قصد منه؛ لأن الله تعالى قد حفظه من الزَّيغ عن الشريعة بهدايته إلى الطريق المستقيم، يأتي العبادة في العادة بنية صحيحة لزوال العلل التي يؤاخذ بها في أعماله أو ينقص بها أجره.

ومن علامته أيضًا: أن يكون دائمًا منـزهًا لربه عن صفات التشبيه؛ لاستحالتها في حقه، عكس ما عليه الناقصون، فإن صفات التشبيه تطرقه ثم يصرفها عنه؛ وذلك لأن الكامل صاحب دليل وكشف وشهود، فلا يتجلى في مرآة قلبه أبدًا خلاف الواقع، يكرم كل وارد عليه، ويتأدب مع الشاهد، رجوعه إلى حضرة الخلق عروج، وسلوكه وحجابه عن الخلق شهود، سره لا يعلمه زِرُّهُ، يوحد الله تعالى مع شهوده الكثرة في الوجود، يعلم ما وراء الحجب الكونية من غير رفع حجاب، يريد كل ما يريده الله به وبغيره، وقد فنيت إرادته في إرادة ربه مع سؤاله الإقالة من كل مذموم، لم يزل سالكًا مع كونه ساكنًا ومقيمًا وهو مسافر يسعد بالنظرة ويشقى بها، كذلك من سبقت له الشقاوة على يديه.

ومن علامة كماله أيضًا: أنه دائمًا يجد في نفسه من العلوم ما لا تسعه العبارة من

دقائق الفهوم من واردات الحق تعال على قلبه من غير سبب، لا يقول قط ما لا يعلم في الله ﷻ كالاتحاد والحلول؛ لأنه محفوظ من الرعونات والشطح، هو غريب في الملأ الأعلى والأسفل؛ لعلو مراقيه ومراميه، لم يزل غيورًا على أسرار الحق تعالى أن تذاع بين المحجوبين، يغار لله لا على الله؛ لأنه تعالى مع كل شيء، والغيرة لا تكون إلا ممن يطلب أن يكون عنده دون غيره، وذلك محال، هو متحكم بالمشيئة في الوجود من غير واسطة الأسماء الإلهية، طرفاه مستويان؛ فأزله مثل الكرة؛ تدور عليه المقامات، ولا يدور وهو عليها؛ كما تطوف به الكعبة وإن كان هو طائفًا بها.

ومن علامة كماله أيضًا: أن يكون حمَّالاً لأعباء المملكة كلها، تُنشئ خواطرُه أشخاصًا على صورة ذلك الخاطر على الكشف والشهود، قائمًا بالحق تعالى في جمعيته، نافذ الهمة، مؤثرًا في الوجود على الإطلاق بإذن الله تعالى؛ لشدة كرامته عليه، هو مجهول النعت والوصف عند الملائكة والإنس والجن وسائر الحيوانات؛ لعلو مقامه، لا يعرف له مقام يوصف به لعدم وقوفه مع مقام: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾ (الأحزاب: ١٣)، فلا يفارق الأفعال العادية فيتميز بها عن غيره، هو خامل الذكر مستور الحال، إذا وقع منه رحمة لأحد من الخلق يفرق في رحمته لهم بين من أمره الله برحمته وبين من لم يأمره بها؛ وذلك ليجعل لمن أمره الله تعالى برحمته خصوص مزية، لا يستر قط عيوب إخوانه عنهم إذا اطَّلع عليها من طريق الظاهر أو من طريق الكشف، يرشد كل من استرشده إلى طريق الحق تعالى سواء رأى المحل قابلاً لذلك أم لا، أحب الناس إليه من يخبره بعيوبه لأنه ظهير له ومعين، إذا خالفه أحد من إخوانه في اللفظ زجره زجرًا قاهرًا لمثله، وإذا خالفه بالفعل سكت عنه حتى يقضي الله تعالى فيه بما يشاء؛ لكن مع نهيه عن فعل ذلك المحظور لا يرغب في شيء ولا يزهد في شيء إلا لغرض شرعي، يكره كل من نقل إليه مساوئ الناس فتنقص محبته

له بذلك، ولو كان من أعزّ أصدقائه قبل ذلك؛ لأنه دائر مع رضا الله تعالى لا مع حظ نفسه، لو لم يكن في ذلك إلا خطور سوء الظن بالناس واحتقاره لهم بما سمع من نقائصهم.

ومن علامة كماله أيضًا: أن يصحب الناس على قدر أخلاقهم ومقاماتهم، ولا يصحبه هو أحد لجهلهم بمقامه، ولما هو عليه من الجدّ والاجتهاد ليلاً ونهارًا، فإن سكت ظاهره، فباطنه عمّال، لا يسبق قوله فعله قط، ولا يبدأ بالصلح من غاضبه بغير حق إلا لغرض شرعي؛ لأنه يكبر نفسه، أي: نفس أخيه بغير الحق، وبذل هو نفسه بغير محل قابل.

ولا يزور أحدًا من إخوانه إلا ومعه شيء من المأكول والملبوس أو المشموم ولو زبيبة أو فلسًا، لا يتخلف قط عن حضور مجلس علم ولا وعظ؛ اكتفاءً بما معه هو من العلم والأسرار، فقد يجري الله تعالى على لسان ذلك العالم من العلوم والأسرار ما لم يخطر لذلك الكامل على بالٍ، وقد كان الخضر عليه السلام مع جلالته وغزارة علمه يحضر مجلس الشيخ عبد الرزاق الواعظ ويقول: إنما يسمع أحدنا من الله تعالى.

وسمعت سيدي عليًّا الخواص رحمه الله يقول: احضروا مجالس الوعظ، فإن رأيتموه أحسن، ولم يتعد إلى كشف عورات الناس على التعيين، فأحسنوا إليه واتخذوه صاحبًا، وإن لم تجدوا فيه وجهًا صالحًا فاتركوه؛ ولكن من غير تنقيص له.

ومن علامة كماله أيضًا: ألا يشغل نفسه باللوم على أحد من العلماء الذين زلوا في نقول الشريعة ببادئ الرأي، بل ينتحل لهم الأجوبة الحسنة جهده، فإن لم يجد لكلامهم محملاً حسنًا أنكر عليهم رحمةً لهم وللأمة، لئلا يكونوا من التابعين للأئمة المضلين.

لا يُكَذِّبُ قط بما تحيله العقول، لعلمه بأن الله تعالى على كل شيء قدير، متواضع للأكابر من الناس علماءً كانوا أم أُمراء، بحسب نفعهم للخلق. لا يخوض قط فيما لا يعلم، إذا جالس العلماء أصغى إلى كلامهم كإصغاء من لم يعلمه قط، وإن كان دون ما يفهمه هو.

لا يقدم من إخوانه أحدًا على أحد ظاهرًا إلا لغرض صحيح، فإن لم يكن هناك غرض صحيح أسرَّ ذلك عنهم، لا يمنع أحدًا إلا لحكمة سأله عنها، عن شيء هو في غنى عنه تخلقًا بأخلاق الله تعالى، فإنه تعالى لا يمنع أحدًا إلا لحكمة لا لبخل الله تعالى عن ذلك.

ومن علامة كماله: أنه يحب التبكير إلى الأسباب التي أقامه الحق تعالى فيها، ويكره البطالة، ويأمر بالسبب كلَّ من نفرت نفسه عنه منه.

وأن يكره العزلة عن المسلمين؛ لأن العزلة ربما يخالطها رؤية النفس وازدراء الناس، ولو أن المعتزل رأى الناس خيرًا منه ما اعتزل عنهم.

لا يخرج للجمعة إلا بعد قول المؤذن حي على الصلاة وفي ذلك سر يعلمه أهل الله تعالى، لا ينبغي له أن يخص جامعًا بصلاة الجمعة إلا بطريق شرعي.

ولا يجزم أبدًا بقبول شيء من أعماله، ولا بأنها تستحق القبول لما فيها من الشوائب؛ بل يراها كلها تحت المشيئة قبولاً وردًا.

لا يتساهل قط بإزالة الأذى عن الطريق الظاهرة أو الباطنة؛ كإزالة الشوك عن الطريق، أو الشبهات عن القلوب.

يدور مع أحكام الحق تعالى حيث دارت، لا يستتر الحق عنه بعارض، لم يزل

قائمًا بالحق تعالى في حال جمعيته، عارفًا بما يريد الحق تعالى في عباده قبل ظهور المراد؛ فيريد بإرادة الحق تعالى لا بإرادة نفسه هو لأنها مخلوقة. لا ينازع أقدار الحق تعالى، ولا يقاومها أدبًا مع الله تعالى، ولأنه محفوظ من الدخول إلى مقام الاستطالة المعروفة بين القوم، وثمَّ مقام آخر ينازع العبد منه أقدار الحق بالحق للحق، وهو خاص بالأكابر كسيدي عبد القادر الجيلي ﷺ.

وكذلك من علامة كماله: أن يكون شديدًا في لين، يعلم مكارم الأخلاق من سفاسفها، فينزلها منازلها تنزيل حكيم عليم، يتبرأ من كل من يتبرأ منه الشرع، ويحسن إليه مع التبرؤ منه، جميع الخلق آمنون من غوائله، يشاهد تسبيح كل شيء على تنوع أذكاره، لا يظهر قط مقامه إلا لعارف مثله، إذا وقع له تجل إلهي يكاد يقول: «أنا هو»؛ لشدة فناء رسومه وشواهده.

إذا قال: «بسم الله»، كان عن ذلك القول كل ما قصده بهمته. لا يقول قط «كن»؛ أدبًا مع قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (النحل: ٤٠) فإن أذن له الحق في ذلك فلا حرج عليه [صغير بحق كبير بحق متوسط مع حق جامع لهذه الصفات كلها في آن واحد، خبير بمقادير الأشياء وموازينها، لا يَفْرط ولا يُفرّط](١).

ومن علامة كماله أيضًا: أن يستر مقامه بحاله، وحاله بمقامه، فيجهل أهل المقامات بحاله، وأهل الحال بمقامه، له عنف شديدعلى شهوته إذا لم ير وجه الحق تعالى في طبيعتها، لا يؤاخذ الجاهل بجهله لعلمه بأن لجهله وجهًا في العلم الإلهي، إذا أعطى فقيرًا أشياء يلقي الله تعالى في باطن ذلك الفقير،أن ذلك كان أمانة له عنده

(١) هكذا في الأصل.

حتى لا يشعر به، فيشكره عليه؛ وذلك لأن رأس ماله محفوظ من النقص، تزهد فيه الدنيا.

ولا يحوجه إلى أن يزهد فيها؛ لكونه لا محل عنده لها تقيم فيه، يفتح مغاليق الأمور ومشكلاتها بالنور المبين، يضم القلوب إليه إذا شاء، ويفرقها عنه إذا شاء بإذن الله من حيث لا تشعر القلوب بذلك، يقضي بين الخصمين بما يرضي كلاً منهمامن حسن عمله وسياسته، يعرف عظمة ربه من نفسه لا من أمر زائد عليها، يدبر أمور الكون بينه وبين ربه كالمشير الناصح، يسمع نداء الحق تعالى من ألسنة الخلق، لا يزلزله حادثات الدهر، يتخلق بما يمكن البشر التخلق به من صفات الله تعالى، ويتبرأ من كل صفة لا تليق بالعبد التخلق بها، له الظهور بأي صفة شاء مع الوقوف عند الحدود، لا تعمل فيه همم الرجال، ينزه ربه أن يشهد تعمدًا له بالقوة على شيء من المخالفات بخلاف الطاعات أدبًا مع الله تعالى، يحاسب نفسه على كل نَفس خرج منه، وهو غافل عن شهود أنه بين يدي الله ﷻ إلا في خير، فإن مراقبة الله تعالى مع الأنفاس ليست من مقدور البشر.

ومن علامة كماله أيضًا: ألا يطأ مكانًا إلا حيًا ذلك المكان حسًّا ومعنى بإذن الله تعالى، حتى إن بعضهم استند إلى شجرة تين كانت قد ماتت من سنين، فأورقت وأخرجت تينًا لوقتها وأكل الحاضرون منه، وإذا قام في أمر ساعده فيه ربه بالتأييد، وإذا غضب على أحد غضب الحق تعالى معه عليه؛ لأن حالته في سلوكه كانت هكذا يغضب لغضب الحق، ويرضى لرضاه؛ فجازاه الله تعالى بأن صار الحق تعالى يرضى لرضاه، ويغضب لغضبه، لا يخطر له خاطر في شيء إلا يكون لوقته سواء من لجأ إليه في تحصيل أمر دنيوي من أغراض النفوس خسر؛ لأن مقامه مجهول بخلاف أرباب

الأحوال، لا ينتقم قط لمرضاة ربه إلا بإذن خاص يلقيه الله تعالى له في قلبه، فإن لم يقع له إذن عفا وصفح، فحق قليل الرزق عنده كثير من حيث عطاء الحق تعالى، والكثير عنده قليل من حيث طلبه الزيادة وإظهار الفاقة؛ كما أشار إليه الحديث الوارد في ذم الدنيا: «قليلها يكفي، وكثيرها لا يغني»[1].

يجري مع المصالح دائمًا في حق الفقير، فلا يزال الحق تعالى له محبًا مؤيدًا إذا ولي ولاية تعطى الرفقة ازداد بها تواضعًا.

ومن علامة كماله أيضًا: أن يكون له في جميع حركاته وسكناته ميزان شرعي، وأن يكون مستغنيًا بتعليم الله تعالى له العلم عن تعليم أحدٍ من الخلق، وإن وقع أنه أشكل عليه شيء من علم الحق تعالى، يسأل عنه رسول الله ﷺ، ثم عمل على مقتضاه في نفسه دون غيره؛ تخفيفًا على الأمة كما فعله الشارع حال حياته؛ لا يعطي الناس من العلوم التي علمها الحق تعالى له إلا ما يحصل به المنفعة لهم، كما أنه يكتم عنهم كلما يحصل به المضرة لهم، لا يؤدب أحدًا على رذيلة إلا بنية التطهير له، أي: ذلك الشخص؛ لأنه محفوظ من التشفي عن أحد، بأن يكون علمه يكشف جميع الغوامض؛ حتى لا يبقى مع نور علمه ظلمة من ظلم الجهل، لا يأكل من هدية أعلمه بها صاحبها، قبل أن تحضر بين يديه؛ لئلا تصير النفس متشوقة إليها حتى تحصل. وقد نهى الشرع عن أكل ذلك.

ولا يأكل من هدية شخص تعدى جاره، وأرسلها له مع بعد داره؛ لئلا يساعده في مخالفة السنة، وكذلك لا يأكل هدية، ولا يقبل شيئًا علم من طريق كشفه

---

(١) ذكر ابن القيم عن الإمام أحمد نحوه في «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» (ص١٠٠).

أو بالقرائن أنَّ صاحبها يتذكرها بعد العطاء؛ لما في ذلك من رائحة البخل؛ إذ لو كان كريمًا لما خطرت له تلك الهدية، كما لا يخطر على باله عودٌ خلال إعطائه لأحدٍ، وكذلك لا يأكل طعامًا قط لمن يعتقده، وإنما يأكل من طعام المحب؛ وذلك لأن المعتقد ما أطعمه إلا لظنه فيه الصلاح، وهو لا يخلو من حالين: فإنه إن كان صالحًا كما ظنه المعتقد، فقد أكل بدينه؛ وإن كان غير صالح، فقد أكل حرامًا بالنصب والتلبيس.

وسمعت سيدي عليًّا الخواص ﷺ يقول: لا تأكلوا إلا من طعام من يحبكم؛ كطعام الوالدة لولدها، فتراه يقع في كل رذيلة، ولا ينقص مقامه عندها، وتضيف جميع ما وقع فيه ولدها إلى إبليس، وتقول: خزاك الله يا إبليس؛ عمل على عقل ابني وأوقعه في شيء ما كان على باله، فإن وجدت يا أخي أحدًا يحبك مثل هذه المحبة فكل طعامه، وإلا فلا.

من علامة كماله أيضًا: أن يزداد محبة في كل من يراه آذاه بغير حق، فأحب الناس إليه من كان أكثرهم أذى له؛ وذلك لأنه حكمه في حسناته يوم القيامة يأخذ منها ما شاء، وتضيع عليه من أوزاره ما شاء أن فنيت حسناته، ولا شك أن يحسن إلينا بحسناته يوم القيامة أنفع إلينا ممن انتفع، أحسن إلينا بالذهب، والفضة، واللباس الفاخر، والأطعمة اللذيذة في دار الدنيا لفنائها.

ومن علامة كماله أيضًا: أن تطيب نفسه بمقاسمة عدوه له في حسناته، فضلاً عن طيب نفسه بمقاسمة أصدقائه؛ لأنه معتمد على فضل الله لا على أعماله.

وكذلك من علامة كماله أيضًا: أنه يرى أنه قد استحق الخسف به كلما صلى

صلاة، وحصل له فيها خشوع؛ بل ولا يرى نفسه أهلاً لأن يقف في حضرة الله تعالى؛ خوفًا أن يدنسها وينجسها، فإن حضرة الله تعالى ثلاثة أصناف:

ملائكة، وأنبياء، وأولياء.

ومعلوم أن هؤلاء مطهرون من جميع الأدناس، وحكم من وقف بينهم وقد تلطخ بمعصية، ولو في حين من الدهر، حكم من دخل تلك الحضرة غضة[1] طرية، ووضعتها على فراش أحد من أهل الحضرة.

وكذلك من علامة كماله: أن يحب كل من يفر عنه أبناء الدنيا، وحال بينه وبين الدنيا؛ كما إذا رسم السلطان له بألف دينار مثلاً، فجاء شخص، وقال: إن فلانًا لا يستحق مثل ذلك، وفلان أحق منه وأعلم وأدْين، عكس ما عليه الناقصون.

وكذلك من علامة كماله: ألا يقف قط بين يدي حاكم؛ ليتحاكم عنده مع أحد لهوان الدنيا عنده؛ بل لو أخذ أحد منه جميع ماله مصادرةً أو سرقةً لم يتغير عليه منه شعرة، بل لو قُدر أن جميع أموال الدنيا كانت في يده، وأخذها شخص لم يعاتبه على ذلك كما لا يعاتبه على أخذ حصاة من الأرض، وإذا مرَّ على أتلال الذهب والفضة، أو أمطرت السماء ذهبًا، أو دخلت البغلة داره محملة ذهبًا من مطلب أو غيره؛ لم يلتفت إلى أخذ دينار واحد ولأخرج البغلة من داره، وأغلق بابه، وإن وقع أنه أخذ شيئًا من ذلك فهو بنيةٍ صالحة؛ كنية إنفاقه في مرضاة الله تعالى؛ كما وقع لأيوب عليه السلام والأولياء، والصالحين.

والحمد لله رب العالمين هذا ما حضرني من صفات الشيخ في نفسه، وأما صفاته المتعدية إلى غيره في النفع، فأقول وبالله التوفيق:

---

(١) في الأصل: غدرة.

الباب الثاني

في جملةٍ من أخلاق الشيخ مع التخلق

فمن أخلاقه مع المريد: أن يكون زاهدًا في الدنيا بأسرها؛ امتثالاً لأمر الله ﷻ، حافظًا جميع جوارحه الظاهرة والباطنة من الآثام والرذائل؛ وذلك حتى ينقاد له الفقراء، فإنهم متى رأوا نفوسهم أكمل منه في مقام، أو علم، أو عمل، عدموا النفع به.

ومنها: أن يجعل لفقراء الزاوية، وغيرهم ممن هم تحت تربيته يومًا للمناقشة، لا يحضر معهم فيه غيرهم؛ خوفًا أن ينفتح باب ازدراء الأجانب للفقراء إذا سمعوا ما وقعوا فيه من المعاصي أو الخواطر السيئة مثلاً، وكان آخر من علمناه يفعل ذلك من المتأخرين سيدي محمد الغمري ﷺ كان يدخل البستان الذي تجاه جامع السد بالمحلة الكبرى، ويغلق بابه، ويأخذ مفاتحه معه، فيتحاكم الفقراء عنده في جميع ما وقعوا فيه في ذلك الأسبوع، ويمتثلون بما يأمرهم به من هجر، أو صلح، أو عفو، ونحو ذلك، وكان أحب الفقراء إلي من يحكي له ما عليه دون الذي له على أخيه، هكذا أخبرني الشيخ شهاب الدين بن النخال(١) أحد جماعته المعتبرين، فاعمل على ذلك يا أخي إذا عملت شيخًا، ولا تحوج جماعتك يتحاكوا عند غيرك من الحكام؛ فإن في ذلك مفاسد لا تحصى، والحمد لله رب العالمين.

ومنها: ألا يغفل الشيخ عن ملاحظة أطفال الزاوية؛ اكتفاءً بتربية الفقهاء لهم، فإن غالب القلوب قد فرغت في مصالح نفسها، فكيف تلتفت إلى مصالح غيرها؟

---

(١) له ذكر في «الطبقات الكبرى» للشيخ المصنف (١/ ٢١١).

وإن جعل للأطفال وقتًا يجمعهم فيه، ويعلمهم أمور الوضوء، والصلاة، والأدب مع الفقيه والنقيب، وكبراء المجاورين، وعدم الخطف إذا فرق عليهم النقيب فلوسًا، أو فاكهة، ونحو ذلك؛ فهو حسن.

وقد أخبرني الشيخ محمد الطنيخي(١) أحد أصحاب سيدي أبي العباس الغمري، قال: أرسلني النقيب أحمل رطبًا من البستان للفقراء، وقال لي: إياك أن تقلبك النفس، وتأكل مما جمعته لإخوانك، فقلبتني نفسي فأكلت ثلاث رطبات، وأعلمت النقيب بذلك؛ فأعلم الشيخ بذلك، فأمر بهجري ثلاثة أيام عن كل رطبة يومًا، وكان أحدنا إذا فعل شيئًا يعترف به ولا ينكره.

ومنها أي: من آداب فقراء الزاوية: أن يفدوا عرض شيخهم بأنفسهم دون العكس، فإذا جاءهم مجاور؛ ليجاور عندهم في مثل الغلاء، فلا يقولون له: الشيخ لا يرضى بك أن تجاور؛ بل يسكتون، أو يقولون له: اجلس ونحن نشركك معنا في غدائنا وعشائنا؛ لاسيما إذ كان المجاور من أولاد أصحابهم أو جيرانهم من الريف،

---

(١) هو سيدي محمد بن محمود الشيخ العالم المجمع على جلالته شهاب الدين الطنيخي، المصري الشافعي، إمام جامع الكبير، كان كريم النفس، حافظاً للسانه، مقبلاً على شأنه. زاهداً، خاشعاً، سريع الدمعة، عند ذكر الصالحين، ولم يزاحم قط على شيء من وظائف الدنيا. أخذ عن الشيخ ناصر الدين اللقاني، والشيخ شهاب الدين الرملي، والشيخ شمس الدين البلاطنسي، وأجازوه بالإفتاء والتدريس فدرس، وأفتى وانتفع به خلائق، وكان والده الشيخ محمود عبداً صالحاً، من أهل القرآن والخير، ذكر ذلك كله الشيخ عبد الوهاب الشعراوي، وقرأت بخط شيخ الإسلام الوالد، أن صاحب الترجمة حضر بعض دروسه، وسمع عليه بعض شرح المتقدم، على الكافية، قال: وهو رجل فاضل مستحضر لمسائل الفقه، وخلافها وكان ذلك في سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة، ويؤخذ من طبقاته أنه كان موجوداً في سنة إحدى وستين وتسعمائة. [الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة (١/ ٢٣٤)].

وربما كان الشيخ إنما يرد ذلك الشخص؛ رفقًا بالمجاورين لا بخلاً، فلا ينبغي لهم الاعتراض على الشيخ، بل الواجب إضافة رد من يجاور إليهم، أو يعطيه كلٌّ من نصيبه شيئًا، ولو لقمة كما كان عليه الفقراء الماضون.

وكان سيدي أحمد الزاهد[1] يقول للنقيب إذا حصل غلاء في عصره، وصار جماعة المجاورين ينقصون بالخروج إلى مكان آخر: قل للفقراء: يقول لكم أحمد، لو أن أهل مصر كلهم كانوا عيالي ما حملت لهم همًّا؛ لأن الفقراء إذا كانوا يؤثرون الفقر على الغنى اختيارًا؛ فكيف لا يرضون به اضطرارًا؟ وقد كان رسول الله ﷺ: «يشد الحجرين على بطنه من الجوع»[2] كما ورد، فأي فقير من هؤلاء وصل إلى مثل ذلك، انتهى.

ومن أدب الشيخ: ألا يشارك الفقراء في رزقهم أيام الغلاء، فكيف بأيام الرخاء وإذا فرغ قمح الفقراء، ينبغي له أن يرشد إلى كثرة الاشتغال بذكر الله، وتلاوة كلامه، والاشتغال بالعلم على وجه الإخلاص؛ فإن ذلك أيسر في وصول رزقهم إليهم؛ كما جرب فإن تفسير قد يكون من كثرة إدبارهم عن الاشتغال

---

(١) هو سيدي أحمد بن محمد بن سليمان الزاهد. أصله من فاو - بلدة بالصعيد بقرب هو، من الجانب الشرقي - نشأ بمصر على قدم الصلاح والعبادة. تفقه أولاً على مذهب الإمام الشافعي حتى بلغ رتبة الإفتاء، ثم تصوف وصنف عدة تصانيف. له «رسالة النور»، تشتمل على عقائد وفقه وتصوف، في أربعة أسفار كبار، و«هداية المتعلم» مجلد، و«طلب الزاد ليوم المعاد»، و«العدة عند الشدة»، و«هدية الناصح»، و«الستين مسألة» وعم النفع بكتبه.

مات سنة عشرين وثمانمائة، ودفن بجامعه، نفعنا الله به. وانظر: طبقات الشعراني (٢/ ٨١)، وجامع الكرامات (١/ ٣١٩)، ذيل الدرر الكامنة (٢٥١) بتحقيقنا، الضوء اللامع (٢/ ١١١).

(٢) أخرجه ابن عساكر (١٨/ ١٥٢).

بالله ﷻ.

وكان سيدي إبراهيم المتبولي[1] إذا رأى اشتغال فقراء زاويته بالله ﷻ يدخل إلى المطبخ، ويصير يضربالدسَّت بالعصا، ويقول: أنت الذي جمعت على هؤلاء المخاميل، فيصيح: الكسالى كلهم خارجين من الزاوية بأنفسهم، من غير أن يخرجهم النقيب أو غيره.

---

(١) هو سيدي إبراهيم بن على بن عمر الأنصاري المتبولي الأحمدي الصوفي، الخبير الناقد البصير.

كان ذا معرفة تامة بالتربية مع كونه أميًا، وعقل راجح، وتمكن قوي من نفسه، حتى لا تحكم عليه الأغراض النفسانية، وكان يجعل القرآن إمامه. قدم الشيخ إبراهيم من بلده متبول إلى «طندتا»، وأقام بضريحها مدة، ثم قدم القاهرة، فأقام بالحسينية، وصار يبيع الحمص المسلوق، بقرب جامع شرف الدين، ثم أقام بزاوية بدرب التتر -تعرف بالشيخ رستم- ثم تحول لزاوية بقرب درب السباع، وصار الفقراء يردون عليه فيها، فيقوم بهم من زرعه، فاشتهر صيته، وتزايد خيره.

وحج مرارًا، ثم تحول لبركة الحاج، فعمّر بها الجامع والغيط المعروفين، وكثر أتباعه بحيث صار يخبز لهم كل يوم نحو أردب، بل ربما بلغ ثلاثة أرادب، سوى عليق البهائم التي لزراعاته، فإنه كان نحو ثمانية أرادب كل يوم. وفزع الأكابر فضلاً عمن دونهم لزيارته والتبرك به، واستفاضت له كرامات كثيرة، ولم يلزمه غسل قط، لا من جنابه ولا احتلام.

وكان مبتلى بالإنكار عليه لكونه لم يتزوج، وكان كثير العطب لمن يؤذيه أو يؤذي أحدًا من جماعته، أو ينكر عليه. وكان يحزن على عدوه إذا مات أشد الحزن ويقول: مات من كان يحصل لنا على يده الإدمان على تحمل الأذى، ويحصّل على يده الأجر.

وخرج إلى القدس، فمات في الطريق، فدفن بسدود، عند سلمان الفارسي، سنة نيف وثمانين وثمانمائة، نحو ثمانين سنة، كما جزم به بعضهم، لكن في «الأخلاق المتبولية» أنه عاش مائة وتسع سنين. وانظر: طبقات الشعراني (٢/ ٨٣)، الكواكب الدرية (٦٦٢)، وجامع الكرامات (١/ ٢٤٣)، والضوء اللامع (١/ ٨٥).

وكان الحق تعالى قد أعطي سيدي إبراهيم حرف كن تعجيلاً من نفاء من الأخروي من غير سؤال؛ بل هبة من الله تعالى له، فكان يقول للنقيب: ارفع الحصير الفلاني وخذ ما يكفي الفقراء من النفقة هذا اليوم، فكان النقيب إذا رفع الحصير يجد قناة تجري من الذهب، وهي تهدر هديرًا؛ فقال له النقيب يومًا: حيثما عندنا هذه القناة، فأذنوا لنا أن نوسع منها على الفقراء، فقال له: الأمر إنما هو بإذن من الله، فلا تتعدي ما يأذن به لنا؛ وكان النقيب إذا قلب الحصير من وراء الشيخ لا يجد تحتها شيئًا.

فكان سيدي عثمان الحطاب[1] أخوه في الطريق، إذا قل قمح الفقراء يطلع للسلطان قايتباي، ويقول له: أعط الفقراء قوتهم، فإنه فرغ، فقال له يومًا: إيش لك في أولاد الفلاحين تجمعهم عندك وتسأل الناس لهم؟ فقال له سيدي عثمان: فإيش لك في هؤلاء المماليك تجمعهم عندك، وتصرف عليهم خراج الأرض؛ فقال: إنهم عسكر الإسلام، فقال: والفقراء الذين عندي عسكر القرآن، فتبسم السلطان، ورسم له بمائة إردب قمحًا وفولاً وأرزًا، هكذا أخبرني الشيخ نور الدين الشوني[2]

---

(١) ذكره سيدنا المصنف في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٣٣، ٣٣٤)، وأثنى عليه ثناءً عظيمًا.

(٢) هو سيدي علي الشوني، شيخ الصلاة على رسول الله ﷺ بالجامع الأزهر. كان شيخًا ظاهر الوقار، باديَ الصلاح بغير إظهار، نظيف الملبس والعمامة، كان من بياض ثيابه حمامة. وهو أول من سنّ للناس الصلاة على المصطفى ﷺ جماعة.

قال الشيخ الشعراني: رأيته في النوم، في أرض من بلور، وعليها سور من بلور، شاهق نحو السماء، وهو يمشي فيها ونعله يرن، فنـزلت سلسلة من ذهب وفيها قربة ماء، فوقفت بقدر ما يصل إليها فم الشارب، فشرب منها وسقاني فضلته ثم غاب، فنـزلت سلسلة من فضة، وفيها شيء طوله شبر في شبر، فيه ثلاثة عيون تتفجر ماءً: مكتوب على العليا: تستمد هذه العين من الله. وعلى الوسطى: تستمد هذه

حين جاور عنده في زاويته التي أنشأها في خط البندقانيين بمصر.

وكان إذا توقف رزق الفقراء يصير يبكي، ويتضرع إلى الله تعالى، ويقول: اللهم لا تعسر عليهم أرزاقهم بشؤمصحبتي لهم، وكثرة ذنوبي التي وقعت فيها، فلا يزال كذلك إلى أن يفتح الله تعالى عليهم بشيء، فيخر ساجدًا لله؛ شاكرًا له على عدم منعه للفقراء الرزق؛ لأجله ﷺوكان يقول في دعائه: اللهم إنه قد اجتمع في الشيب والعيب، فاغفر لي، وكان يحتطب معهم، وينقي معهم الطحين، ويطحن معهم على الرحى، ويقرص العجين، ويرص على اللوح؛ ليحمل إلى الفرن، ويغسل القُصع، ويوقد تحت الدَّست.

وكذلك رأيت الشيخ أبا الحسن الغمري ﷺ يفعل في داره ﷺ، ورأيته يحمل إلى المجاورين أوانيهم؛ التي يغرف لهم فيها الطعام إلى خلاويهم.

ولا يكلف أحدًا منهم إلى أن يقف بإنائه على الباب، ويقول لهم: اشتغلوا وأنا أخدمكم.

وينبغي للشيخ: أن يأمر الفقراء ألا يبادروا لقبول هدية جاءت إلى باب الزاوية حتى يشاوروا عليها الشيخ، فإن قال لهم: ادخلوا بها، فذاك وإلا لم يدخلوا بها؛ فإن الشيخ آمين على أديان الفقراء، وربما كانت تلك الهدية من شبهةٍ، أو من جهة شفاعة

العين من العرش. وعلى السفلى: من الكرسي. فألهمت الشرب من عين العرش، فشربت منها ماء أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب من ريح المسك، ثم انتبهت، فأخبرته ففرح، فأوّلت له بأنه يستمد منه، وأن شربه من عين العرش تخلق بالرحمة على جميع العالم؛ لأنه تعالى ما ذكر الاستواء على العرش إلا باسمه الرحمن.مات سنة أربع وتسعمائة، ودفن بزاوية الشعراوي ببين السورين. انظر: طبقات الشعراني (٢/ ١٧١)، الكواكب الدرية (٨٠٣)، الكواكب السائرة (٢/ ٢١٦).

في صاحبها عند أمي، فلا يدري الشيخ هل يقبل الأمير شفاعته أو لا؟

ثم بتقدير قبولها؛ فربما كان الشيخ يرى تحريم قبول الهدية على الشفاعات الواجبة أو المندوبة، وربما أكل الفقراء تلك الهدية، ثم لم يقبل تلك الشفاعة؛ فيأكلون حرامًا أو شبهةً؛ لأنه لولا ظنه قبول تلك الهدية شفاعة ذلك الفقير عند الأمير ما أهدى إلى زاويته شيئًا، ومن شك في قولي هذا فليجرب.

ثم ينبغي للشيخ ألا يمكِّنَ ولده، ولا أحد من أخصائه يتميز عن إخوانه بشيء زائد، إن كانت الهدية حلالاً، فإن كانت شبهة منعهم من الأكل منها جملة اللفظ أو بالإشارة؛ لأنه مسئول عنهم يوم القيامة، وإن كان الأولى للفقراء ألا يأكلوا من هدية إلا أن أكل منها الشيخ، ولو لم يسرح لهم بالنهي عملاً بالقرائن، واحتياط لدينهم فإن في الحديث الصحيح: «وخير دينكم الورع»(١).

وقد منَّ الله تعالى عليَّ بجماعة عندي في الزاوية لو بذل لهم أحد بها بذل من الدنيا؛ على أن يأكلوا من طعام مكاس، أو أحدٍ من ولاة الظلم بها أكلوا، ولو لم أنههم عن ذلك، وأقلهم مرتبة في الورع: من لا يأكل من طعام العزاء، ولا الجمع، ولا تمام الشهر في ترب الأموات؛ فجزاهم الله تعالى عن دينهم خيرًا آمين، ويكون على علم الإخوان من المجاورين وغيرهم: أنه ليس لمؤمن أن يتناول شيئًا يمنعه من دخول حضرة الله أبدًا؛ لأنه معظم أركان الدين بعد الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

وقد ضاق عليَّ الأمر في اللقمة الحلال، فما بقي يعجبني الآن شيء آكل منه سوى من القمح الذي يأتيني كل سنة من زرع؛ الذي جعله على اسمي، إذا سلم في

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ١٩٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان»(٢/ ٢٦٤).

الطاحون من خلطه بفضلات دقيق غيري؛ التي كانت الحجر حين قلب طحيني في القادوس؛ ولذلك كنت أوصي كل نقيب أن يطعمني من آخر طحين من أطحنتنا يقلبه في القادوس؛ ليكون أقل خلطًا بدقيق الغير؛ لأن دقيق القفة الأولى والثانية والثالثة مثلاً: يكون السوّر الحاجز بين دقيقي ودقيق غيري بالنظر لآخر قفة.

وكان على هذا القدم جدي الشيخ علي ﷺ، فكان قد عمل له طاحونًا في جانب داره: لها باب من داخل داره، وباب للناس من خارج الدار، فكان إذا طحن بقلب الحجر، ويكنس ما تحته من دقيق الناس، ويضعه للناس في الطاحون، ثم يفضل من طحينه بقية لمن بعده، ويسامح الناس بها، ويقول: اللقمة الحلال: هي القطب الذي تدور عليه جميع أعمال العبد الصالحة، وإذا فسد قلب الطاحون تعطلت عن الدوران، انتهى.

وقد جربت أنا نفسي في أكل لبن الجاموس، ولحم الدجاج، والحمام من الهدايا والضيافات، فوجدت قلبي لا يقدر على دخول حضرة الله تعالى في صلاة ولا غيرها؛ مادامت تلك الطعمة في باطني؛ وذلك لأن لبن الجاموس نشأ من العلف، والأكل من زرع صاحبه، ومن زرع الناس؛ لعدم انضباطه كالبقر، وأما الدجاج فإن أصحاب المعمل يرمون الفراريج على الناس من غير بيع ولا شراء؛ من باب الغصب بواسطة إعانة الكشاف ومشايخ العرب للمعاملي على ذلك، ثم إن الفراريج إذا رماهم المعاملي على باب الفلاح الفقير في غيبتنا، قد تخطفهم العرس والحدادي والفلاح غضبان عليهم؛ فلا يزال يرمي ما يفضل بعد الخطف، حتى يكبروا ويصلحوا للأكل، فيجيء المعاملي بحاشية الظلمة، فينتقون خيارهم، ويأخذونه على رغم أنف الفلاح وزوجته بعد التربية والتعب.

ثم تارة يأتون للفقير من باب الهدية؛ لأجل شهرته بالصلاح، وتارة لأجل شفاعته في صاحبهم عند أميرًا وغيره، وتارة يأتونه على وجه طلب المقابلة والمكافأة؛ فهم ولو سلموا من الشبهة حال تربيتهم لا يسلمون منها بعد ذلك.

وربما جاءت الدجاجة إلى سيدي الشيخ بغير سؤال، فيبادر للأكل منها، ولا ينظر لما قبل ذلك، وقد أكلت مرة من فروج طبخوه عندنا في البيت، من الفراريج التي أهداها ولد خالي المعاملي في بلاد المنوفية إلى البيت؛ فكدت أن أهلك تلك الليلة، ولم أستلذ صلاة ولا قراءة تلك الليلة، ومكثت على ذلك مدة حتى نزلت تلك الفضلة، وذهب ما اكتسبه جسمي من القوة، مع أنه بطيبة نفس ولد خالي؛ وإنما ذلك لكونه يرمي الفراريج بإذن من بغداد على الناس بغير طيبة نفوسهم، هذا أمر جربته في نفسي.

وكذلك حكم البيض الذي يجبونه ليفقس في المعمل، فإنهم يجبونه من الفلاح من غير طيبة نفس، فاتبعوني أيها الإخوان، وقدروا قدم كل طعام أتاكم وفيه شبهة؛ كما كان مالك بن دينار يفعل في رطب البصرة: كان لا يأكل منه شيئًا، ثم إذا فرغت مدة الرطب، يقول: يا أهل البصرة هذا بطني وبطنكم، أين ما زاد في بطونكم، وما نقص من بطني؟ ولما تركت الأكل من أطعمة الناس صرت أكل أجرة مركبي التي في «بيلاق» واطن، هل تلك الأجرة مدة؟ ثم نظرت، فإذا ريس المركب لا يتوقف في أخذ الفلوس من أي مكّاس نزل المركب وظالم، فتركت الأكل من أجرتها كذلك.

فأنا الآن لا آكل إلا بعد حصول مقدمات الاضطرار، بعد استئذان الله تعالى ورسوله ﷺ، فأقول: دستور يا الله، ودستور يا رسول الله آكل من هذا الطعام؛ خوفًا من حصول المرض الذي يعطلني عن مصالح الدارين، فالله تعالى يديرني، وكل من

تبعني على ذلك من الإخوان بحسن التدبير ... آمين آمين.

وسمعت سيدي عليًّا الخواص[1] ﷺ يقول: يجب على شيخ الزاوية زيادة التورع في مأكله، وملبسه، ومنطقه كلما طعن في السن، فإن أصحابه كلهم ناظرون إلى ما يرونه منه، فإن زهد زهدوا، وإن تورع تورعوا، وإن نام ناموا، وإن جمع الدنيا جُمعوا، وإن رغب في الدنيا رغبوا، وإن أكل حرامًا أو شبهة أكلوا، وهكذا في سائر الأحوال؛ فإن لم يمش على الطريق المستقيم، وإلا كتب من أئمة الضلال، ويصير عليه وزر كل من تبعه.

وكان يقول: من علامته اعتناء الحق تعالى بشيخ الزاوية أن يؤاخذه على أعماله

---

(١) هو سيدي علي البرلسي، الأمي، المعروف بين الخوَاص بالخوّاص. كان من أكابر أهل الاختصاص، ومن ذوي الكشف الذي لا يخطر، والاطلاع على الخواطر على البديهة فلا يبطئ. وكان عليه للولاية أمارة وعلامة، متبحرًا في الحقيقة، أشبه البحر اطلاعه، والدر كلامه. وكان في ابتداء أمره يبيع الجميز- وهو شاب- عند الشيخ إبراهيم المتبولي بالبركة، ثم أذن له أن يفتح دكان زيات، فمكث بها نحوه أربعين سنة، ثم ترك، وصار يضفر الخوص حتى مات.وكان يسمى بين الأولياء النسابة؛ لأنه يعرف نسب بني آدم- مع كونه أميًّا- وكذلك جميع الحيوان. وكان معه تصريف ثلاثة أرباع مصر، والربع مع محيسن المجذوب. وكان إذا شاوره أحد لسفر يقول: قل بقلبك عند الخروج من السور أو العمران: دستور يا أصحاب النوبة، اجعلوني تحت نظركم حتى أرجع؛ فإنهم يحبون الأدب معهم، ولهم اطلاع على خواطر من يمر في دروبهم وعلى معرفة أعمالهم، ولهم تأديب من حصلت منه زلة. وكان يردُّ ما يأتيه من الظَّلَمة والأكابر، ثم قبله آخر عمره وفرقه على العميان والعاجزين.

مات سنة تسع وثلاثين وتسعمائة، ودفن بزاوية الشيخ بركات، خارج باب الفتوح، تجاه حوض الصارم.

وانظر: الشذرات (٨/ ٢٣٣)، طبقات الشعراني (٢/ ١٥٠)، والكواكب الدرية (٨٠٧)، وجميع كتب سيدي الشعراني في التصوف لا تخلو من ذكره وعلمه.

السيئة على الفور، ولا يؤخر ذلك عنه إلى مدة، فإن الشيخ ربما ظن أن الله تعالى يسامحه بمثل ذلك؛ فيزيد في الاغترار بحلم الله ﷻ، إلى أن يحجب عن دخول حضرة الله ﷻ يستعين ألف حجاب؛ فلا يصير ممكن من دخول حضرته أبدًا.

ومعلوم أن الصلاة لا تصح إلا مع شهود العبد أن الله يراه، وكأنه يرى ربه، لابد من ذلك حتى تتميز العبادات عن العادات، فانظر يا أخي ما يورثه أكل الشبهات من عدم صحة صلاتك، وإلحاقك في الحكم بمن لم يصلِ؛ وإنما اكتفى العلماء بصلاة من لم يدخل بقلبه الحضرة؛ إحسانًا للظن به، وإنما يحضر فيها مع الله بخلاف الشخص في نفسه، فإنه يعلم باطن حاله كما يعلم ظاهره، ولا يعلم ما قلناه إلا أهل الكشف الذين خرقوا ببصرهم إلى الدار الآخرة، وعرفوا ما يقبل من أعمال الناس هناك وما يرد، وأما المحجوبون فلا يعرفون لذلك طعمًا.

وسمعت سيدي عليًّا الخواص رحمه الله يقول: ينبغي للفقير أن يكون مقصوده الأعظم من التورع تمكينه من دخول حضرة شهود الحق جل وعلا في صلاته وغيرها؛ كما يفعل كذلك في الطهارة للصلاة، ونحوها مما يتوقف جواز فعله على الطهارة، ولا ينبغي له أن يقنع بكون الشرع منع من الصلاة بلا طهارة، ويكتفي بذلك غافلاً عن المقصود الأعظم من شهود الحق تعالى بقلبه في صلاته، فإن ذلك إنما هو من شأن العوام لا الفقراء؛ فكما كانت الصلاة لا تصح مع ترك لمعة من أعضاء الطهارة بلا طهارة، كذلك لا يصح مع من كان في مطعمه ذرة من الحرام؛ إن لم يكن ذلك كشفًا، فأقل أحوال العبد في ذلك الإيمان أو القياس، انتهى.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي[1] رحمه الله يقول: يجب على المتورع والمتطهر شهود

---

(١) هو سيدي علي المرصفي، كان أبوه إسكافيًّا يخيط النعال، ونشأ هو تحت كنفه كذلك، فوفق للاجتماع

ما شرع له التورع، والطهارة من تعظيم الله تعالى من أن يقف بين يديه، ويناجيه على حديثٍ ظاهر أو باطن، ولا يجوز له أن يتورع، ويتطهر غافلاً عن ذلك الشهود؛ قانعًا بمنع العلماء له من الصلاة مع الحدث، من غير معرفة السر العظيم في ذلك، انتهى.

قلت: ومن هنا كان العارفون يؤاخذون بترك الورع دون المريدين، ويحتمل أنهم يؤاخذون كالعارفين، ولكن لا يشعرون بالمؤاخذة؛ فلكل مقام رجال.

وسمعت أخي أفضل الدين ﷺ يقول: إياكم أن تأكلوا من لحم الأضاحي التي يرسلها لكم الكشاف ومشايخ العرب وقضاة الأرياف؛ فإنها كلها شبهات، وكذلك لا تأكلوا من هدية أتى بها إنسان له حاجة عند أمير؛ لتشفعوا فيه، فإنه لو لا الشفاعة فيه ما أتى بها لكم، وكذلك لا تأكلوا من ضيافة فلاح الوقف إذا كنتم نظارًا، فإنه لولا نظركم ما أتى بها إليكم؛ بدليل أنكم إذا عزلتم عن النظر تحول بها إلى غيركم، فهي كمال العمالة، وقد صرح الشارع بأنها غلول. وقال لشخص قال

بالشيخ مدين، وهو ابن ثمان سنين، فلقنه الذكر، ثم أخذ عن ولد أخته، وأذن له في التصدر للمشيخة وأخذ العهد على المريدين في جملة من أجاز- وكانوا بضعة عشر رجلاً- فلم يشتهر منهم إلا هو. أخذ عنه خلق، ودانت له مشايخ عصره، واختصر رسالة القشيري.

قال الشيخ المصنف: لقنني الذكر ثلاث مرات متفرقة، بين الأولى والثانية سبع عشرة سنة، وذلك أني جئته وأنا أمرد- كنت أظن أن الطريق نقل كلامٍ كغيرها- ثم قعدت بين يديه وقلت: يا سيدي، لقنّي بحال. فقال: اجلس متربعًا وغمض عينيك واسمع مني «لا إله إلا الله» ثلاثًا ثم اذكرها أنت ثلاثًا.. ففعلت، فما سمعت منه إلا المرة الأولى وغبت من العصر إلى المغرب.وعاش حتى انقرض جميع أقرانه، ولم يبق بمصر من يشار إليه في الطريق غيره.

مات سنة ثلاثين وتسعمائة، ودفن بزاويته بقنطرة أمير حسين، بمصر، ولم يخلق بعده مثله. وانظر: طبقات الشعراني (٢/ ١٢٧)، الشذرات (٨/ ١٧٤)، الكواكب السائرة (١/ ٢٦٩).

إنهم يأتوننا بها من غير سؤال ولا استشراف نفس. هلا جلس أحدهم في داره من غير عمالة؛ لينظر ما يهدي إليه، انتهى.

وسمعت سيدي عليًا المرصفي رحمه الله يقول: ينبغي لشيخ الرآق إذا أتته هدية أن يجمع الفقراء، ويقول: والله إني أحبكم، وأخاف على أن ينبت جسم أحدكم من حرام أو شبهة؛ فلا يُطهره إلا النار، وقد جاءتنا هذه الهدية، وفيها الحرام والشبهة، والرأي: أنكم لا تأكلوا منها، فإن «كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به»[1] كما ورد في الصحيح؛ فلعل الفقراء يتنبهون، ويتركون الأكل من ثلاث الهدية؛ اختيارًا من نفسهم فيثابوا الثواب الجزيل، بخلاف من ترك الأكل من الشيخ مثلاً وعنده حزازة، ويود أنه لو أكل منها، فإنه ربما لا يثاب على ترك الأكل منها.

وقد كان سيدي الشيخ عمر الكردي الذي كان ساكنًا في بركة الخازن دار خارج مصر تأتيه الهدايا من الأمراء، والمعتقدون فيه الصلاح؛ فيطعمها للحشاشين الذين ينامون تحت شجر الجميز؛ الذي بجانب الزاوية أيام الصيف، فيحمل الحلوى، ويصير يضع في أفواه الحشاشين الذي ينامون تحت شجر الجميز، فإذا فتح أحدهم عينه، قال: يا أخي مالي أرى عيناك حمراء، فجاءه يومًا مطابق حلوى، فنظر إليها النقباء، فقال: إنما أمنعكم منها رحمةً بكم، فلحظ من واحد محبته للأكل منها، فقال له: هات لي صحنًا فأتى به فملأه له حلاوة، وقال له: غطه واحتفظ عليه، ولا تعطه لأحد حتى أطلبه منك ففعل؛ فدخل به مكانًا خاليًا، وقال له: اكشف الصحن نأكل نحن وإياك منه، فكشفه فإذا هو كله خنفسًا، فقال: كُلْ، فقال: إنه خنفس، فقال: هكذا يصير في بطونكم إذا أكلتم منه، فتاب النقيب من الأكل من كل هدية

---

(١)أخرجه البيهقي في«الشعب» (٥/ ٥٦ ، رقم ٥٧٦٠)، وابن قانع في «الصحابة» (٢/ ٦١).

منعه الشيخ من الأكل منها، وصار يشكر الشيخ كلما يمنعه، هكذا أخبرني به الشيخ أمين الدين الإمام بجامع الغمري، وكان من أصحاب سيدي علي الكردي ﷺ.

وقد فعلت أنا بمثل ذلك مع الإخوان المجاورين في بعض السنين، فصار أكابر المجاورين لا يأكلون من الهدايا التي تأتي الزاوية، ويطعمونها للعميان، فطلع في أعناقهم وإباطهم الخراريج، ودودت دودًا مثل أذناب المغازل، ومات منهم تلك السنة سبعًا، فشكر المجاورين الذين لم يأكلوا فضل ربهم على عدم الأكل، وكذلك أمرهم بعدم الأكل من ضحايا الأكابر التي تأتينا الزاوية في سنة ست وستين وتسعمائة؛ فامتثلوا، فقلت للشيخ أحمد المنشاوي: فإذا لم تجد شيئًا غيرها وجعت، فقال: اصبر حتى أشرف على الهلاك ولو سبعة أيام، فقبلت رأسه؛ لكونه كان سببًا لتقوية قلوب الضعفاء الذين يحبون الأكل من تلك الضحايا، فجزاه الله خيرًا.

وكان سيدي إبراهيم المتبوليﷺ إذا جاءت هدية من أمير أو قاض يردها، ويقول: يا فلان، اذهب إلى الأمير أو القاضي، وقل له: إن كنت تحمل من الفقراء حسابها يوم القيامة قبلناها، فأرسلها لمن هو أحوج إليها منا، فإن قال: حملت حسابها قبلها الشيخ، وإلا ردها عليه، انتهى.

وقد كان الحسن البصري يقول: والله لو عبد أحدكم ربه حتى يصير كالشن البالي، ما قبل الله منه صرفًا ولا عدلاً، أي: لا فرضًا ولا نفلاً حتى ينظر فيما يدخل جوفه أحلال هو أم حرام؟ وكان يقول: وددت أني آكل أكلة فتصير في بطني كالأجرة إلى أن أموت، فقد قيل: إن الأجرة تمكث في الماء ثلاثمائة سنة، انتهى.

فاعلموا ذلك أيها الإخوان واسمعوا لشيخكم ما ينصحكم به، ولو خالفه جميع أهل البلد، فإنه أمين على أديانكم، وغيره لم يلتزم ذلك معلم، فلا عليه منكم إن

أكلتم حلالاً أو حرامًا، ولا عليه منكم إن دخلتم حضرة الله، أو منعتم منها، ومن عمل ببعض مسائل الورع جره ذلك إن شاء الله تعالى إلى العمد بكلمها وما ذلك على الله بعزيز عكس من لم يتورع، ويقول: الأمر سهل، ونحن مع علماء بلدنا ومشايخها؛ فإن ذلك لا ينهض حجة للعبد إلا إذا لم يجد من يرشده إلى الورع أما مع وجوده، فلا يجوز له اتّباع الحجم الغفير؛ كما أنه يجب على العبد العمل بقول رسول الله، ولو خالفه جميع أهل الأرض؛ وهذا ربما يقع فيه كثير من الفقراء، فيقولون ولو بقلوبهم: نحن مع علماء بلدنا ومشايخنا، وغاب عن هؤلاء قول الفضيل بن عياض، وسفيان الثوري، وغيرهما: الزم طريق الهدي، ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطريق الضلال، ولا يغرك كثرة السالكين، انتهى.

فإنهم ما قالوا ذلك إلا لعلمهم أن المحجوب قد يرجح ما عليه أهل الضلال، إذا كانوا أكثر من أهل الهدى، والله أعلم.

ومما أوصاني به شيخ الإسلام زكريا، قبل موته بثلاثة أيام: أوصيك يا ولدي بالاقتداء بسلفك الصالح، وإياك والاقتداء بأهل زمانك تهلك؛ ثم قال: هكذا أوصاني شيخي الشيخ محمد الغمري، والشيخ محمد الإسطنبولي رضي الله عنهما ثم قال لي: إذا كان أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ يقول للصحابة: بعد موت رسول الله ﷺ، وموت أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وغيرهم من الصحابة: من كان منكم مستنيًّا فليستنَّ بمن قد مات من أصحاب رسول الله ﷺ، فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة، انتهى.

فكيف بأهل القرن العاشر؟ وقد خدمت شيخنا هذا عشر سنين، فما أتذكر أنني رأيته غافلاً عن الله ساعة واحدة، فقلت له يومًا: يا سيدي قد منَّ الله تعالى عليكم بحفظ الوقت عن الضياع، فقال: يا ولدي كان الحسن البصري يقول لعباد التابعين: ما أنتم في عبادتكم إلا كاللاعبين فيمن كان قبلكم، انتهى.

فاعلم يا أخي ذلك وتأمل فيه، والله يتولى هداك.

ومما أوصاني به سيدي عليًا الخواص رحمه الله قال: إياك أن تبادر لأكل شيء رأيته ولولا عندك في هذا الزمان، بل اصبر عن الأكل؛ حتى يحصل لك أوائل درجة الاضطرار، وتصير أمعاؤك تأكل في بعضها بعضًا، وتخاف على نفسك حصول مرض يعوقك عن فعل مصالح الدارين، وهناك تسامح بالأكل بقدر الضرورة، وما ينبغي لمثلك إلا ذلك إلى أن تموت، وقال: هكذا أوصاني سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه، انتهى.

ومن أدب الشيخ: ألا يغفل عن مراعاة فقراء الزاوية، ولا عن سد الأبواب التي يئول إلى الفقراء منها الضرر باللوث في أعراضهم من الناس الأجانب، ومن بعضهم بعضًا؛ وذلك كطلب بعض الفقراء المؤاخاة بين الملتحي في الزاوية، وبين الشاب الجميل الصورة؛ فربما أظهر الملتحي للشاب الزهد، والعفة، والورع، وقيام الليل، وذكر الله تعالى هو وإياه في ظلام الليل زمانًا طويلاً، ثم أتاهما الشيطان فحول تلك الأخوة إلى الأعراض النفسانية؛ فأوقعهما في شر من البلاء، ولاث الناس بعرضهما.

وكان سيدي محمد الغمري رحمه الله يقول: لا ينبغي أن يكون بين الغرب وبين شباب الزاوية ود ولا إخاء؛ خوفًا من وقوع الريبة في عرض الفقراء، وإن كان الشيخ حاذقًا فليجعل عنده جميع ما يحتاج إليه فقراء الزاوية من إبرة وخيط وسكين ومقص ونحو ذلك؛ حتى لا يحتاج شاب إلى ملتحٍ إلا في النادر بحيث لا يعد مصاحبًا له، وكان يقول: إن أراد الملتحي أن يعرف ميزان صحبته للشاب، هل هي لله أو لغير الله؟ فلينظر في نفسه عند كلامه للشاب، وأخذه منه حاجة وإعطائه حاجة، وذكره معه في الليل ونحوه من المواضع الخالية، فإن وجد لك وانسًا في ذلك

تميزه عن أخذه وعطائه وذكره مع الشيخ، السراباتي[1] المنتن الرائحة، فليعلم أن صحبته لغير الله وإن وجد في نفسه التساوي من غير فرق في محبة ذاته؛ فليعلم أن صحبته لله ﷻ، فليشكر الله تعالى، ولا يأمن من تغيير الحال.

وكان يقول: لم تزل الصوفية يحذرون إخوانهم من عشرة الشباب سلفًا وخلفًا حتى قال أبو الفتح الواسطي[2] رحمه الله: صحبت ثلاثمائة شيخًا، فما منهم أحد إلا أوصاني عند مفارقته، وقال لي: اتقِ معاشرة الأحداث.

وكان الإمام القشيري يقول: من مال بالمحبة إلى الشباب الذين يخاف منهم الفتنة، فذلك عبد أهانه الله وخذله، ولو بألف ألف كرامة أهلكه؛ أقل ما هناك أنه شغل قلبه بمخلوق لم يأمره الله بمحبته بعد أن كان مشغولاً بالله ﷻ، وأبدل النفيس بالخسيس، وأخرج من قلبه الأنوار، وأدخل فيه الظلمة والجيف المنتنة، انتهى.

وكان سيدي عليًّا الخواص رحمه الله يقول: زنا الرجل الصالح مع الشاب الصالح يكون بالنظر والكلام والأخذ والعطاء والمجالسة، فإذا وجد لذة في النظر إليه، أو في أخذه منه بحاجة أو إعطائه أخرى، أو في مجالسته لذكر أو غيره؛ فقد حصل الزنا،

---

(١) السراباتي: هو القائم على تنظيف وإزاحة الكنيف.

(٢) قال سيدنا المصنف في الطبقات الكبرى (١/ ٢١١): ومنهم الشيخ أبو الفتح الواسطي رضي الله عنه: شيخ مشايخ بلاد الغربية بأرض مصر المحروسة، وكان من أصحاب سيدي أحمد بن الرفاعي، فأشار إليه بالسفر إلى مدينة الإسكندرية فسافر إليها، وأخذ عنه خلائق لا يحصون منهم الشيخ عبد السلام القليبي، والشيخ عبد الله البلتاجي والشيخ بهرام الدميري، والشيخ جامع الفضلين الدنوشري، والشيخ علي المليجي، والشيخ جماد الدين البخاري والشيخ عبد الوهاب، والشيخ عبد العزيز الدريني، وأضرابهم، وكان مبتلى بالإنكار عليه، وعقدوا له المجالس بالإسكندرية، وهو يقطعهم بالحجة. مات في نحو الثمانين والخمسمائة، ودفن بالإسكندرية، وقبره بها ظاهر يزار رضي الله عنه.

وفي الحديث الصحيح: «إن العين لتزني وزناها النظر، وإن الأُذن لتزني وزناها الاستماع، وإن الفم ليزني وزناه القبل»[1].

وفي القرآن العظيم في حق زوجات النبي ﷺ وحق الصحابة: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾(الأحزاب: ٥٣)، فانظر كيف أمر الله تعالى الصحابة بالتباعد عن التظاهر إلى المطهرات، مع طهارة كل من الفريقين؛ تشريعًا للضعفاء من أمثالنا الذين نفوسهم تقع على المعاصي والشهوات؛ كما يقع الذباب على العسل أو الفراش على النار.

وقد قال الإمام أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء: إن الشاب الأمرد الجميل الصورة في معنى ذلك في النظر إليه، والخلوة به والنقض بمسه، واللذة بالأخذ والعطاء منه؛ فإذا وجد الإنسان لذة بشخص من ذلك، وجب التباعد والترك، والوضوء من لمسه؛ كالمرأة بجامع وجود الميل إلى ذلك الشاب لحظ نفس كالمرأة سواء، وإذا كانت الزوجة التي يحل الاستمتاع بها ينقض منها؛ لأجل الشهوة أو مع مقدماتها أو بلا شهوة عند الإمام الشافعي، فكيف بلمس من لا يحل الاستمتاع به بحال؟!

وسمعت أخي أبا العباس الحريثي[2] رحمه الله يقول لفقير: إياك أن تؤاخي شابًا

---

(١) رواه الطحاوي في «مشكل الآثار» (٨١).

(٢) هو يوسف الحريثي، من جماعة الشيخ ابن عنان. مشهور بالديانة والخير، معروف بالاجتهاد في السُرى والسير، حسن وصفه وسمته، وطال عمّا لا يعنيه صمته، وكان على قدم عظيم في اتباع السنة والتهجد، ويميل إلى إخفاء العبادة. أقام بجامع باب البحر حتى عمّر له ابن الجيعان جامع البشيري ببركة الرطلي فانتقل إليه، ولما حصل الإذن لولده أبي العباس من المرصفي بأنه يلقن ويربي، تشوش وقال: ليس لنا حاجة بهذا، فإن الطريق في هذا الزمان قليلة النفع، وهتيكة للفقير، وليس معه رأس مال يحمي نفسه من أهل الظاهر ولا من أهل الباطن. فقال ولده: أنا عبدٌ مأمور.

أمرد لله تعالى، فيعمل عليك إبليس، ويوقعك في نقض العهد مع الله تعالى، وتصير تحب الأمرد للذة بصورته، والأنس بسماع كلامه ومجالسته؛ فتخسر مع الخاسرين، ومن عبث بشاب بعد أخوته لله تعالى؛ كان كعبثه بأخيه من النسب أو الرضاع، فيضاعف عليه العقوبة في الدنيا والآخرة، وربما خسف به؛ كما خسف بقوم لوط، ولم يكن الذين يعملون عمل قوم لوط إلا في أفراد منهم، فعم بالعقاب الصالح مع الطالح؛ أما الطالح فمعلوم، وأما الصالح عرفًا فلسكرته، وعلى المنكر من غير عذر؛ وكيف يليق بحامل القرآن أن يعبث باطنه في بيت الله ﷻ، وهو تعالى ينظر إليه بعد أن أخاه في الله، وأدخله في خفارته وحفظه، وصارت من جملة المحاربين لله تعالى في بيته؛ الذي جعله مُعدًا للصّلاة والذكر وتلاوة القرآن والمناجاة؟ فو الله لو أنزل على هذا العابث نارًا من السماء؛ فأحرقته بنظرة واحدة إلى من حرم عليه النظر، لكان ذلك قليلاً؛ فيكن الفقير الحاذق على حذر، انتهى.

وسمعت سيدي الشيخ عبد الحليم بن مصلح المنزلاوي[1] رحمه الله يقول: إذا

ومن كراماته أنه أخرج لعياله ملء قفة قمحًا، فأكلوا منها شهرين. مات سنة أربع وعشرين وتسعمائة. انظر: الكواكب السائرة (٢/ ٩٣)، الشذرات (٨/ ٢٦١).

(١) هو عبد الحليم بن مصلح المنزلاوي، العبد الصالح، الورع الزاهد. كان يُؤدب الأطفال أولاً ولا يأخذ على ذلك أجرًا، فاشتهر لذلك بالصلاح ببلاد المنزلة، وصار يقصد للزيارة والتبرك، فلقيه رجل من أرباب الأحوال اسمه العبيدي فقال له: لا تكون من الصلحاء إلا إن صرت تنفق من الغيب، ثم قال: اطلب مني شيئًا آتيك به. فقال: دينارًا.. فقبض من الهواء فأعطاه دينارًا. فأثر ذلك فيه، فجد واجتهد، ومكث عامًا يصوم النهار ويقوم الليل، فأتاه العبيدي، وقال: الآن صح لك اسم الصلاح، مد يدك هات لي دينارًا. فمد يده في الهواء فأتاه به، فاشتهر من يومئذ شهرة تامة، وعمّر عدة جوامع بالمنزلة وغيرها، ومارستان، وجعل زاويته سماطًا للوارد، وصار كلما يُطلب منه نفقة، يخرجها من كيس من

رأيتم الشاب ينفر من الملتحي، والملتحي يألف له؛ فاشهدوا في الملتحي بالسوء إلا أن يكون له أفعال صالحة تحميه من ظن الناس فيه السوء، وإذا رأيتم الشاب يحب الملتحي؛ فاشهدوا في كل منهما بالخير.

وسمعته يقول مرارًا:من أدب شيخ الزاوية: ألا يخرج الأمرد إلى حاجة عند الملتحي، ولا ينبغي له التساهل في مثل ذلك؛ إلا إذا أعطاه الله تعالى قوة يحمي بها جميع المجاورين من الشيطان ومن كيده، وهذا قليل في مشايخ الزوايا في هذا الزمان، وكان يقول من الحزة، وحسن الرأي: أن يجعل للشباب مكانًا يخصهم، وللرجال مكانًا يخصهم؛ كما فعل سيدي محمد الغمري في زاويته بالمحلة الكبرى، وذلك حتى لا تلوث القوام الذين يترددون إلى الزاوية بالفقراء؛ فربما رأوا شابًا يعاشر رجلاً أو عكسه، فيحملونهما على السوء قياسًا على نفوسهم، فيتولد من ذلك مفاسد، حتى ربما لاث فقراء الزاوية ببعضهم بعضًا.

وكان يقول ينبغي للفقيه للنقيب كل ليلة أن يطوف على الشباب، ويمنع أحدهم من أن ينام مُلاصقًا للآخر؛ بحيث يمس جسمه، بل يجعل بينه وبين أخيه مقدار ذراع؛ دفعًا للريبة عنه وعن أخيه، وكان يقول للنقيب كل من أبى إلا أن ينام ملاصقًا لأخيه الأمرد فأعلمني به؛ لأمنعه أو أخرجه من الزاوية؛ لئلا يتلف حال المجاورين.

ومن أدب الشيخ: أن يتورع عن الأكل مما وقف الناس على فقراء زاويته، ولا يأكل منه مترخصًا؛ بل يأخذ بالعزيمة، وإذا عمر في بيته عمارة، فلا ينبغي له أن يطعم

رأسه. مات سنة نيف وثلاثين وتسعمائة. انظر: الطبقات الشعرانية (٢/ ١٣٤)، الكواكب الدرية (٧٩٠).

الفعلاء، والبنايين، والنجارين، والمبلطين، والتراسين من قوت فقراء على الزاوية من جبن وعسل وغير ذلك؛ إلا إن كانت تلك العمارة ترجع مصلحتها للفقراء دون ما كان خاصًا بالشيخ، وكذلك إذا سفر أحدًا إلى حاجة زرعه، أو غيره في بلاد الريف، لا يزوّد قاصده من طعام الفقراء؛ إلا إن كان للفقراء نصيب من ذلك الأمر الذي يأتي به قاصده، ومن تساهل في ذلك، فلا يصلح أن يكون شيخًا على الزاوية؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وأعلموا به شيخ الجاهل إذا تولى عليكم؛ لتحذروه من الوقوع في الإثم أو نقص الأجر، والحمد لله رب العالمين.

ومن أدبه أيضًا: ألا يغفل عن ملاحظة أرباب الشعائر في الزاوية: من إمام، ومؤذن، وفراش، وغيرهم؛ فكل من أخل بالقيام بوظيفته عاتبه، أو ساعده بأحدٍ من الإخوان؛ لاسيما الفراش، وخادم الميضأة إذا كان في الزاوية أطفال من عميان وغيرهم، فإنه يصير في نعت عظيم من حيث تقديرهم الزاوية، وتنجيسها بالبول ونحوه، ويقول للفراش، وخادم الميضأة: لا تغفل عن تنظيفك الزاوية، وغسل ما يتنجس منها، وإن كان المجاورون ينامون في سطوحها أيام الصيّف أو الضيوف، فليوصهم بأن يدخل أحدهم الخلاء قبل أن ينام، فقد غفل عندنا أيامًا عن تفقد السطح؛ فرأى فيه مشخَّة كمشخَّة الحَمِير في الشارع.

وليعلم الفراش الشيخ بمن يخرج عن أمره إذا أغرى عليه، أو منعه من النوم في السطح، وليقل له: كل من عصى أمرك فأعلمني به، فإما أن أؤدبه أو أخرجه.

ولا يستقبل النقيب بمخاصمة الفقراء؛ يتولد من ذلك الفساد من يغضب المجاورين بعضهم لبعض بغير حق، وإن رأى الشيخ أن يجعل الأطفال ينامون في شيء من البطائن الخارجية من سمت الزاوية كان أولى، والحمد لله رب العالمين.

كذلك من أدبه: أن يعمل على جلاء مرآة قلبه من الصدأ أو الغبار، حتى يصير معرف أحوال الفقراء، وما يقع أحدهم فيه من الرذائل، ويستحي أن يذكره للشيخ إما بئس الطباع، وإما فسقًا وقلة دين؛ وهو مقام يكون لورثة عثمان بن عفان ﷺ، كان إذا دخل عليه شخص، وقد نظر إلى محاسن امرأة في الطريق يشم رائحته، ويقول: يدخل أحدكم علينا، وروائح الزنا تفوح من جسمه، انتهى.

وما نهي الفقراء عن الكشف الشيطاني؛ إلا خوفًا من ازدراء العصاة واحتقارهم، فخرج من لا يحتقرهم؛ وإنما ينصحهم ويرشدهم إلى التوبة من يحمل العارفين، فاعلم ذلك.

وسمعت أخي أفضل الدين، وأبي العباس الحريثي يقولان: ينبغي للشيخ أن يعمل على تحصيل مقام الكشف من أحوال جماعته، حتى يصير يربيهم ويرشدهم من غير أن يشكو أحدًا منهم له حاله، فإذا رأى من طريق كشفه أحدًا منهم ينتشر جارحته أمره بالجوع والأعمال الشاقَّة، حتى تخمد نار بشريته وشهوته، ويصير لا ينتشر له جارحة إلا عند إرادة جماع حليلته، وأما في غير ذلك الوقت فجارحته؛ كهدية الثوب.

ويعلم الشيخ العازب أن جارحته ما انتشرت؛ إلا لشهوته إلى الحرام، فإنه ليس هناك أحد يجامعه حتى ينتشر جارحته بوطئه، إلا ما يدخل إبليس قلبه من الذكور أو الإناث؛ فهو إما زانٍ، وإما لوطي يتمنى الزنا أو اللواط، فلا يجده، وكذلك القول في احتلامه؛ لولا شهوته لذلك ما أتاه إبليس في منامه بامرأة أو شاب يجامعُه، فإنه لابد للمحتلم من مقدمات نظر أو سماع وتمن وتفكر لمن يحتلم فيه، فإذا عجز عن الوصول إليه في اليقظة أتاه بصورته إبليس في المنام يسخر به، وهو يجامع في الهواء، ويجمع عليه الشياطين؛ ليروه على تلك الحالة ويستهزئون به، وهناك يحتقره

الشيطان ويصير يركبه؛ كما يركب الإنسان الحمار، ويصرفه فيما يزيد من المعاصي والرذائل؛ كما هو مشاهد بين الفقراء الصادقين.

وكان سيدي محمد الغمري ﷺ يقول: كل من ليس تحته حليلة، وتنتشر له جارحة؛ فهو من أهل السوء، فحذروا شباب الزاوية من خلطته، إلا أن يكون من أرباب الأحوال الذين يقدرون على منع أحدهم نفسه من الفواحش؛ لغلبة مراقبته لله ﷻ وكثرة طاعاته، بخلاف من كان بالضد من ذلك.

وسمعت سيدي عليًّا الخواص يقول: ينبغي للفقير الذي تعوّد بكثرة الجماع، أن يكثر من الجوع إذا حاضت امرأته أو نفست؛ خوفًا أن تغلبه نفسُه فيقع في الحرام، ومن هنا أمر بعضهم أمر بتزويج امرأتين؛ حتى يصير إذا حاضت إحداهن وجد عنده أخرى، وذلك أولى له ولو خاف من عدم العدل؛ لأن معصية عدم العدل أخف من الوقوع في الزنا مثلاً، انتهى.

وسمعت سيدي الشيخ عبد الحليم بن مصلح ﷺ يقول: لا ينبغي التسليم لمن يقول أنا أحب الشباب لله ﷻ إلا بعد التفتيش في حاله، فإن رأيناه مشغولاً بالعبادة ليلًا ونهارًا، غافلاً عن تناول شهوة بطنه وفرجه، لا تكاد الفاحشة تخطر على قلبه سلمنا له دعواه، وإلا حذرنا الشباب من مجالسته، انتهى.

وتقدم أن سيدي محمد الغمري أنه كان يقول: لا ينبغي لفقير أن يسلم لنفسه ما يدعيه من محبة الأمرد الجميل لله تعالى، إلا بعد أن ينظر في قلبه، فإن رآه يميل إلى الشاب الجميل الطيب الرائحة، ويرجحه في الميل على الشيخ السراباتي المنتن الرائحة؛ فليعرف أن محبته لغير الله، وإن وجدها مستويين لا ترجيح الشاب على السراباتي المذكور؛ فليعرف أن محبته لله لغير الله، وإن وجدها مستويين، وهي ميزان

تطيش على الذر ينبغي تعليمها للفقراء المتعبدين في الزاوية؛ ليصير أحدهم يحكم على نفسه بالخير أو بالشر، ولا يحتاج إلى سماع ذلك من غيره.

وكان أخي فضل الدين ﷺ يقول عنها: آخى الشيطان بين الملتحي والشاب، وصار يذكر الله هو وإياه ليلاً ونهارًا، وتلك الصحبة لغير الله ﷻ، وربما أتى الشيطان للملتحي، وقال له: إن صحبتك لله ﷻ، فإياك أن يقول لك إبليس: إن صحبتك له لغير الله، فلا تصدقه فإنه يريد أن يحرمك الخير أنت وأخاك، انتهى.

وليحذر الفقير من قول إبليس الثاني، وليمتحن نفسه بما لو ذكر الله تعالى مع الشيخ السرا باتي، ومع ذلك الشاب الطيب الرائحة، فإن وجد إنه بالشاب كأنه بالسرياني فصحبته لله، وإلا فهي لغير الله كما تقدم، انتهى.

وهذا ميزان يعرف بها الفقير كيد إبليس، فمن عمل بها وجد بركتها.

وكان سيدي محمد الغمري يقول: متى وجد الفقير في تنبيه الشاب الأمرد الجميل وجسه باليد لما ينبهه لذة ترجح على لذته لتنبيه السراباتي، فلا ينبغي أن يرسله الشيخ أن ينبه المر كان للذكر والقراءة في الليل سد الباب المفسدة، وليجعل النقيب الذي ينبه الشباب ممن قد طعن في السن، وشهد له إخوانه بالصلاح، وقد قالوا: ينبغي للنقيب أن يكون أبعد الناس عن الريب؛ لأنه ثاني مرتبة للشيخ، فلا ينبغي أن يدع فقراء الزاوية يسلمون عليه وقوعه في شيء من الرذائل، فإن من وقع فيها أهانه الله وخذله، ومن يهن الله فما له من مكرم، انتهى.

فاعلموا ذلك أيها القرابة من الفقراء، وكونوا على حذر؛ ولاسيما من إطلاق البصر فإنه سم قاتل.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: سمعت سيدي مدين يقول: علامة الأمرد الذي يحرم النظر إليه: ألا تشبع العين منه أول نظرة؛ بأن يطلب معاودته النظرة إليه ثاني مرة، فكل من طالبتكم نفسكم بالنظر إليه ثاني مرة، فاعلموا أنه جميل فلا تنظروا إليه، وليحذر أحدكم من قوله: إن إبليس ليس له قدرة على إيقاعي في الرذائل؛ فربما أوقع أحدكم عن قريب في شيء من الرذائل، وأشاع ذلك عنكم في البلد فإن من شأنه أن يقول للعبد: افعل كذا وكذا، فإن الله تعالى قد قدر ذلك عليك، وإن شاء الله تعالى لا يضر بك أحد من الناس، ولا يؤاخذك الله؛ فإنه غفور رحيم.

ثم إذا زين له ذلك، وجمع بينه وبين تلك المرأة التي يزني بها؛ مثلاً وسوس إلى جميع أهل تلك الحارة، وقال لهم: تعالوا انظروا إلى هذا الصالح الذي تعتقدون فيه الصلاح والولاية؛ فيهتكه على رءوس الأشهاد، وكان صاحبنا الشيخ عبد القادر الآدمي - رحمه الله تعالى- إذا سمع هذه الحكاية يقول: الله يعدمه العافية، انتهى.

وقد سأل الشيخ علي المِوان شيخنا الشاذلي عن من يقول: أنا لا يضيرني النظر إلى المستحسنات، فأنشد على الفور له من مواليًا:

مَنْ كَانَ حسنُ الصّورِ وَالفَرق لَو شَهدَ صُورةَ الحُسْنِ وَالمَعْنَى وَالجَامَع فَمَا وَجَد
يُؤْمَرُ بِغَضِّ البَصَرِ بَالشّرْعِ يَتَقيدُ حَتّى يَرَى عَالَمَ الإِطْلاقِ لَو حَمَد

انتهى.

أي: فمادام يشهد الحسن والقبح في الوجود من حيث الصور؛ فهو تحت حكم شهوة الطبع، فإذا صار يتلذذ برؤية الخنفساء والحمار؛ كما يتلذذ برؤية الصور الحسان من غير فرق، فلا حرج عليه حينئذٍ في رؤية الصور الجميلة؛ لأنه محجوب بحسن

الصنعة عن المصنوع، وللصادق إمارات يعرف بها صدقه من كذبه، لا يخفى على حذاق الفقراء، والله أعلم.

وكان سيدي إبراهيم المتبولي ﷺ يقول: لا ينبغي لفقير أن يجعل في زاويته أحدًا من المُرد الذين يخاف منهم الفتنة، إلا أن يكون له حال يحميه من الآفات، ويحمي غيرهم منهم، فإن حكم من لا حال له يحمي به فقراء الزاوية؛ حكم من وضع قطع اللحم على سُطوح، وطلبت من الحدادي والرخم والغربان: ألا يخطفوا من ذلك اللحم شيئًا.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي رحمه الله يقول: كان سيدي أحمد الزاهد رحمه الله يقول: يجب على الشيخ أن يسد على الشيطان الأبواب التي يدخل منها لفقراء الزاوية، ولا يغفل عن ملاحظتهم في ساعة من ليل أو نهار؛ فإن الشيطان بالمرصاد لكل طائفة رآهم على خير وعبادة، ومن لم يقدر على ملاحظتهم فليطلقهم إلى حال سبيلهم، ولا يقيدهم عنده؛ فربما زين الشيطان لأحدهم محبة أحد من شباب الزاوية، واللذة بالنظر إليه حين عجز إبليس عن جلب بنات الخطأ إلى الزاوية؛ فأشغل قلوب الفقراء العزاب بحب بعض الشباب، فصار أحدهم يمثل ذلك الشاب في قلبه حال صلاته، وحال قراءته، وحال ذكره، وربما انتشرت جارحة أحدهم، وهو في الصلاة بين يدي الله ﷻ حين مرّ ذلك الشاب الذي يميل إليه - والعياذ بالله تعالى-فمقته الله، وغضب عليه، وأخرجه من الزاوية بفاحشة، وسلبه جميع ما كان فيه من الخير، وصار قلبه معشش الشياطين بعد أن كان محل الملائكة والنور؛ فليحذر الحاذق من إبليس فضلاً عن الفقير الساذج، انتهى.

وقد طلب مرة فقير أن أؤاخي بينه وبين بعض شباب الزاوية، فقلت له: نعم

إن شاء الله، ثم نمت تلك الليلة، فرأيت تلك الليلة أنه نبت في مكانها الذي يجلسان فيه شجرتين، وهي محملة تينًا أخضر العناقيد كالجميز، ثم نمت ثاني مرة، فرأيت شجر خوخ زهري قد نبتت بجانبها، فأولت شجرة التين بالندم وسوء العاقبة في تلك الصحبة؛ لأنها هي الشجرة التي أكل منها أبونا آدم ﷺ عند الجمهور، وأولت شجرة الخوخ الزهري إلى أطماح البصر إلى نضارة وجه ذلك الشاب، وحسنه وجماله، من أول مُدة الأخوَّة من غير نظر إلى آخر؛ فعلمت بهذين المنامين أن تلك الأُخوَّة عاقبتها ردية، فلم أُؤاخ بينهما رحمة بهما، وشكرت فضل ربي ﷻ في إعلامي بوحي المنام بما يؤول إليهم أمر أصحابي بواسطة إبليس من الشر؛ لأحذره منه، فإن الرؤيا للفقراء من باب وحي الإلهام الصحيح إذا سلمت من التلبيس، ومن تلك الواقعة ما آخيت بين أمرد وملتحي إلا بعد التفتيش في حال كل منهما، فإن رأيتهما قد خرجا عن جميع الرعونات، والأعراض النفسانية، آخيت بينهما، وإلا ملتهمًا حتى يخرجا عن ذلك، وأمرتهما بالبعد عن بعضهما، بحيث لا يعد أحدهما صاحبًا للآخر عرفًا.

وكان سيدي محمد الغمري رحمه الله يقول: فرقوا بين الشباب البالغين، وبين الشاب والملتحي في المضاجع، وفي الخُلطة، إلا أن تشهد القرائن لذلك الملتحي بالدين والخير، وغفلت عن الشر، حيث يكون الأمرد الجميل عنده في الرؤية كالشيخ العاني على حدٍ سواء، ومتى رجح الشاب فالتفرقة بينهما أولى؛ لاسيما إن كان الشيخ العاني أكثر طاعة لله من ذلك الشاب، فإن الصحبة تكون لغير الله تعالى قطعًا.

وسمعت أخي فضل الدين رحمه الله يقول: إذا كان شيخ الزاوية من أصحاب

وعي الإلهام، فلا ينبغي أن يقيم عنده إلا الطاهر المطهر من الرذائل، والأعراض النفسانية؛ لئلا يتضح بإعلام الشيخ بما يقع فيه من الرذائل، فإنه كالوحي وإن تفاوت الأمر بالنظر للأنبياء والأولياء، وقد بلغنا أن الصحابة لم يأمنوا من التوبيخ حتى مات رسول الله ﷺ خوفًا أن يقع أحدهم فيما لا ينبغي، فينزل على رسول الله ﷺ وحي يتلى، انتهى.

ووالله لو كان بعدنا وحي ينزل لهتكت سرائرنا، فلله الحمد والفضل.

وسمعت أخي المذكور يقول أيضًا: لا ينبغي أن نقيم عند الشيخ الذي له مقام وحي الإلهام، إلا الصادق في محبة الطريق، الذي يطلب التخلص من الرعونات، أو الوقوع في الفواحش، الذي يفرح بالشيخ إذا وبخه بما وقع فيه، ويرى له الفضل عليه بذلك؛ لكونه يرقيه إلى مقامات القرب من حضرة ربه، أما الذي يعرف من نفسه التكدر إذا بين له الشيخ طريق عيوبه ونقائصه، فبعده عن ذلك الشيخ أولى له، وكان يقول:

الواجب على الفقير أن يفرح ببيان نقائصه لإخوانه؛ ليخرج من صفات النفاق والتلبيس، وأقل مراتبه أنه يفرح ببيانها إذا أخبره الشيخ بها في أذنه، بحيث لا يعلم بها إلا الله، فمن تكدر من شيخه إذا أَسَر له ببيان عيوبه، فذلك عنوان على شفائه، وكان الواجب عليه أن يقبل نعال الشيخ، ويطلب منه طريق الخلاص من ذلك الذنب، أو النقص، فإنه مريض، وإذا كتم المريض علته عن الطبيب مات بدائه، انتهى.

وسمعت سيدي الشيخ عبد الحليم المنزلاوي رحمه الله يقول: للشيخ أن يمتحن من يدعي الصدق في صحبة الشباب بالطريق الخفية؛ مصلحة له، لا هتكًا لسوءته،

وذلك أولى من حسن الظن بالمريدين، وكل من ظهر له رتبة أمر الشيخ الشباب بالتباعد عنه.

قال: ومما وقع في بعض الزوايا أن إبليس أتى بعض الفقراء من طريق الخير؛ ليأمر بعد ذلك في الشر، فقال له: أعط سراويلك لهذا الشاب ليلبسها عند النوم، فإنه ربما تكَشّف بالليل، فيحصُل لك الأجر، فقال للشاب: خذ هذا اللباس فألبسه عند النوم؛ لأنك ربما تقلبت في النوم فانكشفت عورتك، فأخذه الشاب منه، وشكر فضله، ثم بعد ليال وسوس إبليس لصاحب السراويل، وقال له: دب على ذلك الشاب، وإن تنبه فقل له: إنما طلبت أخذ سراويلي؛ لأنه عاريةلي أخذها متى شئت، فدبَّ على الشاب، فاستيقظ، وتناوم لينظر ما يفعل، فإذا هو قد قرب من الفاحشة مجلس، وقال: سود الله وجه البعيد، فلولا أن هذا الشاب كان صالحًا لوقع، انتهى.

ولما جاء هذا الشاب من بلاد الريف إلى مصر، من بلاد المنزلة، وحكيت له الحكاية، صدقني على ذلك، وقال لي: من تلك الواقعة لم أنم بالقرب من ملتحي، ولو كان يمشي على الماء، انتهى.

وقد كان سيدي إبراهيم المتبولي يراعي شباب الزاوية، ويحميهم من أهل الفساد، فحكى لي سيدي علي الخواص: أن شخصًا عبث بذيل أمرد من الشباب الذين كان سيدي إبراهيم يرقدهم في خلوته، فأخذت ذلك العابث الباردة والسخونة بمجرّد إمساكه ذيل الشاب، فلم تزل أسنانه تخبط في بعضها بعضًا مدة سبعة أشهر حتى كاد يهلك، وأنشد:

إِذَا لَمْ يَكُــن لَلكَــرْمِ شَــوْكٌ مُكْلِــبٌ رَعَتْــهُ المَــوَاشِي مِــن جَمِيْــعِ الجَوانَــبِ

انتهى.

ومن أدب شيخ الزاوية: ألا يمكن ولده يبني له منظرة أو مقعدًا في بستان يتعلق به؛ لأن العاقل لا يعمر شيئًا في أماكن الإقامة، فكيف يعمر في مواضع التنزهات التي ربما لا يتيسر له التنزه فيها أسبوعًا في السنة كلها؟ وإن وقع أن الله تعالى أراد بنا منظرة في تلك الجنينة؛ فليكن من يتفرج فيها من ولد الشيخ، وجماعة الفقراء على حذر؛ لأن إبليس ربما وسوس لأحدهم لصحبة أحد من الشباب المرد معه في تلك الجنينة مرارًا، فيلوث الناس بالفقراء؛ لاسيّما إن كان ذلك الشاب الجميل قد لاث الناس بعرضه قبل ذلك، وله جماعة محارفون يتغايرون عليه، فيحصُل بذلك عدة مفاسد، فليكن الفقراء على حد رق لا يصحبوا معهم للتفرج في الجنينة إلا الشيوخ الكهول المأمونين العاقبة، ولكن أصحاب الأنفس الغوية لا يكمل انشراحهم في الجنينة إلا برؤية الوجوه الحسان؛ لاسيما إن كان أحد الشباب حلو اللسان، يظهر النسك والعبادة، فإن إبليس يقول لأحد الفقراء: هذا الشاب مبارك، واللوث بكم إذا صحبتموه بعد أن يقع، فيعاشرونه في تلك الجنينة على نقاء وطهارة، ثم يقول لهم إبليس: إن الله غفور رحيم، والتوبة تَجُبُّ ما قبلها، ويقارب بين الفقراء وبين ذلك الشاب، حتى أوقعهم في شين من البلاء، وتفرقوا كلهم، وخرجوا من الزاوية إلى الحرف والصنائع، وكان لهم مجلس ذكر يهد الجبال، وكان إبليس إذا قرب منهم في المجلس يكاد يحترق، فما قدر على صيدهم إلا بواسطة ذلك الشاب المبارك في أول أمره.

وقد حكى لي الشيخ سليمان الخضيري[1] ﷺ قال: كان في بعض الخرائب

---

(١) هو سيدي سليمان الخضيري، كان على قدم عظيم في التزهد والتعبد، سمع الحديث عن الجلال السيوطي والقطب الأوجاقي، وأخذ التصوف عن المرحومي وغيره، وأذن له في التربية، وأخذ عن خلق، انتفع به الناس كثيرًا. وكان الشيخ محمد بن عنان- مع مقامه- يعظمه ويزوره وله مكاشفات كثيرة

ثلاثون فقيرًا من الشباب يعملون الحرف، ويجتمعون في تلك الخرابة في الليل، وكان لهم مجالس ذكر تهد الجبال، فبينما هم في مجلس ذكرهم إذ وسوس إبليس لجماعة من العتاق بأن يتضاربوا بالعصي تجاه مجلس هؤلاء الشباب، ففلق بعضهم رأس بعض، وساح الدم، فقال إبليس للذاكرين: قواعد شريعتكم تشهد؛ لأن الخير المتعدي أفضل من الخير القاصر، فاتركوا الذكر، وخلصوا بين العتاق، فتركوا المجلس وقاموا يخلصون بينهم، فانقلبت الخصومة إلى الذاكرين، ففلقوا رءوسهم، واشتغلوا بهم عن مجلس الذكر، فكان مقصود إبليس بذلك كله إبطال مجالسة الفقراء لله تعالى في الذكر لا غير، انتهى.

فانظر يا أخي إلى هذه الدسيسة التي تخفى على كثير من الفقراء واعتبر بغيرك.

وسمعت سيدي على المرصفي ﷺ يقول: ينبغي للفقراء إذا خرجوا إلى مواضع التنزهات في حين؛ كالبرك، والأنهار، والبساتين، ألا يصحبوا معهم حدثًا حسن الصورة ولو كان من فقراء الزاوية، وكذلك لا ينبغي لهم أن يصحبوا معهم كتابًا فيه حكايات قبيحة السماع؛ كالذي يحكيه خلبوص المغاني، إنما الأدب أن يصحبوا معهم كتابًا فيه حكايات الصالحين وآدابهم، وإن ترخصوا في ذلك، فلا ينزلون عن ذكر الحكايات المباحة التي تضحك العبوس؛ كديوان بن سودون، مع أني لا أحب ذلك للإخوان؛ لأن العمر ضاق عن مثل ذلك، ولكن سامحنا الإخوان به من باب ظلم دون ظلم، وما دخل العقلاء هذه الدار للهو واللعب والسخرية، وإنما دخلوا للأعمال الصالحات، والمجاهدات لنفوسهم، إلى أن يلقوا ربهم، ولا يليق

وكرامات غزيرة. مات في حدود الستين وتسعمائة، عن مائة ونحو عشرين سنة. انظر: الكواكب السائرة (٢/ ١٤٩)، الكواكب الدرية (٧٨٠).

بأحدهم الضحك حتى يجاوز الصراط.

وسمعت سيدي عليًا الخواص يقول: اللائق بالفقراء القبض والعبوس حتى يجاوزوا أهوال يوم القيامة كلها، وهنا يليق بهم الضحك والفرح، وكان يقول: من تأمل الخلق، والدنيا، والآخرة، وجدها كقوم نزلوا في سفينة، فأقلعت بهم حتى وصلوا إلى جزيرة، فنودي لهم: اطلعوا على هذه الجزيرة، وخذوا ما فيها من الجواهر، والذهب، والفضة، والتحف النفيسة، واحرزوه في صناديقكم، وعجلوا بذلك، فإن مقامكم فيها يوم وليلة فقط، وإياكم أن تحوزوا شيئًا من الأمور الخسيسة في أوعيتكم، أو تشتغلوا بأحوال الغافلين؛ كالمقامرين، والمشعوذين، والمعمرين للدور، ونحوهم، وإياكم أن تقربوا من دار الملك التي فيها حريمه، وحرمه، أو تتعرضوا لفعل ما نهاكم عنه، فبينما الناس مشغولين بها شاء الله؛ إذ نودي بالرحيل على غفلته، فأما الذين أقبلوا على اللهو، واللعب، والقمار، وبناء الدور؛ فندموا حيث لا ينفعهم الندم، وأما الذين حازوا الجواهر والتحف؛ فلم يلحقهم ندم، ثم أقلعُوا حتى أرسلوا على بلد الملك الكبرى والآخرة، فبلغ الخبر أن قومًا وردوا معهم الجواهر والتحف، فأرسل لهم الملك من تلقاهم، ووعدهم بكل خير، وقال: أخرجوا بضائعكم؛ لنعرضها على الملك، فلما أخرجوها تلقاها الملك، ورحب بهم، وأنزلهم في دار الضيافة، وقال لهم: لكم عندي ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وأما ما سواهم فأمر بحسابهم، وعتابهم، وقال لهم: ما كنتم أنتم وأصحاب الجواهر في مكان واحد، ما قيل لكم أن مقامكم في تلك الجزيرة يوم وليلة، فكيف اشتغلتم ببناء الدور، بعد أن سمعتم المنادي ينادي على لسان الملك: إن مقامكم يوم وليلة، أين إيمانكم بصدق النذير؟ فمنهم من عفا الله عنه، ومنهم من أدخله جهنم؛ دار الخزي والهوان، فهذا مثال الدنيا وأهلها، والآخرة وما يقع فيها،

انتهى.

وسمعت أخي أفضل الدين ﷺ يقول: لو لم يكن في محبة الخلق الذين لم يأمر الله تعالى العبد بمحبتهم، إلا اشتغال قلبه بها يحجبه عن دخول محبة الله قلبه، لكان في ذلك كفاية في وجوب التباعد عن عشرة الشباب، والنساء، وغيرهم ممن تميل النفوس إليهم عادة؛ كالأمراء والأغنياء المحسنين للفقراء، فإياكم ومحبة أحد لم يأمركم الله بمحبته، ثم إياكم، والحمد لله رب العالمين.

قلت: وقد سألت الله تعالى مرارًا، ورأيت علامات الإجابة أن يبتلي كل من أفسد في زاويتي في حياتي، أو بعد مماتي، بالأوجاع التي لا ينفع فيها طبيب، بحيث تمنعه اللذة في الأكل والجماع والمنام حتى يموت، وأن يجعل ذلك كفارة لما فعله من السوء، لا يعاقبه في قبره، ولا فيما بعده، وإنما لم أسأل له المغفرة ابتداء إيثار الجناب الحق تعالى؛ لكونه انتهك حرمة بيته، وفسق في من هو تحت نظره، وفي حضرته، فلذلك لم أسأل له المغفرة ابتداء.

وانظر يا أخي إلى إبليس– لعنه الله-لما عصى أمر الله في حضرته مرة واحدة، كيف طرده ولعنه أبد الآبدين؟ وكم عصى غيره من الخلق، ولم يقع له ما وقع لإبليس؛ لكونه ما عصى إلا وهو في حجاب عن شهود حضرة الله تعالى، ونظره إليه، فلذلك خفف عنه دون إبليس.

واعلم يا أخي أن الفقير مادام تحت رعاية شيخه، ملاحظًا له، فهو محفوظ من الشيطان؛ لارتباط ذلك الفقير بشيخه، وارتباط شيخه بالنبي ﷺ، وارتباط النبي بحضرة الله ﷻ، فلا يجد الشيطان له مسلكًا يدخل منه إلى قلب الفقير، وقد كان تحت تربيتي شخص فجرح باطنًا، وصار يظهر لي أنه تحت نظري نفاقًا، فقلت له على

لسان بعض الإخوان: قل لفلان يدخل تحت جناحي؛ ليقع له الحماية؛ كالفرخ تحت الدجاجة إذا فقست، فقال: قد خرجت، والذي ينزله من السماء تحمله الأرض، فكبس في تلك الليلة مع امرأة في الحرام، فضربوه حتى فتحوا رأسه من أماكن، وحمل لبيت الوالي، ثم لم يرجع بعد ذلك إلى الزاوية، إلى وقتنا هذا، هكذا جرت سنة الله في عباده.

وقد أنشدوا في معنى ذلك:

وَمَــن احْتَمَــى يَومًــا بِغَــيْرِ جَنَابِــكَ   حَلّــتْ بِــه الآفَــاتُ وَالهَلَكَــاتُ

ومما جربته أنا في نفسي أنني مادمت متوجهًا بقلبي إلى الحضرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، فجميع الآفات مصروفة عني، حتى ضيق الصدر، فإذا ضرب الحجاب بيني وبينها حلت بي سائر الآفات، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واتخذوا لكم شيخًا ترتبطون به؛ ليرعاكم، ويحميكم من الآفات، ويعلمكم الآداب التي تلزمكم في مدة إقامتكم في المسجد، فإنه ما كل أحد يعرف الآداب.

فإن من أدب المجالس في المسجد: ألا يجلس فيه محدثًا، ولا يخرج فيه ريحًا، ولا يلغو، ولا يخطر في باله معصية؛ فضلاً عن فعلها، وقد كان شخص يترخص في ترك الآداب؛ فابتلاه الله بمرض عجز عنه الأطباء، واجتمع عليه الحَبُّ الإفرنجي، وضربان المفاصل حتى لا يأخذه نوم إلا كنوم المصلوب، وكان عندي آخر يدب في الليل على أطفال الزاوية، ولا يقدر أحد يثبت في حقه شيئًا، فقلت: اللهم إن كان فلان يفعل كذا وكذا فابتله بالحصيّا في ذكره، والشقاق في دبره، وإليته فيه، فصار كلما يريد تبولاً يتلوى على الأرض كالثعبان، وهو يصيح ويستغيث فلا يغاث، وصار يحس من شدة الشقاق بأن شخصًا يشرح في دبره بسكين ليلاً ونهارًا، حتى

امتنع من الجلوس على الأرض في غالب أوقاته، وصار يقف من العشاء إلى الصباح يصيح، وكذلك صار يكري على نفسه من يفعل فيه إلى أن مات، والنكتة في إجابة دعائي فيه أنني ما دعوت عليه إلا غيرة لجناب الحق تعالى، لا تشفيًا للنفس، فلذلك كنت أجاب في الدعاء على من عبث بأحد هو في كفالة الله تعالى، ودعوت مرة أخرى على شخص كان يسرق أسباب المجاورين، ويفتح خزائنهم بالليل بالشنكلة، فشنكلوه في باب النصر.

دعوت على آخر كان يسرق المصاحف والنعال بمرض لا يخرج من بدنه إلى الممات؛ فابتلاه الله تعالى بالحصيّا، والفتاق، والبواسير، والقولنج، فكان كلما يداوي أحدًا ويسكن يتحرك الآخر للوجع حتى صار يقول مقصودي أحدًا يشهد عليَّ بالكفر كاذبًا حتى يقتلوني ويريحوني من هذا الألم، وبالجملة فلا يقدر على آداب سكنى المساجد إلا القليل.

وقد كان بجوارنا شخص من المجاذيب اسمه الشيخ عصفور كان يتكلم بكلام لا يقدر أحد على سماعه إلا بالتأويل، وحمله على عدم التكليف، وكنت لا أرمي من كلامه شيئًا، فمن جملة ما قال للشيخ شهاب الدين البلقيني(1) رحمه الله لما زاره: وأين حشرك في جامع الأزهر مع قلة دينهم؟ ولأي شيء لا تسكن في الكنيسة مع الرهبان الدينين الخيرين؟ الذين لا يسرقون شيئًا من العمائم ولا النعال ولا يفتحون

---

(١) هو أحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشهاب البلقيني الأصل المصري القادري. أخذ عن حسن الكشكشي القادري، بل وفيما قيل عن ابن الناصح وتجرد وساح مدة ثماني عشرة سنة وصار مشهورًا بالصلاح. مات في يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة سنة خمس وخمسين ودفن ظاهر باب النصر رحمه الله. [الضوء اللامع (١/ ٢٦٥)].

خزانة أحد في الليل وهو نائم، وإذا وضعت نعلك في الكنيسة وغبت عنه جمعة ثم جئت وجدته مكانه لم يأخذه أحد منهم بخلاف جامعك، انتهى.

فقلت للشيخ شهاب الدين: إيش قلت في هذا الكلام؟ فقال في غاية التوبيخ لنا: كيف تكون النصارى أبعد عن الحرام منا؟ فاعلم ذلك يا شيخ الزاوية، واحفظ زاويتك من المعتدين إما بالحال وإما بالقال وإما بالفعل وإخراج المفسد منها بالحكام مصلحة لبقية الفقراء، والحمد لله رب العالمين.

الباب الثالث

في ذكر جملة أخرى من آداب فقراء الزاوية وأخلاقهم التي يتأكد عليهم العمل بها

اعلم يا أخي أن من آداب الشيخ أيضًا: أن يجتنب مواضع الريب، كان يمكن أمرد يغمز له ظهره أو رجليه، ونحو ذلك؛ خوفًا أن يلوث الناس به، وربما تبعه على ذلك كبراء الزاوية، وقالوا: فلانًا غير معصوم، ولولا جواز مثل ذلك ما فعله الشيخ، وقد ثبت أنه ﷺ كان له غلام يغمز له ظهره، انتهى.

والجواب أن ذلك لا ينهض حجة لغير الشيخ إذا مكّن أمرد من تكبيسه؛ لأن الأشياخ محفوظون إن شاء الله تعالى، والنبي معصوم، والله أعلم.

فانظر يا أخي ما فتحه الشيخ بتمكين الأمرد المذكور من تكبيسه، ولو أنه نزل ذلك لم يفتح للمجاورين هذا الباب.

وسمعت سيدي علي الخواص ﷺ يقول: ينبغي للشيخ أن يكون له نقيب ملتحي؛ يخدمه ويغمز له بدنه إذا احتاج إلى مثل ذلك، ولا يمكّن أمرد من ذلك بحال، وإذا أحس الشيخ بأن النقب زال بالغمز والتكبيس، أمر النقيب بالكف؛ لئلا يقع في الترفة، انتهى.

وقد تقدم أن الأمرد ينقض الوضوء عند أحمد، وذلك يؤيد النهي عن جعله مكبسًا، ومقام الشيخ يقتضي التباعد عن الريب، والأخذ بالاحتياط، والخروج من الخلاف.

ومن أدبه أيضًا: أن يكون قدوة للفقراء في جميع أحوالهم؛ من زهد، وورع، وقيام ليل، وصبر على الجوع، وكف الجوارح عن المخالفات كلها؛ لأنه كالمشرع لهم

بجميع أفعاله وأقواله، وهم ناظرون إلى ما يفعله ويقوله، فليحذر أن يأمرهم بالزهد في الدنيا ويرغب هو فيها، أو بالورع ولا يتورع، أو بقيام الليل وينام هو، وبالجوع ويأكل هو ويشبع، أو بكف الجوارح عن المخالفات ويقع هو فيها، فإنه ولو كان له عذر في ذلك لا يقتلونه، بل يحملون حاله على حالهم لا يذوقون عن ذلك.

وفي الحديث: «شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الجُوعَ وَرَفَعْنَا عَنْ بُطُونِنَا عَنْ حَجَرٍ حَجَرٍ فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ حَجَرَيْنِ»(1).

فليحذر الفقراء الصادقون من المبادرة إلى الأكل من طعام أرسله لهم بعض الولاة حين بلغه جوعهم، ولا يمد يده إليه إلا أن بلغ مرتبة الاضطرار، وبعضهم استف التراب؛ كابن أدهم، وبشر الحافي، فكفاه، وقالوا: لو لم نجد الحلال سنة لاكتفينا بالتراب، انتهى.

وفعلت أنا ذلك مرة لما فقدت الحلال أيام مجاهدتي، ووجدت له طعمًا ودسمًا، فالحمد لله رب العالمين.

ومن أدب الشيخ: أن يقيم كل فقير في الزاوية في عمل يناسبه، ولا يطلب منهم أن يكونوا على عمل واحد؛ من اشتغال بقرآن، أو علم، أو ذكر، ونحو ذلك، فللقرآن أقوام، وللعلم أقوام، وللذكر أقوام، ولقضاء الحاجة أقوام، وللسفر في حوائج الزاوية أقوام، وللشفاعة عند الحكام وغيرهم أقوام، وهكذا الزاوية لا يقام لشعائرها إلا بذلك، وقد جربوا فوجدوا كل من أقامه الشيخ في عمل فتركه؛ انعكس وانتكس، ولم يُفتح له حال في العمل الذي انتقل إليه، وقد رتب إخواني في

---

(1) رواه الترمذي (٢٥٤٥).

الزاوية بحمد الله لما عمرها الله تعالى في وظائفها، فلم يطلب أحد منهم الانتقال عمّا أقمته فيه بإذن الله.

وكذلك من أدبه: أن يحسن إلى فقراء الزاوية؛ بإدخالهم في سلسلة القوم بالتلقين، وأخذ العهد عليهم إن كان طريقه أخذ العهد عليهم إن كان طريقه أخذ العهد، وذلك ليكونوا في بركة أهل الطريق، ويمدهم بمددهم في الشدائد، وليشربوا من مسقاة واحدة، فإن اختلاف الأشربة يضر الولد والشجر، وإذا انغرس في أحدهم عدم الإقامة عنده فليس له تلقينه؛ لأنه لا فائدة فيه، إلا الزاوية والسند دون الترقي، وقد قالوا: حكم الفقير الذي يكثر التنقل من مكان إلى مكان حكم الشجرة إذا غرست في مكان ثم نقلت منه قبل أن تضرب جذورها، وتكرر ذلك؛ ماتت، وكذلك المريد يموت قلبه بالشغل، واختلاف العشرة، وقد جربنا من يجيء إلى زاويتنا بعد أن جاور عند غيرنا لا يصلح أبدًا، بل يخرج إلى بلاده، أو إلى الحرف والصنائع، بخلاف من أتانا من الريف، لم يعرف غيرنا، والحمد لله رب العالمين.

وكذلك منأدب الشيخ: ألا يقر المجاورون على الكسل، وقلة الاشتغال بما أقامهم فيه من الذكر أو القرآن أو العلم، ويأمرهم أن يجعلوا حفظ ألواحهم إذا قاموا من الليل، فإنه أهون عليهم من حفظ النهار؛ لكثرة انتشار الناس فيه، وكلامهم لبعضهم بعضًا، فإن الكلام اللغو إذا دخل في أثناء القرآن مثلاً، تشتت ما كان جمعه القلب والذهن من الكلمات.

وقد كانت زاوية سيدي محمد الغمري في المحلة الكبرى لا يفتر أهلها من القرآن، والذكر في ساعة من ليل أو نهار، وكذلك زاويتنا الآن بحمد الله لا يكاد أهلها يفترون عن الاشتغال بالقرآن والذكر والعلم، حتى إنه دخل على ثلاثة أملاك

في بعض الليالي على لون الزعفران، وأحدهم طوله سبعة أذرع، فقال الطويل للقصير: فها أنتم الليلة طفتم الأرض كلها، فهل رأيتم بقعة أكثر خيرًا من هذه الزاوية؟ فقالا: لا، فقال الطويل: وهو كذلك فإنه ليس في البلاد أكثر علمًا ولا قرآنًا من مصر، وهذه ليس في مصر مثلها، انتهى.

فشكرت الله تعالى على كوني شريكًا لأهلها فيما هم فيه من الخير، والحمد لله رب العالمين.

ومن أدبه أيضًا: أن يكون أول حاضر لمجلس الذكر وآخرهم انصرافًا منه؛ كالسلطان في موكبه لا ينصرف حتى تفرغ حوائج الناس، وذلك لأن مجلس الذكر كالجهاد، والشيخ لأمير العسكر، فإذا انصرف انكسرت قلوبهم، وحدثوا نفوسهم بالانصراف، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ (الكهف: ٢٨)، فأمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يصبر نفسه مع الذاكرين، وإن كان هو لا يحتاج في ذكره لربه إلى الاجتماع مع أحد، إنما ذلك وفاءً بمرتبة الإمامة؛ لاسيما إن كان المجلس يحضره الناس من الحارات، فإنهم إذا جاءوا فلم يجدوا الشيخ ولا فقراء الزاوية في المجلس فترت همتهم، وقال لهم إبليس: اذكروا في بيوتكم أفضل لكم، فإذا أجابوه إلى ذلك وسوس لهم بترك الذكر في بيوتهم، فبطل شعار ذكر الله في الزاوية، وهذا هو السبب الذي يدعوني أن أخرج من بيتي، وأرتمي بجانب المجلس وأنا ضعيف، أو في حال قاهر؛ خوفًا أن يفترهم بعض الكسالى عن الحضور.

وقد كان سيدي مدين ﵀ يقول: لا يمكّن أحدًا يجاور عنده إلا إن كان يذكر مع الجماعة، فجاءه إنسان، وقال: يا سيدي، المجالس إنما جعلت لتنشيط الكسالى، وأنا بحمد الله لا أحتاج إلى من ينشطني، فقال له: اخرج، وإلا أتلفت على الفقراء،

وادعى كل واحد ما ادعيت، وأبطلوا المجلس، فالله تعالى يجعلنا ممن لا يفوته مجلس ذكر إلى المهات، والحمد لله رب العالمين.

ومن أدبه: ألا يذهب بإخوانه إلى الولائم إلا لضرورة شرعية لا عرفية، ثم إذا حضروا بالشرط المذكور لا يحضرون إلا أن علموا من أهل الوليمة إكرامهم، وإدخالهم دار الوليمة بسرعة إذا حضروا على الباب، وعدم منع البواب لهم، ودفعهم في صدورهم إذا طلبوا الدخول، والعامة ينظرون إلى الشيخ وجماعته، والبواب يمنعهم ويضرب بعضهم بالعصيان، كما يفعل بالصناع، وكل فقير صبر على ذلك، فلهذا قال أهل الحرفة: وهذا كان سبب عدم إرسالي إخواني إلى ولائم الناس، اللهم إلا أن تكون الوليمة لأحد من الإخوان الصادقين الذي يعظمون الفقراء أعظم من الأمراء، فلا بأس بإرسالهم، وقد كنت أرسل ولدي عبد الرحمن يكافئ في الولائم الضرورية بعد إلحاح صاحبها عليّ في إرساله المرة بعد المرة، فأرسلته مرة لشخص فمنعوا جماعته أن يدخلوا، فمن ذلك اليوم ما أرسلته لأحد، مع أن الولد والجماعة لا يأكلون قط من طعام الولائم التي فيها الألوان، ودعاء الأغنياء دون الفقراء؛ لأنها من جملة الأمور التي تقرب من الأكل مما أهل لغير الله به، فعلم أنه ينبغي للشيخ في هذا الزمان أن يتعلل بخوف الضرب إذا حضر، أو بعدم وجوده ثيابًا يلبسها تناسب الوليمة، أو بعدم وجوده نية صالحة يحضر بها، أو بتكدير أحد من الأقران إذا حضر واحد من أعداء صاحب الوليمة، فإنه إذا حضر عنده كسر خاطر عدوه؛ لاسيما إن كان أعداؤه جماعة، فإن مراعاة خاطرهم أولى من مراعاة خاطر واحد بنفسين؛ ولأن المسلمين كلهم مشتركون في وجوب مراعاة خواطرهم، كما يعرف ذلك من نور الله بصيرته.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: لا ينبغي لفقير أن يجيب إلى حضور وليمة إلا بالطريق الشرعي، فإن ترجح عنده الحضور حضر، وإلا ترك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أدبه: ألا يتخصّص عن الفقراء بشيء مما دخل يده؛ من نقود أو طعام ونحو ذلك، بل الأولى له ألا يشارك الفقراء فيه، ويعطيه لهم كله، اللهم إلا أن يتخصص عنهم بعذر شرعي يعذرونه به، فلا بأس، ويقبح على شيخ الزاوية أن يتنازع هو وفقراء الزاوية على شيء من سحت الدنيا، والناس يضحكون عليهم، وأقبح من كل قبيح؛ إرسالهم لصاحب ذلك المال أو الطعام يسألونه هل أعطاه لهم أو للشيخ؟ ويقولون له: إن الشيخ أخذ ذلك كله، ولم يعط أحدًا منه شيئًا، فإذا كان إرسال الفقراء المجاورين لصاحب المال يسألونه أقبح من كل قبح، فكيف بإرسال الشيخ؟ يقول: إن المجاورين أخذوا ذلك، ولم يعطوني شيئًا، فاعلم ذلك أيها الشيخ الذي ظهر في النصف الثاني من القرن العاشر، واعمل بآداب الفقراء، وإلا فانزع زيهم، وامح اسمك من ديوانهم، وقد جاءت هدية لبعض الزوايا فأخذ الشيخ نصفها، وقال:إن النصف للشيخ، والنصف للمجاورين، فقالوا له: هذا في أي كتاب؟ فلا تسأل يا أخي ما حصل له من التوبيخ، ومثل هذا لا يصلح أن يكون شيخًا على الفقراء، والحمد لله رب العالمين.

ومن أدبه: أن يعلم فقراء الزاوية الأدب إذا جاءهم أمير أو كبير يزوره فلم يجده، أن يرحبوا به، ويقدموا له ما تيسر، ولو كسرة يابسة، ولا يمكنوه يذهب إلا بعد ذوق شيء عندهم، وكذلك يعلمهم كيفية الآداب مع الأمير إذا أتاهم بمال وردوه، وذلك كقولهم: إن شيخنا أخذ علينا العهد ألا نقبل من أحد شيئًا إلا وقت

الاضطرار، ونحن الآن غير مضطرين، فأعط ذلك لمن هو أحوج إلى ذلك منا، ثم إن قبلوه وترخصُوا فلا يقبلونه حتى يقولوا للأمير: إن كنت تحمل حسابه عنا يوم القيامة، وتشهد الله تعالى عليك بذلك؛ هنا قبلناه، وإلا فاصرف عنا ذلك، وأجرك على الله تعالى، وكان على هذا القدم أخي أفضل الدين ﷺ، فاعمل به يا أخي، والحمد لله رب العالمين.

ومن أدبه: أن يرشد إخوانه إذا عرفوا ما يجب عليهم تعليمه من علوم الشريعة إلى الاشتغال بالعمل بما علموا، وقد كان الإمام مالك ﷺ يقول: أدركنا الناس وهم يتفقهون إلى سن الأربعين، فإذا بلغ أحدهم الأربعين سنة أقبل على العبادة ليلاً ونهارًا إلى أن يموت، ولما بلغ الإمام أبو حنيفة وداود الطائي أربعين سنة قال أبو حنيفة لداود: أما الأداة فقد أحكمناها، فقال داود: فما هي؟ قال العمل بما علمنا، فأقبل كل واحد منهما على العبادة حتى ماتا.

وبلغنا عن الإمام زُفَر ﷺ أنه اشتغل بالعلم عشر سنين، ثم ترك الاشتغال به ولزم العبادة حتى مات عن ست وعشرين سنة، وكانوا إذا لاموه على ترك الاشتغال بالعلم يقول: قد نظرت في نفسي فرأيت الفقيه لا يخلو في نفسه عن تكبر، وحب رئاسة، وجلوس على سجادة، ومحبة تقبيل اليد، والتبجيل، والتعظيم، فما أحببت أن يكون حظي من العلم ذلك، فاعلم ذلك أيها الشيخ، وقرب على إخوانك الطريق، والحمد لله رب العالمين.

ومن أدبه: ألا يقرب أحدًا ويطلعه على أسرار القوم، إلا بعد طول امتحان وكثرة تنكرات عليه؛ لاسيما إن أراد أن يجعله نقيبًا، فإن النقيب هو الشيخ الثاني كما مر، ويحتاج إلى إطلاعه على أسرار الزاوية، وما يدخلها من الهدايا وغيرها، فلابد من

زهد النقيب في الدنيا، وإيثار الفقراء على نفسه، وإلا فلا يصح له أن يكون نقيبًا عليهم.

قالوا: ولا ينبغي للشيخ أن يبالغ في الامتحان بالكلية، فيخرج أصحابه كلهم زغلاً، ولا يجد أحدًا يرضيه، وقد قالوا مرة للإسكندر ذي القرنين: هلا تمتحن أصحابك كل الامتحان؟ فقال: إذًا نخرج كلنا نحاسًا، انتهى.

والحمد لله رب العالمين.

ومن أدبه أيضًا: ألا يطلب من إخوانه كلهم أن يطيعوه ظاهرًا وباطنًا فإن ذلك أمر لم يصح لرسول الله ﷺ مع زمانه بل منهم من قال: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾(البقرة: ٢٨٥)، ومنهم من قال: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ (النساء: ٤٦)، ومنهم من قال: سمعنا وأطعنا ظاهرًا حفظ دون الباطن، ومنهم من قال: ذلك بالباطن أيضًا، ومنهم من قال: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ (فصلت: ٥)، ومن طلب من إخوانه كلهم يقولون: سمعنا وأطعنا؛ فقد رام المحال؛ فاعلم ذلك.

وينبغي للشيخ أن يحذّر المجاورين من إطعامهم ضيفهم البطيخ أيام الصيف، ثم رقاده فوق سطوح الزاوية ليلاً يبول فوق سطح الزاوية وينجسه كسلاً وقلة دين، ثم إن اللوم حقيقة إنما هو على المجاورين لا على الضيوف؛ لاسيما إن كانوا من بلاد الريف فإن أحدهم يبول في أي مكان وجده، حتى إن بعضهم نام عند قاضٍ في مصر فاستحى أن يسأل عن بيت الخلاء، فأخذ عرقية ابن القاضي بالليل، وتغوط فيها ووضعها وراء المخدة، فأصبح الولد يقول عرقيتي راحت، فهرب الضيف فوجدوها وراء المخدّة؛ هكذا حكي صاحب الواقعة.

وينبغي للشيخ أن يعلم المجاورين التعفف عن الذهاب إلى الأكل من أطعمة الناس في بيوتهم أو في القبور، ويقولون لصاحب الطعام: إن كنت خرجت عن ذلك الطعام فالفقراء كثير في البلد، وإن كنت ولابد تطعمه لنا فاحمله إلى الزاوية؛ ليأكل منه كل من له فيه نصيب، ويصونوا خرقة الفقر عن اللوث بها، وحمل الفقراء على شراهة النفس ورؤية المنة عليهم، وقد قال الإمام مالك: أدركنا الناس وهم يعملون الطعام، ويأتون به إلى المسجد في القصع والجفاف، فيأكل منه كل من قسم الله له فيه نصيبًا من غني أو فقير، وكانوا لا يكلفون أحدًا في الحضور إلى دورهم أدبًا مع إخوانهم، انتهى.

فاعلموا بذلك أيها الإخوان وأعزوا نفوسكم.

ولا يبادر أحدكم أكل طعام الناس إلا بعد سؤال لكم، فلا تظنوا أن قولكم لا نأكل رد لما جاء من غير سؤال؛ فإن رزقكم لا يصح رده، بل يأتي إليكم بعزة النفس، وكل شيء رددتموه تبين أنه ليس هو رزق لكم، وقد كسبتم برده عزة نفوسكم؛ ثم إن في حمل الطعام إلى الزاوية دقيقة تخفى على كثير وهي: أن الإنسان إذا دعي إلى طعام تصير النفس متشوقة إليه، وقد نهى الشارع عن الأكل مما استشرفت إليه النفس؛ حتى إن سيدي الشيخ أبي الحسن الشاذلي ﷺكان لا يأكل من شيء أعلم به قبل أن يحضر بين يديه، كما إذا قال شخص للفقراء: لا تغيبُوا حتى آتيكم بسلة عنب في الدار قد خرجت لكم عنها، ويقول: إن النفس تصير مستشرفة للعنب حتى يحضر.

وقد تقدم أن من أدب الفقراء: ألا يحضروا في بيت من دعاهم إلى طعامه إلا إن لم يكن له أعداء؛ فإن الفقراء إن جبروا خاطره كسروا خاطر أعدائه، وحصل لهم

قهر بذلك، فاعلم ذلك أيها الفقير، واعمل به، والله يتولى هداك.

وينبغي للشيخ إذا كان متعقلاً في طريق المشيخة، وليس له حال يحميه من ازدراء الناس؛ له أن يعقد له ناموسًا بعدم الضحك والمرح، وعدم خروجه لشراء حاجة في السوق، ولو نفيسة كجوخة وجبة وعمامة؛ لأنه ربما جاءه آخر من الأكابر الذين ينصب عليهم، ويدعي عندهم الصلاح لزيارته، فلم يجده في الزاوية؛ فيسأل عنه فيقولون له: إنه يشتري لحمًا على الصاج أو هريسة؛ ثم يأتي الشيخ وهو حامل ذلك الصحن، فيصغر في عين ذلك الأمير ضرورةً؛ لأن الفعل مؤذِن بتعظيم ذلك الشيخ للدنيا، وبخله وشحه ولو أنه كان كريمًا زاهدًا في الدنيا؛ لأرسل غيره يشتري له ذلك الطعام، وأطعمه منه كما عليه الفقراء الصادقون، وليحذر هذا الفقير المتفضل من الشبه بالعلماء العاملين، الذين كانوا يتعاطون حوائجهم من السوق، ويخبزون في الفرن، ويحملون الحاجة على رءوسهم؛ لأن هؤلاء لصدقهم مع الله تعالى كانوا يزدادون بذلك هيبةً وتعظيمًا في قلوب الناس؛ كالشيخ جلال الدين المحلي، والرملي، والشيخ أمين الدين الإمام بجامع الغمري، والشيخ شهاب الدين المسيري، والشيخ عبد الرحمن الباجوري، وأضرابهم؛ فقد سمعت الأمراء يثنون عليه بالخير والتواضع، فازدادوا بذلك تعظيمًا وهيبةً، بخلافك أنت فإنك متفضل في المشيخة من قسم النصابين إن اتصفت، وأيضًا فإن هؤلاء لم يكونوا مريدين للشفاعات في المظلومين عند الأمراء.

وقد سمعت سيدي عليًّا الكازواني[1] - نزيل مكة المشرفة- يقول: يحتاج الفقير

---

(١) قال سيدي الشعراني في الطبقات الكبرى للشعراني (١/ ٤٢٠): ومنهم الشيخ الكامل سيدي علي الهندي - رضي الله تعالى عنه- نزيل مكة، اجتمعت به فيها سنة سبع، وأربعين، وتسعمائة، وترددت إليه،

المتفصل إلى ثلاثٍ: إلى عيشة وجلسة ولبسة، أي: لا يضحك ويلبس رأسه في طوقه كالمتفكر، ويلبس الجبة والعمامة الصوف، انتهى.

وكذلك ينبغي للشيخ أن يوصي الفقراء أن يعتنوا بإيقاظ الضيف؛ للتهجد في الليل أكثر من اعتنائهم به في إطعامه الطعام، والفرش والغطاء؛ وهو خلقٌ قد صار غريبًا في هذا الزمان، والله أعلم.

ينبغي للشيخ أن يعلم المجاورين إقامة أحدهم الحجة على نفسه إذا خاصمه أخوه؛ ثم قبَّل نعله وساق عليه السياقات، فلم يقبله ويقول لنفسه: لولا أنك بالغت في إيذائه ما قسي قلبه عليك كل هذه القسوة؛ كما كان عليه فقراء السلف الصالح ﷺ، ويُقبح على الفقيرين أن يصير كل واحد منهما يقيم الحجة لنفسه على أخيه؛ وبذلك يدوم الخصام بينهما، والنكتة في ذلك: عليه مراعاة الخلق على قلوبهما، فيريد كل واحدٍ أن يجعل نفسه مظلومًا لا ظالمًا، ولو راعى كل واحد منهما ربه يجعل الحجة على نفسه لأخيه؛ ثم اشتغل بما خلق له من العبادة، وكان سيدي على المرصفي رحمه الله يقول: لو لم يكن في إقامة العبد الحجة على كونه نفسه لأخيه، إلا كون ذلك سلمًا

وتردد إليَّ، وكان عالماً ورعاً، وزاهداً نحيف البدن لا تكاد تجد عليه أوقية لحم من كثرة الجوع، وكان كثير الصمت كثير العزلة لا يخرج من بيته إلا لصلاة الجمعة في الحرم فيصلي في أطراف الصفوف ثم يرجع بسرعة، وأدخلني داره فرأيت عنده جماعة من الفقراء الصادقين في جوانب حوش داره، كل فقير له خص يتوجه فيه إلى الله تعالى منهم التالي، ومنهم الذاكر، ومنهم المراقب، ومنهم المطالع في العلم، ما أعجبني في مكة مثله، وله عدة مؤلفات منها ترتيب الجامع الصغير للحافظ السيوطي، ومنها مختصر النهاية في اللغة، وأطلعني على مصحف بخطه كل سطر ربع حزب في ورقة واحد، وأعطاني نصفي فضة، وقال: لك المعذرة في هذا البلد فوسع الله علي الحج ببركته حتى أنفقت مالًا عظيماً من حيث لا أحتسب، رضي الله عنه.

للترقي إلى إقامة حجة الله تعالى على نفسه؛ لكان في ذلك كفاية، فإن حكم العكس بالعكس؛ وذلك انتكاس وعكس، انتهى.

فاعلم وينبغي للشيخ أيضًا: أن يرسل فقراء الزاوية إلى مقام التواضع مع إخوانهم، حتى يرى كل واحد أنه دون أخيه في الصلاح؛ وذلك ليتواضعوا في الخير مع إخوانهم، وينفع بعضهم بعضًا؛ فإن كل فقير رأى نفسه أحسن حالاً من أخيه حرم بركة صحبته، وتعرض لمقت الله تعالى؛ لكونه من المتكبرين.

وكذلك ينبغي له: أن يحذرهم من الوقوع في حق شيخ آخر من أقران شيخهم، أو يروا نفوسهم على أحد من جماعته، وأن طريقهم خير من طريقته؛ كما يقع فيه غالب المريدين، فإنه خسران مبين.

وينبغي للشيخ: ألا يُمكن أحدًا من المجاورين من التوسوس في الوضوء ليلاً، يتشبه بعضهم لبعض، فينشغلوا بالوسوسة في الاستنجاء والطهارة عن صلاة الجماعة، أو عن غالب الركعات، وإن كان ولابد أن يتوسوس أحدهم؛ فليتوسوس فيما يدخل جوفه لا فيما يخرج من فرجه، فإن ما يدخل الجوف أولى بالتباعد عنه، وكذلك قال بعض الأئمة: باستحباب الاستنجاء دون الوجوب؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وانتبهوا عن الوسوسة في الطهارة، واعكسوا ذلك في اللقمة، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: أن يبين للفقراء المتعبّدين في الزاوية ما في الفقراء الذين لم يتقيدوا من الصفات الحسنة؛ كالخدمة والأمانة والصّدق وحمل الأثقال ونحو ذلك؛ لئلا يروا نفوسهم بالتعبد على من لم يحضر معهم أورادهم، ومجالس علمهم، فيهلكوا بالعجب، وقد كنت في حصرٍ من الأخ محمد - ابن أخت الشيخ خضر- من

جهة عدم مواظبته معنا في الأوراد، فنظرت فإذا فيه صفات قد ترجح على حضوره الأوراد منها الأمانة، ومنها حمله المشعل في طريق الحج من العشاء إلى الصباح، وإذا مرض معه أخوه في نوبة مثلاً حمله نحو المرحلة، وإذا استعمله الإنسان في عمل التراب والرماد، وكسح السراب؛ فعل بطيبة نفس عكس حال من يحضر معنا الأوراد، وإذا أرسلنا معه البغال إلى الأماكن البعيدة لا يخطر في بالنا فيه سوءٌ أبدًا؛ فاعلم ذلك يا شيخ الزاوية، وسد باب العجب على إخوانك ما استطعت، وسيأتي ذكر منه بثيابه هو والولد على التلباني، وفداؤهما ثيابي بثيابهما إذا طلب ذلك مني أحد من الفقراء من غير توقف ولا طلب عوض، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ أن يكونهمته عنده بصيرة يعرف بها من له نصيب عنده في المجاورة، فيجيبه إلى الإقامة، ومن لا نصيب له يقول له:اذهب بسلام؛ وذلك لئلا يقول له: اجلس في الزاوية على غير علم؛ فينقص مقام الشيخ بذلك، فإن مقام الأشياخ أن يكون أحدهم على علم بأحواله كلها، وقد كان سيدي إبراهيم المتبولي يقول: لا ينبغي للشيخ أن يقول لفقير جاء يجاور: اجلس في الزاوية أو اذهب إلا بكشفٍ، وكان كثيرًا ما يقول للشخص: أنا لا أمكن أحدًا من الحرامية يقيم عندي، فربما استنكر بعض الناس ذلك، فيسرق بعد أيام وتقطع يده، وكان سيدي الشيخ عبد الوهاب الجوهري عنده حائط في الخلوة فيها أوتاد، فكل من جاء يصحبه يقول له: خذ لك وتدًا ودقه في هذه الحائط، فإن ثبت فهناك، وإن خار ولم يثبت فامض لحال سبيلك، انتهى.

فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ أيضًا: أن يأمر الفقهاء الذين يُقرءون أطفال الزاوية من أولاد

الفلاحين وغيرهم: أن يعلموا الأطفال كيفية الوضوء والاستنجاء والصلاة والأدب، مع معلمهم ورفقتهم من المجاورين، وألا يخرج أحدهم إلى الميضأة أو السوق مثلاً بنعل أخيهم إلا بعد أن يستأذنه في ذلك، وكذلك لا يكتب من دواته إلا بعد استئذانه، ويعلم المميزين أن يصلوا مع الجماعة إذا أقيمت، ولا يشتغلوا عنها بقراءة ألواحهم، فيحيطوا الطريق، ويشوشوا بأصواتهم على المصلين، ويأمرونهم بحضور ورد الزاوية بعد الصبح والعشاء إن كان فيها ورد؛ ليتربوا على محبة الخير.

وقد كان عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- يعلم أطفاله القرآن والعلم، ويقول: صغار قوم كبار قوم آخرين، وربما تعطل كبار الزاوية بمرض أو سفر عن الحضور، فقام الأطفال مقامهم في قراءة الورد، وصلاة الجماعة، وأحيوا المسجد بالقرآن والذكر، وكذلك ينبغي للفقهاء: أن يعلموا الأطفال العفة والقناعة؛ حتى يصيروا إذا دخل أحد بهدية يفرقها عليهم لا يزدحمون عليه، بل ولا يقومون حتى يفرقها هو عليهم، ولا يخافون من حرمانهم منها، فإنه ما أتى بها إلا لهم؛ فإذا تعودوا بالقنعة والقناعة ترقوا إن شاء الله تعالى- إلى القناعة بكل شيء أعطاه الله تعالى لهم، ولو كان شيئًا قليلاً في العادة؛ بل يرون أنهم لا يستحقون ذلك القليل، وليحذر الفقهاء من التساهل في تأديب الأطفال، وتعليمهم الفقه زاعمين أنهم غير مكلفين، فتصير غوغاء في المسجد بازدحامهم على الذي يفرق عليهم، فيبلغون سن التكليف، وهم على ذلك الحال، وإن رأى الفقهاء تأديب الأطفال إذا قاموا، وحفظوا الهدية من يد النقيب بضرب خفيف فلا بأس بذلك؛ فاعلموا ذلك أيها الفقهاء واعملوا به، والحمد لله رب العالمين.

وكذلك ينبغي للشيخ: إذا كان ناظرًا أو ساكنًا في البيوت الملاصقة للمسجد،

أو مطلقًا ألا يتساهل في أخذ شيء من الوقف بغير طريق شرعي، كان يعمر فيه عمارة؛ فيأخذ النجارة والنشارة لبيته من غير أن يقومها بثمن، ويصرفه في المسجد، وكان على هذا القدم الشيخ عبد القادر ابن الشامية المنوفي رحمه الله وكذلك لا ينبغي له أن يأخذ شيئًا من زيت الوقود يقد به في بيته، أو يأخذ شيئًا من حصره ولو بليت إلا بتعويض مثل ذلك على جهة الوقف.

وكذلك ينبغي للشيخ: أن يعلم من يفتتح بالفقراء مجلس الذكر، ألا يشرع في الذكر إلا بعد قوله بقلبه: دستور يا الله، ولا يسكتهم إلا بعد قوله: دستور يا الله، وهذا وإن كان مع العبد الإذن العام بذلك من الشارع، فلا بأس به؛ لأنه كالإذن الخاص لدخول دار الملك وخروجه منها، وما رأيت لهذا الأدب فاعلاً من أقراني إلا القليل، وله حلاوة يجدها العبد في نفسه لا يقدر قدرها.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي رحمه الله يقول: لا ينبغي لمن يفتح مجلس الذكر أو يختمه أن يفتح ويختم إلا بعد قوله: دستور يا الله، وبعد سماع الإذن من الحق على لسان ملك الإلهام، أو بانفساح يجده في قلبه وانشراح؛ كما يفعل إذا صلى صلاة الاستخارة، انتهى.

فاعلم ذلك يا أخي، والحمد لله رب العالمين.

وكذلك ينبغي للشيخ: أن ينهى الفقراء عن إظهار عداوتهم لبعضهم بعضًا؛ صيانةً لخرقة الفقراء عن اللوث بها، بل يكتم أحدهم عداوة أخيه مع عدم الغفلة عن مجاهدة النفس ليلاً ونهارًا؛ ليخرج عن القطيعة والشحناء التي نهي الشرع عنهما، وقد أنشد الحسن بن سرحان:

أَنَا وَنَسِيبَيَّ الشَّرِيفَيْن هَاشِم ... مُحبِينَ جَهْرًا مُبْغِضِيْنَ السَّرَائِر

فاعلم ذلك واعمل به، والحمد لله رب العالمين.

وكذلك ينبغي للشيخ: أن يزجر فقراء الزاوية إذا أووا من هجره شيخهم، فإنه لو كان فيه خير كان لشيخه، اللهم إلا أن يؤوه بقصد تعلمه الأدب في حق شيخه؛ ليرجع إليه فلا يأمن، وليعلم الفقراء أن شيخه الذي هجره أشفق عليه منهم؛ وإنما هجره تأديبًا له، وكل من أواه فقد أساء في حق نفسه، وفي حق أخيه، وفي حق الشيخ؛ لأن إيواءه يبطل منفعة الهجر والتأديب، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وأعرضوا عن كل من أعرض الشيخ عنه، فإن الله قد أعرض عنه بحكم الشرع المطهر، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقراء الزاوية أن يحبوا أصحاب شيخهم المترددين إليه، ويكرموهم ولا يبادروا أحدًا منهم، ولو فعل معهم ما فعل من الأذى إكرامًا لشيخهم، وكل من ادعى محبة الشيخ، ولم يكرم أصحابه في حياته وبعد مماته فهو كاذب؛ فاعلموا ذلك أيها الفقراء، واعملوا به تترقوا إلى تعظيم أولياء الله لانتسابهم، والحمد لله رب العالمين.

وكذلك ينبغي للشيخ: أنه يحمي وقف زاويته عن أكل الظلمة له بغير حق، وذلك بالعفة له عن الأكل منه إلا بقدر ما عين له في كتاب الوقف، وبإعطاء فقراء الزاوية جميع ما زاد عن حاجته من ماله، فبذلك يحمي الله تعالى وقف الزاوية من الكشاف ومشايخ العرب والمكاسين، ومتى تعرض أحد من هؤلاء إلى وقفها فهو: إما لعدم إخلاص الواقف أو الشيخ، أو عدم استحقاق الفقراء، وقد جربت هذا الباب كل التجربة؛ ولذلك لم يحتج جابي الزاوية من يوم تكلمنا على وقفها إليَّ برطيل لأحد من الظلمة، وأنا أعلم أنني لو أخذت لنفسي من وقفها شيئًا بغير حق، وأدبر

الفقراء المقيمون فيها من عباد الله ما قدر أحد منا يحميها؛ فالله تعالى يجعل من يتكلم عليها من بعد موتنا لا يأكل منها شيئًا، ويمن على الفقراء المقيمين فيها بالاشتغال بالله حتى يموتوا، والحمد لله رب العالمين.

وكذلك ينبغي للشيخ: أن يعلم فقراء الزاوية ألا يشفعوا عنده في فقير هجره؛ لأنه لا يهجره إلا بوجه شرعي، والشفاعة لا تكون إلا في غير الأمور الشرعية، وقد أجمع القوم تحريم التجاوز عن زلات المريدين؛ لأن ذلك غش في الدين، فيجب على فقراء الزاوية أن يصبروا على الشيخ إلى أن يطيب خاطره على ذلل المريد من ذات نفسه، حين يستحق العفو عنه أو الرضا، فاعلموا ذلك أيها الإخوان واعملوا به، والحمد لله رب العالمين.

وكذلك ينبغي للشيخ: أن يمنع المجاورين من الجلوس في مجالس القيل والقال في الزاوية وغيرها؛ كما عليه أبناء الدنيا المترددين إلى المساجد، فليس لفقير كغيره في ذلك، فإنه ما قام في الزاوية الاشتغال بما يقربه إلى حضرة الله ﷻ لا غير، وهذه مصيبة يُبتلى بها جهلة المجاورين الذين يخالطون أبناء الدنيا، وأما الفقير الذي لا يخالط أحدًا من المجموعين، فهو سالم من مثل ذلك، فالله يتمم عليه ذلك، آمين.

فاعلموا ذلك أيها المجاورون واعملوا به، وإن ينتهي أحدكم وجلس في مجلس القيل والقال وغمزه أخوه، فليقم في ذلك المجلس ويشكر فضل أخيه على ذلك؛ ليعود إلى تنبيهه ثاني مرة، ولا يعبس في وجهه فيترك تنبيه أحدكم بعد ذلك، والحمد لله رب العالمين.

وكذلك ينبغي للشيخ: ألا يجيب أحد دعاه إلى بستانه؛ ليأكل من ثمرته هو وإخوانه بسيف الحياء؛ لأن ذلك من جملة أكل أموال الناس بغير حق، وذلك كان

بقول إنسان لمن يتردد إلى الزاوية وله بستان: متى تعزم علينا في بستانك، وتطعمنا منه؟ فيقول: أي وقت شئتم، فيقولون: شئنا اليوم الفلاني، فيذهبون إليه بأطفال الزاوية، فيفسدون في البستان، ويقطعون ثمره الذي لم يبد صلاحه، ويكلفونه عمل الطعام، ويتعبونه ذلك اليوم أكثر مما يتعب الإنسان في عمل غرس، وربما قالوا لصاحب البستان: لولا أن سيدي يحبك ويقدمك على غيرك ما جاء إليك اليوم، فيجعلون لهم المنة بعد ذلك على الرجل، وهذا كله خروج عن طريق الفقراء إلى طريق النصّابين، وليس الحل في ذلك إلا لو سألهم صاحب البستان أن يذهبوا إليه ابتداء من غير تعريض منهم، ويكون ذلك منه مرارًا، والحمد لله رب العالمين.

وكذلك لا ينبغي للشيخ والفقراء: أن يأكلوا من ضيافة وقف زاويتهم، وإن جعلها الواقف لهم؛ لأن حال الصلاح قد ضاق في هذا الزمان لكثرة المغارم والمظالم التي حدثت عليه في هذا الزمان من حاشية الولاة، وعجز الفقراء عن مكافأة الفلاح على ضيافته؛ كما كان الناس في الزمن الماضي حين رتبوا الضيافة على الفلاح، وربما ذهب الجاني إليه وأخذها منه بالغلظة، والتهديد بالحكام؛ فمثل ذلك ينزل في باطن الفقير نارًا وحجارة من الحرارة والثقل كما جربناه، ولقد ترخصت يومًا؛ وأكلت ورك دجاجة من الضيافة فما كنت إلا هلكت من النار والثقل، فشربت عليه كوز ماء، وألقيته من بطني ثم مَنَّ الله عليَّ بعد ذلك: أني إذا أكلت شيئًا فيه شبهة لا يمكث في بطني، ولو اشتريته بفلوسي من السوق، فالحمد لله رب العالمين.

وينبغي للفقراء: أن يروضوا نفوسهم في إيثار إخوانهم بأطايب الطعام من رطب وعنب وتين وغير ذلك، ومتى فضل عنهم رديء الطعام أو الفاكهة، فهو دليل على عدم صدقهم في الإيثار وصدق بعضهم، فاعلموا ذلك أيها الإخوان،

واعملوا لتشتروا خرقة الفقراء، فإنه ربما أكل أحد معكم من الصادقين فأنكر عليكم، والحمد لله رب العالمين.

وكذلك ينبغي للشيخ: ألا يمكّن أحدًا من فقهاء المجاورين يسعى على وظيفة أحد؛ كما عليه بعضهم، ولو كان الساعي فقيرًا وصاحب تلك الوظيفة من الأغنياء؛ هروبًا من انحلال المروءة، ومن أذى المسلمين، وكل شيخ تساءل في ذلك فقد خرج عن طريق الصالحين، بل لو سف الفقير التراب كان أولى من سعيه على وظائف الناس، فاعلم ذلك أيها الشيخ، وخف على دين جماعتك، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لكل فقير وقع في معصية قولية، أو فعلية، أن يخرج من المسجد ولا يدخله إلا إن تاب، ووجد أمارات القبول، إن كان من أرباب الأمارات، وإذا وجد إمارة القبول للتوبة فحينئذ له دخول المسجد، وما رأيت أحدًا من فقراء القصر راعى حرمة المساجد كما راعاها سيدي علي الخواص ﷺ كان لا يتجرأ أن يدخل المسجد إلا تبعًا للناس، وكان إذا جاء المسجد فلم يجد في المسجد أحدًا يمكث على باب المسجد حتى يأتي أحد فيدخل تبعًا له، فاعلموا ذلك أيها المجاورين واعملوا به، والحمد لله رب العالمين.

ومما ينبغي لفقراء الزاوية: إذا مات شيخهم وخَلّف ولدًا صغيرًا أن يربوه ويشفقوا عليه؛ مجازاة لوالده على تربيته لهم، وصبره عليهم في التربية والتلوين حتى صاروا رجالاً، ولا ينبغي لهم إهماله وعدم تقويم عوجه إذا خالفهم في مرة أو مرتين؛ بل يقوموا عوجه وينصحوه أبدًا ما عاشوا، وإذا صار أحدهم خليفة للشيخ ينبغي له الأدب مع ولد شيخه، فلا يمكنه من تقبيل اليد، ولا من القيام، ولا من يجلس على فراش وولد شيخه على الأرض، ولا يشبع وولد شيخه جوعان، ولا

يكتسي وولد شيخه عريان، وهكذا في سائر الأحوال.

فاعلموا ذلك أيها الفقراء واعملوا به، وكما علمكم الشيخ لوجه الله، فكذلك علموا ولده لوجه الله، والحمد لله رب العالمين.

ومما ينبغي لفقراء الزاوية: أن يتأدبوا مع شيخهم ولا يلبسوا كلبسه؛ كالجندة وإرخاء الطيلسان، والصلاة على السجادة ونحو ذلك، فإن الشيخ قد خرج عن رعونات النفوس، والفقراء ربما يكون أحدهم غارقًا في شهوة بطنه، ورئاسته، وحب وصفه بالصلاح والإخلاص، وقد رأيت شخصًا مُقت بسبب ذلك عند سيدي أبي العباس الحريثي، وذلك أنه عمل له سجادة وأرخى لهغذبة، فنظر إليه الشيخ نظرة غضب، فسألت من جميع ما كان فيه من الخير وعمل شاعر يهجو الناس إلى أن مات، نسأل الله العافية.

ومما ينبغي لهم أيضًا: سلوك الأدب مع كل من أشار له الشيخ أن يفتتح بهم المجلس ولو كان دونهم في العلم والقرآن، ولا ينبغي لهم أن يزاحموه على الاستفتاح بالمجلس؛ لأنه ربما كان أصفى قلبًا، وأطهر ذيلاً ممن يحفظ القرآن كله، وحضرة الله ليس فيها تقديم إلا بطهارة القلوب، ومادام الإنسان يحب الدنيا، ويرجح الذهب على التراب الزبان فلا يصلح أن يفتح باب الحضرة للناس، فاعلموا ذلك واعملوا به ما عشتم ظاهرًا وباطنًا، والله يتولى هداكم.

ومما يتعين على فقراء الزاوية إكرام من كان وليه الله تعالى ورسول الله؛ كالأيتام والعميان والعرجان والأشراف، فلا ينبغي لأحد من الفقراء أن يشتم أحدًا منهم أو يسبه أو يضربه؛ إكرامًا لمن استندوا إليهم، وإن وقع من اليتيم أو الشريف أذى فينبغي للفقراء الرضا بذلك والصبر؛ كما هو الأمر في جريان المقادير عليهم من الله

تعالى بلا واسطة أحد من الخلق؛ كالبرص والجذام وكبر الأنثيين، ونحو ذلك، وهذا أدب ما رأيت أحدًا يراعيه مثل أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى، فاعلموا ذلك أيها الإخوان واعملوا به، والله يتولى هداكم.

وكذلك مما يتعين على احدهم: عدم جعل المصحف في خزانته قريبًا من النعال في رف واحد ولو خاف عليه السرقة؛ بل يدعه عند أحد ممن له خلوة، ولو يأجره كل شهر، وكذلك كتب الحديث والعلم، وقد رأيت بعيني موسوسًا وضع تاسومته التي يمشي بها على حصر المسجد في قفة فيها مصحف، فمثل هذا شبيه بالأنعام، فاعلموا ذلك وعظموا كتاب ربكم وكتب شريعة نبيكم، والله يتولى هداكم.

ومما يتأكد على المجاورين فعله ألا يمكث أحدهم على حدث ساعة من ليل أو نهار، أو لأيتام كذلك على حدث ظاهر أو باطن، أما الظاهر فمعروف، وأما الباطن فهو كمحبة الدنيا، وحب الرئاسة، والكبر، والحسد، والغل، والحقد، والرياء، والنفاق بأن يخالف ظاهره باطنه، فإن المسجد حضرة الله الخاصّة، فلا ينبغي أن يجلس فيها إلا المطهرون، وكان أخي أفضل الدين ﷺ يقول: والله إني لأتعجب من هؤلاء المجاورين في قدرتهم على الإقامة في المسجد مع الغفلة والسهو والحدث، ثم يحلف ويقول: لو لا صلاة الجماعة خلف الأئمة ما قدرت على دخوله، وكان إذا أتى في المسجد يجلس مستوفزًا كأنه جالس على الجمر، وهو يقول: يا ستار احفظني حتى أخرج، نفعنا الله ببركاته، فاعلموا ذلك أيها الإخوان واعملوا به، والحمد لله رب العالمين.

وكذلك مما يتأكد على المجاورين: أن يزدادوا تعظيمًا لله ولحضرته إذا قاموا للصلاة، وزيادة على التعظيم الذي كان عندهم وهم جالسون في المسجد، ويفتش

أحدهم صفاته الباطنة التي نهاه الله عنها، ويتوب منها جميعًا قبل أن يقف بين يدي ربه كما كان عليه الفقراء الصادقون، ومن عمل بأدب واحد جره ذلك إلى عدة آداب، ومن ترك العمل بأدب واحد فبالعكس، فاعلموا ذلك واعملوا عليه، والله يتولى هداكم.

وكذلك مما يتعين تذكرهم الصلاة في أول وقتها إذا عمل شيخ الزاوية عرسًا أو مهمًّا، وأمرهم بمساعدة فيه؛ بنقل الماء والحطب وغير ذلك، فربما تساهل أحدهم بترك الصلاة أول وقتها فجره ذلك إلى خروج الوقت، ووقع ذلك لبعض جماعة من فقراء بعض الأشياخ فلم يأكل من ذلك الطعام، وقال:إنه حصل في عمله معصية، فلا آكل منه ﷺ.

وينبغي لشيخ الزاوية: إذا عمل وليمة ألا يعلم أحدًا من إخوانه بها إلا بعد الفراغ من الطبخ؛ خوفًا أن يتكلف أحدهم في مساعدته من غير حضور نية صالحة، وربما فهم إخوان الفقير من قوله: خاطركم علينا قد عزمنا على طهوّر الولد، أو تزويجه، أو عمل عقيقة للمولود الذي أتى أن ذلك تعريض لهم في المساعدة، فصارت شحاذة بحسن عبارة، وكل من له مروءة فرَّ من مثل ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومما ينبغي لفقراء الزاوية: ألا يصرح أحدهم بأخوة أحدهم إلا إن علم من نفسه السماحة في مقاسمته في ماله وحسناته، وإذا توقف أحد في عدم براءة ذمته من دين هو عليه أعطاه عنه وأبرأه، وإذا سافر أخوه سفرًا طويلاً أنفق على عياله حتى يرجع، وإذا أراد الزبانية أن يلقوه في النار ورآه قليل الصبر نزل النار عنه وأعتقه من دخولها، فمن كان كذلك فليفرح لأخيه بالإخوة وإلا سكت عن ذلك، وهذا سبب

عدم مؤاخاتي لمن سألني الصحبة؛ لعلمي بعجزي عن القيام بحقها، أو خوفي عليه ألا يقوم بحق صحبتي كذلك، والله أعلم.

ومما ينبغي لجميع المجاورين: أن يجعلوا عمدة أمورهم كثرة الاحتمال للأذى من جميع الناس، ومحبة كل من لم يجب عنهم من إخوانهم؛ لأنهم في مقام الرياضة لنفوسهم وقد أجمعوا على أنه ما ثَمَّ شيء أنفع في الرياضة من احتمال الأذى، وعدم الجواب عن أنفسهم، فالله يلهم جميع الإخوان لذلك.

وسمعت سيدي عليًّا الخواص ﵁ يقول: لا يكمل عقل الفقير حتى يصير يقيم العذر لمن أذاه، ويقول لنفسه: لو وافقتيه في هواه المباح ما تكدرت، ولا أذاك فأنت الظالمة عليه التي لم توافقيه في أغراضه، انتهى.

فاعلم ذلك يا أخي واعمل به مع إخوانك في الزاوية، وإلا تعب سيرك معهم ومن هنا أنشدوا:

وَمِن نَكَدِ الدُنيا عَلى الحُرِّ أَن يَرى ... عَدُوًّا لَهُ ما مِن صَداقَتِهِ بُدُّ

ومما ينبغي للفقراء: أن يحبوا كل من نفر عنهم أبناء الدنيا الفارغين من أمور الآخرة، فإنهم يشغلونهم عن الله، ورؤيتهم تقسي القلب وتضعف البصر، كما جرب، فعلم أن من خفة عقل الفقير أن يتكدر من نفر عنه أبناء الدنيا، وهو من أكبر الأدلة على عدم صدقه في طلب الطريق، والحمد لله رب العالمين.

ومما يجب على جميع فقراء الزاوية: ستر عورات بعضهم بعضًا، وزجرهم لكل من نقل عن أخيه نقصًا؛ لئلا يقع أحدهم في نظير ذلك النقص؛ عقوبة له على معايرته لأخيه فيما قدره الله عليه، ولا ينبغي لأحدهم أن يشاور بتلك النقيصة التي اطلع عليها صديقًا ولا ولدًا، فيقيض الله تعالى له من يسار بزلته صديقًا أو ولدًا

﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾ (النبأ: ٢٦)، وفي الحديث الصحيح: «من ستر سُتر»(١).

فاعلموا ذلك أيها الإخوان واعملوا به، والله يتولى هداكم.

ومما ينبغي لجميع المجاورين: إيثار الأعمال الأخروية كلها على أعمال الدنيا إلا باد لأحدهم منه، ويحزن على فوات مجلس الذكر، أو قيام الليل إذا فاته أكثر من حزنه على موت ولده العزيز، ومن علامة صدقه في تلك أن كل يوم يفوته مجلس ذكر فيه لا يأكل فيه، ولا يشرب، ولا يضحك؛ بل ولو أراد ذلك لا يجد له داعية، فاعلموا ذلك واعملوا بهذه الميزات؛ يظهر لكم صدقكم في محبة الخير، وكذبكم، والحمد لله رب العالمين.

لا ينبغي لأحد من المجاورين أن يزاحم على الإمامة، أو الخطابة، إلا إن علم من نفسه الخلوص من جميع الأدناس الظاهرة والباطنة، ومتى كان مرتكبًا شيئًا من الرذائل التي لو اطلع عليها المأمومون ما قدموه، فامتناعه من تلك الإمامة أو الخطبة واجب؛ لئلا يدخل في جملة المنافقين المرائين، فليزد الفقير الذي يزاحم على الرئاسة على إخوانه نفسه بهذه الميزات، ويتقدم أو يتأخر، والحمد لله رب العالمين.

ولا ينبغي للمجاورين أن ينظروا إلى أحد من النساء اللاتي يدخلن الزاوية، ولو في إزارها خدرًا مما بعد ذلك؛ لاسيما من أتى الشيخ، أو من خرج من دار الشيخ، فإن الشيخ ربما غار الحق تعالى عليه، وأنزل البلاء على كل من انتهك حرمته؛ بل الواجب على فقراء الزاوية رعدة أحدهم من رؤية المرأة الأجنبية؛ لأنها أضر على

---

(١) لم أقف عليه هكذا، وأرى أن الشيخ يشير لحديث: «من ستر مؤمنًا في الدنيا على عورة ستره الله يوم القيامة». رواه عبد الرزاق (١٠/ ٢٢٨ ، رقم ١٨٩٣٦)، وأحمد (٤/ ١٥٩ ، رقم ١٧٤٩٠).

الفقير من السبع الضاري.

ولا ينبغي لمن يؤمن بالله تعالى أن ينظر إلى حرمه في داره؛ الذي هو المسجد، إلا بإذن من الشرع، فاعلموا ذلك، ولا تسامحوا نفوسكم بالنظر إلى الأجانب في الأزر وهم في بيت الله أبدًا، والحمد لله رب العالمين.

ومما يجب على الفقراء المجاورون: عدم ازدراء أحد من إخوانهم الذين وقعوا في رذيلة، وأخرجوا من الزاوية؛ بل الواجب الاعتقاد فيهم أنه خير منهم؛ لاحتمال أن يكون ما أشيع عنهم باطل، أو صحيح ولكن تاب الله تعالى عليهم على الفور، «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ»(١) كما ورد في الحديث، فإياكم أيها الإخوان ورؤية نفوسكم على من كبسوه بفاحشة؛ بل الواجب عليكم أن تخافوا على أنفسكم أن تقعوا فيما وقع فيه، والله يتولى هداكم.

وينبغي لكل مجاور جلس في الزاوية لاكتساب الفضائل؛ من قرآن، وعلم، وسلوك طريق، ألا يلتفت إلى ظاهر من مأكل ولباس ونظافة وغير ذلك؛ بل الواجب عليه أن يكون اشتغاله مما يقربه إلى الله، ومتى قامت نفسه من خبز الشعير للناس بغير أدام، ومن لبس الجبة الخشنة، أو اعتنى بغسل عمامته وثيابه، وضاق صدره من وسخها، ولم يلتفت إلى وسخ قلبه، فاعلموا أنه لا يجيء منه شيء في الطريق، وقد كان المريدون عند سيدي عليّ المرصفي ﷺ يمكث أحدهم بالجبة والعمامة من عيد الفطر إلى عيد الفطر، لا يذكره بغسلها إلا رؤية الناس وهم يغسلون ثيابهم في العيد، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه ابن ماجه في «سننه» (٢/ ١٤١٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ١٥٠).

وينبغي للمجاورين ألا يبش أحدهم في وجه مريد لغير شيخهم إذا زارهم؛ خوفًا عليه أن يميل إلى طريقتهم، فينفسد عن طريق شيخه، وربما كان سبب فساده عن شيخه موافقة طبعه لطبع تلك الزاوية التي زار أهلها، لا لحسن طريقتهم وترجيحها على طريقة شيخه هو، اللهم إلا أن يكون ذلك المريد ثابت القدم مع شيخه، فلا بأس على الفقير من بشاشتهم في وجهه وإكرامه، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واحفظوا قلوبكم مع شيخكم والزموا الأدب مع غيره، ولو من غير علمه، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لجميع المجاورين في الزاوية أن يكون همتهم الآخرة في جميع ما أقامهم الشيخ فيه من نقيب، وجابي وقف، ومؤذن، ومن ملائي وخادم ميضأة، وفراش، ومنشد في المجلس وغير ذلك، وينبغي للشيخ أن يتفقد نيتهم كل قليل ولو دخلوا في هذه الوظائف بنية صالحة في الأول؛ لأنه مسئول عنهم وإبليس لهم بالمرصاد، وقد دخل عندي جماعة بنية صالحة فلما طال الزمان عليهم تلفتت نفوسهم للدنيا، فلذلك كنت كل قليل أذكر إخواني بالإخلاص وأحكمهم بمحكمات، وأقول لهم: أيكم منشرح لمباشرة وظيفته بلا معلوم، أو أيكم يمدح النبي فلا يعطيه أحد شيئًا فمدح غيره فيعطوه يسارًا فينشرح بذلك أكثر من أخذ هو للدنيا ونحو ذلك، واعلموا ذلك أيها الإخوان وادخروا أجور أعمالكم لدار القرار، والله يتولى هداكم.

وينبغي للمجاورين ألا يدق أحدهم باب خلوة أخيه إذا رأى الباب مغلقًا أو مردودًا؛ بل يصبر حتى يخرج أخوه أو يقول: له لا إله إلا الله بصوت فيه خشوع وأدب، فإن أجابه فذاك وإلا جلس على باب خلوته فقد يكون الفقير في حال جمعية قلب مع ربه ﷻ فيتفرق بالدق، وذلك من أشق شيء يكون على الفقير بل بعضهم

يرى ضرب وجهه بالسيف أهون عليه من دق الباب، وقد ذقنا ذلك ولله الحمد.

وقد كان شيخنا الشيخ تاج الدين الذاكر ﷺ يفرش زاويته باللباد الأسود وجلود الضأن حتى لا يسمع أصحاب الخلاوي وقع الأقدام؛ فيتشوّشوا، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واجتنبوا الدق على أبواب خلاوي إخوانكم فقد دق بعضهم على فقير فنزل له ما في عينيه فعمي بعد يوم، وآخر أقعد على مقور إلى أن مات، والحمد لله رب العالمين.

ومما ينبغي لفقراء الزاوية أن يسدوا باب الضيافة لكل وارد؛ خوفًا أن يكثر عليهم الضيوف فيحتاج أحدهم للنصب وترك التورع لاسيّما في هذا الزمان، وإن كان ولابد لأحدهم أن يضيف إخوانه الذين يردون عليه من الريف والزوايا فلا يتكلف لهم، ولا يخرج لهم إلا ما كان سالمًا من الشبهة عنده، وإن وقع أنه أخرج طعامًا فيه شبهة فليعلمهم به فيخرج من عهدته في الآخرة، وقد فعلت ذلك مرارًا فمن الضيوف من يأكل ومنهم من يمتنع، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقراء الزاوية ألا يتساهلوا قط بالنوم على غير وتر، ولا بالنوم على حدث ظاهر أو باطن فقد جرب القوم أن النوم على وتر وطهارة من أعون شيء يكون على قيام الليل، وقد نمت مرة على غير وتر وعلى غير سُنة العشاء فرأيت الإمام على بن أبي طالب ﷺ ثلث الليل، وهو يقول لي: قال رسول الله ﷺ: «من لم يُصلِّ مع كل فريضة نافلة لم تقبل منه تلك الفريضة»(١) فمن تلك الواقعة ما تركت سُنة من سنن الفرائض التي قبلها أو التي بعدها، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) هو حديث كشفي.

وينبغي للفقير إذا دخل بيت الخلاء ألا يوجه الإبريق للقبلة قياسًا على مداته في الدخول بالرجل اليسرى، بخلاف وضع الإبريق في المسجد أو البيت مثلاً فإنه ينبغي أن يكون للقبلة، حتى كان السلف الصالح إذا دخلوا خانقاه ورأوا أباريقهم لغير القبلة يستدلون بذلك على عدم اعتنائهم بالسنة، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واحملوا الإبريق حكم إذا خرجتم من مكانكم إلى موضع تقييد، فربما احتاج أحدكم إلى البول والغائط فدخل ميضأة فلم يجد في حيضات خلاؤها ماء فيصير في علبة، فإذا كان معه إبريق فيه ماء استغنى عن تلطخه بالنجاسة أو بكشف عورته على الميضأة بحضرة من يدخل ومن يخرج، فاعلموا ذلك.

وينبغي لجميع الفقراء الذين تلقنوا الذكر من شيخ الزاوية أن يهضم أحدهم نفسه، ولا يرى نفسه أهلاً لذلك إذ اللائق بكلمة التوحيد إذا دخلت قلبًا أن يخضع ويذل لعظمة الله ﷻ فلا يصير عنده في نفسه بقية كبرياء ولا نكير، حتى لو قال له مريد شيخ آخر تعالى ألقنك وأربيك لخضع له، وكان على هذا القدم سيدي عبد العزيز الديريني، والشيخ عبد الحليم بن مصلح، والشيخ محمد الوصيف بالبحر الصغير، وقد تقدم أن آخر وصية قالها سيدي أحمد بن الرفاعي لأصحابه: من تمشيخ عليكم فتلمذوا له؛ فإن مد لكم يده لتقبلوها فقبلوا رجله، وكونوا آخر شعرة في الذنب؛ فإن الضربة أول ما تقع في الرأس، انتهى.

ثم أنه التفت إلى يعقوب الخادم، وقال: انظر يا يعقوب إلى النخلة لما قمت بصدرها وأشرفت على الجيران كيف جعل الله تعالى ثقل حملها عليها وحدها، ولو حملت ما حملت لا يساعدها أحد وانظر إلى شجرة اليقطين لما تواضعت ومدت خدها على الأرض كيف جعل الله حملها على غيرها ولو حملته ما حملت لا يحتاج أحد

ليساعدها بل ولا تحس متى يثقل حملها، انتهى.

فاعلموا ذلك أيها الفقراء واعملوا على تحصيله والله يتولى هداكم.

وينبغي لفقراء الزاوية أن يكونوا كلهم زاهدين في الدنيا حتى يصير أحدهم يحب الحظ إلا وفر لأخيه دون نفسه، وإذا سمع أن ولي الأمر عازم على أنه ينادي بإبطال الفلوس الجدد مثلاً وعنده فلوس، فلا يخرجها تلك الأيام لشراء شيء ولا لوقادين؛ بل يصير حتى ينادي عليها ولي الأمر، وهي عنده فتكون الخسارة عليه، وقد فعلت أنا بهذا الخلق مرات وأمرت به الإخوان فاعلموا ذلك واعملوا به، ولو كان عندكم جديد واحد فلا تخرجوه حتى يستقر الأمر على شيء، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للفقراء إذا مرض أحدهم أن يبادر إلى الصلاة قائمًا، ولا يصلي قاعدًا إلا إذا عجز عن القيام بكل حيلة كما هو مقرر في كتب الشريعة، وإذا كان بوجع البطن وتكرر منه دخول الخلاء يتوضأ عقب كل مرة إن لم يغتسل لاحتمال أن يموت وهو يتكلم كما جرب، وقد كان إبراهيم الخواص يغتسل عقب كل مرة لما أخذته البطن حتى أنه دخل الماء في يوم موته سبعين مرة فمات عقب السبعين ﷺ، وإذا دخل على أحدكم أخوه يعوده فلا يظهر وجعًا أكثر مما هو فيه، فإن ذلك تعاقد ولا يخفض صوته لأجل العائد له بل يرفعه بقدر حاجته كما كان قبل أن يدخل عليه العائد، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واخدموا إخوانكم إذا مرضوا في الزاوية ليجازيكم الله تعالى بمن يخدمكم إذا مرضتم، والحمد لله رب العالمين.

ويجب على المجاورين ألا يذكر شيئًا من أسرار الطريق التي يسمعونها من الشيخ إلا لمن يؤمن بها ويعتقد الشيخ، وإلا فربما حرف الكلم عن مواضعه واستفتى

على الشيخ وشن عليه الغارة في البلد، ولو أنه كان قصده بذلك الخير لكان أشفقهم عن ذلك الشيخ فكان يخبره بمعناه، فالله تعالى يرزق إخواننا العمل بذلك آمين اللهم آمين.

وينبغي ألا يقيم الفقراء خليفة أو يقينًا بعد موت شيخهم إلا بعد طول استخارة في أمره؛ لأن مثلهم ليس عنده نفوذ بصر ولا تصير كالأشياخ بخلاف الشيخ في حال حياته؛ فإنه ربما استأذن الله تعالى في نقيب ذلك النقيب، أو استأذن رسول الله أو القطب، أو أصحاب الحديث من أصحاب التوبة، واستغنى عن الاستخارة، فلا ينبغي للفقراء القاصرين الشبه بالأشياخ في ذلك، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للنقيب الذي يفرق الهدايا وغيرها على فقراء الزاوية أن يكون آمينًا لا يمشي بالغرض بين الفقراء، فَيَمنّ أحد عن أحد إلا أن علم بالقرائن أن نفوس الفقراء طيبة بذلك الزائد أبدًا، وينبغي للنقيب أن يوطن نفسه على سماع الكلام في حقه من جفاة المجاورين فقد قال بعضهم للنبي ﷺ لما قسم بين أصحابه شيئًا: «هذه قسمة ما أريد بها وجه الله»(١)، انتهى.

فاعلم ذلك أيها الطباخ والنقيب والجاني والناظر وكل من دخل في وقف الزاوية وعاملوا الله ﷻ واطلبوا أجركم منه لا من الناس، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ ألا يمكن ولده الصغير من أخذ شيء من الهدايا التي دخلت الزاوية قبل الناس إلا أن يعلم الفقراء بالقرائن أن تلك الهدية بالأصالة إنما هي

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢١٤).

للشيخ، ولكنه تورع عنها أو أشرك الفقراء معه، ولولا الشيخ ما أرسل أحدًا إليهم تلك الهدية ثم لا فرق في الهدية بين البقر والغنم والأوز والدجاج والسمن والعسل، وقد جاء ولد صغير لعمر بن عبد العزيز فأخذ تفاحة قبل القسمة، وأدخلها في فمه فمسك عمر حنكه وأخرجها من فمه قهرًا عليه ورماها على التفاح، وقال: لقد أخرجتها من فم ولدي وكأنما أقطع من قلبي قطعة، انتهى.

فاعلم ذلك يا شيخ الزاوية وآثر إخوانك على نفسك إن أردت طاعتهم لك، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لجميع فقراء الزاوية أن يطالبوا نفوسهم بحقوق إخوانهم، ولا يطالبوا إخوانهم بحقوقهم كما جرى عليه السلف الصالح، ولا ينبغي لأحد منهم مشاتمة من شتمه، ولا ظلم من ظلمه، ولا غيبة من اغتابه، ولا احتقار من احتقره، ولا غير ذلك من سائر الأمور، وإن كان الشارع قد قال: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾(الشورى: ٤٠) لأن المثلية عزيزة الوقوع فإن من شرطها المقابلة بمثل تلك الشتمة في حروفها وتأثيرها في المشتوم وأهله بقدر ما أثرت في المشتوم الأول من غير زيادة، وأي شخص يدعي أن مقابلته بالشتمة الثانية لا زيادة فيها على الشتمة الأولى لاسيما، وقد سمى الله تعالى سيئة المجازاة سيئة، وأكدها بمثلها وخلع عليها اسم السيئة كما خلع على الأولى.

ثم عرض بالعفو والإصلاح بعد ذلك فاختار أهل الله تعالى عدم المقابلة لأجل ذلك احتياطًا لأنفسهم، ثم سامحوا أخاهم في الدنيا والآخرة ﷺ فاعلموا ذلك أيها الإخوان واعملوا به في الزاوية، فإنه يقبح على من يهيم من مجلس الذكر ويقرأ في القرآن والعلم، أن يقف يتشاتم مع جاهل والناس يتفرجون عليهما، والله يتولى

هداكم ومما يتأكد على المجاورين حضورهم أوراد شيخهم التي جعلها في الزاوية ولا يتساهل أحدهم في الحضور من صغير أو كبير، فإن كل شيخ قد وضع مدده في حزبه ومن جلس في الزاوية بلا مدد حصل له فكأنه لم يصحب الشيخ، وقد منَّ الله تعالى على جماعة في الزاوية بعد جماعة فيسهرون معي ليلة الجمعة إلى الصباح، ومن بعد صلاة الجمعة إلى صلاة العصر، ومن بعد صلاة الصبح إلى صحوة النهار، ومن بعد صلاة العشاء إلى قطعة كبيرة من الليل زيادة على ذكرهم المفرق وقراءتهم المفرقة مدة نحو من خمسين سنة، فالله تعالى يجزيهم عن دينهم خيرًا لمجالستهم ربهم في هذه الأوقات مع اشتغالهم بمهمات آخر، وهذا لا يوجد الآن في زاوية من زوايا مصر أبدًا كما هو مشاهد بل لم يتيسر ذلك لأكبر ملوك الدنيا، فالحمد لله رب العالمين على نعمه التي لا تحصى.

وسمعت سيدي عليًا الخواص ﵁ يقول: لا ينبغي لمن يجتمع بالأشياخ أن يتساهل في حضور ورده أبدًا، فإن بعضهم وضع مدده في ورده، وبعضهم في طعامه وشرابه، وبعضهم في ملاحظته فإذا وقع بصره على إنسان حصل له المدد الذي كان يحصل بقراءة الأوراد، وبعضهم وضع مدده لكل إنسان يحسبه، فمن أقامه في فراشة أو وقادة أو خدمة الميضأة مثلاً فمدده في ذلك، ومن أقامه جانبًا للوقف أو نقيبًا فمدده في ذلك، ومن أقامه يعجن أو يخبز أو يطبخ فمدده في ذلك، وهكذا، وكان على هذا القدم سيدي إبراهيم المتبولي، والشيخ أبو المواهب الشاذلي، والشيخ علي الخواص، وأخي أفضل الدين رضي الله عنهم أجمعين.

فاعلموا ذلك أيها الإخوان، ولا تغيبوا عن مجالس زاويتكم، ولا تعكسوا فيما أقامكم الله فيه على يد شيخكم تنعكسوا وتنتكسُوا، ووالله لو عرف المحجوبون قدر

ما فاتهم من مجالسة الله ﷻ لانفطرت من أمرهم وماتوا حزنًا، ولكن غالب من يغيب عن الأوراد كالأنعام، ولا يعرف مقدار ذلك إلا الشيخ، ولذلك كان يتأثر على تقويت أحدهم شيئًا من تلك المجالس أكثر مما يتأثر مما فاته؛ بل ربما فاتته مجالس الحق تعالى ليلة الجمعة من العشاء إلى الصباح ثم أصبح يأكل ويضحك مع أنه يتأثر إذا فاته نصف من سحت الدنيا، فالله يحفظ جميع أصحابي من مثل ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ومن أدب المجاورين ألا يفتح أحدهم باب خزانته بشدة لعلة خوفًا أن يشوش على أحد ممن يكون في جمعية قلب مع الله تعالى، فإن حضرة الحق جل وعلا حضرة هيبة وخشوع قال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ (طه: ١٠٨)، فلا تسمع إلا همسًا فينبغي للمجاور أن يصلح ضبة خزائنه بالبخار حتى يصير لا لقلقه لها إذا فتحها وقت إقامة الصلاة وإحرام الناس بها، وقد تقدم أن ضرب وجه الفقير بالسيف أخف عليه من إخراجه من جمعية قلبه مع الله تعالى، فعلموا أطفالكم أيها المجاورين هذا الأدب والله يتولى هداكم، وافتحوا عيونكم مادمتم جالسين في المسجد تجدوا نفوسكم بين يدي الله في حضرته وهو ناظر إليكم بعين الرضا، إن تأدبتم معه أو عين الغضب والسخط إن لم تتأدبوا، وأنشد سيدي الشيخ أبو المواهب من موشح:

أَنْتَ حَاضِرٌ فِي الحَضْرَةِ   لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَدْرِه

فبالله عليكم اسمعُوا لشيخكم والأحسن تم في الدارين.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي رحمه الله يقول: جميع ما يأمركم به شيخكم من الأعمال الشاقة على النفوس إنما هو تمهيد لمقام تأهيلكم لمجالسة الله تعالى، فإنهم

أجمعوا على أنه لا يصلح لمجالسة الله تعالى إلا من كان كالملائكة في الصفات الحسنة والطهارة الربانية بحيث يصير لا يمل من عبادة ربه ليلاً ونهارًا قال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢٠)، وأما قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (الإنسان: ٢٥) أي بعد الصبح وبعد العصر فذلك تشريع الضعفاء، أو للكُمل الذين إذا جلس أحدهم لحظة مع الحق تعالى في هذين الوقتين استمر حضوره مع الحق تعالى إلى الوقت الآخر، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وإن عجزتم عن مداومة الذكر ليلاً ونهارًا فلا تعجزوا عن ذكر ربكم بكرة وأصيلاً عملاً بقوله تعالى: ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام: ٤٥).

وسمعت سيدي عليًّا الخواص ﷺ يقول: ما كل ذاكر يجالس ربه على الكشف والشهود حتى يفيض عليه من حضرته الإمداد، فإنه تعالى حكم على نفسه أنه لا يدخل حضرته أحدًا من أصحاب الرعونات النفسانية، ومن لم يدخل حضرته حرم من الإمداد فيقال لمن يدعي حضور قلبه مع الله في حضرته في مجلس ذكر مثلاً ماذا أفيض عليك من المدد؟ فإذا قال: ما أحسست بشيء، قلنا له: فإذن لم تجالسه على الكشف، وإنما أنت كالأعمى تعلم أن زيدًا جليسك، ولكن لا تراه.

وسمعت أخي أبا العباس الحريثي ﷺ يقول: مادام العبد يشهد عالم الشهادة فهو غائب عن حضرة الله، فإذا غاب عن العوالم فهناك يكون مع الله فلا يعلم أحد قدر ما منحه الحق تعالى من الأخلاق الحسنة، انتهى.

وهذا الذي قاله هذا الأخ في مقام البداية أما النهاية فإن صاحبها يحضر مع الحق تعالى ومع الخلق في آن واحد، ويعطي كل ذي حق حقه، والحمد لله رب العالمين.

ومن أدب الفقراء: أن يسألوا شيخهم عن سبب وقوفهم عن الترقي إلى مقامات الأولياء مع مواظبتهم على الأوراد التي في الزاوية، فإن الترقي إنما يكون حقيقة بالإخلاص الذي في الأوراد لا بنفس الأوراد، وإن كان يكتب له بها حسنات من حيث التلفظ بها، وقد وقع لي أنني اطلعت في ليلة من الليالي على ملك إخواني المقيمين عندي في الزاوية وعرفت علة كل واحد، فقلت له مرادي أقول بكل واحد في أذنه على سبب عدم ترقيه، ثم قلت: ترك ذلك أولى حتى يكونوا هم السائلين في ذلك، فأنا إلى الآن أنظرهم فالله تعالى يلهم كل واحد السؤال عن علته وطلب دوائها آمين، اللهم آمين.

وكان سيدي على المرصفي ﷺ ينشد هذا البيت إذا طلب الإنسان خيرًا فلم يتفق له ذلك:

مَا حِيْلَتِي بنقلِ الأقْدَار مَا أمرتْ ... وَالخَلْقُ مَا بَيْنَ ذِي غَيٍّ وَذِي رَشَدِ

وقد مررت مع والد تربيتي الشيخ خضر رحمه الله تعالى على شجرة النارنج التي عند البئر بخطين السورين، فقال: انظر إلى هذه الشجرة، فإن لها أكثر من خمسين سنة وهي على حالة واحدة، لم تزد فروعًا ولا ثمرة لكون الأرض ضاقت على عروقها في الظن، فكذلك الفقير إذا كان في أعماله علة يبقى على حالة واحدة إلى أن يموت، أو تزول تلك العلة، انتهى.

فما مررت على هذه الشجرة بعد ذلك إلا وقد تذكرت حالي في عدم وجود الترقي فالله يلطف بنا، ويختم لنا بخير آمين.

وكذلك من أدب الفقراء: إذا تحاكموا عند الشيخ أن يختصروا الكلام ويقول كل واحد أنا ظالم على أخي، وذلك لئلا يضيعوا على الشيخ وعلى أنفسهم الوقت من

غير فائدة، فإن هناك أمور هي أهم من ذلك، وهذا يقع فيه الحمقى كثيرًا فيريد كل واحد أن يعتقد الناس فيه أنه مظلوم ويقيم الأدلة على ذلك، فيضيعون الوقت في حظوظ نفوسهم، فاعلموا ذلك أيها الإخوان واعملوا به، والله يتولى هداكم.

كذلك من أدب الفقراء: أن يجعلوا ذكرهم وتلاوتهم للقرآن تقيدًا محضًا، ويقصدوا به الشفاء من الأسقام التي في أجسامهم وقلوبهم، وكذلك تخلف عليهم الأوراد كما أن من كان به مرض القولنج أو ضربات المفاصل من منعه النوم والتلذذ بطعام أو شراب، فقال له: شخص أنا أداويك من هذا الداء فداواه وحصل له الشفاء، فمن الأدب أن يشكر فضله وأن يحسن إليه، فاعلم ذلك يا أخي، واعمل به والله يتولى هداكم.

وكذلك من أدب فقراء: الزاوية إذا زارهم أحد من إخوانهم المجاورين في زاوية أخرى ألا يبسطوا له في المأكل خوفًا أن يزدري أحدهم طعام شيخه الذي في زاويته، فيتغير قلبه؛ بل يظهرون له التعفف حسب الطاقة ليشكر الله تعالى على النعمة التي في زاوية شيخه، ولا يفسد قلبه عليه، فاعلموا ذلك أيها الإخوان واعملوا به واخرجوا عن طبع النفس إلى اتباع الشرع، والحمد لله رب العالمين.

كذلك من أدبهم: ألا يخرجوا الزيارة حي أو ميت من الأولياء إلا ما شاء الشيخ وكل فقير لم ير شيخه يغنيه عن جميع الأشياخ الأحياء والأموات فليس هو مريد لذلك الشيخ إنما هو من معارفه، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وشاوروا شيخكم على زيارة القرافة مثلاً فإن أذن لكم فذاك وإلا فكل كلمة يربيكم بها شيخكم أفضل لكم من زيارة قبر ألف شيخ، والحمد لله رب العالمين.

وكذلك من أدبهم: إذا عمل أحد تحت زاويتهم محبظين أو خيال الظل ألا

يتفرج أحدهم على ذلك إلا إذا أذن له الشيخ، فإنه قد يكون هناك أمر محرم لا يجوز سماعه ولا رؤيته، وقد منَّ الله تعالى عليَّ بجماعة في الزاوية لا يلتفتون قط إلى مثل ذلك، وخرجت مرارًا في الليل فأجدهم مشغولين بالذكر والقرآن والصلاة طول الليلة، فالحمد لله رب العالمين.

وكذلك من أدبهم: ألا يظهروا العداوة لمن كان مجاورًا عندهم ثم خرج إلى زاوية أخرى أو عمل صنعة أو حرفة؛ لأن الإنسان يسأل عن صحبة ساعة، ثم إن كانت مجاورته عندكم خيرًا له فهو الذي تركها، وإن كانت شرًّا فقد استراح منكم، وإن كانت لا خيرًا ولا شرًّا فالأمر سهل، وقد قال رسول الله ﷺ: «وكونوا عبادًا لله إخوانًا»(1) والله أعلم.

كذلك ينبغي لفقراء الزاوية أن يستعيذوا بالله تعالى من شر كل داخل عليهم من الأمراء والأكابر وهم يقرءون في وردهم؛ فإنه قل فقير يدخل عليه أمير كبير، وهو يقرأ فيورده إلا ويقع في نفسه استحلاء السيادة، وذلك من أقوى دليل على عدم الإخلاص ووجود الرياء، فإياكم من استعلاء العبادة لأجل الخلق، ثم إياكم، والحمد لله رب العالمين.

وكذلك من أدبهم: ألا يشتغل أحدهم بكلام رفيقه بعد السلام من الصلاة؛ بل يشتغل كل واحد منهما بالأذكار المشروعة بعد الصلاة كما أمرهم الشارع بذلك، ولذلك سر يطلعون عليه، وهذا الأدب يخل به كثير من المجاورين، فإياكم أيها الإخوان وأتباعهم على ذلك، والحمد لله رب العالمين.

---

(1) رواه البغوي في «مسند ابن الجعد» (٤/ ٦٦).

وكذلك من أدبهم: ألا يقبلون هدية ممن لا يعرفون كسبه هل دخله شبهة أم لا؟ وإنما يقبلون من صاحب يعرفونه، ويعرفون حاله ممن لا يعرفون شخصه ولا كسبه الحلال لا يقبلون منه هدية، وهو خلق غريب في هذا الزمان، فاعملوا به وأحيوا سُنة القوم، والحمد لله رب العالمين.

وكذلك من أدب الفقراء: ألا يزاحم أحدهم على الاستفتاح بالجماعة إذا ذكروا إلا إذا كان معه قوة يمارسها جميع الذاكرين في ذلك المجلس، فإذا وجد في نفسه كسلاً فلا ينبغي له أن يستفتح بالجماعة، ولو كان من أكابرهم وله عادة بذلك بل يأمر غيره بأن يستفتح ممن يرى قيمته قوية مصلحة للفقراء، فاعلموا ذلك واعملوا به والله يتولى هداكم.

وإذا كان أحدكم في مجلس الذكر، وطرأت حاجة فاستأذنوا ربكم أو الشيخ وقوموا لها لاسيما إن كانت من مصالح الزاوية كالعجن والخبز والطبخ؛ فإن ذلك مقدم على التقيد بمجالس الذكر، ولولا علم الذاكرين بأن لطفًا منهم من يهيئه لهم ما قدروا على الإقبال على ذلك المجلس، فهيئوا طعامكم وشرابكم ثم اذكروا في المجلس وطولوا جهدكم، فعلم أن من سوء أدب الفقير أن يقول له النقيب: قم فاخبز العجين وإلا حمض وفسد، فيقول: انظروا أحدًا غيري؛ فإني جالس أقرأ في لوحي مثلاً؛ لأنه باب يفتح ترك قضاء غيره لحوائج الزاوية، ويصير كل واحد يتعلل بعلة، والحمد لله رب العالمين.

وكذلك من أدبهم: أن ينزهوا المسجد عن اللغو وذكر أحوال الولاة ومن يولى في ذلك اليوم ومن عزل، وخاضوا[1] في الفقراء والتجار والمباشرين وغيرهم ممن

(١) غير واضحة بالأصل، والمثبت بقرينة السياق.

يوسوس لهم بذكر إبليس، فإنه بالمرصاد لسكان المساجد وما للفقير وذكر الناس ويضيّع وقته في مدحهم فضلاً عن ذمهم، فاعلموا ذلك أيها الإخوان واعملوا به، والحمد لله رب العالمين.

وكذلك من أدب قارئ الكرسي قبل الصلاة: أن يطول القراءة بحيث يجتمع الناس الذين عادتهم الحضور في صلاة الجماعة، فإذا حضروا شرع المؤذن في إقامة الصلاة على الفور نظير ما قالوا في الإسراع بالإقامة لصلاة الجمعة على أثر الخطبة، وذلك لأن القلوب تحضر عادة في ميعاد إقامة الصلاة، فإذا غير المؤذن العادة تفرقت القلوب وتشتت فاحتاج إلى تعب في جمع قلوبهم، لاسيما إن كانت قراءة الكرسي أو السبع قبل صلاة الصبح وبعده يشرع الفقراء في قراءة الأوراد، فإنه متى اختل نظام الزاوية في أول ورد يكون فيها اختل نظام جميع الأوراد التي بعده.

وكان شيخي العارف بالله تعالى الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري يجيب المؤذن للصبح؛ يركع ركعتي الفجر على الفور ثم يقرأ، ويقول: متى تخلفت عن العادة اختل نظام قراءة الأسباع والأوراد التي بعد الصبح في جامع الغمري، فاعلموا ذلك أيها الإخوان واعملوا به، وقوموا بشعار زاويتكم محبة في ربكم.

وينبغي للفقراء أن يتزاحموا على قراءة الحزب الذي في الزاوية وعلى التسبيح والتهليل والتحميد الذي يكون قبل الصلاة وبعدها، ولا ينبغي لأحد منهم أن يترك ذلك ويقول هذا على المؤذنين فإذًا ذلك جهل، فإن قراءة المؤذنين للحزب المذكور إنما يكتب ثوابه في صحائفهم لا في صحائف المجاورين، وليس هذا من الأمور التي يقوم غير الإنسان مقامه فيها، وقد أدبر مرة جماعة المجاورين عن قولهم: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم،أستغفر الله مائة مرة قبل صلاة الصبح في رمضان،

فرأيت الأمداد قد صرفت عن المجاورين يمينًا وشمالاً، فخرجت من البيت وجمعت أطفال المجاورين حتى أصابهم من ذلك المدد لما جبلني الله عليه من الرحمة، فالله يلهم جميع إخواننا المبادرة إلى فعل الخيرات إلى المهات ... آمين، اللهم آمين.

وينبغي للشيخ والنقيب وأكابر الزاوية أن يمنعوا الأطفال من المواظبة على التفرج على وقود قناديل المساجد الكثيرة كما في جامع الأزهر وغيره في رمضان، وعلى رؤية المحبظين(١) وجميع الموالد التي تعمل خارج الزاوية لما في ذلك من المفاسد ويعرف الأطفال الناس الذين لا يتقيدون في سياج الأدب، فيصير الطفل أول ما يكلمه النقيب أو مؤدبه كلمة زجر وتربية تحدثه نفسه أن يخرج إلى تلك الجماعة الذين تعرف بهم في جامع الأزهر وغيره، فربما تمزق حاله فأما التفرج على القناديل والمحبظين فلا يخفى حكمه، وأما سماع القرآن والمداحين في ذلك المولد، فأهل الزاوية كل يوم في مولد وقراءة وذكر ومدح، فما ثم شيء غريب حتى يخرج الإنسان من زاويته وينام خارجها لأجله، فاعلموا ذلك أيها الإخوان واعملوا به ربحًا لأطفالكم، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقراءالزاوية: أن يفرحوا إذا ضيق الشيخ على أحدهم وأمره لمخالفة حظوظ نفسه كغسل ثيابه وعمامته كل قليل بغير إذن الشيخ، وككثرة مجالسته في مجالس القيل والقال، وككثرة المشاتمة والمضاربة لأهل الزاوية، وكمنعه من الجلوس معه في مجلسه، وكزجره وتوبيخه بين الناس الذين يعتقدونه ونحو ذلك، فإذن ذلك من الشيخ علامة على اعتنائه به وطلب الترقي له فليثبت تحت التربية ولا يتقلق،

---

(١) هم المخيلين والممثلين، ويقال أيضًا: البهلوانات.

ومن كلام سيدي على بن وفا قدس سره: «اثبت مع المخافق للسبك في البواتق»[1] والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ ألا يجعل قراءة أوراده وخدمة الفقراء كالثابج، فيقول: أتانا البارحة فلان ونحن في قراءة، أو ونحن ننقي الطحين من الطين، أو ونحن نغلي للفقراء ثيابهم، أو ونحن نقر من العجين، أو ونحن في وسط المجلس وكان مجلسًا طنَّانًا، ونحو ذلك؛ لأنه مؤذن بأن مقصود الشيخ وجماعته بذلك إعلام الناس بتلك الفضائل، والفاعل غافل عن مثل ذلك، فاعلم ذلك أيها الشيخ الذي ظهر في النصف الثاني من القرن العاشر واعمل به، والحمد لله رب العالمين.

ومن أدب فقراءالزاوية: أن يقدم أحدهم من يبين له عيوبه ولو عدوا على من بعثه، ويكتم عنه عيوبه ولو صديقًا؛ لأن من يبين للعبد عيوبه ساع في رفع درجاته ليصلح لمجالسة الحق جل وعلا، ومن يكتم عنه عيوبه كالذي رأى على ثوب شخص قذرة وهو عازم على الجلوس بها على فرش السلطان فلم يخبره بها، فالعاقل من أحب كل من بيَّن له عيوبه ولو على سبيل التشفي منه، وقد ظفرت طول عمري بأخوين بينا لي عيوبي على سبيل الشفقة على ديني، ولا يخالطها شيء من التشفي، ومنهما الشيخ حسن الطريني بجامع الغمري، والشيخ على الحصصي بزاوية الشيخ سليمان الخضيري رضي الله عنهما فما أجد الآن في أصحابي المقيمين في الزاوية مقامهما فالله تعالى ينفعني ببركات نصحهما على المهات آمين، آمين.

وقد قامت لجماعة المجاورين مرارًا كثيرة دلوني على عيوبي، وأجركم على الله

---

(١) المخافق: آلة كالسيف تستخدم للسبك. البواتق: اسم لآلات يسبك فيها الحديد والرمل، فهي آلة من الفولاذ مطعمة بالزجاج، ذات صوت يحدث الصفير.

فما وفى أحدهم بذلك لغلبة الحياء الطبيعي عليهم، وقد كان عمر بن الخطاب يقول لأصحابه كثيرًا: ماذا تفعلون بي إذا أنا زغت عن الحق، وصممت على ذلك؟ فيقولون له: نضرب رأسك بالسيف، فيقول: بارك الله فيكم هكذا كونوا مع أئمتكم، انتهى.

فاعلموا ذلك أيها الإخوان واعملوا به، ولا تقولوا: قد يكون شيخنا وجه صحيح في العلم فإن ذلك من تلبيس إبليس، والحمد لله رب العالمين.

ومما ينبغي للشيخ والمجاورين: أن يتلطفوا بمن كان مجاورًا عندهم ثم غير وبدل وخرج من الزاوية وصار يتردد إليها آحاد الناس، ولا يظهرون له قط شوق نفوسهم عليه، ولا أنهم على قدم في الطاعة أكثر منه؛ لأنه ربما زكى في نفسه، وفخر عليهم وقل أدبه لما هو فيه من الحجاب عن طريق الخير التي كان فيها، فاعلموا ذلك واعملوا به، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لجميع من كان على قدم التجريد والعبادة ليلاً ونهارًا ألا يغتر بذلك حتى يموت عليه فإن إبليس بالمرصاد، وكلما زاد العبد في العبادة ليلاً ونهارًا ألا يغتر بذلك حتى يموت عليه، وكلما زاد العبد في العبادة وطعن في السن كلما ازدادت عداوته له وربما مد له الحين وأمهله إلى يوم موت، فيزين له العجب بحاله فيتلف كل شيء عمله طول عمره، ويكون كالنحل الذي يبني أقراص الشهد طول عامه حتى ملأ الخلية، وما بقي إلا الختام فشرح على الحنظل فرعي منه ثم مجَّه على أقراص الشهد فرز جميع ما عمله طول سنته، فاعلموا ذلك واعتبروا بهذا المثل، والله يتولى هُداكم.

وكذلك ينبغي لمن كان على قدم المجاهدة والعبادة طول عمره أن يحذر من كيد

إبليس أواخر عمره فربما وسوس للناس أن يصفوه بالزهد والصلاح والورع حتى وصل ذلك على علم، فرتبوا له مرتبًا من جوالٍ ونحوها فركن إلى ذلك فهلك وكان جميع عباداته إنما كانت وسيلة لذلك المرتب فقد تعجل هذا أجره في الدنيا، وذهب إلى الآخرة صفر اليدين من الخيرات فإنه لولا زهده وورعه وعبادته ما رتبوا له ذلك، كما أنهم لم يرتبوا ذلك لمن كان بالضد من صفات الصالحين، فاعلموا ذلك واحذروا من كيد إبليس، والحمد لله رب العالمين.

ومن أكَّد ما يؤمر به حذاق المجاورين وبها ليلهم ألا يصغوا قط إلى قول من يدعي معرفة علم الكيمياء، فإنه نصّاب ومن أصغي إلى ذلك خرب قلبه وصار مشغولاً بما لا نفع فيه لأحد من المسلمين؛ بل ربما يكون سببًا لخراب الزاوية وشنق جماعة من المجاورين كما وقع للشيخ اصطباي على أيام الغوري، وأيام جمال الدين البواب، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ ألا يبادر للحكم بين الفقراء حال ثوران نفوسهم بل يتربص اليوم واليومين حتى تبرد نار نفوسهم، فإذا بردت حكم بينهم حينئذ؛ لأن ذلك أسرع لانقيادهم له ببواطنهم بخلاف حكمه بينهم حال ثوران نفوسهم، فإنهم إن أطاعوا لا ربما يكون ذلك بلسانهم فقط، فينقضي ذلك الحكم بعد ذلك ويرجعوا إلى الخصامة ثانيًا وثالثًا وأكثر، ومن هنا قال بعض العلماء: بعدم وقوع طلاق الغضبان لتزلزل عقله فعلم أن من بادر للحكم بين الفقراء قبل خمود نار نفوسهم صاروا يتخاصمون كل قليل دوام قهرهم في الزاوية وربما خرج أحدهما من الزاوية من شدة النكد، ثم إذا حكم الشيخ بينهم ورضوا بحكمه، فليصلح بينهما من حيث القلوب، وينبغي أن يكون المحكوم عليه هو الذي يبدأ بطلب الصلح إظهارًا للرضا بحكم

الشيخ ثم يقبل رأس أخيه أو رجله، ويحذر الشيخ إذا حكم بين الفقراء أن يلطف الكلام لواحد دون آخر ما استطاع ولو كان ذلك من أكبر أهل الزاوية بل يكون ميزاته تطيش على الذر؛ لأنها فوق ميزات الحكام في التدقيق ثم إن عجز عن الصلح بينهما فليرجع عن الحكم بينهما، ويكل أمرهما إلى الله تعالى وفي الحديث: «إن الله تعالى يصلح بين عباده في الآخرة»(١). وفيه أيضًا: «إن الله تعالى يأمر الملائكة بعدم رفع أعمال المتشاحنين ويقول دعوا هذين يصطلحا»(٢) انتهى.

وكذلك ينبغي للشيخ أن يقول لنفسه ذلك ويعمل به، وقد كان سيدي أحمد بن الرفاعي رضي الله عنه إذا عجز عن الصلح بين فقيرين ورأى القوي عازمًا على أن يضرب الضعيف في الليل يأتي سيدي أحمد إلى ذلك الفقير الضعيف، ويستعير منه ثيابه ويلبسها ثم ينام مكانه فيأتي القوي، ويضرب الشيخ الضرب الذي كان يضربه لخصمه، فإذا علم سيدي أحمد أنه اشتفى منه يكشف عن وجهه، ويقول: أنا أحمد فربما كان يغشى على ذلك الضارب من هيبة الشيخ فيرش سيدي أحمد الماء على وجهه، ويقول له ما كان إلا خيرًا أخذت ثأرك من أخيك في ظنك وحصل لأحمد بالضرب، وأبرأ ذمتك منه فاعلم ذلك يا أخي واقتد بسيدي أحمد في ذلك إن استطعت، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للمجاورين إذا كان يوم الجمعة أن يحضروا فيأخذوا مواضعهم من

---

(١) ذكره الشيخ الأكبر في «الفتوحات» (٧/ ٩٧).

(٢)أخرجه أحمد (٢/ ٤٠٠، رقم ٩١٨٨)، ومسلم (٤/ ١٩٨٧، رقم ٢٥٦٥)، وأبو داود (٤/ ٢٧٩، رقم ٤٩١٦)، والترمذي (٤/ ٣٧٣، رقم ٢٠٢٣)، وقال: حسن صحيح. ومالك(٢/ ٩٠٨، رقم ١٦١٨)، والبخاري في«الأدب المفرد» (ص ١٤٨، رقم ٤١١)، وابن حبان (١٢/ ٤٧٧ ، رقم ٥٦٦١).

الصفوف ويشتغلوا بالقراءة أو الذكر أو المراقبة قبل حضور الناس لكونهم في المسجد ولا كلفة عليهم في المشي إليه كغيرهم لاسيما إن كانت حارة زاويتهم فيها مساجد كثيرة يقام فيها الجمعة، فإن أهل الحارة إذا دخلوا الزاوية قريبًا من الآذان، ولم يجدوا فيها جماعة كثيرة انكسر قلبهم وربما خرجوا صلوا في غيرها بخلاف ما إذا جاءوا فرأوا القارئ قادمًا، والذاكر ذاكر، والمعتكف معتكفًا، فإن تقوى قلبهم على الحضور في الجمعة الآتية فهم كأمير العسكر إذا انكسر تبعه جنده فعلم أنه لا ينبغي للمجاور أن يقول: إن جماعة الفقراء المجاورين يكفونا في إقامة الجمعة ولا يحتاج إلى غيرهم قلنا قد ورد الفضل في كثرة الجماعة فلا ينبغي الترخيص في ذلك إلا لعذر شرعي، والحمد لله رب العالمين.

وكذلك ينبغي لجميع المجاورين إذا كانوا في مجلس الذكر الطويل كالليلة الكاملة، أو من صلاة الجمعة إلى العصر وطرقه النعاس أن يقوم فيمشي على القبلة خطوات، ثم يرجع فإنه مجرب لزوال النعاس والكسل والخمول، وليحذر من ترك ذلك فيتعدى النعاس والكسل إلى جاره ليكون عليه اللوم في سريان ذلك الكسل إليه، ويجب على من يغلب عليه النعاس في مجالس الخير، ويغلب عليه اليقظة في مجالس اللغو أن يطلب دواء قلبه من الشيخ حتى يصير نومه غلبة لا كسلاً، ولا قلة رغبة في الخير، وليمتحن الفقير نفسه إذا غلبه النعاس في الذكر إذا أتاه شخص بألف دينار، أو وضع بين يديه صحن كنافة مبسوسة بقطر نبات وسكر وهو جوعان، فإن نام وترك الألف دينار والصحن المذكور فنومه غلبه لا لوم عليه فيه، وإن استيقظ فنومه عن الخير إنما هو لضعف برغبته في الخير فيجب عليه طلب الدواء من الشيخ، فإنه يعرف مرض المجاورين كما يعرف البيطار مرض الدواب، وربما كان غلبة

النعاس على الفقير من تعلق قلبه بشهوة محرمة كالعشق في أمرد أو جارية مثلاً فيأمره الشيخ بالخروج عن تلك الشهوة فيبرأ من دائه.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: ما ثم شيء أفسد لقلب الفقير العازب من عشقه في الشباب المرد الذين تميل إليهم النفوس الغوية، فإن ذلك مجرب لخراب قلب الفقير وحدوث الغشاوة والظلمة فيه حتى لا يصير يحن على فعل خير، انتهى.

وربما كان ذلك النعاس عقوبة له ليغيب عن كل وقت طيب جزاء له على مساهله بحضور مجالس الذكر في الزاوية من حيث إن في ضمنها مجالسة ربه ﷻ فإن من قاطع حضرة الحق تعالى قطعه الله عن حضرته حتى يذوب ويعرف مقدار الوصال والهجر، وقد أنشدني بعضهم في هذا المعنى على لسان العبد المهجور لقلة أدبه من أمثالنا إذا شم روائح التقريب:

لنا ولكمْ عتبٌ إذا اجتمعَ الشملُ ... فلا الكُتْبُ في هذا تُفِيدُ ولا الرُّسْلُ
زعمتُمْ بأنِّي قد سَلَوتُ هواكُمُ ... وحاشَى لمثِلِي عن هوَى مثلِكُمْ يَسْلُو
فلا تلوموني سَلْوةً لستُ أهلَها ... وحبِّكُمُ إنَّ السَّلْوَ لَهُ أَهْلُ
مُقِيمٌ بِبَينِ حبِّكم وقطيعةٍ ... بها قُطِعَتْ ما بيننا الطُّرْقُ والسُّبْلُ
فلا جُلْتُ عن ودِّي القديمِ وعهدِهِ ... ولم يُثْنِنِي عنكم مَلالٌ ولا عَذْلُ

فاعلموا ذلك الإخوان وابكوا الدم على فوات حظكم من دخول حضرة الله تعالى ومشاهدة ذلك الجمال البديع، واشكروا فضل من أيقظكم ولو بصب الماء على وجوهكم وثيابكم، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ أن يتعامى عن لغو المجاورين الذين يقع بينهم عادة، ولا يصل

إلى حد الخصام عادة فإن إمساك مثل ذلك على المجاورين بغير طلبهم ذلك من الشيخ تضييع للوقت، ويكون على علم سيدي الشيخ أنه ما كل من جاور عنده يكون قاصدًا للتربية حتى منعت معه، كما هو الحكم الآن في زوايا الأشياخ الذين ماتوا كسيدي أحمد البدوي، وسيدي إبراهيم المتبولي بل رأيت المجاورين في مثل هذه الأماكن يشتكون شيخ الزاوية من بيوت الحكام فليكن الشيخ على حذر ممن يقيم عليه ميزات التأديب، ويمنعه من السعي على وظيفة مثلاً فإنه عدو في صورة مريد ومن شك في هذا الزمان أن يقيم ميزات التربية على من يجاور عنده إلا أن طلب هو ذلك، فإن لم يطلب ذلك فمن عقل الشيخ أن يصانعه كالجار السوء إلى أن يقضي الله في ذلك المجاور بما شاء إذ المريد الصادق يفرح كلما نهوه الشيخ وزجره، وأضاف إليه العيوب والنقائص، ويزداد في الشيخ محبة عكس حال الكاذب.

وينبغي للشيخ ألا يذل نفسه للناس بسبب هدية لفقراء الزاوية من أضحية وفاكهة أو غير ذلك، وليكن عزيز النفس ويردها حسب طاقته، ثم بعد ذلك إن قسمت تلك الهدية له فقد وصلت إليه بعزة نفس، وإن لم يكن قسمت فقد سلم أيضًا من ذل النفس بغير سبب يلجئ إلى ذلك، وقد أرسل إلى بعض الأصحاب المباشرين خمسة أرؤس من الغنم في أيام الأضحية فرددتها ولم أجدها قاصدة، فأرسلتها مع النقيب إلى داره ثم إنه بعد يوم أذى واحدًا من أصحابي، ثم جاء يعتذر إليَّ فلم أفتح له الباب فمكث من العصر على قريب الغروب، ثم ذهب ولم أفتح له، فما رأيت لعزي وذله ولو أني كنت أخذت غنمه ما قدرت على غلق الباب عليه ولا كان ينقاد لي في الصلح بينه وبين ذلك الشخص الذي أذاه، وقد أنشد عنترة العبسي الجاهلي:

لا تَسـقِنِي مـاءَ الحَيـاةِ بِذِلَّـةٍ   بَـل فَاسـقِني بِـالعِزِّ كَـأسَ الحَنظَـلِ
مـاءُ الحَيـاةِ بِذِلَّـةٍ كَجَهَـنَّمٍ   وَجَهَـنَّمٌ بِـالعِزِّ أَطيَـبُ مَنـزِلِ

انتهى.

فاعلم ذلك فإن في الحديث: «شرف المؤمن في قيام وعزه في استغنائه عن الناس»(١) والله أعلم مما يتأكد على شيخ الزاوية ألا يدع أحدًا في مجلسه يجرؤا فيه فقراء الزمان، إلا بخير إذ يقبح على من أسكنه الله تعالى بيته وفضله بالخدمة على جميع من في الزاوية من المخدومين أن ينقص عباد الله في حضرة الله، فليحذر الشيخ من ذلك كل الحذر فقد فشا هذا الأمر في بعض المتمشيخين للنصب على الدنيا، فترى هذا يَجرح هذا، وهذا يُجرح هذا، وهذا حول فلان نصاب لا تذكروا لنا حديثه، ونسى هو أنه قد استغابه بجعله نصابًا، وقد كانوا يقولون في الزمن الماضي لو لم يكن في محبة العبد لطريق القوم إلا أن العبد بصير يرى نقائصه، ومحاسن الناس لكان في ذلك كفاية فانعكس الأمر في هذا الزمان، وأحب كل إنسان أن الله تعالى يصرف إليه وجوه الناس وحده دون إخوانه، وإذا وقع أن أحدًا شكرًا خاصم في مجلس، وذكر بعض فضائله عبس أحدهم وجهه، وانقبض بعد أن كان يضحك، فإياك يا شيخ الزاوية من مثل ذلك، ثم إياك فإن الأمر يحيل إلى بغض كل منكما عند الناس، وذلك لأن خصمك له معتقدون وأنت لك معتقدون وكل جماعة يصدقون شيخهم في

---

(١) حديث سهل بن سعد: أخرجه الحاكم (٤/ ٣٦٠ ، رقم ٧٩٢١)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. والبيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٤٩ ، رقم ١٠٥٤١)، والخطيب (٤/ ١٠)، وابن عساكر (٢٣/ ٢١٦)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٥٣).

حديث جابر: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٤٨ ، رقم ١٠٥٤٠)،وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (٢/ ٢٨١) .

تنقيص الآخر، ويقولون حاشا شيخنا أن نكذب العاقل من ضبط لسانه في حق إخوانه والسلام ومن واجبات الفقراء، وفروض أحوالهم ألا ينقضوا العهد الذي عاهدوا عليه شيخهم فإنه كالردة عن الطريق، وقد أشد بعضهم في ذلك:

وحياةِ من ملكَتْ يداهُ قيادي ... لأُخالِفَنَّ على الهوى حُسَّادي
ولأُغضِبَنَّ عواذلي وأُطيعُهُ ... ولأَهجُرَنَّ له لذيذَ رُقادي
وأُصَيِّرَنَّ لحبِّهِ بينَ الحشا ... قبرًا ولا يعلمْ بذاكَ فؤادي
ولأَجعلَنَّ نزاهتي فيه البُكَا ... ولأُكْحِلَنَّ محاجري بسُهادِ
ولأَحْلِفَنَّ لهُ بصدقِ محبَّتِي ... ما خُنْتُ يومًا في هواهُ وِدَادِي

وينبغي للشيخ إذا لم يتفق له رد هدية الولاة التي أهداها إلى الزاوية من أضحية وغيرها ألا يحضر تفرقتها؛ بل يهمل أمرها مفوضًا أمرها إلى الله تعالى، فيقسم لمن شاء ما شاء من تلك الهدية، ويكفي الشيخ في تخليص ذمته أن يقول للمجاورين هذه من الشبهات فلا تأكلوا منها، ولم أزل بحمد الله أفعل بذلك في أضاحي الكشاف ومشايخ العرب ونحوهم، فلا تسأل عنها ما جرى فيها فالله تعالى يلطف بنا وبإخواننا في هذا الزمان، ويدبرنا فيه بحسن التدبير، وقد منَّ الله تعالى على بعض جماعة عندي بالتورع عن مثل ذلك فلم يحرجوني أن أمنعهم من الأكل فالله يديم ذلك عليهم إلى المات آمين آمين.

وينبغي للشيخ أن يسأل فقراء الزاوية الدعاء ولا يغفل عن ذلك لئلا يلحقه الزهو والعجب برؤيته خدمتهم له وترتيبهم، وقد شرع لنا ذلك رسول الله ﷺ بقوله لعمر بن الخطاب ﷺ: «لا تنسني يا أخي من دعائك»[1]، وقال لأمّته: «واسألوا لي

---

(١) تقدم تخريجه.

الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد لله ﷻ وأرجو أن أكون أنا هو»(١) فأمرهم بأن يتأسوا به في التواضع كما تأسى ﷺ بربه ﷻ في نزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا كما أخبر عنه بذلك، فإنه تعالى إنما أضاف إلى نفسه ذلك على لسان رسوله ﷺ ليعلم الملوك من عباده التواضع مع رعيتهم، ولا يقف أحد في مقامه الذي جعله الله تعالى له من العظمة والكبرياء، ولا يتنزل العقول رعيته، فاعلم ذلك أيها الشيخ، وقبل يد الفقراء ما استطعت كما يفعلون معك لاسيما عند الفراغ من مجلس الذكر؛ لأن العبد لا يدري من غفر الله له من الحاضرين ممن لم يغفر، وبالجملة فكل شيء لم ينبهه على التواضع تواضع جماعته معه فهو من البهائم، وقد قال بعضهم للجنيد ﷺ: لم جعلت عندك هؤلاء الفقراء؟ فقال: لأتذكر بحاجتهم إلى حاجتي إلى الله ﷻ إذا غفلت عنه، انتهى، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لشيخ الزاوية أن يأمر الفقراء في الزاوية بالعمل على جلاء بواطنهم من سائر الأدناس، وذلك ليصير أحدهم يحسن الظن بأخيه ومادام عند أحدهم شيء من الدنس، ولازمه سوء الظن بأخيه ومادام عند أحدهم شيء من الدنس فمن لازمه سوء الظن بأخيه، وذلك باب يفسد فتحه في الزاوية جميع الفقراء فكل واحد يحمل أخاه على المحمل السيئ، فلا يصير له في قلبه اعتقاد فلا يسمع له نصحًا.

وسمعت أخي أفضل الدين ﷺ يقول: مادام الفقير يخطر في باله السوء فهو من أهل السوء، ولا يخرج عن ذلك إلا بحيث لو رأى أمردين ناما متعانقين في خلوة إلى الصباح، ثم خرجا فاغتسلا لا يخطر في باله سوءًا بنا فمن وصل إلى هذا المقام فقد خلص من باب سوء الظن بشباب الزاوية، والله أعلم فليمتحن الناصح لنفسه كان

---

(١) رواه مسلم (١/ ٢٨٨)، وابن حبان (٤/ ٥٩٠).

باطنه يعرف مقامه في الخلوص من الأدناس أو يلطخه بها، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ أن يتلقى كل كلام قيل فيه من المجاورين وغيرهم بالرضا والتسليم لتقتدي به الناس في ذلك فإن مقام شيخ الزاوية يجل عن أن يتكدر لكلام قيل فيه؛ لأن ذلك دليل على أنه يطلب المقام عند الخلق دون الله تعالى وذلك نقص عظيم.

وسمعت سيدي الخواص ﷺ يقول: من علامة كمال الفقير أن يبادر إلى الفرح والسرور إذا بلغه أن أحدًا من أقرانه نقضه في المجالس فإنه نفعه بذلك أشد النفع، أو الفقير إذا توالت عليه الطاعات والخيرات، من ورع وزهد، وقيام ليل، وحسن خلق، وَكفّ جوارح بل أن يسلم من الإعجاب بنفسه إذا رجحوه على أقرانه، فإذا وقع أن أقرانه نقضوه فقد ردوه إلى مقامهم فاستتر في الدنيا كما استروا فكان تنقيصهم له كالأنفحة للجبن تصلحه وتثبته على مصائب الزمان وتغير الحدثات، ولولاها لفسد اللبن والجبن وكذلك القول في وقوعه في معصية بل هي أولى أن يهضم مقام العبد بين الناس وترده إلى الذل والانكسار، وتكون أحسن أثر من الطاعات التي يتكبر بها على الناس كما قاله صاحب الحكمة ﷺ وتأمل يا أخي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لما عصموا من الإعجاب بنفوسهم وازدادوا ذلاً بين يدي ربهم بالطاعات، كيف عصمهم الله تعالى من الوقوع في المخالفات وجميع ما حكي عنهم إنما هي أمور لا حقيقة، فاعلم ذلك أيها الشيخ، وأحسن إلى فقراء الزاوية وغيرهم، ولا يصدنك عن الإحسان إليهم ذمهم فيك وحملك على المحامل السيئة كما جرى السلف الصالح، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ ألا يؤاخذ آخر بكلام قاله في حقه مطلقًا؛ لأن ذلك الآخذ لا

يخلو إما أن يكون كثير الطاعات فيكرمه الله تعالى لكثرة مجالسته له ليلاً ونهارًا ووقوفه بين يديه كذلك، وإن كان ذلك الآخذ قليل الدين والطاعات فهو صاحب مصائب كثيرة فلا ينبغي لصاحب مروءة أن يزيد عليه في المؤاخذة؛ لأنه كشخص ترادفت عليه الديون مع إفلاسه واجتمعوا حكمهم عليه عند حاكم دورًا بعد دور، وقد عدوا مطالبة من هذا حاله من قلة المروءة، فإذن لا يليق المؤاخذة بشيخ الزاوية بحال ثم إن نزل عن هذا المشهد فذلك الشخص الذي نقضه وأذاه من جملة أمة محمد ﷺ فيكرمه لأجله، والله عليم حكيم.

وينبغي لفقراء الزاوية إذا تخاصموا أن يرضوا بحكم الشيخ عليهم، ولا ينبغي أن يطلب كل واحد منهم أن يكون الشيخ معه على خصمه؛ لأن الشيخ ميزان عدالة، وإذا ظهر الغرض مع واحد صار خصمًا للآخر فيحتاج إلى ثالث يصلح بينهما.

وسمعت سيدي عليًا المرصفي ؒ يقول: من أدب الفقير إذا لم يحتمل من أخيه أمرًا أن يحكي ذلك للشيخ ثم يسكت وينتظر ما يأمره به من مؤاخذة أو عفو وصفح، فإن سكت الشيخ فليسكت الآخر، ولا يفتح الباب بعد ذلك حتى يفتحه الشيخ فربما كان يرى حصول الصفاء بتأخير الحكم بينهما، ثم يصلح بينهما صلحًا خالصًا من الشوائب النفوس من حقد وشحناء، وليعلم الفقراء أن الأشياخ لا يمشون إلا على التأسي بالأخلاق الإلهية، فكما أن الحق تعالى لا ينتصر لعبد إلا أن سكت عن خصمه، ولم يقابل خصمه بالأذى، وقد ورد أن الله تعالى يقول: «أنا ولي من سكت»[1]، انتهى.

---

(١) ذكره الشعراني في «العهود المحمدية» (ص١٧٥).

فمن لم يسكت فليس الله تعالى وليه يعني الولاية الخاصّة وإلا فهو تعالى ولي الذين آمنوا.

وسمعت سيدي محمد بن عنان(1) ﷺ يقول: إذا تخاصمتم إلى فقير فلا يتكلم

---

(1) هو سيدي محمد بن عنان إمام تقدم في جامع الإيمان، وعارف أشرقت بضوء شمسه الأكوان، كثير التعبد، غزير الت٤هجد، وافر الجلالة، عليه للقبول أية دلالة، غالي التربية، علي المرتبة، لا يقاس به غيره، ولا يشبّه. وكان عظيمًا في الديانة، ممدودًا من الله بالإعانة، سلك طريق الهداية، وعني بالتصوف أتم عناية.أخذ عنه الشيخ المصنف، وقال: ما رأيت مثله. وكان مشايخ عصره بين يديه كالأطفال. قال: وأخبرني الشيخ نور الدين المشتولي، قال: سمعت الشيخ عبد القادر الدشطوطي يقول: محمد بن عنان يعرف طبقات السماوات وأزقتها وملائكتها. هكذا قال.

وله كرامات منها: أنه أشبع خمسمائة فقير من عجين أمه- وكان نصف ويبة- وقال: وعزة ربي، لو شئت لملأت البلد خبزًا من هذا العجين.

وأرسل نقيبه إلى الشيخ أبي العباس الغمري في المحلة بعد العشاء، وقال: لا تصل الصبح إلا عندي. فذهب وعاد، فقال له: عديت من أي المعادي؟ قال: ما درت بالي للبحر، ولا علمت به. فقال لأصحابه: طوى البحر بهمته، فلم يجده في طريقه.

وأخبر أن رجلاً يصيح في القبر الليل كله، فأتى قبره، وقرأ تبارك، فمن ذلك الوقت لم يسمع.

وأراد رجل من الشرقية أن يتزوج زوجته، فنام بعد العصر بجامع المقسم قبالة ضريح الشيخ، فرآه، فقال له: ضاقت عليك الدنيا، ما وجدت إلا فرشي؟ وطعنه بحربة في جنبه، فاستيقظ مرعوبًا، وهي بجنبه بارزة كالكبد المشوي، فحمل لبلاده، فمات في الطريق؛ وذلك لأن من خصائص جروح الفقراء أنها لا تختم قط، ولا يفيد فيها دواء، وليس فيها إلا روح صاحبها، ولا ينبئك مثل خبير.

وأرسل له أحد أهل الدولة ثماني جرار عسلاً في الوقت، فانصبّت كلها على الأرض، وضاق الوقت عن شراء عسل، فخرج إلى الخليج، وقال: اتبعوني بالجرار. فملأها كلها من الماء، فوجدوها كلها عسلاً، فطبخوا بها، فقال: الحمد لله الذي حمانا من عسل الولاة.

وأخبر بأن رجلاً زمنًا بالإسكندرية إذا غضب على رجل قال: يا قمل، رح إليه. فيمتلئ قملاً فلا ينام، ويعجز عن تنقيته، فذهب إليه، وقال له: ما رأيت تعمل إلا شيخ القمل؟ وأخذه بيده، ورماه في الهواء،

أحدكم بما يظفره بالحجة على خصمه، فإن الشيخ يكون مع ذلك الخصم لعدم إقامته الحجة مع خصمه، فهو إما يمده بالظفر على خصمه، وإما يأمره بالصبر عليه حتى يحول الله تعالى ذلك الحكم، ويقويه على تحمل الأذى حتى لو قام الثقلان يؤذونه لاحتملهم، وهذه هي النصرة الحقيقية، فإن بها يصبّ عليه الأجر من الله تعالى صبًّا، ويحكمه الله تعالى في حسنات الذين أذوه يوم القيامة حتى يأخذ منها ما شاء، فاعلم ذلك.

وينبغي إذا وقع أحد من فقراء الزاوية في نقيصة تقتضي التأديب بالإخراج بألا يكونوا بذلك فيما بينهم، فإن ذلك يأكل الحسنات، وإنما الأدب أن يذكروا ذلك للشيخ فقط ليحكم فيه بما يرى وربما تاب ذلك الشخص عقب الذلة وصار أحسن

فلم يعرف له خبر.وسافر هو والشيخ أبو العباس الغمري فاشتد الحر، وعطش الغمري وليس هناك ماء، فأخذ ابن عنان طاسة وغرف بها من الأرض اليابسة ماء، وقال اشرب. قال: يا شيخ محمد، الظهور يقطع الظهور. فقال : لولا خوف الظهور جعلتها بركة يشرب منها البهائم إلى يوم القيامة. وأتى برجل أكل موهيتين فسيخًا، وموهيتين تمرًا في ليلة، فألقى له رغيفًا صغيرًا في فمه، فلم تزل أكلته كل يوم حتى مات. وكانت أوقاته مضبوطة لا يصغي لكلام أحد ويقول: كل نفس مقوم علي بسنة. وغضب من أهل بلاده لعدم قبولهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقدم مصر وسكن بسطح جامع الغمري. وكان كل جامع أقام به لا يقيم إلا على سطحه شتاءً وصيفًا.

وقال عنه المصنف: كان خادم الحجرة النبوية في طريق الروحانيات، فلا يدخل أحد على المصطفى ﷺ من الأحياء والأموات إلا بإذنه.وكان من أصحاب الخطوة، والتطوير.

ولما احتضر ابن عنان بسطح جامع باب البحر مات نصفه الأسفل، فصلى٤ قاعدًا، فلما فرغ أضجعوه، فما زال يهمهم بشفتيه والسبحة بيده حتى مات، وصعدت روحه سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وعشرين سنة. وانظر: الكواكب السائرة (١/ ٣٩)، شذرات الذهب (٨/ ١١٦)، كرامات الأولياء (١/ ١٧٤)، طبقات الشعراني (٢/ ١١٧)، والكواكب الدرية (٨١٨).

حالاً من المتعبدين في الزاوية، وهم يظنون في نفوسهم أنهم أحسن حالاً منه.

سمعت سيدي عليًّا الخواص ﷺ يقول: ينبغي لفقراء الزاوية إذا خرج من عندهم أحد من الزاوية بفاحشة أن يغلبوا ذلك بذنب آخر هين في العيون؛ لكونه يغتاب الناس لاسيما للمفارق المترددين إلى الزاوية من الأرياف وغيرهم، فإنهم يملئون بذلك البلاد، ويهتكون الشخص عند أقاربه ومعارفه، وقد ورد في الحديث: «لا تعيّر أخاكَ بذنب وقع فيه فيعافيه الله ويبتليك»(١)، انتهى.

ثم إذا ذلت نفس من أخرجه الشيخ وساق عليه السياقات وشهدت له قلوب إخوانه والشيخ بالذلة والانكسار، فمن الواجب قبوله لئلا يتمزق بالكلية.

وينبغي للشيخ أن يحذِّر المتزوجين من فقراء الزاوية ألا يسمع لزوجته فيما تنهيه في حق غير زوجها وزوجته، فإن ذلك شديد الضرر وربما تزايد الضرر بذلك حتى أدى إلى خروجهم من الزاوية؛ بل الواجب على أحدهم إذا قالت له زوجته: أن فلانة وزوجها قالا في حقك كذا وكذا أن يكذبها ويزجرها ويسكت عن ذلك، ويجتمع بأخيه فإن اعترف أخيه بذلك عمل بمقتضاه، وإن أنكر ذلك وجب تصديقه وتكذيب تلك المرأة فيما أخبرت كما قال به الحسن البصري ﷺ.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: إذا أنهت زوجة أحدكم عن أخيكم وعن زوجته أمرًا فكونوا مع أخيكم واتركوا كلام النساء، فإن الأخ عز وصحبته ربما تدوم أكثر من صحبة الزوجة، وهذا بعكس حال الفقراء الكاذبين في

---

(١) ومثله: «لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك» أخرجه الترمذي (٤/ ٦٦٢، رقم ٢٥٠٦)، والطبراني (٢٢/ ٥٣، رقم ١٢٧)، والقضاعي (٢/ ٧٨، رقم ٩١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٣١٥، رقم ٦٧٧٧)، والخطيب (٩/ ٩٥)، وابن الأعرابي في «معجمه» (٤/ ٧٤).

الطريق الغارقين في شهوات فروجهم فربما يقدم كلام زوجته التي لا تستحق أن يطعمها النخالة في حق أخيه، وكان الواجب عليه العكس، فعلم أنه لا ينبغي لفقراء الزاوية أن ينتصر أحدهم لزوجته على أخيه وزوجته؛ لأن ذلك خروج عن طريق الأدب والمعروف، وإنما الواجب على كل واحد منهما أن يأمر زوجته بالصبر والاحتمال والمسامحة، وإن لم تطعه في الاحتمال فليرفع أمرها إلى الشيخ ليقضي بما يراه، ويؤدب الظالم منهما أو منهن ومتى لم يرفع أمرها إلى الشيخ فربما جرهم الحال إلى مخاصمة الرجال وانتصار كل واحد لزوجته، فخربت الزاوية واشتغل كل واحد بالحط في خصمه حتى تمزقت أديانهم وأموالهم وربما ترافعوا إلى الحكام فاتسع الحال ولو أنهم اكتفوا بالشيخ لكان أولى بهم، وأخف كلفة وكل من خرج عن أمر الشيخ في تأديب زوجته فقد خرج عن الإرادة وصار عاقًا للشيخ، ووجب عليه تجديد العهد الذي كان عاهد شيخه عليه من الطاعة له وامتثال أمره، وإلا فربما مقت فلم يفلح بعد ذلك أبدًا، وليحذر شيخ الزاوية أن يصدق أطفال الزاوية في قولهم فلانفرح نفسًا بالشيطنة كما يقع فيه فقهاء المكاتب فإن مقام الشيخ يجلُّ عن مثل ذلك، وإنما منصبه أن يمشي على الوجه الشرعي، فليأمر كلا منهما بالبعد عن صاحبه، وتقدم أن من الأدب أن أمنع النقيب شباب الزاوية من النوم مع بعضهم بعضًا في غطاء واحد أو خلوة واحدة أن يسمعوا له، ويتفرد كل واحد في النوم وحده، وإن لم يسمع من النقيب فهو إما صحب تدليس على نفسه، أو مدع للقوة على إبليس وكلاهما جهل.

وينبغي للشيخ إذا كثرت عليه الهدايا في الزاوية أن يخاف ببادئ الرأي أن يكون ذلك ثواب أعماله الصالحة من زهد وورع وعبادة، وليحذر أن يظن ببادئ

الرأي أن ذلك من باب إكرام الحق تعالى له ومحبته، فإن ذلك مضاد لما ورد في الأخبار نحو قوله ﷺ للفقراء: «أسرع إلى من يحبني من السبيل إلى منتهاه»(١).

وقوله: «إذا أحبَّ الله عبدًا زوى عنه الدنياوحماه منها كما يحمي الراعي الشفيق غنمه عن مراتع الهلاك»(٢)، انتهى.

وربما قال له إبليس ونفسه إنما أعطاك الله تعالى ما أعطاك لعلو مقامك عنده وكثرة ورعك وزهدك، فيشغله إبليس أو النفس أن ذلك تعجل ثواب أعماله في الدنيا وتنسيه أن ذلك من هوان الله تعالى به.

وسمعت سيدي عليًّا الخواص ﷺ يقول: أكمل المؤمنين مقامًا من كان على عبادة الثقلين وحماه الله تعالى من معرفة أحد من الناس مقامه، ولم يقبل أحد يده، ولم ينتقده بجديد في وقت من الأوقات مع كونه يبيت الليالي طاويًا، ولا يشعر به أحد من أهله فمثل هذا هو الذي يخرج من الدنيا وأجره موفر لم ينقص منه شيء، انتهى.

فاعلم ذلك أيها الشيخ واعمل عليه، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ أن يمنع الشباب المرد في الزاوية من لبس الثياب النظيفة الرفيعة، ومن تكحيل العيون بالكحل الأسود إلا لضرورة شرعية، وكذلك يمنع الرجال من النظر إلى الشباب بغير حاجة، ومن دخول الحمام بغير ضرورة، ومجالسة الرجال، وكان الشيخ أبو حسن بن الصائغ الشاذلي ﷺ يقول: لا ينبغي لشيخ الزاوية يدع الشاب البارع في الجمال يقيم بين أظهر الفقراء، وإنما يفرده بخلوة وحده

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٢٣).

(٢) ذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣/ ٣٠٩) وعزاه لابن وهب عن حذيفة.

لا يدخل له فيها إلا النقيب الآمين على جوارحه أن تقع فيما حرم الله عليها، وإن أعطاه النقيب الحاجة من باب الخلوة ولم يدخل عنده كان أولى صيانة لعرضه عن اللوث به، كما بسطنا الكلام على ذلك في «العهود الكبرى» في عهد شيخ الزاوية فراجعه، وكان سيدي محمد الغمري ﷺ إذا رأى عازبًا يكرر النظر إلى الأمرد يقول له: إن لم تكف بصرك وإلا فاخرج من الزاوية، فإني أخاف عليك أن يحرك النظر إلى ما فوقه.

وحكي القشيري في «رسالته»: أن مريدًا كان يمشي خلف شيخه فوقع بصره على شاب جميل الصورة، فقال: يا سيدي أترى الحق تعالى يعذب هذه الصورة مع جمالها؟ فقال الشيخ: أو قد رأيته؟ فقال: نعم، فقال له: ستجد غيها بعد حين، قال المريد: فنسيت الفراق بعد خمسة عشر سنة عقوبة على تلك النظرة، هذه عقوبة على نظرة واحدة، فكيف بعقوبة من يكرر النظر على وجه التساهل بذلك ليلاً ونهارًا، نسأل الله العافية.

وينبغي للشيخ ألا يقرب من خدمته شابًا جميل الصورة إلا أن يكون له حال يحميه من لوث الناس بعرضه من أهل الزاوية وغيرهم، فإنهم لا يقيسون حال الشيخ ألا على حال أنفسهم من الوقوع في الرذائل، ولا يظنون بالشيخ أنه محفوظ من الوقوع في الرذائل لبعدهم عن مقام الكمال، وقالوا: لا يمكن المريد أن يظن في شيخه الخلوص من الشهوات النفسانية إلا إذا شرف هو على الخلوص منها، وذلك عند استحقاقه الفطام، وما لم يصل إلى هذا المقام، فمن لازمه حمل شيخه على أحوال نفسه وغاب عنه أن الشيخ قد صار لا يحب أحد إلا لزيادة دينه، فكل من كان أكثر عملاً صالحًا فهو المرجح عنده في المحبة سواء كان كهلاً أو شابًا، وقد كان سيدي

يوسف العجمي يحب شابًا ويقربه من مجالسه ويطرد الكهول فكان عند الفقراء من الشيخ شيء بسبب ذلك فامتحنهم الشيخ، وقال للشاب والكهول: نحن محتاجون إلى شيء من حشيش البخيل، فذهبوا وأتوه بالبخيل، ورجع الشاب بلا شيء، فقال: لأي شيء لم تأتنا بالبخيل مثل إخوانك، فقال: يا سيدي وجدته يسبح الله تعالى ويمجده فخشيت منه أن أقطعه وهو يخاطب الله تعالى، فقال سيدي يوسف: انظروا فهذا سبب تقدمي له عليكم في المحبة، فاستغفروا وتابوا إلى الله من سوء الظن بالشيخ، وما تحمله فلا ينبغي للفقراء أن يجعلوا شيخهم مأمورهم بل هم الذين يكونون مأمورين له وليس لهم التشبه به إلا فيما أذن لهم فيه، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ إذا كسا الفقراء كسوة أن يبدأ بمن يراه مشغولاً بربه لا التفات له إلى ظاهره فيكون خليفة لتصريف القدرة الإلهية في ذلك، فإنها تسخر الدنيا لكل من خدم ربه ﷻ وتسخر العبد الذي يخدم الدنيا لخدمتها، ولسان القدرة الإلهية يقول: «يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه»[1].

وقد فعلت أنا بحمد الله تعالى ذلك مرات فأبدأ بالكسوة بمن أراه يخدم ربه ويخدم الفقراء، ولا يلتفت إلى ثيابه ولا إلى عمامته، وأواخر من أراه بالضد من ذلك ولو كان أكثر مخالطة لي، وقد خدمني شخص من فقراء المطاوعة مدة، ولم أقدر على قلبي يحن إليه في كسوة ولا مطعم لاعتنائه بظاهره فربما باع الجبة التي تساوي ثلاثين نصفًا، واشترى له بدلها جبة تساوي خمسين نصفًا، وربما مكث نصف في عمامته الصوف قدر ما يقرأ الإنسان عشرة أحزاب، وربما اتسخت أثوابه فضاقت عليه الدنيا ويسود قلبه، فلم يلتفت إليه، وربما هجرته الجمعتين والثلاث لأجل غسل

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٢/ ١٧)، وفي «ذم الدنيا» (٤٣٩).

عمامته المستأكلة لمقامه في الدنس تنفيرًا له عن غسلها بغير حاجة، فيعود ويغسلها بعد أيام وقد عجزت قدرتي فيه، ووالله أن العاصي أقرب إلى العفو والمغفرة من المعجب بأعماله وأحواله، كما أشارت إليه الأحاديث الصحيحة نحو حديث: «المعجب ينتظر من الله المقت والعاصي ينتظر من الله المغفرة»[1].

ويؤيد ما ذكرناه ما ورد أن ملائكة تتنزل من السماء كل ليلة ومعها أواني من نور ومعها أدوية لمن فوض أموره إلى الله تعالى، فيضعون في حلقه من ذلك الدواء ما يذهب عنه سائر الأمراض الظاهرة والباطنة وربما أراد أحد منهم أن يضع شيئًا من ذلك في فم من ليس عنده تفويض، فيقول له صاحبه: دعه فإنه حكيم نفسه، انتهى.

وقد تقدر قول سيدي إبراهيم المتبولي ﷺ: إذا رأيتم الفقير يخدم ظاهره ولا يلتفت إلى باطنه فأخرجوه من الزاوية لئلا يتلف بقيت الفقراء، فاعلموا ذلك أيها الإخوان وشاكلوا في نظافة الثياب حالكم الباطن، فقد كان الشعبي يقول إذا لاموه على وسخ ثيابه: ليت قلبي في القلوب يكون مثل ثوبي في الثياب، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ ألا يقرب أحدًا إلا بعد طول تجربة فإن غالب الخلق الآن قد فسد أحوالهم وتغيرت ثيابهم وخانوا أماناتهم، ومن كلام بعض الحكماء: العاقل هو من يعد التجريب قبل التقريب، والأخرق هو من كان بالعكس، وإن قدر أن الشيخ

---

(١) بلفظ: «النادم ينتظر الرحمة والمعجب ينتظر المقت، وكل عامل سيندم على ما أسلف عند موته، فإن ملاك الأعمال بخواتيمها، والليل والنهار مطيتان فاركبوهما بلاغًا إلى الآخرة، وإياكم والتسويف بالتوبة والغرة بحلم الله، واعلموا أن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله، فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره». (الثقفى فى الأربعين، وأبو القاسم بن بشران فى أماليه عن ابن عباس. وأورده ابن طاهر المقدسى فى تذكرة الموضوعات (ص ١٥٢ ، رقم ١١١٦) .

جرى عليه المقدر بتقريب من لا يصلح كرميه الفتن بين المجاورين أو ليتبع عوراتهم، وغير ذلك وطلب الشيخ إبعاده عنه فمن المعروف والأدب من جميع المجاورين من عده الشيخ على ذلك مصلحة للزاوية، ولا ينبغي لأحد منهم معارضة الشيخ في ذلك، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ أن يمنع الشباب من الجلوس على الباب الذي على الشارع أو الحوانيت، أو الخروج إلى السوق ومخالطة أهله إلا لحاجة فقد فسد من ذلك حال جماعة كثيرة، وكان سيدي أحمد الزاهد، وسيدي محمد الغمري، وسيدي مدين ﷺ يقولون: لا ينبغي لمجاور أن يخرج إلى السوق إلا لضرورة ثم يخرج متعففًا بردائه ويرخيه على عينيه حتى يرجع، ولا يكشف إلا بقدر ما ينظر مواقع قدميه لئلا يعثر في وهدة أو بئر أو نجاسة، وقد كان أنس بن مالك ﷺ يلبس البرنس أو الطيلسان على الدوام، ويقول أنه يكف البصر عن فضول النظر، فاعلم ذلك أيها الشيخ واعمل عليه، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ ألا يتخذ نقيبًا بخيلاً لا تستح نفسه أن يعطي أحدًا ما سمح له به الشيخ بالطريق الشرعي، فإن مثله يقيم الفتن في الزاوية ويربي له وللشيخ الأعداء، وربما أمره الشيخ بإعطاء أحد من كبراء الزاوية شيئًا فمنعه أو أعطاه دون ما رسم له به الشيخ فوقع بينه وبين ذلك الفقير عداوة، فإن أجاب الشيخ عن النقيب صار هو الخصم وقويت نفس النقيب، وإن لم يجب عنه ذات حال الفقير النقيب وأذاه الفقراء أشد الأذى، فينبغي للنقيب أن يكون حاذقًا يلحق بلاحق اللاحق ولا يخالف الشيخ في شيء فيجلب الضرر له وللشيخ.

وسمعت سيدي عليًا المرصفي ﷺ يقول: ينبغي للنقيب أن يكون ميزان

عدالة بين فقراء الزاوية والضيوف، فلا يسرق ولا يقتر كما أمره الله، وليحذر من أن يكرم ضيوف أصحابه من الفقراء دون ضيوف من بينه وبينه وقفة فإن في ذلك مفاسد وفتح باب لتوغير القلوب، وتضعيف جاه النقيب، فيقولون له: لأي شيء يخرج لضيوف فلان الخبز والملح فلا يجد له حجة يحتج بها إلا الأعراض النفسانية، انتهى.

وسمعت سيدي محمد بن عنان يقول ينبغي للنقيب أن يرد إلى بيت الطعام كل شيء فضل من الضيف من خبز وعسل وجبن وغير ذلك، وإن كان شيئًا يخشى فساده أعلم الشيخ به فتصرف فيه قبل الليل مثلاً لئلا يتلف وربما جاء الزاوية ضيف بعد العشاء بلا عشاء فيخرج له تلك الفضلة، انتهى.

وكذلك ينبغي للنقيب ألا يغفل عن من يأتي الزاوية بعد عشاء الفقراء لاسيما إن كان ممن لائق به فربما كان من رجال الامتحان فطلب العشاء، فلم يعطه النقيب شيئًا فدعا بتحويل النعمة عن الزاوية فحول الله نعمته عن أهلها، وخرج ذلك الفقير فلم يعرفوا له مكانًا حتى يطيبوا خاطره، ويسألوه أن يدعو له بعود النعمة.

وسمعت سيدي الشيخ أبا الحسن الغمري ﷺ يقول: ينبغي للنقيب أن تكون عينه دائمًا ترقب من يدخل الزاوية، فإن رأى ذلك الداخل جوعانًا جوعًا قويًا عجل له بما تيسر من الطعام، وإن لم يجد عنده جوعًا شديدًا أخر طعامه حتى يتغدى أو يتعشى مع فقراء الزاوية، أو مع ضيف آخر طلبًا للبركة في الطعام وعملاً بحديث: «خير الطعام ما كثرت عليه الأيدي»[1].

---

(١) ذكره الغزالي في «إحياء علوم الدين» (١٤/ ٣٦٣).

ويحذر النقيب من أن يستعمل أحدًا من المجاورين في الوظيفة التي تكون بيده غير النقابة من ملء ميضأة أو وقادة أو فرشة الأباجرة دون أن يهددهم بتقتير الطعام والشراب عليهم، إن لم يفعلوا فإن ذلك حرام وكذلك ليحذر من استعمالهم في حوائج سماط الزاوية بالغرض الفاسد، فإن ذلك ظلم بل يجعل الخدمة على طائفة بعد طائفة بحكم العدل، وإذا كان الطعام داخل بيت الشيخ، فأراد إخراجه بالغرض الفاسد فإن ذلك ظلم بل لأحد من الفقراء، فليقل للخادم في بيت الشيخ أخرجي عشاء واحدًا أو اثنين أو ثلاثة مثلاً، فإن طعام الفقراء إنما هو معد للمحتاجين إليه كما تقدم بسطه مرارًا.

وينبغي للمجاورين إذا كان لهم جار يحب سماع الغناء والآلات طول الليل، وأحدهم يصلي ويذكر ربه طول الليل أن يرى أن جاره أخف أثمًا من أثمه الحاصل في نقص عباداته وسوء الأدب مع الله تعالى فيها، ثم يدعو لذلك الجار بالمغفرة كما يدعو لنفسه وفاء بحق الجار، ثم يرجع على نفسه باللوم التي وقعت على عيب جارها إذ لو كانت من أهل حضرة الله تعالى لم تر إلا الأعمال التي ترضي ربها، وكانت حجبت عن أعمال الفسقة والغافلين لأخذ الحضرة لمجامع قلوب أهلها عن شهود غيرها، فاعلم ذلك واعمل عليه أيها المجاور، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ ألا يبالغ في إظهار أعماله الصالحة بالكلية بحيث يطفئ نور أقرانه من مشايخ الزوايا فإن الله تعالى قد يكره العبد المتميز عن أخيه، ثم إذا وقع في التميز وبلغه عن أحد منهم أنه ينقصه في المجالس يفرح بذلك، وإذا طلب منه أصحابه أنه يقابله كذلك بالحط عليه يقول لهم أنه اطلع على عيوبي فينبهني عليها محبة في لا رجع عنها، وأنا لم أطلع له على عيب حتى أنبهه عليه، اللهم إلا أن يريد

ردعه عن الوقوع في أعراض المسلمين بقطع النظر عن تخصيصه هو بذلك رحمة به فلا بأس، وكان أخي أفضل الدين إذا قالوا له: أن فلانًا يذكرك بالنقائص التي لا نراها فيك، يقول: هو أعلم بعيوب نفسي مني لأن من شأن النفس أن تلبس على صاحبها خلاف الأخ الصادق مثل هذا الذي ذكرتم عنه أنه ينقصني، انتهى.

كما جرى عليه الفقراء الصادقون، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ وجماعة الزاوية ألا يزور أحدهم أخًا إلا بشيء يؤكل أو يشرَب أو يلبس أو يشم ونحو ذلك، تعظيمًا لوجه الحق الذي يقابله من أخيه فإنه ما أدبر مدبر حقيقته إلا عن وجه الحق، ولا أقبل مقبل كذلك إلا على وجه الحق فكان من الأدب مقابلته بالتعظيم والهدية بين يدي مواجهته؛ لأن الهدية إذا طلبت بين يدي نجوى رسول الله ﷺ فبين يدي مناجاة الحق جل وعلا من هيكل الخلق أولى، وهذا هو السر المشار إليه في قولهم ينبغي للفقير ألا يلقى أخاه إلا بهدية، ولهم في ذلك سر يعلمونه لا يفشى بين المحجوبين، انتهى.

فإن قال قائل هذا حكم من شهد وجه الحق تعالى من يلقى أخاه فما حكم من كان محجوبًا عن ذلك فهل يؤمر بهدية كذلك معتمدًا للقاء أم لا؟ فالجواب: نعم يؤمر بذلك على وجه الإيمان بحضور وجه الحق عند اللقاء، وإن لم يره هو كالأعمى معرف أنه جليس ربك، وإن كان لا يراه ومتى نزل الفقير عن درجة الإيمان فهو والبهائم سواء، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واحملوا معكم عند زيارة إخوانكم ولو لقمة أو تمرة أو زبيبة، والله يتولى هداكم.

وينبغي للفقراء إذا اغتسل أحدهم عن الجنابة أو توضأ لرفع الحدث أن ينوي رفع الحدث الأعضاء الظاهرة والباطنة من محبة الدنيا وشهواتها المباحة فضلاً عن

المحرمة والمكروهة ليطهر ظاهرًا وباطنًا، ولا ينبغي له الاقتصار على نية رفع الحدث الظاهر فقط كما يفعله العوام، وكان على هذا القدم سيدي محمد بن عنان، وسيدي أبو السعود الجارحي وأصحابهما رضي الله عنهم أجمعين.

وينبغي للشيخ أن يكون فيه هذه الخصال الحسنة وإلا فمشيخته ناقصة وهي علمه بأحكام الشريعة المطهرة في كل ما يأتي ويذر وينزلها على قواعد الحقيقة بحيث لا يخرج عنها مقدار ذرة، ويقابل الواردين كلهم بالعيش والقرى ويخضع للفقراء والمساكين، ولا يرى نفسه أرجح منهم في المقام بذرة واحدة، انتهى.

وينبغي للشيخ أيضًا أن يكون قدوة للفقراء المجاورين في جميع أقواله وأفعاله، فإنهم كلهم ناظرون إليه كما مر لاسيّما في وسع الأخلاق واحتمال كلام الأعداء، وحملهم على المحامل الحسنة، فإذا بلغه أن أحدًا يحط عليه على أنه قصد بذلك الحط تنبيهه على نقائصه التي غفل، وينتهي عنها ليتوب ويرى عدوه أصدق في معرفة نقصه من نفسه ليقول لنفسه: إذا تبرأت من النقص فلأني أعلم منك بعيبك؛ لأنك بيت التلبيس على نفسك فاسمعي له تهتدي، وقد بلغنا عن مالك بن دينار أنه قال لنفسه يومًا: أنك مرائيه بأحوالك، فقالت: حاش لله ونازعته في ذلك وإذا بامرأة تقول لصاحبها هذا مالك بن دينار الذي يرائي بأعماله، فقال مالك لنفسه: قد قلت لك مرارًا أنك مرائيه فأبيت فاسمعي من هذه المرأة الصادقة، وتوبي عن الرياء، واخلصي في أعمالك قبل الموت، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لشيخ الزاوية أن يكفي الفقراء الذين في الزاوية علمًا فلا يحوجهم إلى الخروج لأحد غيره يقرءون عليه؛ لأن ذلك نقص كبير في الشيخ وهو مجرب لفساد حال الجماعة لاختلاف المتناوب عليهم، وقد كان سيدي عبد القادر الجيلي– قدس

سرُّه- يدرس جماعته في علوم الشريعة من فقه ونحو وأصول ومعاني وقراءات وجدل حتى مات، فاعلم ذلك أيها الشيخ، ودع عنك كلام من يقول من المحجوبين عن حضرة الله تعالى أن قراءة هذه العلوم تغني قلب الفقير، فإن ذلك كلام شخص جاهل بالشريعة، وكيف تكون قراءة شريعة محمد ﷺ التي جاء بها عن الله ﷻ تغني القلب، ووالله إنه يخشى على من يقول ذلك الكفر، وقد ذقنا حلاوة قراءة هذه العلوم بين يدي الله عز وجل، فما رأيت أحلى منها حين تفرغ من مجلس الذكر فكان القارئ يقرأ ذلك العلم على الله ﷻ أو على رسول الله ﷺ وكان الشيخ يدخل السرور على رسول الله ﷺ بما يسمع من شرح علماء أمته شريعته وكلهم مراده فيشكر رسول الله ﷺ ربه على ذلك قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(التوبة: ١٠٥).

وهذا من الحق تعالى من باب تعليم عبادة الأدب حيث ينزل تعالى لتعليق رؤية أغالبهم على ظهورها لهم، وإلا فهو تعالى عالم بما تكن القلوب؛ لأنه خالق لها، ولما فيها فافهم، وقد كان سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي ﷺ يقول: يقبح على شيخ الزاوية أن يجلس للمشيخة وهو محتاج إلى من يعلمه فيخرج فيقرأ على غيره ثم يرجع؛ لأن ذلك نقص عظيم في مشيخته، انتهى.

وسمعت سيدي عليًّا الخواص ﷺ يقول: ينبغي لكل من درس العلم أن يستحضر أنه في حضرة رسول الله ﷺ فيقرأ شريعته عليه ويقصد بذكر ما ذكره علماء أمته في شريعته من الأحكام إدخال السرور على رسول الله ﷺ من جهة كونهم نابوا منابه في تقرير شريعته ونشرها بين الأمة لكي لا يضلوا عن طريق الهدى، ولو فتح المدرس عين قلبه لرأى نفسه مجالسًا في حضرة الله ﷻ فكان ذلك أكمل وألذ في

تقرير العلم، انتهى.

وهو مقام الوارثين في العلم فالحمد لله الذي جعلنا من خدامهم، وبالجملة فمن يغلب عليه قراءة العلوم الشرعية عقب الذكر فهو ضعيف الحال لعجزه عن مراعاة كلام الخلق مع شهود الحق تعالى، فلا يصلح شيخنا للزاوية، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ ألا يغفل عن تعليم المجاورين الآداب المتعلقة بأكلهم وشربهم ولباسهم، وذلك ليثابوا على جميع أفعالهم وأقوالهم، ولا تكون أحوالهم جهلاً كالبهائم، وإذا أكل أحدهم لا يأكل إلا طلبًا للحياة ليخدم ربه أبدًا ما عاش، ويتخلق بوصف الذل والمسكنة لله، وإذا لبس ثوبًا أبيض ينتبه بسرعة تدنسه، وقلة حمله للدنس حال قلبه فكما يسارع إلى غسل ثوبه وعمامته إذا تدنسا، فكذلك يسارع إلى غسل قلبه بالتوبة إذا دنس بوقوعه في شيء من الرذائل، وإذا لبس ثوبًا أسود وراءه لا يظهر فيه الدنس يتذكر سواد قلبه فيكثر من التوبة والاستغفار، ويخرق ببصره على باطن قلبه فيرى سواده كما يخرق ببصره الظاهر إلى رؤية دنس ثوبه الأسود والأزرق، فيغسله وهكذا في سائر الاعتبارات فلا يدع لأحدهم عملاً إلا ويعرفهم حكمته، وهذه هي التربية الحقيقية، وأما الذي يهمل المجاورين من غير تربية فهو كمن جعل عنده زريبة بهائم يعلفها، فاعلم ذلك أيها الشيخ واعمل عليه، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ أن يوصي النقيب بأنه لا يخرج شيئًا من حاصل الفقراء إلا ويسمي الله تعالى عليه بحضور قلب وصلاح نية؛ لأن ذلك مجرب للنمو الزيادة في ذلك الشيء، وقد كانت عندي زوجة مباركة لا تخرج شيئًا حتى تسمي الله عليه،

وهي خائفة أن ينقص من كثرة شفقتها فكانت ربما تخرج الجبن من الزلعة الواحدة لنحو المائة من المجاورين نحو ثلاثة أشهر، فلما توفيت إلى رحمة الله تعالى كانت الخادمة تخرج منها نحو الشهر وتفرغ الزلعة.

وسمعت سيدي عليًّا الخواص ﷺ يقول: إذا كان عند النقيب شفقة ورحمة في أمر قوت الفقراء فكل شيء أخرجه أنزل الله تعالى في ذلك القوت، فكأنه البركة فلا ينقص بل يزيد، وإذا لم يكن عنده شفقة طارت البركة من يده، وربما زاد الشيخ في الخبز نحو ثلث ولا يكفي الفقراء، انتهى.

وقد جربنا ذلك مرارًا فاعلم ذلك أيها النقيب واعمل عليه، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للنقيب إذا دخل للزاوية هدية أن يفرقها على الرءوس كما يفعلون في صدقة صحبة رسول الله ﷺ، فمن له زوجة أعطي سهمان، ومن له أولاد أعطي على عددهم، وقد فعلت أنا بذلك ما لا يحصى فأعم أهل الزاوية والبيت من صغير وكبير، فربما يخص الرأس حبة تين أو ثلاث رطبات أو خيارة، وإن رأيت الهدية لا تعم سطرتها على عدد الرءوس، وهذا أمر ما رأيت له فاعلاً بعد الشيخ عبد الحليم بن مصلح ببلاد المنزلة، فالحمد لله الذي وقفنا لمثل ذلك، والحمد لله على كل حال.

وينبغي لأهل الزاوية إذا نهر النقيب أحد أو زجره من شباب الزاوية لأمد فأوقع فيه من سوء أدب أو قلة حياء ألا يتعصبوا على النقيب مع ذلك الشاب حمية جاهلية لاسيما إن كانت النفوس تميل إلى ذلك الشاب لجماله وحلاوة لفظه، فربما حصل بذلك مفاسد لا تحصى لكن إذا راءوا من النقيب انحرافًا عن طريق الحق فمن الواجب عليهم أن يعلموا الشيخ بذلك ليؤدب النقيب، أو يعزله كما مر بسطه مرارًا.

وينبغي للنقيب أن يكون عنده زيادة حذق وفطنة بحيث يلحق بلاحق اللاحق لاسيما في هذه الأيام التي فسد فيها نظام الفقراء، وصار أحدهم يفجر على شيخه فضلاً عن النقيب حتى ربما أمرهم الشيخ بمعروف فرافعوا فيه عند الحكام بغير طريق، ومن جملة حذق النقيب أن يستعمل في حوائج الزاوية كل من يراه قليل القراءة والذكر، وليحذر في الحاجة أن يستعمل من كان بالضد من ذلك فيترك الفارغ من أعمال الدنيا والآخرة، ويستعمل من يراه جالسًا يذكر أو يقرأ في لوحة مثلاً فإن ذلك جهل وسوء تصريف، وقد قال أشياخ الطريق: من أشغل مشغولاً بالله عن الله أدركه المقت في الوقت، انتهى.

فإن لم يجد النقيب في الزاوية إلا ذلك القارئ أو الذاكر مثلاً، وخاف فساد العجين أو الطبيخ فليجلس عنده بأدب، ويقول: دستور، الأمر قد احتاج إليك في هذه الحاجة، فإن أبى، وقال: لا أترك الرحى ولا الذكر مثلاً تركه، ومضى إلى الشيخ وأخبره بذلك ولا يتلاغا هو وإياه فضلاً عن الشتم واللغو، وهناك يفعل ما يأمره به الشيخ.

وينبغي للنقيب أن يكون قليل الكلام قليل المزاح والمخالطة للمجاورين، وذلك ليهابوه ويمتثلوا أمره إذا أمرهم أو نهاهم، فإن كل من مزح استخفت الناس به شاء أم أبى خصوصًا المزح مع من لا يحتمل المزح فربما شتم النقيب، وليحذر كل الحذر من نقل الكلام على وجه الفساد بين الفقراء، فإنه يصير نمامًا والنمام ملعون والمعلون لا يصلح أن يكون نقيبًا على الفقراء، ويجب على النقيب أن يوطن نفسه على جميع ما يقول فيه بعض المجاورين من الزور والبهتان في حقه، فإن المعاملة إنما هي مع الله تعالى لا مع الخلق، وليحذر أن يطلب من الشيخ عوضًا دنيويًا في نظير خدمته

للفقراء، أو ليرفع همته عن مثل ذلك، والله تعالى يسخر له الدنيا التي تكفيه، وتكفي عياله بحسب صدقه في خدمة عباده، وربما كان الشيخ في وارد لا يقدر على خلطة أحد يحب الدنيا فمقت ذلك النقيب فلم يفلح بعدها أبدًا، كما وقع لنقيب سيدي إبراهيم المتبولي ﷺ.

وحكي أن بعض النقباء قال له إبليس: إلى متى تخدم هؤلاء الفقراء ولا أحد يحمدك ولا يشكرك؟ وانظر إلى فلان وفلان كيف صارت لهم دور وملابس ومراكب وقطاع الطريق، فلو أنك تركت خدمة هؤلاء لأعطاك الله تعالى كما أعطى هؤلاء عليًا تغيرت نيته من كلام إبليس دفعه الشيخ بالحال، فوجد نفسه في قصر عظيم في وسط بستان وفيه فواكه وخدم وكيمان ذهب وفضة وإذا صاحب القصر مريض أصفر اللون نائم على سرير مقور وبه ضربان المفاصل، لا يتهنّى بأكل ولا شرب ولا منام، فقال للنقيب: خذ جميع ما رأيته في هذا القصر، وأعطني العافية التي معك ودعني أخدم الفقراء، فنظر النقيب في نفسه فوجد العافية أحسن من ذلك الملك، فاستغفر وتاب فجذبه الشيخ فإذا هو واقف بين يديه يقول تبت إلى الله، ومن ذلك اليوم ما طلب على خدمته جزاءً ولا شكورًا، انتهى.

وأخبرني الشيخ عبد القادر الدشطوطي(١) ﷺ: أنه كان عند سيدي إبراهيم

---

(١) هو سيدي عبد القادر الدشطوطي: المعروف بالكرامات، المشهور بخوراق الآيات البينات والكشف، والقبول التام عند الملوك فمن سواهم من الأعلام، ذو الصفات التي اشتهرت، والعجائب التي بهرت عندما ظهرت، وكان ضريرًا، وعمر عدة جوامع بمصر وقراها، ووقف الناس عليها أوقافًا كثيرة.

وكان صاحيًا، لكنه كان حافيًا مكشوف الرأس، عليه جبة حمراء، وكان لقبه بين الأولياء «صاحب مصر».

وتوقف النيل، ثم هبط أيام الوفاء ثلاثة أذرع، فخاض في البحر وقال: اطلع بإذن الله. فطلع فورًا، فأقبل الناس يتبركون به.

وحج ماشيًا حافيًا طاويًا، فلما وصل إلى باب السلام، وضع خده على العتبة، فما أفاق إلا بعد ثلاث.. وكان يُرى مع الدليل تارة ومع الساقة أخرى، ويختفي ويظهر.

وكان لا يُرى يصلي فيقول: الناس معذورون، يقولون عبد القادر لا يصلي، والله ما أظن أني تركت الصلاة منذ جذبت لكن لنا أماكن نصلي فيها.

وكان قايتباي إذا زاره، يمرغ وجهه على أقدامه.

وقال لشيخنا العارف الشعراوي: كل من قال: إن السعادة بيده كذب.

وكنت في «دشطوط» لا أهجع من السعي على الدنيا، وأنا على ظهر فرس، من الغيط إلى السواقي، إلى التقدمة، وكان المثل يُضرب بي في الجهد على الدنيا، فبينما أنا كذلك، حصل لي جاذب إلهي، فصرت أغيب عن حسي ليومين وثلاثة ثم أفيق، فقلت: اللهم إن كان هذا وارد حق فاقطع علائقي من الدنيا؛ فأخذت في السياحة إلى يوم هذا. وقال: طلبت من الله تعالى مقام الحضور بين يديه، فتجلى لي من حضرته أمرٌ ذابت منه مفاصلي، وصرت أطلب طلوع روحي فلا أُجابُ، فتوسلت بالمصطفى ﷺ فرحمني، وأسدل عليّ الحجاب. ولما عمّر القبة التي دفن فيها بزاويته، صار يقول للشيخ جلال الدين البكري: أسرع، فالوقت قرب، وقال له: لا تجعل لأحد من الشهود والقضاة وظيفة في زاويتي، إنما جعلت وقفها لمكشفي الركب من كل مقيم ووارد. وكان ينام عند نصراني بباب البحر، فيسأله جاره القاضي أن ينام عنده فيأبى، ويقول: هذا ما هو نصراني؛ فأسلم بعده.

وكتب مرة ورقة إلى شيخ الإسلام ابن أبي الشريف، يسأله في أن يقرئ شابًا فتمنع، ثم أرسل الإلحاح عليه فأجاب، فأقرأ الشاب مجلسًا واحدًا ثم قال: أنا لست بمفرغ لإقراء الأطفال، وحجبه عنه، فعاد إلى صاحب الترجمة، فتوجه معه بنفسه إلى شيخ الإسلام، فتوانى في الإذن له- لكونه كان مشغولاً بالعشاء- فاضطرب الموضع الذي هو فيه حتى كاد يسقط، فخرج إلى الشيخ وقال: يا سيدي، بالأرواح.. فقال: ماذا أعمل؟ أنت مشغول باللذة، والوقت أمسى.

قال الجلال السيوطي: رفع إلي سؤال في رجل حلف بالطلاق إن وليّ الله الشيخ عبد القادر بات عنده ليلة كذا، فحلف آخر بالطلاق أنه بات عنده تلك الليلة بعينها، فهل يقع الطلاق على أحدهما؟ فأرسلت

المتبولي نقيب يكاشف الناس على ما في بواطنهم يطلب يومًا من الشيخ أن يساعده على التزويج فأعطاه شيئًا فغضب ولم يأخذه فمقته الشيخ فسلب الكشف وعمل بياع خبز فلم يشتر أحدًا منه رغيفًا، فعمل نقيب أطفال في مكتب ففر منه جميع الأطفال إلى أن بقي وحده فمرض في المارستان مسلوبًا ممقوتًا نسأل الله العافية، انتهى.

وينبغي للشيخ أن يكون أول الناس حضورًا لمجالس الخير من صلاة الجماعة والذكر وقراءة العلم، والزهد والورع، وقيام الليل، وترك التنزه في الأنهار والبساتين، وسماع الآلات ونحو ذلك؛ لأن فقراء الزاوية كلهم ناظرون على أفعاله ليقتدوا به فيها، وقد أنشدوا في ذلك:

إذا كـانَ رأسُ الـدارِ بالـدفِّ مولـعٌ   فشـيمةُ أهــلِ الــدارِ كلِّهِــمُ الـرَّقْصُ

فلا أتعب قلبًا ممن عمل شيخًا على الفقراء لا جسمًا اللهم إلا أن يكون له حال قاهر يحمي به نفسه عن اقتداء الناس به في اللهو والغفلة عن الخير في الظاهر، فمثل هذا يسلم حاله، ولكن ليس لأحد الاقتداء به في ذلك، وإن شيخًا في الصورة كما هو

قاصدي إلى الشيخ، فسأله عن ذلك، فقال: ولو قال أربعة إني بت عندهم لصدقوا، فأفتيت بأنه لا يحنث واحدٌ منها انتهى.

وقال بعضهم: كان قد خلعت عليه خلعة التطور، فيدير ما شاء من الأجساد المعددة، بحيث نام عند رجلين في بلدين متباعدتين في ليلة واحدة، وأكل عند كل منهما لبنًا.ونظير ذلك ما حكي عن الشيخ محمد الخضري-المدفون بالبهنسا- أنه خطب في خمسين بلدًا في يوم واحد خطبة الجمعة. مات سنة نيف وثلاثين تسعمائة، ودفن بزاويته المباركة خارج باب الشعرية.

وانظر: طبقات الشيخ الشعراني (٢/ ١٣٨)، جامع الكرامات (٢/ ٩٥) الشذرات (٨/ ١٢٩)، الكواكب السيارة (١/ ٢٤٦).

شأن بعض أولاد الشيخ إذا مات والدهم، وعملوا مشايخ بعده في الزاوية فإنه ليس لهم من المشيخة سوى الاسم فقط، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ أن يذكر جميع أقرانه الذين هم في الزوايا بخير لاسيما عند الأكابر من الأمراء الذين يزورونه سترًا للخرقة فإن حكم العكس بالعكس، فإنه إذا نقص أحدًا من أقرانه، فبلغه ذلك صار الآخر بنقصه بحضرة كل كبير دخل عليه فانحل الأمر إلى بهدلة الشخصين عند الناس كما يقع في بعض من جلس للمشيخة من غير نظام على يد شيخ كأنه يريد من الناس ألا يعتقدوا أحدًا في البلد غيره فيعاقبه الله بضد قصده، وتنفر منه قلوب الناس كما وقع لكثير من الناس، فليحذر سيدي الشيخ من مثل ذلك، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ إذ لا يتعاطى أسباب الشهرة كعمل الولائم الكثيرة ودعا الأكابر إلى حضورها من علماء وأمراء ومشايخ أسواق ونحوهم، فإن ذلك من سخافة العقل، وما طلب أحد الشهرة وحصلت له إلا وحصل له ندم على ذلك في الدنيا والآخرة.

ولما حضرت سيدي أحمد بن الرفاعي الوفاة، قال ليعقوب الخادم: والله ما كان لحميد خيره إلا في الوحدة فياليت حميدًا لم يعرف أحدًا ولم يعرفه أحد، وكان سيدي على بن وفا يقول: يا مريد الله بالصدق لا تهتم بأمر الشهرة في هذه الدار فإن الله تعالى لابد أن يشهرك وينفع بك لموضع صدقات، ويأمر يد الشهر بالكذب على الله تعالى إن حصل لك ما طلبت لن تمتع به إن مقت الله ﴿أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ (النساء: ٨٤)، والله أعلم.

وفي كلام «الحكم» لابن عطاء الله: ادفن نفسك في أرض الخمول فما نبت مما لم

يدفن لا يتم نتاجه أي بخلاف الحب الذي يدفن فإنه ينبت تحت الأرض، ثم يشق الأرض قهرًا عليها ويخرج ثابتًا لا تقلعه الرياح، وقد درج الأشياخ كلهم إلى عصر سيدي على المرصفي على أن أحد لا يبرز للناس إلا بعد كماله وتهديده بالسلب إن لم يخرج، فاعلم ذلك أيها الشيخ واعمل عليه، والله يتولى هداك.

وينبغي للشيخ أن يتفقد ذرية من وقف على زاويته وقفًا إذا رآهم افتقروا بعد موت والدهم مثلاً، فإن والدهم لو عاش ورآهم في ضيق عيش لربما أشركهم مع الفقراء في الوقف، أو سلخ لهم شيئًا منه إن كان شرط لنفسه الإدخال والإخراج فكما نفع هذا الواقف فقراء الشيخ كذلك ينبغي له أن ينفع ذريته، ولا ينبغي للشيخ أن يطيع من يصده عن الإحسان إليهم من جبابرة المستحقين، ويقول: إن الواقف نفسه صار كالأجنبي فضلاً عن ذريته، فإن ذلك وقاحة وبخل ولوم طباع وعدم معروف، ثم إن غلبه المستحقون ومنعوا الشيخ من أن يعطي ذرية الواقف شيئًا فينبغي له أن يعطيهم نصيبه هو أو يشركهم معه في ذلك ويقدر نفسه أخًا لأولاد الواقف في حياته، وإن كان للشيخ الإدخال والإخراج فليسلخ لهم رزقه من الوقف مثلاً ويقدر أن الواقف لم يقف ذلك عليه، ولا على جماعته، والله أعلم.

وينبغي للشيخ إذا شك في حل شيء من جهات وقف الزاوية أن يجتمع هو والفقراء، ويسألوا الله تعالى أن يعطل كل جهة فيها لوث في نفس الأمر، أو يرسل مكاتبيها لحاكم شرعي حاذق ينظر في أصولها، ويعطي كل ذي حق حقه من جهة السلطان أو أحاد الناس، وقد فعلت أنا بمثل ذلك في وقف زاويتنا، فعطل الله منه بعض جهات فلم يقدر أحد من الحياة يستخرج ممن هو واضع اليد عليها شيئًا من الخراج أو الأجرة مع كون مستنداتنا أصح وأقوى في الظاهر.

وكذلك أرسلت مكاتيب الواقف لديوان السلطان أيام الباشا سليمان وغيره، وقلت له: قد بلغني أن في هذا الوقف شيئًا لجهة السلطان، وأنا لا أنظر إلا على وقف لا شبهة فيه ففتشوا مكاتيبه التفتيش الكامل المخلص للذمم، فما وجدتموه لكم فخذوه وما وجدتموه لغيركم فأعطوه له، ولو جميع الجهات ولا تخافوا من دعاء الفقراء؛ فإن الفقراء هم السائلون في ذلك، وأيضًا فإن من يأكل الشبهات لا دعاء له يستجاب فنظروا فيها وأخرجوا عنها، ثم أرسلوهما لنا وقالوا لتأكلوا الآن حلالاً طيبًا، ولو كان أصل جهاتكم إقطاعًا فإن السلطان قد سمح لكم بذلك، انتهى.

ولا أعلم أحدًا فعل مثل ذلك في مصر غير فقراء زاويتنا فالله تعالى يتم عليهم الورع إلى الممات آمين اللهم آمين، ولا يغفل ذلك الأمر إلا ممن تمكن في مقام اليقين، واعتقد كشفًا ويقينًا أن ما قسمه الله تعالى له لا يقدر أحد على منعه منه، وما لم يقسمه لا يقدر هو على الوصول إليه، فالحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ ألا يغفل عن مصالح الفقراء المقيمين في الزاوية في أمر دنياهم وآخرتهم، فيحصل لهم القوت ويخزنه لهم ليقل التفات أحدهم إلى تحصيل أمر معاشه ويقبل على عبادة ربه، ويأمر أحدهم بالوضوء قبل الوقت ليدخل عليه الوقت وهو متهيئ للصلاة مترقب لواردات الحق تعالى، ولا يفوتهم فعل السُنن التي قبل الفرائض ولا تكبيرة الإحرام في الفريضة، كما هو شأن من يؤخر الوضوء إلى دخول الوقت فربما فات أحدهم الركعتان والثلاث من الفريضة، وقد أجمع الأشياخ على أن كل فقير تهاون بفوات تكبيرة الإحرام لا يجيء منه شيء في الطريق لما ورد في فضل صلاة الجماعة، ويكون من لا شوق عنده إلى الوقوف بين يدي الله تعالى مع المؤمنين للخدمة فهو منافق لما عنده من الكسل الذي هو أعظم دليل على حصُول النفاق لاسيما في يوم الجمعة كما مرت الإشارة إليه في هذه الرسالة، والله أعلم.

وينبغي للشيخ أن ينبه المجاورين على المواطن التي ترفع هممهم عن تحمل منن الناس عليهم من إخوانهم أو الأجانب، كأن يتركوا النقيب يخرج القمح من الحاصل ويغربله وينقيه ويحمله إلى الطاحون، ثم يأتي به إلى الدار فيعجنه ويقرصه، ثم يحمله إلى الفرن، ثم يأتي به إلى الزاوية، ثم الدار وأحدهم جالس يتحدث ويلغوا ويقرأ في ماضيه أو يذكر، فإن ذلك يمنع ترقي الفقير على دناءة الهمة وقلة مروءته حكمه حكم المرأة في البيت لا نصيب له في الرجولية.

وقد كان أبو سليمان الداراني يقول: ليس الشأن أن تصف قدميك للعبادة وغيرك يفت لك إنما الشأن أن تحرز قوتك أولاً بنفسك ثم تقبل بعد ذلك على العبادة ثم لا فرق عند أصحاب المروءة بين أن يكون ذلك النقيب له جامكية في وقف الزاوية على ذلك أم لا، فإن المجاورين ربما كثروا عليه فشق خدمتهم كلهم وصار يخدمهم كالمكره بسيف الحياء لا يقدر على تحرير نيته، فيخرج هو والفقراء عن آداب أهل الطريق، وكان سيدي محمد الغمري يقول: ينبغي للنقيب أن يستعمل أولاد الفلاحين الذين أتوا للمجاورة في الخدمة حتى تنكسر نفوسهم وتتهذب أخلاقهم، ثم بعد ذلك يخفف عنهم الخدمة كغيرهم من قدماء الهجرة، وإن كان نساء المجاورين يأكلن من وقف الزاوية، فينبغي لأزواجهن أن يأمروهن بالأعمال التي تكون داخل البيت كالغربلة والتنقية من الطين والبخر، إن شاءوا وكالطبيخ ولا ترمي إحداهن بنفسها إلى الكسل فينقص رأس مالها في الدين، وقد جاورت في زاوية لبعض الفقراء وأنا صغير فكان أهلها في أرغد عيش لانقيادهم لأمر الشيخ، وكان أحدهم إذا دعا لنقيبه الرطب من اليسر يهرب من كثرة النعمة، فلما خرجوا عن أمر الشيخ، وقال كل واحد: أنا لا يلزمني خدمة غيري حول الله تعالى عنهم النعمة وصار كل واحد يجري طول نهاره في تحصيل اللقمة، هذا أمر رأيته بعيني

وربما غضبوا كلهم وامتنعوا من حمل طبق العجين إلى الفرن، وقال كل واحد: هاتوا لي خبزي أخبزه فذهبوا كلهم إلى الفرن وكانوا نحو سبعين نفسًا، ولو أنهم داموا تحت أمر الشيخ في خدمة بعضهم بعضًا لم يتحول عنهم نعمة وفي الحديث: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»(١) فاعلموا ذلك أيها المجاورين واسمعُوا وأطيعوا لكل من أقامه الله شيخًا تفلحوا إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ أن يأمر المجاورين ونساءهم بالنيابة في الخدمة لكل من حصل له عذر من مرض أو نوم أو سهر على ولد مريض برمد أو غيره، فتنوب إحداهن عن صاحبتها في الخدمة ذلك اليوم لتفعل الأخرى معها كذلك إذا حصل لها مرض أو سهر على مريض، فإذا صعب ما على السهران أن يستقبلونه بالخدمة وسط النهار قبل أن يستريح بالنوم، وليعلم المجاورين المتزوجين أن أحدهم أولى بالخدمة من العزاب لكمال عقله وكثرة مؤنته الزائدة على مؤنة العزاب، ولا ينبغي له أن يقول: إن امرأتي تخدم عني؛ فإن ذلك ندالة وقلة مروءة، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واحملوا التعب والمؤنة عن إخوانكم، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ أن يعلم الفقراء أدب زيارتهم لإخوانهم وذلك بألا يرى أحدهم له فضلاً على المزور؛ بل يرى أنه أدى حقًّا كالواجب عليه لأخيه، وإذا ترك أحدهم زيارة أخيه فليكن ذلك بوجه شرعي خالٍ عن الرعونات كأن يخاف من زيارته له اشتغاله عما هو فيه من العبادة فيترك زيارته لمثل ذلك، وليحذر أن يقول:

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٢ ، رقم ٧٤٢١)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٤ ، رقم ٢٦٩٩)، وأبو داود (٤/ ٢٨٧، رقم ٤٩٤٦) ، والترمذي (٥/ ١٩٥ ، رقم ٢٩٤٥)، وابن ماجه (١/ ٨٢ ، رقم ٢٢٥)، وابن حبان (٢/ ٢٩٢ ، رقم ٥٣٤) .

يتساوى عندك هدايته على يديك وعلى يد غيرك على حد سواء

إنا لي الفضل عليه بزيارتي له وليس له هو علي فضل لعدم زيارته لي، ويقول: إنما تركت زيارته خوفًا عليه أن يكبر نفسه كما عليه أصحاب النفوس، فإنه سُوء ظن بذلك الأخ وهو حرام، والله أعلم.

وينبغي للشيخ أن يصبر على جفاء المريد ونقضه عهده؛ لأنه في حجاب عن معرفة نفاسة ما يدعوه إليه الشيخ، فلا يزال الشيخ في تعب حتى تعلق فيه صنارة محبته للطريق حين يشرق على نفاسة ما يُدعى إليه، وهناك يستريح ويصير المريد يفعل الخير من أدب نفسه أو لمجرد الإشارة، وهناك يصير المريد يبكي على موت الشيخ أشد البكاء بخلاف ما إذا مات شيخه وهو لم يعرف نفاسة ما كان يدعوه إليه، فإنه لا يحزن عليه ولا يبكي ثم إذا علقت في المريد صنارة محبة الطريق فينبغي للشيخ أن يفرح بذلك المريد أشد الفرح لكن من حيث جمعية قلبه على عبادة ربه لا من حيث نسبة هدايته إليه هو كما أشار إليه حديث: «لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»(١)، انتهى.

فاعلم ذلك أيها الشيخ وافرح بهداية مريدك لله لا لحظ نفسك بحيث يتساوى عندك هدايته على يديك وعلى يد غيرك على حد سواء، ومتى وجدت في قلبك حلاوة بهدايته على يديك أرجح من حلاوة هدايته على يد غيرك فأنت في حظ نفسك، وما دعت الأنبياء ونوابهم إلا إلى عبادة الله لا إلى نفوسهم قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ (البقرة: ١٨٦) أي: فدلهم على قربي لا على قربة منك، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه البخاري (٣/ ١٠٧٧)، ومسلم (٤/ ١٨٧١).

وينبغي للشيخ إذا ورد عليه فقير قوي العزم في الذكر وأراد أن يكون ذلك الفقير من أصحابه ألا يقول له: ادخل في صحبتنا لئلا يقول: أنا في صحبة فلان فيخجل الشيخ؛ بل يقول بقلبه اللهم إن كان لهذا الفقير نصيب عندنا فقيده لصحبتنا، وإلا فاصرفه عنا إلى شيخه، واصرف قلوبنا عن التعلق بصحبته، وقد فعلت بذلك مرات فإما يتقيد ذلك الفقير علينا من غير لفظ، وإما ينصرف عنا، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ أن يعلم فقراء الزاوية بأن تكون أعمالهم كلها تدور على رضا الله تعالى، فلا يحبون وليًا إلا لأجل نسبته إلى الله تعالى فيشهدون عظمة الله تعالى قبل عظمة ذلك الولي، ولا يقصرون بصرهم على ذلك الولي مع حجابهم عن شهود من أحبوه لأجله، ولهذا الأدب حلاوة يجدها الفقير لا يقدر قدرها، ومن هنا قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي: الأولياء آيات الله وأعلامه على ما يدل على ذاته، وأكثر من ذلك لا يقال، وكان سيدي علي الخواص ﷺيقول: لا يعمل الفقير حتى يجتمع بقلبه على الله تعالى شهود كل شيء في الوجود، كما قال القائل: وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد، فاعلم ذلك أيها الشيخ، ولا تغفل عن تعليم أصحابك الأدب مع الله، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ أن يأمر مؤدب الأطفال في الزاوية أن يحذر الأطفال من السرقة أو الاختلاس لشيء لا حق لهم فيه؛ ليدخل عليه سن البلوغ وهو يوصف بالأمانة دون الخيانة، ويحذره من سرقة درهم أو أكل حبة واحدة من الفاكهة التي حملها إلى بيت الشيخ أو الفقيه مثلاً، فإنه وإن لم يكن مكلفًا فلا يبعد أن يلحق في الحكم بالعبد الذي تعلق برقبته مال، فلا يطالب العبد به بعد العتق كذلك لا يبعد أن يطالب به

الطفل بعد البلوغ، أو في الدار الآخرة ثم إن جرى المقدر على طفل وخان في رطبة أو جديد نقره ولم يقدر على الوفاء لغيبة صاحبه أو موته، فمن العقل أن يقرأ له ختمًا ونحوه ويدعو له، وقد فعلت أنا بذلك مرة في درهم أخذته وأنا صبي اشتريت به حلاوة بغير إذن صاحبه، فقرأت له ختمة وأهديتها في صحائفه، وأنا خائف ألا يرضى بذلك في نظير درهمه، ويقول: في الآخرة مات درهمي بعينه، فالله تعالى يلطف بنا وبكل من عليه حق آمين آمين آمين.

وينبغي للشيخ معاتبة كل من تخلف من المجاورين عن صلاة الجماعة، أو مجلس الذكر وتوبيخه على ما فاته من الوقوف أو الجلوس بين يدي رحمة الله ﷻ فلعله يأخذ حذره في المستقبل ويواظب على الخير وينجبر ذلك الخلل الذي حصل بتحريك الهمة التي حصلت بالتوبيخ والحزن على ما فات.

وكذلك ينبغي للشيخ والنقيب أن يأمر الجماعة بالاجتماع على السماط لاسيما أيام الغلاء أو ضيق طعام الزاوية، فإن رسول الله ﷺ أمر بذلك أهل بيت كانوا يأكلون ولا يشبعون وقال: «لعلكم تفترقون، فقالوا: نعم يا رسول الله، فقال:اجتمعوا على طعام يبارك لكم فيه»[1]، انتهى.

وفي ذلك أيضًا سد باب اللوث بالشيخ من الأعداء إذا رأوا جماعة السماط قليلة، ويقولون:إن الشيخ يأكل حق الفقراء، ولا يطعم من وقف الزاوية إلا القليل فإذا رأى العدو وجميع المجاورين يأكلون على السماط في صحن الزاوية مثلاً ورأى كثرتهم فربما ترك اللوث بالشيخ، أو قال الشيخ في كلفة عظيمة من جهة كثرة المجاورين الذين عنده وفي اجتماع الفقراء أيضًا سد باب التكبر من الفقراء، كما عليه

---

(١) رواه أبو داود (٣٧٦٦).

بعض المجاورين الذين يخالطون أبناء الدنيا، ويظهرون الكبر والغناء عن سماط الشيخ فأشق ما على أحدهم أن يدخل عليه ذلك الصاحب وهو جالس يأكل مع الأطفال والعميان ولو أنه كان صادقًا في محبة الشيخ لفرح بذلك أشد الفرح وعزه على ذلك الصاحب، وقال له: كل من طعام سيدي الشيخ يحصُل لك البركة فبالله عليكم يا إخواني ذللوا نفوسكم ليرفع الله مقامكم، ومن كان منكم مستغنيًا عن طعام الزاوية فليحضر مع الفقراء تواضعًا وتكبيرًا لسوادهم، ولا تخالفوا تندمُوا، والحمد لله رب العالمين.

ينبغي للفقراء إذا كان لهم ورد في الزاوية ليلاً أن يحضر أحدهم ولا يتعلل بتأنيس زوجته التي لا تستحق أكل نخالة الشعير، وإن كانت تخاف حقيقة فليسأل بعض عجائز الحارة أن تنام عندها ولو بعشائه تلك الليلة، وإذا كانت الزوجة قوية القلب لا تخاف إذا أغلق عليها الباب فليحضر للورد من غير مؤنس وليحذر من التعلل بوحشة الزوجة، فإن الناقد بصير وبتقدير صدقه، فينبغي له أن يفعل ذلك الورد في بيته حتى لا يفوته الأجر، وقد رأيت من يجلس على بعض الحوانيت يتحدث مع السوقة حال مجلس الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة من الصلاة إلى العصر، وإذا عاتبه أحد قال: حصلت لي ضرورة استغرقت الوقت ورأيت من يقوم ويشمر أكمامه ويشد وسطه ويخرج من الزاوية يوهم أنه يأتي بحطب الطعام أو شراء الدهن ونحو ذلك، والحال أنه إنما خرج زهقًا من المجلس ورأيت من يأتيه ولده الصغير فيجلس بجنبه فيطأطئ رأسه له، ويقول: ككي ثم يقوم ويهم الحاضرين أنه إنما قام به خوفًا أن ينجس المسجد، والحال أنه إنما هو من كثرة الحصر الذي حصل له من مجلس الذكر، ورأيت من يقوم من المجلس ويدور في الزاوية ثم ينزل الميضأة فيطوف على بيوت الخلاء بيتًا بيتًا، ثم يطلع بلا قضاء حاجة ويوهم أنه إنما نزل

لحاجة البول مثلاً، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وتزودوا من الخيرات؛ فإن الموت أقرب إلى أحدكم من حبل الوريد، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لمن لم يقدر من الفقراء على مجالسة الله ﷻ من أول الورد إلى آخره أن يحضر أول المجلس وآخره ليكتب في الأول من السابقين للخيرات وفي الآخر من أهل المجلس فيفرق عليه ما قسم له ولو أنه كان مفتوح البصيرة لحزن على ما فاته من ذلك الخير أشد من حزنه على ولده العزيز إذا مات في ذلك الوقت، وإذا احتبل المجلس فلا ينبغي لأحد من الفقراء مفارقة المجلس؛ لأنه يكسر قلوب الجماعة ويضعفها ويفرق قلوبهم، وهذا نظير ما ورد في المنصرف من صف القتال، فلا ينبغي للذاكر الانصراف إلا إن كان متحيزًا إلى فئة يذكر معها ليقوي قلوبها أو ليذكر الله تعالى في جانب آخر من الحلقة لا لعلة؛ لأن الذاكر لله كالمجاهد في سبيل الله، ومن هنا قال أبو علي الدقاق: الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد أعطى مرسومًا بأنه ولي الله، وكان يقول الذكر سيف المريدين به يقاتلون أعداء الله من شياطين الإنس والجن، انتهى.

فاعلموا ذلك فإنه نفيس، وكان سيدي علي المرصفي ؒ يقول: لا ينبغي لأهل المجلس أن يقوموا دفعة واحدة للطهارة ويخلو جانبًا من الحلقة؛ بل يقوموا متراسلين جماعة بعد جماعة لا يظهر بهم خلل في الحلقة ولابد لهم من إذن شيخ المجلس في ذلك ولو بإشارة عملاً بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ (النور: ٦٢)، ومجلس الذكر أمر جامع للقلوب على الله بيقين، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ أن يعلم المجاورين العمل بما علموه من أحكام الشريعة، فما

كل من علمها عمل بها لاسيما النوافل وصغائر الذنوب كالتهجد، وحرق البق والنمل، إذا كثر في الزاوية أو البيت فيأمر الفقراء بالنوم كل ليلة على طهارة، وذكر من غير حدث ولا لغو، ويأمرهم إذا أرادوا إخراج البق أو النمل بفضل الأمور التي ليس فيها عذاب على الحيوان، وذلك بأن يضع للنمل رأس حيوان مطبوخ، فإذا دخل النمل فيه رماه على الكوم، أو يأخذ فتيلة ويقربها من مواضع البق فإذا أحس بالحرارة وخرج من موضعه فليقتله بيده مثلاً دون أن يحرقه بالنار، أو يضعه في الشمس حتى يموت؛ فإن الشمس أخف من النار في الحرارة، وكان سيدي محمد المنير يجلس عند الحصر التي فيها البق أو البرغوث في الشمس فإذا انتشر البرغوث أو النمل أو البق قتله وهو خائف من الله في جهة عدم إحسانه القتلة التي أمره الله بها، فإن دهك البق أو النمل أو البرغوث والقمل بحجرًا أو بمصقلة مثلاً ما هو إحسان للقتلة إنما الإحسان أن يقتله بأهون طريق يكون، ويتمنى أن لو كان يمكنه ذبح القملتين أو البرغوث لفعل، انتهى.

وهذا الأمر يقع فيه المجاورون كثيرًا ولا ينبغي لهم ذلك؛ بل كان سيدي أحمد بن الرفاعي يقول: لأصحابه اصبروا على قرصة النمل والقملة والبرغوث، وعودوا نفوسكم بتحمل الشدائد في الدنيا ليصير لكم إدمان على تحمل شدائد الآخرة، فإن جميع شدائد الدنيا إنما هي كالإدمان لشدائد الآخرة، وكان يقول: إذا لم يصبر أحدكم على قرصة برغوث فكيف يطلبُ طريق القوم، وفي رواية عنه من كان ينفذ غضبه في برغوث أو قملة فكيف يطلب منه ألا يتقد غضبه في حق أخيه المسلم، انتهى.

وكان ذو النون المصري ينهي أصحابه عن البصاق تجاه القبلة وعن اليمين واليسار، وعن البصاق في بحر النيل، ويقول: يبصق أحدكم على أكبر نعم الله

الدنيوية على عباده، انتهى.

فاعلموا ذلك أيها المجاورون واعملوا به، والحمد لله رب العالمين.

وكذلك ينبغي للشيخ أن يعلم المجاورين ألا يفعلوا فعلاً ولا يقولوا قولاً مندوبًا أو عاديًا في المجلس إلا مع شهود أحدهم كون الله تعالى يراه، وإن ذلك من جملة ما ندب إليه أو إباحة لحكمة من الحكم فيلبس الثياب النظيفة المبخرة في حضرته ويلف عمامته لفًا مليحًا في حضرته، وفي نفسه أنه لولا أن الله أمر بذلك وأباحه لما فعله، ولهذا حلاوة عظيمة لا يقدر قدرها، ومن أدمن هذه الشهوة في المسجد انسحب الحكم معه إن شاء الله في كل الأماكن، فلا يصير يفعل شيئًا أو يقوله إلا مع شهوده أنه في حضرة الله وهو يراه، وكان سيدي محمد المنير رحمه الله يحل عمامته ويلفها كل يوم ويقول: إنما أفعل ذلك تعظيمًا للمواكب الإلهية إذا وقفنا بين يدي ربنا سبحانه في أوقات الصلوات أو جلسنا بين يديه في حال الذكر وربما عائت قملة أو برغوث في طيات العمامة فأصلي بجلدته ولا أشعر، انتهى.

فاعلموا ذلك أيها الإخوان واعملوا به، والحمد لله رب العالمين.

وكذلك ينبغي للشيخ أن يُنهض همة الفقراء ويقوم معهم في مجلس الذكر إذا ذكروا الله قائمين اللهم إلا أن يكون له عذر كأن طعن في السن فلا حلاج، وينبغي للشيخ أن يقبل عذر كل من تخلف عن مجلس الذكر أو مجلس المناقشة إذا ألقى الله في قلب الشيخ صدقه، فإن لم يلق الله تعالى في قلبه صدقه فلا يجوز له قبوله لما فيه من الغش لنفسه، وكذلك الفقير لكن لا يخفى أن العذر المقبول إنما هو كالنوم والنسيان أو السعي على العيال وليس من العذر المقبول اشتغال الفقير بدرس القرآن، أو ورد

آخر خلاف ما أمره به شيخه فإن النفس ربما تفعل ذلك لحظها، [...](1).

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي يقول: من شأن النفس الخيانة لصاحبها والغش له، فلا ينبغي لعاقل أن يصغي لما يقوله بغشه إلا بعد التفتيش العظيم وعرض ذلك على الكتاب والسُنة، وسمعته مرارًا يقول: إذا نسب إليكم عيبًا لا تغير قوله من نفوسكم وصدقوا أخاكم وقولوا هم أعلم بنفسنا، منا فإن من شأن النفس أن تغش صاحبها وتستر عنه عيوبه بخلاف الأخ، انتهى.

وقد فعلت أنا بذلك مرارًا لا تحصى ووجدت له حلاوة عظيمة عكس من يكون بالضد من ذلك فيصدق نفسه ويكذب أخاه، فإنه يجد في نفسه الحصر والضيق حتى أنه يود أن ذلك الأخ يبعد منه كل البعد، والحمد لله رب العالمين.

ينبغي للفقراء المقيمين في الزاوية أو غيرها أن يكون أحدهم حاذقًا يلحق بالحرام أو الشبهة إذا أهدوا أحدًا إلى الفقراء، ولا يحوجوا شيخهم إلى أن ينهاهم عن الأكل من مثل ذلك، فإن الشيخ قد يموت أو يسافر؛ فإن لم يكن عند الفقير تقوى وإلا أكل من ذلك وأتلف قلبه وأعماله فإن القلب والأعمال تابعان للقمته حلاً وحرمة أو مكروهًا وشبهة لا يقدر أحد أن يخرج أعماله عن مشاكلة لقمته أبدًا ومن شك فليجرب.

وسمعت سيدي عليًّا الخواص ﷺيقول: أول ما في عقوبة العبد إذا أكل حرامًا أو شبهة أن تمنعه الملائكة من دخول حضرة الله تعالى في صلاة أو غيرها، ومعلوم أنه لا يقدر أحد على قلبه إذا أكل حرامًا أو شبهة يمكث في حضرة الله تعالى

---

(1) في المخطوط: والشيخ مش على كل سائر في الفقير. وهي عبارة غير واضحة.

من يعبد الله كأنه يراه أو يستصحب نظره به إليه حال عبادته أبدًا، ولا يصح عند القوم صلاة إلا في الحضرة وأما خارجها فلا فرق بين العبادة والعادة، ومن لازم ذلك عدم حصول الثواب وعدم القيام بها كلف به.

وسمعت أخي أفضل الدين ﷺ يقول: من أكل حرامًا أو شبهة حرم الخشوع في عبادته ومعلوم أن الصلاة لا تصح عند القوم إلا مع الخشوع، ومتى خطر في بال المصلي حين يحرم إلى أن يسلم من الصلاة غير الله تعالى فلا يصح له صلاة، انتهى.

وسمعت سيدي عليًا المرصفي ﷺ يقول: لولا وقوف المعارضين بين يدي الله تعالى في صلاتهم لانفطرت سرائرهم من حجاب العبد، قال: ولا يعرف ما قلناه إلا من كان مقربًا عند أحد من الملوك يطلعه على أسراره ويفعل له كلما أراد ثم جفاه الملك وطرده عن حضرته وتوسل إليه بكل حيلة فلم يرض عنه، وقد منَّ الله تعالى عليّ بجماعة من الإخوان في الزاوية لا تطيب نفس أحدهم أن تأكل شيئًا من الشبهات في غيبتي وحضوري فلتسأل الله تعالى من فضله أن يديم ذلك عليهم إلى المهات، وقل أن يوجد ذلك اليوم في زاوية بل ربما تخاصموا على هدية الأمراء إذا دخلت الزاوية مع شيخهم، انتهى.

وسمعت سيدي عليًّا الخواص ﷺ يقول: إذا فرق الباشا أو الدفتردار أو القاضي ضحايا أو نحوها على سائر زوايا البلد، فينبغي للشيخ والفقراء أن يقبلوا ذلك موافقة لفقراء البلد ثم يصرفوه إلى المحتاجين إلى مثله لاسيما إن ترتب على رد ذلك مفسدة في الدين أعظم من مفسدة الرد، وإن رأى الشيخ أن يطعم تلك الهدية لأطفال الزاوية ولنساء المجاورين اللاتي يخرجن عن طاعة أزواجهن، ويخرجن الصلاة عن وقتها بغير عذر فلا بأس؛ لأن الأطفال غير مكلفين والنساء المذكورات

مقامهن لا يقتضي الورع عن مثل ذلك، انتهى.

وقد فعلت أنا بمثل ذلك في هدية بعض الأمراء لما ختن أولاده فإنه أرسل لنا بقرًا وغنمًا وعسلاً أسود وأرز وسمن وحطب وقمح، فخفت إن رددناه عليه أخجلناه بين الناس ونسبناه إلى عدم الورع، وزكينا نفوسنا عليه، وتميزنا بذلك عن جميع مشايخ البلد فرأينا القبول أخف مفسدة من الرد، فبالله عليكم أيها الإخوان اسمعوا لشيخكم، وكونوا متورعين بالقلب ولا تضروا شيخكم باللسان في قلبكم حزازة من الرد أو من عدم الأكل من مثل ذلك فإنه قليل الثواب، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقهاء الزاوية ألا يتساهلوا في تأديب أطفال الزاوية إذا تخاصموا وضرب بعضهم بعضًا بالعصا، وقال بالحزام وبالوايل، كما يفعل آباؤهم في الريف فإنهم يبلغون على تلك الحال فيعسر تأديبهم بعد ذلك إذا تخاصموا كما جبرنا ذلك في أطفال الزاوية، ويتأكد على الشيخ أن يساعد الفقهاء على تأديب الأطفال إن كان ذلك الفقيه ضعيف الجانب لسذاجة أو غيرها؛ لأنها مصلحة تعود على أهل الزاوية كلهم نعى بعضهم على بعض وربما اشتكوا بعضهم من بيت الوالي كما هو مشاهد فيمن خرجوا عن طاعة شيخهم والزمان في زيادة من الشر لا في نقص، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقراء الزاوية ألا يتركوا النصح لبعضهم مادامت قابلية أخيهم قابلة للنصح، ويرى أن ذلك النصح خيرًا له، فإذا زالت قابليته وصار يعد النصح له من جملة الأذى، ويقول:إن فلانًا لم يزل يؤذيني فحينئذ يخفف الإنسان عنه النصح حتى يحصل عنده قابلية، وإلا فربما وقع بينهما خصام وترافعوا إلى الحكام كما هو مشاهد

في بعض الزوايا، فيشتكي أحدهم أخاه من بيت الوالي فيترتب على ذلك ضرر شديد وإخراج من الزاوية أو الحارة، فاعلموا ذلك أيها الإخوان وانصحوا بعضكم بعضًا بهذه الميزات، والحمد لله رب العالمين.

ﮋﮊ

البَابُ الرَّابِعُ

في ذكر جملة أخرى من آداب فقراء الزاوية وأخلاقهم

اعلم أنه لا ينبغي للشيخ وجميع فقراء الزاوية ألا يرى أحدهم نفسه على أخيه إذا كثر أصحابه والمعتقدون فيه دون أخيه، وصار أحد المعتقدين إذا دخل الزاوية فلم يجد صاحبه حاضر أنزل من الزاوية ولم يجلس فيها، ومن علامة تحقق الشيخ أو غيره بهذا المقام ألا يجد في نفسه حرجًا وضيقًا إذا تحولت أصحابه عنه إلى صحبة أخيه، وصار ليس له صاحب واحد يجالسه، فإن وجود الحرج والضيق دليل على أنه كان يرى نفسه على أخيه بكثرة الأصحاب والمعتقدين، وقد جاءت النصوص القاطعة يشهد بأكل عمل دخله الربا لا يقبله الله، أي: إما بالكلية أو لا يقبله ذلك القبول الذي يكون لمن أكثر من مراعاة الإخلاص.

وسمعت سيدي عليًّا الخواص المرصفي ﷺ يقول: من علامة إخلاص الشيخ في تربية المريدين أن يتساوى عنده نسبة أصحابه إليه ونسبتهم إلى أحد من أقرانه على حد سواء؛ لأن مقصود الصادقين جمع قلوب الشاردين عن حضرة الله إليها بأي وجه كان حتى لو مكث الفقير عند أحدهم سنين عديدة ولم يفتح عليه من الطريق بشيء، ثم ذهب إلى أحد من أقران شيخه فصحبه ففتح عليه في ليلة يزداد سرورًا بذلك، ومتى تغيرت منه شعرة واحدة لأجل ذلك فهو لم يشم من الإخلاص رائحة، انتهى.

فاعلم ذلك يا أخي وقس نفسك قبل الموت وتداركها بكثرة الاستغفار، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقراء الزاوية ألا يطلب أحدهم وظيفة في الزاوية إلا بعد تحصيل شروطها، وذلك راجع إلى علم الشيخ لا إلى علمه هو، فإن المسجد حضرة الله الخاصة وخدامه كلهم هم أهل حضرة الله ﷻ حقيقة عند كل من فتح الله عين بصيرته فمن لم يتطهر عن الرذائل الظاهرة والباطنة، فليس له أن يزاحم على وظيفة في الزاوية، وقد حصروا أهل الحضرة الإلهية في ثلاثة أصناف: أنبياء وملائكة وأولياء، وليس في باطن أحد من هؤلاء ولا في ظاهره شيء يكرهه الله أبدًا إذا علمت ذلك.

فمن شرط بواب الزاوية أن يكون مطهرًا من سائر الرذائل الظاهرة والباطنة، فإنه بواب الحضرة الإلهية التي يدخلها أهل الحضرة يناجون فيها ربهم، ويقبح أن يكون فيه خصلة يكرهها الله ﷻ.

ومن شرط الفراش كذلك أن يكون كذلك أن يكون مطهرًا من سائر القاذورات الظاهرة والباطنة الحسية والمعنوية ليشاكل بعضه بعضًا، ومن كان بدنه أو ثيابه أو قلبه قذرًا فلا يصلح أن يكون معدًا لإزالة القذر المحسوس في المسجد.

ومن شرط الوقاد أن يكون قلبه مستنيرًا من الأعمال الصالحة حتى يصير فقراء الزاوية يقتبسون نور قلوبهم من نور قلبه، كما يقتبسون نورهم من مصابيح المسجد.

ومن شرط الإمام والخطيب أن يكون أطهر الفقراء قلبًا وأنظفهم جسمًا وثيابًا؛ لأنه هو المترجم لهم عن ربهم لجبريل عليه السلام وفي الحديث: «اجعلوا أئمتكم خياركم فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم»[1].

---

(١) رواه الدارقطني في سننه (٢/ ٨٧).

ومن شرط النقيب والجابي والناظر أن يكون أرحم لفقراء الزاوية من أمهم، فلا يجر إلى أحد منهم ضررًا بوجه من الوجوه بل يكون نفعًا صرفًا لهم في أمور دنياهم وآخرتهم وهكذا في سائر الوظائف، وقد فتحت لكم أيها الفقراء باب الأدب مع الله في بيته فقيسوا على ذلك ما لم أذكره لكم، والحمد لله رب العالمين.

ينبغي للشيخ أن يكون يزجر من يراه من فقراء الزاوية يشتغل بعلم الروحاني فإن المسامحة في ذلك تجر إلى المقت وضيق الرزق وقساوة القلوب على فاعله ونسبته إلى السحر، وقد كان سيدي إبراهيم المتبولي ﷺ يقول: وعزة ربي عباد الأوثان على همة من أصحاب علم الحرف؛ لأن عباد الأوثان قالوا: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ (الزمر: ٣)، وما أهل الحرف يفعلون ذلك لأغراض فاسدة دنيوية لو عرضت على العاقل من غير سؤال كان من العقل الزهد فيها، وكيف يستعمل الإنسان نفسه في الاشتغال بالأسماء الإلهية والحروف الملكية في تحصيل محبة جارية أو غلام عشقه إنسان في الحرام ولم يصل إليه، وكان يقول أيضًا: ثلاث من النوافر في أعمال الدنيا والآخرة: الاشتغال بعلم الروحاني، وبلع الحشيش، ومحبة الشباب المرد، انتهى.

فاعلموا ذلك، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ أن يعلم فقراء الزاوية شدة توقير رسول الله ﷺ واحترامه وتعظيمه فلا يتعاطى أحدهم قراءة: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ (الكوثر: ١)، أو الإكثار من الصلاة عليه ﷺ مثلاً ليراه في منامه بل ينزه ذلك الكمال عن رؤية مثله، وعن تكليفه للمجيء من المدينة المشرفة إلى مكان ذلك الشخص الذي يطلب رؤيته؛ بل لو كان صادقًا في محبته له ﷺ فطلبه رسول الله ﷺ أن يجيء إليه لكان من الأدب تقبيل نعله وسؤاله ﷺ بالله ألا يأتيه تعظيمًا وإجلالاً فإنه ﷺ أكثر الخلق

تواضعًا ولو سأله أخس الناس في حاجة لأجابه إليها كما كان في حياته ﷺ وقد قررنا مرارًا أن من أدب الزائر لقبر رسول الله ﷺ أن يقول له: أعطني يا رسول الله يدك لأقبلها إلا بإذن سابق منه ﷺ فإن الأدب أن ينزه العبد النبي ﷺ عن مسه بعضو قد تدنس بالمخالفة ولو مرة واحدة في العمر، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ إذا وقع بينه وبين أحد من أقرانه وقفة ثم جاء ذلك الأخ إليه ليصالحه ويقبل رجله، ألا يقول لأصحابه: إن فلان جاءنا، وقبل رجلنا مثلاً إلا على وجه التعظيم له ووصفه بكثرة التواضع، ويقول لأصحابه: كنت أنا أولى بذلك ولكن لم يزل فلان يسبق إلى الفضائل والخيرات، وذلك لئلا يعظم مقام أخيه حين تواضع له كما يقع فيه بعض المتشبهين بالقوم، فيحكي مثل ذلك على سبيل الضخامة لنفسه والتحقير لغيره وذلك حرام بإجماع المسلمين، فاعلم يا أخي ذلك ووبخ نفسك التي لم تسارع إلى مصالحة أخيها، وامدح من بدأك بالصلح بين إخوانك، وقل لهم: هكذا فافعلوا وابدؤوا بالصلح من غضب عليكم من إخوانكم عملاً بحديث: «وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»(١).

وأما ترك البداءة بالصلح على نية الخوف على أخيك من رؤية نفسه عليك، فذاك خاص بأكابر العارفين الذين خرجوا عن دسائس النفوس، فإن كنت منهم فلك فعل ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ولا ينبغي لأحد من الفقراء أن يتمشيخ في مجلس الذكر إلا بإذن الشيخ، كأن يقول لأهل المجلس اذكروا سواء أو زيدوا الذكر أو اختصروا أو استعجلوا ونحو ذلك؛ لأنه سوء أدب مع الشيخ وربما كثرت المشايخ في المجلس فحصل في المجلس

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٢٢٥٦)، ومسلم(٤/ ١٩٨٤).

اختلاف وارتجاج يشوش قلوب الحاضرين، فليحذر الفقراء من مثل ذلك؛ لأن الشيخ على الجماعة هو الأمين على أعمالهم وليس ذلك لغير الشيخ.

وإذا زحفوا عن مكانهم إلى قلب الحلقة مثلاً وفرغوا من الذكر فليرجع كل واحد إلى مكانه الأول إن أمكن، وإلا جلس بجنب شخص آخر ليسدوا خلل المجلس التي يدخل منها الشيطان، فاعلموا ذلك أيها الإخوان وليتوافى يد إخوانكم وأطيعوا بعضكم بعضًا في اتفاق الأصوات، ولا يعتمد أحدكم في الذكر على لذة تناسب الأصوات في الرفع والخفض بحكم الموفقة، فإن ذلك نقص في الاستعداد فيكون أحدكم مع نغمته وزنته لا مع المذكور كما عليه جماعة من الأعاجم الجاهلين بالطريق؛ بل اذكروا ربكم بهمة وعزم حتى يهتز أحدكم من فرقه إلى قدمه ويغيب عن شهود الحاضرين، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للفقراء ألا يحضروا قط وليمة لأحد إلا بإذن الشيخ ولو كانت لأعز أصدقائه، فقد لا يرضى الشيخ لجماعته أن يأكلوا من تلك الوليمة لغرض من الأغراض الشرعية التي تخفى على غالب الفقراء، كدخول شبهة في ذلك الطعام أو تحمل منته في ذلك الطعام مع عدم مكافأته ونحو ذلك، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ المتفعل في المشيخة إذا بلغه أن شخصًا من تلامذة الأشياخ عقد له مجلس ذكر بغير إذن من أستاذه، ألا يقول ما كان ينبغي له ذلك لا فيه تقصير همته عن الذكر، وإن كان الأصل أن مجالس الذكر لا تكون إلا للكمل، بإذن أشياخهم؛ بل الأدب أن يذهب إليه ويقوي قلبه وقلب جماعته على المواظبة في ذلك المجلس محبة في ذكر العباد ربهم ﷻ.

ولا ينبغي للشيخ أن يتعلل بخوف الرياء على ذلك الشخص الذي عمل

شيخًا؛ لأنه ربما يقال له الآخر وأنت كذلك يخاف عليك الرياء فلم لا نترك مجلسك أنت الآخر وهذا الأمر يقع منه مفاسد، وربما استفتى بعضهم على بعض وترافعوا للحكام، وذلك في غاية سُوء الأدب اللهم إلا أن يأتي في صاحب ذلك المجلس ويستشير شيخًا في دوامه عليه وفي إبطاله فهناك يشير الشيخ عليه مما يراه أصلح له؛ لأن المستشار مؤتمن.

وسمعت سيدي محمدًا الشناوي[1] ﵀يقول: لا يظهر من أحد من الفقراء عدم سرور بمن عقد له مجلس ذكر في حارته إلا لعدم كماله إذ الكامل غافل عن رؤية المشيخة، وأهلها غائب مع شهود الحق تعالى يود أن لو كان كل من في الوجود

(١) محمد الشناوي الأحمدي المحمدي، الصوفي، المسلك، المربي، أخذ عن جماعة كثيرين، أجلهم الشيخ أبو الحمائل، وعنه آخرون أجلهم الشيخ الشعراوي.

وعظم قدره، وعلا صيته، وصار لا ترد شفاعته، وكان يقول: لا ينبغي لفقير أن يطلب الظهور عند الأمراء والملوك إلا إن أمكنه إظهار كرامة، وإلا فالتستر له أولى.

وكان يلقن الرجال والنساء كلمة الشهادة ببلاد الريف، ويقول للرجل: اذكر بإخوانك، وللمرأة: اذكري بجيرانك. ويقول: أشعلنا في البلاد نار التوحيد، فلا تطفأ إن شاء الله إلى يوم القيامة.

وكان لا يقبل شيئًا من هدايا أهل الدولة، ويقول: شرط الداعي إلى الله أن يطعم الناس، ولا يطعموه.

وكان يقول: الطريق إلى الله أخلاق، لا أقوال ودعاوى. وكان أكثر تربيته بالنظر، ينظر إلى قاطع الطريق وهو مار، فيتبعه حالاً. وكان يفتتح مجلسه بالعشاء، ويختمه مع الفجر، فإذا صلى الصبح افتتحه إلى ضحوة النهار، واقتفاه شيخنا الشعراوي في ذلك.

ومن كراماته: أنه كان يكلم الشيخ أحمد البدوي، فيجيبه من القبر. ومنها: أنه كان من أصحاب الخطوة، وكان يرونه كل سنة في عرفة. ومناقبه كثيرة، وفضائله شهيرة. مات سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة، ودفن بزاويته بمحلة روح. الكواكب السائرة (١/ ٩٧)، كرامات الأولياء (١/ ١٧٩)، طبقات الشعراني (٢/ ١٣٢)، الكواكب الدرية (٨٢٥).

ذاكر الله لا يغفل عنه لحظة، فعلم أن في إنكار الشيخ على أحد من الذاكرين ما لا يخفى من رعونة النفس، وربما تحركت نفس الشيخ الجديد واعترض عليه كذلك فحصلت فتنة عظيمة، انتهى.

فاعلموا ذلك أيها المشايخ واظهروا السرور بكل شيخ برزت حارتكم وتحولت جماعتكم إلى مجلسه، وتركوا مجلسكم فإن ذلك أرقى لكم فإن الاشتغال بهداية الخلق، وإن كان محمودًا فالاشتغال بالله وحده أحمد وأحمد، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ أن يؤاخي بين جميع أصحابه من الفقراء والأغنياء والمباشرين والأمراء وغيرهم، كما سيأتي إيضاحه في الخاتمة آخر الكتاب، وكما كان ﷺ يفعل مع أصحابه وفي ذلك من المصالح ما لا يخفى على عاقل أقل ما في ذلك حصول التعاضد في إقامة شعائر الدين، فإن الأعداء من شأنهم أن كل واحد يخالف الآخر ويخذله فيما أراد فعله فيذهب شعار الدين في الزاوية وغيرها ومن مصالح ذلك كون كل أخ يصير يفتقد صاحبه في كل خير من أمور الدنيا والآخرة بخلاف من ليس بينه وبينه أُخوة خاصّة، ولو انفتحت بصيرة العبد لكانت أُخوة الإسلام تكفي في التعاضد، ولكن لما ضعفت الدواعي احتاج الناس إلى الأخوة الخاصة كما فعله الشارع مع أصحابه على حكم التشريع لمن بعدهم، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للنقيب أن يزيد نصيب كل من رآه عفيفًا شريف النفس على من يراه بالضد من ذلك إذا قسم هدية بين الفقراء مثلاً اللهم إلا أن يترتب على ذلك فتنة لقلت سياسته، فيكون ترك تلك الزيادة أولى، وإيضاح ذلك أن الساكت وليه الله والمتكلم وليه نفسه، ومن جعل الله وليه استحق الإكرام أكثر.

وينبغي له مراجعة الشيخ في -أي: الفقراء-أعلى مقامًا ليرتب على ذلك مقتضاه، فإن مقامات الفقراء قد تخفى على النقيب بخلاف الشيخ إذ النقيب لا يعرف مقام الفقير إلا بكثرة عباداته، وقد تكون تلك العبادة كلها محتفة بآفات تحبطها كالعجب والكبر بها على الإخوان، وقد نقص النقيب يومًا نصيب فقيرين عندي لعدم تظاهرهما بكثرة العبادة منه، وهما الشيخ محمد السبكي، والشيخ إسماعيل الطباخ، فقلت للنقيب: إن في هذين الفقيرين خصلة ترجح على عبادة هؤلاء الذين رجحتهم في العطية وهي الاعتراف بالنقص، فإني ما أضفت إليهما قط نقص إلا وقبلاه منيَّ ببادئ الرأي وصدقاني عليه، بخلاف غيرهما من أرباب العبادات الكثيرة، فإن أحدهم لا يكاد يرجع إلى قول إلا بعد احتجاج لنفسه وحصول تعب شديد، وهذه الخصلة التي في هذين الفقيرين متى يحط رحال جميع الخلق أجمعين فإنه لابد لهم بعد شدة المجاهدات والرياضات من التعويل على فضل الله لا على أعمالهم فالله يكثر في الفقراء من مثل هذين الفقيرين آمين آمين.

وكذلك ينبغي له كلما فرق هدية أو غيرها على فقراء الزاوية أن يمهد لهم بساطًا قبل التفرقة يبين لهم فيه فضل الزهد الورع والعفة والقناعة وما ورد في فضل ذلك كما كان ﷺ يفعل ذلك مع أصحابه وذلك حتى لا تطمع نفس أحد في طلب الثمين عن أخيه؛ بل يرى الفضل في طلبه أن يكون نصيبه أنقص من جميع إخوانه.

وينبغي للشيخ أن يساعد النقيب في ذلك، ويقول له: لك من رأيته أعف وأكثر قناعة من أخيه فأعلمني به لأحبه أكثر من غيره، فإن الفقراء إذا سمعُوا مثل ذلك يسارعوا على ما يزيدهم محبة عند الشيخ، وهي سياسة لطيفة تذهب وحر الصدور، فإن الغالب على الفقراء القاصرين تغير قلوبهم كلها يفرق النقيب عليهم شيئًا، ومن شك في قولي هذا فليجرب، فإن الدنيا حلوة خضرة فسخر قلوب العلماء

فضلاً عن غيرهم، فاعلموا ذلك أيها الفقراء، وتعففوا جهدكم فإن ما قسمه الله لكم لا يرده عنكم التعفف؛ بل لابد أن تصل إليكم لكن مع عز النفس وكان أخي أفضل الدين كلما أراد أن يفرق على إخوانه شيئًا يقول: أيكم أضعف يقينًا وأشره نفسًا حتى أزيده، وأيكم أقوى يقينًا، وأقل شرهًا حتى أنقصه، فكل من شهد على نفسه شيئًا عمل بمقتضاه، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ أن يكون مضبوطًا في جميع أحواله لا يخرج عن ظاهر قواعد الشريعة في شيء منها؛ كأن يطق النظر إلى المرأة العجوز، أو يقبل الأمرد الحسن الصورة زاعمًا أنه، أي: الأمرد، من قسم الرجال، ونحو ذلك، فإن الفقراء ربما تبعوه على ذلك فجرهم إلى ما هو أشد من ذلك.

وسمعت أخي أفضل الدين ﷺيقول: ربما وسوس الشيطان لبعض العزاب بمؤاخاة الأمرد الحسن الوجه، وصار يعانقه، ويقبله في وجهه وفمه، ويزعم أن ذلك من جملة المحبة للأخ، والحال أن ذلك مخلوط بشهوة النفس المحرمة، قال: ومن شك في قولي هذا فلينظر إلى نفسه عند تقبيل الشيخ الفاني السراباتي، المنتن الرائحة المصلي ذا الدين الخير، وعند تقبيله ذلك الأمرد فإن وجد اللذة أرجح في تقبيل الشيخ السراباتي على الشيخ المذكور، فهو صادق في أن تقبيل الأمرد بغير شهوة وإن وجد أدنى ترجيح للذة في تقبيل الشاب، فليعلم أنه غارق في طاعة الشيطان، مجانب لطاعة الرحمن، فليحذر الفقير العازب من مثل ذلك، ولا يلبس على ربه ولا على شيخه، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ أن يكون رحيمًا بمن ابتلي من المجاورين بمحبة أحد من الشباب، وغلبت محبته بقلبه، فإذا رأى عنده شدة شغل قلب فلا ينبغي نهيه له عن

القرب من ذلك الشاب، فإنه يزيده نارًا؛ بل يأمره بالقرب منه، ويأمر الشاب بالتحفظ حتى تبرد نار شوقه، فإذا بردت آخى بينه وبينه، وقد فعلت مثل ذلك بشخصين من فقراء الزاوية، فتحولت تلك المحبة إلى محبة الله تعالى، وخلص، فالحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ أن يرى كل نقص وجده في جماعة الزاوية إنما حصل لهم بشؤم صحبتهم له، ولولا صحبتهم له لكانوا من أكمل الناس؛ كما كان عليه السلف الصالح ﷺ، ولعل بعض الفقراء يدعي هذا المقام، وهو لم يتحقق به، فينبغي له ترك الدعوى، ومن علامة صحة تحقيقه به: أن يصير يشهد أن نقصهم إنما هو بشؤم صحبتهم له، بادئ الرأي من غير تفكر وتمهل وتدبر، فإن كل من احتاج إلى تفكر في شهود ذلك من نفسه فهو منفعل في المقام، وممن أدركته من المتحققين بهذا المقام أخي أفضل الدين، كان يقول: ما أصاب أحدًا من أصحابي داهية إلا بشؤم صحبتي، وكان إذا بلغه أن أحدًا نقصه ورماه بالعظام، يقول ببادئ الرأي: والله إن قلب هذا بَرّ الذي أدركت تلبيسي ونفاقي، فالله تعالى يزيده نور اليقين، ينبهنا على نقائصنا، آمين اللهم آمين، فاعلموا ذلك أيها الإخوان واعملوا على تحصيله، والله يتولى هداكم إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ إذا غضب على أمير أو كبير ووالاه أحد من الفقراء ألا يغضب عليه؛ لأن مقام موالاة الشيخ ومعاداة من عاداه إنما يكون للفقراء الصادقين الذين أشرفوا على مقام الكمال، وأرادوا الترقي إلى مقام موالاة من والى الله، ومعاداة من عاداه فقط، وأما من لم يشرف على مقام الكمال فهو محبوس في دائرة حب الدنيا وأهلها، لا يقدر على منع نفسه من ذلك؛ لغلبة الحجاب على قلبه، ولذلك عظم مقام

الأمير عن أن تهجره تبعًا لشيخه، وقد صحّ عندي سبعة أنفس ذاقوا هذا المقام، أحدهم: سيدي شرف الدين بن الأمير، فما أعرضت عن أحد إلا وأعرض عنه تبعًا لي، ولو كان من أعز أصدقائه، وما أقبلت على أحد إلا وأقبل عليه تبعًا لي، ولو كان من أشد أعدائه، فالله تعالى يستره وذريته بستره الجميل في الدنيا والآخرة، آمين آمين.

وقد ادعى شخص من أصحابي المباشرين هذا المقام، فغضبت على أمير فوالاه، وقال: الشوكة التي أراها في كفه أحطها في عيني، فافتضح في دعواه بين الإخوان، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وكونوا تبعًا لشيخكم في جميع الأمور الشرعية، والحمد لله رب العالمين.

ينبغي للشيخ أن يعلم الفقراء طريق تحصيل مقام انشراح الصدر بفعل معالي الأمور، دون الوقوف مع سفاسفها، فإذا قام للصلاة أول الوقت لا يقوم إلا إجلالاً لله، لا ليمدحه الحق تعالى أو الخلق على ذلك، أو ليحصُل له الثواب الأخروي إلا مع شهود الحياء من الله تعالى، وإذا امتنع من أكل حرام أو شبهة أو شهوة تحجبه عن ربه لا يترك ذلك إلا لكونه يحجبه عن دخول حضرة الله تعالى، وهكذا في جميع الأحوال، وذلك ليكون شهود الحق تعالى دائمًا له في كل فعل وترك، فأين مقام هذا ممن ترك الحرام خوفًا من دخول النار مع غفلته عن الله تعالى؟ وليكن على علم الإخوان أن مراد الأشياخ من جميع ذلك أن يكون أحدهم مشاهدًا للمشرع في كل فعل أو ترك، فلا يفعل شيئًا ولا يتركه إلا امتثالاً لأمر الله على الكشف والشهود.

وسمعت سيدي عليًا الخواص ﷺ يقول: ما ثمَّ حضرة أشرف من حضرة الله تعالى، ومن عرف شرفها لم يتدنس بشيء من الآثام الظاهرة ولا الباطنة؛ لأن ذلك

يمنع العبد من دخول حضرة ربه، وضرب وجهه بالسيف وحرقه بالنار، آمنون عليه من حجابه عن دخول تلك الحضرة، فينبغي لكل من ادعى محبة الله ﷻ ألا يقع في إثم مطلقًا؛ لأن ذلك يمنعه من دخول حضرة الله، وهو أعظم عذاب على المحبّين، ويجب عليه التمهل والتفكر عند كل حركة وسكون، وينظر، هل ذلك يرضى الله أو يسخطه؟ ويعمل بمقتضاه، انتهى.

وسمعت أخي أفضل الدين رحمه الله يقول: كل من ادعى محبة الله تعالى وتعاطى أمرًا يحجبه عن دخول حضرته فهو كاذب في دعواه المحبة، انتهى.

وسمعته رضي الله عنه يقول: اجعلوا مقصودكم الأعظم من جميع أعمالكم شهود ربكم لا شهود ثوابه وعقابه، مع غفلتكم عنه، فإن ذلك من عمي البصيرة، فاعلموا ذلك أيها الإخوان واعملوا به، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ إذا ترادفت عليه الضيوف من الفلاحين وغيرهم، وضاق عيش الزاوية عنهم، أن يبدأ بفقراء الزاوية الذين هم جالسون فيها للعبادة على الدوام، وأما الفلاحون فإنهم ينامون لا يحضرون أوراد الفقراء؛ كالبهائم السارحة، لكن إن كان في وقف الزاوية التعرض لإطعامهم أشركهم الناظر مع الفقراء، وليحذر الشيخ أن يتعرض على ذمته ويطعم الواردين إلا لضرورة شرعية دون العوائد الطبيعية من خوف العتب ونحو ذلك.

ثم إذا اقترض فليحرص أن يكون مال القرض حلالاً، والمال الذي يرده عليه حلالاً، فإن الشارع لم يأمر أحدًا بالمقام الضيوف الشبهات، وإنما أمرهم بأن يطعموهم الحلال الذي لا شبهة فيه، ثم إن قدر أن مال المقرض حلالاً فلا يخلص ذمة المقترض إلا بإيفائه من مال حلال مثله على السواء، وهذا متعذر جدًّا فتصير

التبعة عليه في الآخرة، ومن أمارة غلبة الحرام في مال العبد أن يراه يبيع على الظلمة وأعوانهم أو جاهلاً بالحلال والحرام؛ كجهلة التجار والمباشرين، فلا ينبغي لعاقل أن يأكل لهؤلاء طعامًا ما عملوه في وليمة أو غيرها، ولو رأى علماء البلد يأكلون منه فقد يكون لهم أدلة تبيح لهم مثل ذلك، فهم يأكلون بحسب علمهم، ونحن نأكل ونترك بحسب علمنا، غير أنه لا يجوز حمل العلماء على أنهم يأكلون حمل العلماء طعام الأمراء وأعوانهم بغير دليل؛ لأن ذلك سوء ظن بالعلماء، فاعلموا ذلك واعملوا به، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للفقراء المقيمين في الزاوية أن يقوموا مقام كل صاحب وظيفة غاب عنها لعذر أو لغير عذر؛ من رقادة وفراشة وأذان وملء ميضأة وبيوت خلاء ونحو ذلك، ولا يقولوا هذه ما هي وظيفتنا؛ لأن المعاملة إنما هي مع الله تعالى، وعيب على فقراء الزاوية أن يجدوا الزاوية مطفية القناديل في الليل، أو يجدوا الميضأة أو بيوت الخلاء بلا ماء فلا يقدونها ولا يملئونها؛ لاسيما إن أمرهم الشيخ بذلك؛ بل لو أمرهم بنزح السراب، وتوفرة أجرة السراباتية على جهة الوقف، لكان من الواجب عليهم امتثال أمره، وقد ظفرت من المجاورين طول عمري بشخصين لا تأنف نفسهما من نزح السراب إذا أمرتهما بذلك أحدهما: محمد المنوفي مؤدب الأطفال ﷺ، والثاني: محمد ابن أخت خضر المؤذن -فتح الله في أجله- فهذان هما اللذان ظفرت بهما ينزحان السراب بطيبة نفس، ولا حزازة فيهما، وبلغنا ذلك من فعل سيدي الشيخ عبد الله المنوفي شيخ الشيخ خليل المالكي، فكان سبب فتحه أن شيخه الذي قرأ عليه القرآن قال: انظروا لنا أحدًا من السراباتية ينزح لنا سراب المسجد، فأخذ الشيخ عبد الله فأسًا وقفة، ونزحه كله في ليلة، فأصبح الشيخ فرأى ذلك فدعا

له، فكان من أمره ما كان، وكذلك بلغنا أنه من فعل أبي حامد الغزالي ﷺ بغير إذن من شيخه، فبينما هو يكسح بيوت الخلاء إذ قامت نفسه من قبيح رائحة الغائط فمسحه بلحيته، فناداه الشيخ من خلوته قد وصلت إلى مقامات الرجال، انتهى.

فاعلموا ذلك أيها الإخوان واعملوا به، وأجركم على الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للنقيب وغيره أن يقضي حوائجه قبل دخول وقت مجلس الذكر أو الدرس مثلاً، ولا يصير خارجًا يلقب، فإذا حضر مجلس الذكر قام هو لملء الماء، أو يحمل الحطب للطعام ونحو ذلك، فيفوته ثواب ذلك المجلس، وربما كان أرجح ثوابًا من خدمة الفقراء، فالحاذق من حرص على فعل كل خير كان في الزاوية، وحصل له فيه نصيبًا، وإن كان ولابد للنقيب وغيره من فعل تلك الحاجة وقت المجلس، فليشغل نفسه بالذكر أو القرآن وهو يقضي الحاجة فلا يفوته شيء ما كان عليه أصحاب سيدي محمد الغمري وأصحاب سيدي على المرصفي ﷺ، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ أن يفرق على فقراء الزاوية من كل شيء دخل الزاوية على اسمه هو، ولا يقل هذا خاص بي، فإن قلوبهم تخرج عن طاعته وتصير تعارضه في كل ما يفعله من مصالح الزاوية لإخراج شخص عرف بالفساد، أو اعتراض على كل من أخل بوظيفته من المستحقين ونحو ذلك، وقد سمعت سيدي عليًّا الخواص ﷺ يقول: خصلتان من فعلهما صار إمامًا على الناس ولو على طول وهما: إيثاره الإخوان على نفسه في سائر الشهوات، واحتماله الأذى منهم بعد ذلك، وخصلتان إن فعلهما العبد صار وراء الناس كلهم وهو: إيثاره نفسه عليهم بالطعام واللباس

والجاه والرئاسة، وعدم احتماله الأذى منهم.

وقد رأيت شخصًا من مشايخ الزوايا يختص بالهدايا والضيافات التي لوقف زاويته فأراد إخراج شخص تكرر منه نسبته إلى الحرام، والدب على الأطفال، فقام الفقراء عليه وقالوا: إيش ثبت عليه يا سيدي الشيخ حتى تخرجه؟ فلم يقدر الشيخ على إخراجه وكتبوا له محضرًا بالعدالة، ولو أنه كان فرق عليهم شيئًا من الهدايا التي اختص بها لربما ساعدوه على إخراجه مصلحه لهم ولإخوانهم، وفي مذهب الإمام مالك ﷺ: أنه يجوز الضرب في التهم لمن يكون ولي أمر؛ دفعًا لمفسدة هي أشد من ترك الضرب؛ لاسيما في الربا والسرقة؛ تقديمًا للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وفي قانون السلطان بن عثمان: أنه يجوز العمل بالقانون إذا كان مؤيدًا للشريعة، بألا يصل الحاكم إلى الحكم بالشريعة إلا به؛ كأن يهرب القاتل أو السارق فيمسك الحاكم ولده أو أخاه أو صهره ويضيق عليه؛ ليدل عليه أو يحضر به، فعلم أنه لا يجوز العمل بالقانون مع قدرة الحاكم على الحكم بالشريعة، وإيصال الحقوق إلى أربابها كما أخبرني به شيخ الإسلام شيخي حلبي بمدينة مُنف ﷺ، خلاف وما يظنه بعض من لا خلطة له بالسلطان وجماعته فيظن أن السلطان يبيح العمل بالقانون مع القدرة على العمل بالشريعة، هذا لا يقول به أحد من المسلمين، انتهى.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: حقيقة الأمر المسوغ لزجر الفقير وهجره وإخراجه من الزاوية إذا اتهم بتهمة إنما هو لتساهله في الظاهر برقة الدين حتى صارت التهمة تقبل فيه، فمن هذا الباب كان عليه اللوم وإلا فيحتمل أنه لم يقع فيما اتهم به، فلو أنه كان حفظ ظاهره عن رقة الدين لكان الناس يزجرون كل من أضاف إليه نقصًا، ويقولون: حاشى لله أن يقع فلان في مثل ذلك، وما هو بأهل

لذلك.انتهى، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: إذا كثر المجاورون عنده أن يجعل على كل جماعة عريفًا لاسيما الأطفال؛ وذلك ليكون أمرهم راجعًا إليه في التربية، ويفتح على كبراء الزاوية أن يحوجوا الشيخ إلى تربية الأطفال، ويقيمهم من النوم للقراءة، وإن كان يطوف عليهم واحدًا واحدًا؛ لأن مقامه قد يرقى عن مثل ذلك إلى إرشاد الأكابر من الفقراء إلى آداب أهل الطريق، مما هو أرقى من أحوال الأطفال؛ لاسيما إن كان مشغولاً بتأليف كتب الشريعة وتحريرها، أو متصدرًا للشفاعات في المظلومين عند الولاة، أو له أوراد خاصة تليق به تكاد أن تستغرق وقته، أو غلبت عليه مراقبة الله ﷻ دون خلقه، ونحو ذلك.

وقد لام بعضهم سيدي إبراهيم المتبولي في تركه تربية شاب كان عنده في الزاوية، فقال: يا أولادي، انصحوا بعضكم بعضًا، فإني مشغول بأمور هي أعلى وأولى من أحوالكم؛ ثم قال: وعزة ربي معي سبعون وظيفة ستنقسم كل وظيفة بعدي على سبعين رجلاً، ويعجزون عنها، انتهى.

وقد [ورثته][1] بحمد الله في بعض الوظائف؛ كتدريس المجاورين كتب الشريعة وتهيئة ما يأكلون وما يشربون، ومناقشتهم على أعمالهم، ومعاملتهم لبعضهم بعضًا، ومشاركة المكروبين في مصر وقراها في همومهم، وعقوباتهم في بيت الوالي وغيره، وتلقي الواردين على الزاوية طول النهار من الفلاحين، والفقهاء، والتجار، والمباشرين، والأمراء، والفقراء، وإعطائهم بعض حقوقهم؛ فإن لكل واحد حقًّا ومزاجًا لا يشبه الآخر، وربما لا تغرب الشمس كل يوم حتى أحس في جسمي بأني

---

(١) في الأصل: رثته.

شربت رطلاً من السم وذابت مفاصلي، وربما صرت في نار؛ كالذي يتقلب على الجمر، وأنا ألهث كالثور الذي تعب من العمل، والفقراء يضحكون ويلعبون في الزاوية لا يدرون ما أنا فيه؛ فاعلموا ذلك أيها المجاورين، وشاركوا شيخكم فيما هو فيه؛ لتتأهلوا بعده إلى شيء من وظائفه، وإذا لم تشاركوه فادعوا له بالمساعدة؛ واعذروه في ضيقه وحصره، والله يتولى هداكم، وهو يتولى الصالحين.

وينبغي للشيخ: إذا نصح الفقراء أو زجرهم عن فعل قبيح أن يكون ذلك برحمة، وسياسة لا يدخل ذلك حظ للنفس؛ لأن الزمان قد [قلب](١) غالب أهله، وصاروا مع بعضهم بعضًا على علالة، فربما زجر الشيخ أحدًا منهم، فقابل الشيخ بالكلام الجافي، أو استفتى عليه، واشتكاه من بيوت الحكام؛ كما وقع لبعض إخواننا، فليحتشم الشيخ مع الفقراء ليحتشموا معه، وليحذر أن يطلب أن يحكم فيهم ولا يحكمون فيه، أو يطلب منهم أن يشكروه على تربيتهم، وخدمتهم بالأكل والشرب والكسوة؛ فإن ذلك أمر قد تودع منه ما بقيت الدنيا، وقد رأيت مرة تلميذًا اشتكى شيخه من بيت ناظر النظار على الأوقاف، وقال: ادعي يا مولانا على هذا الرجل أنه أكل وقف زاويتنا، فحصل للشيخ غاية التوبيخ؛ فلولا أنَّ الله تداركه بأن جاء جماعة، وشهدوا: أن الجهة التي اشتكاه التلميذ عليها عاطلة لم يأتِ للشيخ منها شيء، وإلا كانوا حبسوه، مع أن الشيخ ربَّى هذا التلميذ من حين كان طفلاً، زوَّجه من عنده، وفعل معه ما يفعله الوالد الشفيق مع ولده الصالح، فالعاقل من اعتبر بغيره، والله أعلم.

وقد ربَّى أخونا الشيخ عبد الله العجمي ولدًا حتى شابت لحيته، فتنكر عليه

---

(١) في الأصل: قبل.

يومًا؛ فاشتكاه ورماه بالعظائم بعد هذه التربية، وكان الشيخ عبد الله هذا قد غرس حول زاويته بالقرب من مصر العتيقة خمسة وعشرين ألف بركة من خشب الأثل؛ ثم أوقفها على مقام الإمام زين العابدين سرًّا، ووضع المكتوب عنده إلى بعد موته؛ محبةً في الإمام زين العابدين وأدبًا معه، وكان يقول: جميع ما بيدي له؛ لأني خادمه، فذهب ذلك الشخص إلى بعض أعداء الشيخ عبد الله هذا، وقال لهم: إن فلانًا وقف الأثل كله على مقام الإمام زين العابدين، وصار كالأجنبي عنه؛ فخذوا النظر عليه حسبة، ففعلوا ووضعوا يدهم عليه.

وكذلك فعل الشيخ عبد الكريم خليفة سيدي أحمد البدوي، فكتب الجهات الموقوفة من أجداده على أولاده، ونسله، وعقبه، وجعلها على مقام سيدي أحمد، فسافر شخص إلى الروم، وجاء بمرسوم السلطان بالنظر على ذلك حسبة وصار كالأجنبي، فقلت: له في ذلك، فقال: إني قصدت الحماية من الظلمة؛ بجعلها لمقام سيدي أحمد، وما حسبت هذا الحساب، انتهى.

فاعلم ذلك أيها الشيخ وإن كان ذلك عقار؛ فاجعله على نفسك، وذريتك ثم من بعدهم إلى من أراد الله تعالى من جهات القرب الشرعية، وإلا أخذوا ذلك منك، ومن ذريتك، وخلوكم على التراب، ولا ينبئك مثل خبير، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: ألا يتكلم بكلام يفهم منه المن على الفقراء بما اصطاده لهم من الأوقاف، والطعام، والثياب، ونحو ذلك في الزمن الماضي؛ هروبًا من إحباط الأجر، ولو لم يتلفظ به؛ لأن الباطن عند الله كالظاهر على حد سواء، ويكون على علم سيدي الشيخ أنه لولا إقامة الفقراء عنده في الزاوية، ما ساق الله تعالى ذلك الرزق الواسع الذي كفى مائة نفس وأكثر؛ فالمسألة مركبة من شيخ ومن فقراء، حتى صحّ

النصب على ذلك الرزق، وبتقدير أن يكون الشيخ سببًا في تحصيل ذلك الرزق؛ فمرتبة تقتضي أن يطلب أجره من الله تعالى لا من الفقراء، فما ساق الله تعالى إلى الزاوية رزقًا واسعًا إلا على اسم الشيخ والفقراء معًا، فإن إرسال بعض الأُمراء بقرةً، أو خمسة قناطير عسلاً، أو خمسين إردبًا من القمح، أو عشرة من البسلة يقضي العقل أن الشيخ وزوجته لا يقدران على أكل ذلك كله؛ فالقرينة تشهد بالاشتراك في ذلك بين الشيخ والفقراء.

وسمعت سيدي الشيخ عبد الحليم بن مصلح ﷺ يقول: ينبغي للشيخ أن يرى الفضل للفقراء عليه في تأهيله لخدمتهم؛ لا أنه يرى فضله عليهم.

وكذلك ينبغي له أيضًا في هذا الزمان أن يعامل الله ﷻ في عباده، ويوطن نفسه على أن يكون مأكولاً مذمومًا كسَمَالة الشعير، وذلك أكثر أجرًا ممن يشكر على إحسانه؛ فإنه ربما لا يجيء تعبه في خدمة الفقراء في نظير شكرهم له في دار الدنيا، انتهى.

وقد رأيت أنا في واقعة أني نزلت تحت الأرض إلى الموتى، فرأيت جماعة واقفين منكسين رءوسهم، وحسناتهم عنهم بعيد كالجبال الرواسي، فقلت لشخص هناك: ما بال هؤلاء؟ فقال لي: هؤلاء قوم كانوا من المحسنين للناس في دار الدنيا، فجعل الله حسناتهم في مقابلة شكر الناس لهم، فلم يبق لهم حسنة؛ فخسروا أعمالهم، وإنما لم تضمحل بالكلية حتى لم يبق لها أثر زيادة في توبيخهم، فأراهم الحق تعالى إياها من غير أن تكون لهم زيادة في الأسف، وهناك يشتد ندمهم، ويقولون لأنفسهم: لو لم يشكرنا أحد؛ لكانت هذه الحسنات كلها لنا الآن، انتهى.

فاعلم ذلك أيها الشيخ وجماعتك، واعطفوا على بعضكم بعضًا؛ ليسوق الله

تعالى لكم الرزق بسهولة من غير تعب، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لشيخ الزاويةإن كان مسلكًا أن يأمر المريد بترك محبة أحد من الناس؛ تشغله تلك المحبة عن ما هو فيه، فلا يزال المريد ينقص من محبة الناس حتى يصير لا يحب سوى الشيخ، وهناك يترقي إلى محبة رسول الله ﷺ صاحب الشرع؛ ثم يترقى من محبته إلى محبة الله، فإذا أحب الله فهناك يجب عليه أن يحب كل من أحبه الله، ولا يصير يشغله محبة مخلوق عن الله ﷻ، وهكذا الحكم في سائر المقامات؛ فإن السالك إذا انتهى سيره، ثم رجع إلى الخلق يرى معية الحقِّ تعالى مع سائر الوجود؛ فلا يصح له الزهد في شيء مما كان مأمورًا بالزهد فيه حال السير؛ لكونه كان لا يشهد معية الحق تعالى معه، فالحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ إذا كان له ورد في الليل من العشاء إلى الصباح، ورأى عند الفقراء فُتُور عزمٍ أن يقوي عزمهم، ويذكر لهم حال أهل الله الذين كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة وأكثر؛ كالإمام أبي حنيفة، وإبراهيم بن أدهم، وبشر الحافي، والفُضيل بن عياض، ورابعة العدوية، وأضرابهم -قدس الله أسرارهم- ويخبرهم بأن لله تعالى الفضل عليهم في إذنه لهم في الوقوف بين يديه؛ لولا فضله عليهم لكان أنامهم كما أنام غيرهم، وتقدم أن سيدي محمد الشربيني كان لا ينام الليل هو وجماعته في صيف ولا شتاء، وكان إذا رأى عند أحدهم فتور عزم، قال بعد صلاة العشاء بأعلى صوته: شاباش(١) للفقير الذي يعزم على مجالسة ربه من هذا الوقت إلى الفجر، فيجلسون يتحادثون في الطريق، وأحوال أهلها إلى الفجر؛ ثم ينصرفون على مماتهم، وتحصيل معاشهم؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واعملوا على

---

(١) هي كلمة فارسية يُشار بها للتفخيم ويلقب بها الجنود.

تحصيله، واستغنموا ما بقي من عمركم، والله يتولى هداكم.

وينبغي للشيخ: أن يَنْهى المجاورين وأولاده عن سلوك مواضع الريب؛ فإن الريبة تحكم على أصحابها بالنقص؛ كما تحكم الشمس بوصول حرارتها للأرض بإذن الله تعالى فإذا نهى الشيخ ولده أو غيره عن مواضع الريب، وخالف ولم يُسمع لقوله، فليستخير ربه، ويتوجه إليه في حصول زيادة اللوث به من الناس، ونسبته إلى الفواحش؛ ليرتدع وينزجر إن شاء الله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ (البقرة: ٢٢٠) وهو معنى قولهم في المثل السائر: من لا يجيء بشراب الليمون جاء بحطبه، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٨).

ثم إذا وقع اللوث بذلك الفقير الذي خالف الشيخ، فينبغي للشيخ أن يشكر فضل ذلك الشخص الذي لاث باطنًا ويزجره ظاهرًا؛ لئلا تتسع الفتنة بكثرة سوء الظن، ويسيء المجاورون ظنهم ببعضهم بعضًا؛ لاسيما في أمر عيالهم إذا كانت مساكنهم متلاصقة كبيوت الربوع، فإن أحدهم ربما عجز عن إخراج صاحبه بالريبة، فانتقل من الزاوية وسكن خارجها، وقلَّ الاشتغال بالله تعالى فيها، وإنما قلنا: إن الشيخ يشكر من لاث بولده أو بغيره من الفقراء؛ لأنه ردهم عن الريبة وخلصهم من الإثم الحاصل بكلام الناس فيهم، فإن كان اللوث بحق فهو يستحق العقوبة المناسبة له في ذلك الأمر؛ فضلاً عن اللوث، وإن كان بغير حقٍّ وإنما هو سوء ظن فقط، فقد قبح ذلك الفعل في عينه في المستقبل؛ ثم إذ لاث الناس بمن خالف إشارة الشيخ، حتى امتلأت الزاوية بذلك؛ فمن العقل أن يخرج إلى مجالسة أصحابه، ولا ينقطع في بيته فتقوى الريبة في حقه، ولكن يجب عليه أن يكثر من الاستغفار،

ولا يجيب عن نفسه فإنه منهم في ذلك؛ ولكن إذا قبل الله تعالى استغفاره ورضي عنه، رجع الناس عن اللوث به؛ لأن الله تعالى هو الخالق لذلك الكلام الذي وقع اللوث به لحكمة بالغة.

وقد قضى الله تعالى في سابق علمه على أنه لا يوقع أحدًا من أهل حضرته في رذيلة؛ بل هم مطهرون من سائر الرذائل، فمن عقل العاقل أن يرجع إلى الله، الذي بيده زمام كل شيء؛ ليحفظه من الوقوع فيما يلوث الناس به لأجله؛ لأنها أقرب الطرق بخلاف من ترك الرجوع إلى الحق، وصار يعتذر للخلق فإن الأمر يزداد شدة ويطول زمنه، فإن قال قائل: كيف يسوغ للفقير أن يتوجه إلى الله تعالى في زيادة اللوث بالذي سلك مسالك الريب؛ لما فيه من سؤال الحق تعالى أن يقدر على عبده المخالفات؟ فالجواب: أن السائل لم يصرح بالسؤال في ذلك وإنما سأل الله تعالى أن يكفه عن سلوك مواطن الريب، ولو بسبب من الأسباب؛ كما أشار إلى ذلك الشيخ تاج الدين بن عطاء الله في كتاب «الحكم»: «رُبَّ معصيةٍ أورثتْ ذُلًا وافتقارًا خيرٌ منْ طاعةٍ أورثتْ عزًّا واستكبارًا»(١). انتهى.

---

(١) قال الشيخ ابن عجيبة: العبد إذا كان سائرًا لمولاه قاصدًا لوصول حضرة حبيبه ورضاه قد يحصل له كلل أو يصيبه ملل أو يركبه كسل فسلط الحق عليه ذنبًا أو تغلبه نفسه فيسقط فإذا قام من سقطته جد في سيره ونهض من غفلته ونشط من كسله، فلا يزال جادًّا في طلب مولاه غائبًا عما سواه حتى يدخل حضرته ويشاهد طلعته، وهي الحضرة التي هي تجليات الحق وأسرار ذاته، ومثال ذلك: رجل مسافر أصابه في الطريق نوم أو كسل فيسقط فيضربه حجر فإذا قام ذهب كسله وجد في سيره.وفي الحديث: «رُبَّ ذَنْبٍ أدخلَ صاحِبَهُ الجَنَّةِ»، قالوا: وكيفَ ذلكَ يا رسولَ الله؟ قال: «لا يزال تائِبًا فارًّا منه خائفًا من ربه حتَّى يموتَ فيدخلَ الجَنَّةَ» أو كما قال ﷺ، وفي حديث آخر عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «والذِي نفسِي بيدِهِ لوْ لمْ تُذْنِبُوا لذهبَ الله بِكُمْ وجاءَ بقومٍ يُذْنِبُونَ فيَسْتَغْفِرُونَ فيغفرُ لَهُمْ» انتهى،

فإن مراده أنها خير من حيث الأثر المتولد منها لا من حيث الأصل، وكيف تكون طاعة أمر الله كمعصيته، وبلغنا عن عمر بن الخطاب ﷺ أن بعض زوجاته كانت تأتي المسجد وهي بديعة الجمال، وكان يستحي من الله أن يمنعها من حضور صلاة العشاء في جماعة المسجد؛ فتلفح بردائه ووقف لها في طريق المسجد في عطفة، فلما مرت عليه مشى وراءها، وجس بيده على سفلها فردت مهرولة إلى الدار؛ ثم ذهب عمر إلى المسجد ورجع إليها، فقال: ما منعك من الحضور إلى المسجد هذه الليلة، فقالت: كنا نظن أن الناس ناس، ولم تزل تصلي في بيتها حتى ماتت، انتهى.

وهي حيلة مباحة فإن أمكن الشيخ أن يعمل على من خالف إشارته حيلة مباحة، فهو أولى من الحيلة المكروهة، وليحذر المجاورون أن يخالفوا نهي الشيخ لهم عن سلوك مواطن التهم، زاعمين أن مثلهم لا يقع في رذيلة؛ فإن الشيخ أعرف بمواطن تلبيس النفس والشيطان منهم، وأتم نظر لأنفسهم من نظرهم لنفوسهم،

وقال ﷺ في شأن الطاعة التي لم تقبل: «رُبَّ صائمٍ ليسَ لَهُ منْ صيامِهِ إلا الجوعُ، وقائِمٍ ليس له من قيامِهِ إلا السهر»؛ فمثل هذه الطاعة المعصية التي يصحبها الانكسار أحسن منها بكثير.

وقال أيضًا: إنما كانت المعصية التي توجب الانكسار أفضل من الطاعة التي توجب الاستكبار لأن المقصود من الطاعة هو الخضوع والخشوع والانقياد والتذلل والانكسار أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي فإذا خلت الطاعة من هذه المعاني، واتصفت بأضدادها فالمعصية التي توجب هذه المعاني، وتجلب هذه المحاسن أفضل منها إذ لا عبرة بصورة الطاعة ولا بصورة المعصية، وإنما العبرة بما ينتج عنهما: «إنَّ الله لا ينظرُ إلى صُوَرِكُمْ ولا إلى أعمالِكُمْ وإنَّما ينظرُ إلى قلوبِكُمْ»؛ فثمرة الطاعة هي الذل والانكسار وثمرة المعصية هي القسوة والاستكبار فإذا انقلبت الثمرات انقلبت الحقائق صارت الطاعة معصية والمعصية طاعة، ولذلك قال المحاسبي ﷺ: إنما مراد الله سبحانه من عباده قلوبهم فإذا تكبر العالم أو العابد وتواضع الجاهل والعاصي وذل هيبةً لله ﷻ وخوفًا منه فهو أطوع لله ﷻ من العالم والعابد بقلبه انتهى.

وقد نهيت بعض جماعة من المجاورين عن مواطن التهم، فلم ينتهوا وخفت عليهم، فقلت: اللهم أدبهم بأمر من الأمور؛ فما تفرقوا إلا بقذفهم أعراض بعضهم بعضًا، ولولا لطف الله تعالى ترافعوا إلى بيت الوالي، فبالله عليكم أيها الإخوان اسمعوا وأطيعوا لأمر شيخكم، فإنه أشفق عليكم من نفوسكم الأمارة بالسوء، وإذا نسب أحد من إخوانكم إلى ريبة؛ فاكتموها ولا تذكرونها إلا للشيخ؛ ليحكم بينكم برحمة وشفقة، واحذروا كل الحذر أن تحدثوا بها بعضكم بعضًا، حتى تمتلئ الزاوية كما مرّ ولا يدري بذلك الشيخ، فإن المفسدة تعظم.

وإياكم واللوث بمن لاثوا به في الزاوية؛ فإنه يأخذ حسناتكم في الآخرة، هذا إذا كان اللوث بحق، فكيف إذا كان باطلاً؟ وهو أمر يخفى على كثير من الفقراء؛ فضلاً عن العوام، وربما تاب الله تعالى على ذلك العبد بتقدير وقوعه في الزلة عقبها، فقبل الله توبته؛ فلا يجوز لأحد ذكره بها بعد ذلك كما مرّ، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وامتثلوا أمر شيخكم، واجتنبُوا ما نهاكم عنه؛ فإنه إنما يأمركم وينهاكم بشرع ربكم لا بشرعه هو، واعلموا أنه، أي: الشيخ يحب من يمتثل أمره أكثر من ولده الذي يخالف أمره؛ لأنه قد خرج من حب الطبع إلى الحب في الله، والبغض في الله؛ وقد تحققت بذلك ولله الحمد، وقد كان سيدي إبراهيم الدسوقي يقول: من أطاع أمر الله فهو ولدي، ولو كان من أقصى الأرض، ومن عصى أمر الله فليس هو ولدي، ولو كان ابني لصلبي؛ ولذلك ورد أن محمد كان مؤمن تقي، انتهى.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: والله إن ظفر المجاور الذي يمتثل ما أمره به، أرجح عندي من ولدي المخالف لأمري، وكان سيدي إبراهيم المتبولي ﷺ يقول: ينبغي للشيخ أن يزجر من سلك سالك التهم ومن لاث به؛ فقد قال

الإمام عمر بن الخطاب: من سلك سالك التهم فلا يلومن من أساء به الظن، وأما اللائث فإنه قد كشف سوءة أخيه من غير تحقق، فهو إلى القذف أقرب، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ إذا كان من المسلكين في طريق أهل الله ﷻ: أن يفوض أمر ولده إلى الله ﷻ إن طلب أن يكون شيخًا بعده في الزاوية على الفقراء، ولا يكلف نفسه في ذلك شططًا، فإن الولاية الإلهية لا تعمُّل للعبد فيها بخلاف الولاية الدنيوية يصح فيها التعمُّل والتكسب.

وقد بلغنا أن بعض الأقطاب طلب من الله أن تكون القطبية بعده لولده؛ فإذا النداء في سره: ذاك في الإرث الظاهر، وأما الإرث القلبي فذاك إلينا لا إليك، انتهى.

وقد أدخل سيدي أحمد الزاهد ولده سيدي شهاب الدين الخلوة أربعين مرة، ولم يفتح عليه بشيء، فقال له: والله يا ولدي،إنك لمن أحب الناس إليَّ، ولكن الأمر ليس بيدي، انتهى.

وقد فتح الله على خلائق على يديه من العرب، والعجم، والمغاربة، والأكراد، والترك، منهم: سيدي محمد الغمري، وسيدي مدين، وسيدي عبد الرحمن بن بكتمر[1]، فينبغي للشيخ في هذا الزمان: أن يقنع من ولده بكونه خادمًا لفقراء الزاوية يهيئ لهم طعامهم، وشرابهم، ويشاركهم في قراءة أورادهم، ويتلقى ضيوفهم الواردين على الزاوية، وما زاد على ذلك؛ فلا يطلبه من ولده فقد أدركت نحو مائة وخمسين شيخًا في أوائل القرن العاشر، فما رأيت ولد أحد منهم جاء سالكًا بعد

---

(١) له ذكر في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٠٥).

والده إلى وقتي هذا؛ إنما غاية طريقة مشايخ الخِرق من الأحمدية والبرهانية ونحوهم، فما تواكلهم بعضهم في أمر أولادهم، وأما ولد سيدي الشيخ أبي الحسن البكري ونحوه؛ فإنه من نوادر الزمان، فلا يقاس عليه؛ على أن فتحه إنما هو وهب من الله لا كسب في طريقة، فإنه ثم كثير من الفقراء أطول عمرهم في العبادة، ولا يصلح أن يكون تلميذًا له، ومن شك منهم في قولي هذا يحضر درسه في الجامع الأزهر أو الحرم المكي، يعرف صدقي، ويعرف أن الخبر ليس كالمعاينة؛ فالله تعالى يفسح في أجله للإسلام والمسلمين، آمين.

فاعلم ذلك أيها الشيخ، وأرح نفسك من التعب في ولدك، إلا فيما لابد منه من أمر الدين، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ إذا كان سببًا في حصول شيء من الهدايا إلى الزاوية: ألا يختص به، ويقول: أنا كنت السبب في إرسال فلان بهذه الهدية؛ بل يشرك الفقراء معه في ذلك، وإن أخذ نصيبًا كأحدهم كان أولى، وإن ترك الكل كان أكمل في حقه، وليتأمل الشيخ في نفسه أنه لو كان وحده في الزاوية، لَمْ يرسل أحد إليه مثل خمسة أرادب أرز، ولا خمس قناطير عسل! والقرينة تعطي أن علة الإرسال مركبة من الشيخ والفقراء؛ كما مرّ قريبًا، ثم أقبح من كل قبيح أن يتخاصم الفقراء والشيخ، ويذهبوا إلى صاحب الهدية، ويقولوا له: أرسلتم هذه الهدية لنا وللشيخ أو للشيخ وحده؟ فإنه أخذها ولم يعطنا شيئًا؛ لما في ذلك من النداء على الشيخ بأنه طماع، لم يشم من طريق الفقراء رائحة، وكذلك الحكم فيما إذا كان الشيخ سببًا في الرزق، والعقارات التي وقفها الناس على زاويته، وربما كانت أصول الرزق مطعونًا في صحتها؛ فيذهب المستحقون إلى مفتش الأوقاف، ويخبرونه بأصولها التي رأوها أيام

الشيخ، فيأخذوها للسلطان فيفوتهم كلهم ذلك الرزق.

وقد نصب شخص على عيسى شيخ البحيرة، وقال: عندي فقراء كثير، فأعطاه نحو مائة إردب قمحًا؛ ثم علم عيسى بحاله فتاب إلى الله من إعطائه شيئًا بعد ذلك؛ عقوبةً له على نصبه، فليكن الشيخ حاذقًا يلحق بلاحق اللاحق، ولا يطمع في نصيب الفقراء يروح نصيبه ونصيبهم، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: ألا ينهمك على محبة المعتقدين فيه، والمحسنين لجماعته بحيث تدخل محبتهم قلبه؛ فإن الله تعالى غيور، ولو أنه قلب تلك المحبة لله تعالى كان هو الصدق؛ لأنه هو المحسن الحقيقي له ولجماعته؛ كما أشار إليه الحديث: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها»(١)، انتهى.

لكن لا يشهد هذا المشهد إلا المقربون، وأما المحجوبون فيشهدون الإحسان من الخلق ببادئ الرأي، ولا يشهدونه من الله تعالى إلا بعد تأمل وتفكر، فحكم الخلق كالغلام الذي حمل لنا هدية من أستاذه لا غير؛ فله أجرة الحمل لا ثمن الهدية، وإن كان ولابد من محبة من أهدى إلينا، فليكن من غير انهماك؛ بحيث لا يحجبنا عن شهود ربنا، وكان سيدي عليّ الخواص ﷺيقول: لا ينبغي لشيخ أن يبالغ في الإحسان إلى غير مريده؛ خوفًا أن تتشرب محبته قلب ذلك الشخص، وكل عارف بالله يكره أن يرى محبة نفسه في قلب تلميذه؛ إيثارًا لمحبة الله ﷻ، ولولا علمه بأن لمحبة المريد له أثرًا في قبول الإرشاد والتربية منه ما سمح لمريده أن يجعل محبته في هامش قلبه، فاعلم ذلك أيها الشيخ واعمل عليه، والله يتولى هداكم.

---

(١) رواه البيهقي في الشعب (١/ ٣٨١) وأبو نعيم في الحلية (٤/ ١٢١)، والقضاعي (١/ ٣٥٠، رقم ٥٩٩)، والديلمي (٢/ ١١١ ، رقم ٢٥٨٨).

وينبغي للشيخ إذا جاءه شخص يريد المجاورة عنده، بعد أن خرج من الزاوية التي كان فيها بسبب من الأسباب؛ ألا يمكنه من المجاورة عنده إلا بعد أن يبحث عن سبب خروجه من الزاوية التي كان فيها، ويبني على ذلك مقتضاه؛ فإنه ربما أخرجوه بسبب لا ينبغي ذكره، أو خرج في منافسة مع أحد من الفقراء، أو من قلة أدبه مع الشيخ أو كبراء الزاوية، ونحو ذلك؛ فإذا رآه خاليًا من الموانع التي يحصل بها التأديب مكنه من المجاورة إن شاء.

وكان الشيخ جلال الدين البكري لا يقبل أحدًا جاء مطرودًا من زاوية؛ مراعاةً لخاطر أهلها، وإذا دخل الزاوية مريد في كفالة شيخ آخر، فلا ينبغي له أن يقول أحلق هذه الشعرة، أو اترك هذه العذبة أو السبحة، ونحو ذلك؛ لأنه ليس تحت حكمه حتى يأمره أو ينهاه؛ اللهم إلا أن يراه مخالفًا للسنة في شيء، فمثل هذا له الأمر والنهي فيه؛ لأنه السنة ينبغي فعلها لكل مسلم، فعُلِم أن كلامنا إنما هو في الآداب التي استنبطها الفقراء، لا فيما صرحت به الشريعة، أو انعقد عليه الإجماع.

وسمعت سيدي عليًّا الخواص ﷺ يقول: لا تنكروا على فقير حاله، ولا لباسه إلا إذا خالف السنة الصريحة؛ فإن الإنكار يُوحش قلب الفقير الضعيف، فاعلم ذلك يا أخي، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: ألا يسرع بالغضب على فقير قلَّ أدبه، ما دامت قابليته للخير ثابتة؛ فليحتمله ثم يساوقه بتعليمه الأدب شيئًا فشيئًا؛ فإنه ما قلَّ أحد أدبه إلا وهو أعمى عن طريق الصواب، وقالوا في أعمى البصر: ينبغي لكل عاقل مسامحته في قلة أدبه؛ لأن العين هي التي تجعل صاحبها يستحي؛ ثم إذا تَصَرَّمَتْ حبال ود من قل أدبه، وتزلزلت قابليته، فمن الأدب وكول أمره إلى الله تعالى والدعاء له بالهداية، من

غير تقريع ولا توبيخ، ولكن ذلك علامة على شفاعة ذلك المريد.

وكان سيدي علي بن وفاء ﷺ يقول لأصحابه: أطيعوني تطيعوا ربكم، وتقدم عن سيدي إبراهيم المتبولي أنه كان إذا رأى من فقراء زاويته سوء أدب، وكسل عن الاشتغال بالله ﷻ يدخل إلى المطبخ، ويضرب الدَّسْتَ[1] بالعصا، ويقول: أنت الذي جمعت عندي هؤلاء المخابيل، فيُصبح كل من كان عنده خمول خارجًا بأمتعته بنفسه من غير أن يأمره أحد بالخروج، انتهى.

وينبغي إذا كان يدرس الفقراء في علوم الشريعة والحقيقة: ألا يفرح بكثرة حفظهم للنقول؛ بل يتربص حتى ينظر ماذا عملوا بما علموا، فعند ذلك يفرح أو يحزن عليهم، ويندم حيث علمهم ما يكون زادهم إلى النار؛ كما ورد في الصحيح، وربما بث فيهم علمه فلم يثمر لهم سوى الدعاوى العريضة والمجادلة به، ورؤية نفسهم به على عامة المؤمنين.

وكان سيدي عليًا المرصفي ﷺ يقول: علامة انتفاع الفقراء بتعليم العلم: أن يخرج أحدهم بعد موت شيخه لا نفس له ولا دعوى؛ بل يرى أنه أحقر خلق الله، فمثل هذا هو الذي انتفع بصحبة شيخه، وأما من خرج من صحبة شيخه مجادلاً متكبرًا مقراضًا في طوائف الفقراء، فهو ممقوت لحرمانه بركة أهل عصره كلهم.

وسمعت أخي أفضل الدين يقول: من علامة انتفاع المريد بشيخه: أن يرى الناس كلهم من أهل الجنة إلا هو، وأن الله تعالى راضٍ عنهم كلهم، وساخط عليه وحده، انتهى.

---

(١) نقل عن الخَفَاجِي في «شفاءِ الغليل»: أَنّ عامَّةَ مِصْرَ وغيرِهَا من بُلْدَان المَشْرِق يُطْلِقُونَ الدَّسْتَ على قِدْرِ النُّحاسِ. انظر: «تاج العروس» (١/ ١٠٨٧٨).

وينبغي للشيخ: أن يحتمل ضعفاء المريدين إذا بحثوا معه فيها طريقة الفهم؛ لأنهم جاهلون بمقام الشيخ، ولو أنهم كانوا عالمين بمقامه لم يجادلوه؛ لأن أقل مراتب الشيخ أن يكون أمينًا على ما ينقله عن الشارع وعن الأئمة، فلا ينبغي منازعته، ويؤيده حديث: «عند نبي لا ينبغي التنازع»[1]، انتهى.

وكذلك ينبغي أن يكون الحكم في ورثته ﷺ في العلم بعده؛ أدبًا مع الوحي النبوي أو الإلهامي، فإنهم نواب الشارع ومترجمون عنه أحكام شريعته، ولا يعرف الطالب من الشرع إلا ما علمه له شيخه، وكان يقول: كل من نازع شيخه فليس هو بمريد له؛ إنما هو أجنبي عنه، انتهى.

وهذا هو حال مريدي هذا الزمان، فالله يلطف بنا وبهم، آمين.

وينبغي للشيخ إذا جاء الزاوية قمح أو حطب كثير، ورأى عندهم عدم داعية إلى حمله إلى حاصل الفقراء، أن يساعدهم ويحمل معهم، ولو مرة أو مرتين؛ تقويةً لهممهم فإنهم محجوبون عن معرفة مقام معاملة الله ﷻ، فإذا رأوا الشيخ قد عمل معهم قوى عزمهم؛ تقليدًا للشيخ وحياءً منه، وكان سيدي إبراهيم المتبولي يساعد الفقراء في الطحين على الرحى، وفي جمع الحطب للطبيخ من البساتين، ويحمي تحت الدست ويقرص معهم العجين؛ كما مر بسطه في هذا الكتاب.

وإذا كان الشيخ قد طعن في السن، فله ترك مساعدتهم كما أن له التخصيص في المأكل معهم؛ وذلك لأن الأشياخ قد تلطفت أمزجتهم وما بقي كل طعام يناسب مزاجهم، ولا كل لباس يوافق أبدانهم؛ سواء كان ذلك من جهة الخشونة أو الحل، بخلاف المريدين فإن أمزجتهم كثيفة تقبل الأطعمة الكثيفة؛ كالبسلة، والكشك،

---

(١) ذكره المصنف في «الطبقات» (١/ ٨)، وابن المطهر في «البدء والتاريخ» (١/ ٢٧٦).

ونحو ذلك، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وسلموا لشيخكم أفعالكم العلوية، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لشيخ الزاوية: أن يتحفظ من أسباب زوال النعمة التي هو فيها؛ من كثرة الطعام، والمجاورين، والعلم، والذكر، والجاه في قلوب الخلق، وتسخير الأكابر وغيرهم له بقضاء حاجته وافتقاد زاويته بالهدايا، وغيرها دون أحد من أقرانه؛ فإنه جعل شيخ يرتفع على أقرانه في البلد إلا ويحصُل عنده خاطر الدعوى للصلاح، خاطر الكرام والسخاء والعجب بحاله، وكل مدَّع ممتحن؛ فربما امتحن أصحاب التعريف هذا الشيخ بإرسال أحد من خدامهم، يسأله شيئًا من الطعام أو الدراهم أو الثياب، وتعنت عليه؛ كقوله: أعطني عمامتك أو جوختك[1] هذه أو ما عندك من النقد، فيشح بذلك فيحّول الله تعالى تلك النعمة؛ فيزول اعتقاد الناس فيه، ويذهب جاهه من القلوب، ويبطل ذلك التسخير الذي كان لأهل الزاوية، حتى يصير يسأل الناس، ويلح عليهم فلا أحد يلتفت إليه؛ كما وقع ذلك لابن الزرازيري، فإنه كان قد اشتهر بالكرم، وقصده الناس من سائر الجهات، فجاءه فقير بعد العشاء الآخرة، فقال: اعمل لي فرخة في هذا الوقت، واعجن واخبز لي، ولا تطعمني شيئًا باردًا؛ فثقل ذلك عليه، وأعرض عنه، فقال: اللهم حول عنه هذه النعمة، فحولها الله عنه، فما أنتجت بهائمه وخيله وإبله وغنمه، وخربت عقاراته، وغارت آباره فماتت بساتينه، ولم يزل يسأل الناس على الأبواب، حتى مات وخلفه ذريته في ذلك؛ فهم الآن يسألون الناس.

وأخبرني سيدي عليٌّ الخواص أن لله تعالى ملائكة ينزلون إلى الأرض بقصد

---

(١) (الجوخ):نسيج صفيق من الصوف.انظر : «المعجم الوسيط» (١/ ٣٠٣).

امتحان من أراد الله امتحانه، فيقفون على باب ذلك الكريم، وعليهم مرقعات كالشحاذين، ويسألونه الطعام، ويتعنتون عليه فيه، وربما كان ذلك عقب بوارد ضيوق بعد ضيوق عليه ذلك اليوم، فيزجر ذلك الملك فيحول عنه النعمة، وربما سأله الدنانير، وألح عليه حتى أخذها منه؛ ثم رماها في التراب، فيندم ذلك الفقير، ويعزم أنه ما عاد يعطيه شيئًا بعد ذلك، ويقول: إن رميها في التراب من فعل السفهاء، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ (النساء: ٥).

والحال أنه رماها لفقراء الجان، فالتقطوها من الأرض بقصد التصدق على فقراء الجان أصحاب الضرورات؛ ليعظم الأجر لصاحب تلك الدراهم؛ كما شهدت ذلك من الشيخ فرج المجذوب[1]، ومن الشيخ إبراهيم المجذوب

---

(١) قال المناوي: هو من له الكشف التام، والكرامات الخارقة. كان جنديًا فجذب وهو مشغول بأمر الإقطاع. وكان دائمًا يقول: عندك إقطاع سفرية، بشرط أن يكون فيه ضيافة من فراخ وأُوزٍّ وغنم. وكان يجمع الدراهم ويفرقها على المحاويج. وله وقائع كثيرة مع أهل مصر.

أخبرني والدي أنه جاءه، وقال له: أعطني ثلاثين نصفًا فلم تسمح نفسه إلا بخمسة أنصاف، فأخذها، وصار كل حانوت مر بها يرمي فيها نصفًا، ثم ذهب. قال: فجاءني رجل بكتاب من الصعيد من الشهابي أنه أرسل إلي ثلاثين إردبا قمحًا في ذلك اليوم بعينه، فجاءني رجل دفع إليَّ منها خمسة ، ولم أقف لبقية الثلاثين على أثر ولا خبر.

وقال الشيخ جمال الدين بن شيخ الإسلام زكريا: خرجت للحمّام فرآني، فقال: نصف. فأعطيته، وقال: آخر، وهكذا إلى تسعة وثلاثين نصفًا، فقال: هات. قلت: ما بقي غير نصف للحمام. فقال: كتبت لك وصولاً على شموال اليهودي، فلما عدت من الحمام جاءني يهودي بتسعة وثلاثين دينارًا، فقال: أقرضني والدك أربعين دينارًا، ولم أقدر إلا على تسعة وثلاثين. فأعطانيها. وله وقائع كثيرة مع أهل مصر. انقطع آخرًا بالمارستان، ثم مات. ودفن بزاوية الشيخ بهاء الدين بباب الشعرية. انظر: «طبقات» الشعراني (٢/ ١٤٢)، «الكواكب الدرية» (٨١٥).

بمصر ﷺ[1].

واعلم يا أخي أن من شأن أرباب الأحوال: أن يعموا على العبد سبب أخذهم الفلوس؛ لدفع البلاء الفلاني عنه امتحانًا له، لينظروا هل الدنيا عنده حقيرة أم عظيمة؟ فلا يسمح بها لأخيه المؤمن، ولو أنهم ذكروا للإنسان أن هذه الدراهم مثلاً: نريد أن ندفع بها عن كذا وكذا من البلاء، فربما سمح بها وبأضعافها بحسب ثقل البلاء وخفته، فإن طلب الولي دينار السلامة فمراكب التاجر التي في بحر الهند بما فيها أمر حقير؛ بل لو أعطاه الألف دينار كانت الخيرة له في ذلك، وينبغي للشيخ إذا ردَّ فقيرًا مجهولاً ولم يعطه ما سأل أن يقول بتوجه تام: اللهم إن كان هذا من أوليائك أو رسول أحد من أوليائك، فاجعلني أسمح له بما سأل، فإني يا رب لو علمت أنه من أوليائك، أو قاصدًا من عندهم ما رددته؛ وذلك لئلا تؤثر فيه أرباب الأحوال فإذا التجأ إلى الله حماه من تأثيرهم فيه، ولم يستطع أحد منهم أن يتصرف فيه بمرض

---

(١) قال الشيخ المصنف في الطبقات الكبرى (١/ ٣٧٩): ومنهم الشيخ إبراهيم أبو لحاف المجذوب ﷺ كان من أوسع الناس خلقاً لا يكاد أحد قط يغضبه، ولو فعل معه ما فعل، وكان أولًا مقيماً في برج من أبراج قلعة الجبل نحو عشرين سنة فلما قرب زوال دولة الجراكسة أرسل يقول للغوري: تحول، وأعط مفاتيح القلعة لأصحابها فلم يلق إليه بالاً، وقال: هذا مجذوب فنزل إلى مصر، وزالت دولة الجراكسة ولم يزل في مصر إلى أن مات، ودفن في قنطرة السد بالقرب من مصر العتيق في الحوش الذي هناك، وكان يقيم عندي الشهر، وأكثر فكنت أراه لا ينام شيئاً من الليل إلا قبيل الفجر، وكان ﷺ يقول: طول ليله: الله الله لله لا يفتر، وكان حافيًا مكشوف الرأس ملتحفاً بملاءة حمراء، وبيده عصا غليظة لم تزل في حضنه، ويقول: احتاج الزمان إلى هذا، ولما مددت للتسويط في أيام السلطان أحمد بسبب شخص من أكابر الدولة قيل: إنه مخبأ عندي، وقف عند رأسي، وقال: لا تخف ما عليك باس غداً تقضي الحاجة أذان الظهر فلما كان الغد خرج السلطان أحمد هاربًا من القتل أذان الظهر كما قال، وكنت لم أزل أسمعه يقول هذه الكلمات: سبحان من خلق الخلق احتياط علم خبر فقط رحمة الله تعالى عليه.

ولا موت ولا عزل؛ فاعلموا ذلك، وتحفظوا من الوقوع في أسباب زوال النعم من المعاصي، ورؤية النفس على الناس بالكرم، ونحو ذلك؛ فإن جميع النعم التي بأيدي الخلق الآن قد تفلتت من أيديهم؛ لقلة الشكر، وعدم مواساة الفقراء بها، فالعاقل من حوط نفسه بالآيات والأسماء ليلاً ونهارًا، ويسأل الله أن يديم عليه النعمة فضلاً منه ورحمةً، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للفقراء: ألا يطلبوا من الشيخ حضور مجلس الذكر معهم بعد العشاء؛ كما يفعل في مجلس الذكر بعد صلاة الصبح، فإن الحق تعالى ربما تجلَّى لقلب الشيخ، فأخرس لسانه عن النطق من شدة عظمة ذلك التجلي؛ بخلاف المريدين فإن أحدهم في حجاب عن شهود ذلك التجلي؛ ولذلك حثَّ سيدي يوسُف العجمي خواص أصحابه المريدين على تخفيف مجلس الذكر بعد العشاء؛ رحمةً بهم، وشفقةً عليهم؛ لإشرافهم على مقام الكُمَّل من الأشياخ، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واسمعوا لشيخكم في جميع ما يرشدكم به، ولا تقتدوا بأفعاله كلها إلا إذا أمركم بذلك، وأما ما لم يأمركم به فالواجب عليكم ملازمة ما أمركم به، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ أو النقيب ألا يمكن أحدًا من أطفال الزاوية أن يبادر إلى الأكل من شيء أرسله أحد من أركان الدولة، أو غيرهم إلى الفقراء؛ ليحملوا حملته في عدم عزله من وظيفته، أو في تحويل مرضه، أو مرض من يعز عليه، ويأمر الأطفال بالتربص، وترك الأكل من ذلك الشيء إلى أن تقضى حاجته؛ وإن خيف فساد الطعام تصدق الشيخ به عن صاحبه، وأعطاه للفقراء الخارجين عن الزاوية من عميان، وأيتام، وأرامل، ونحوهم؛ لأن مثلهم لا يتحاشى عن الأكل من مثل ذلك، ولا ينبغي لأحد من فقراء الزاوية أن يترخص ويأكل قبل قضاء الحاجة؛ فإنه ربما عوقب

بطلوع الحكة، والجرب، والحب الفرنجي، وضربان العظم والمفاصل؛ كما وقع لبعض فقراء الزوايا، بل وقع لي أنني كنت أرسل مثل ذلك للعميان المقيمين عندنا في الزاوية، وأمنع منه غيرهم، فكان غير العميان يتأثرون من حرمانهم من ذلك الطعام؛ فلما طلع الجرب والحَكَّة والخراريج في أبدان العميان، ودودت أبدانهم؛ شكر الذين لم يأكلوا من ذلك الطعام ربهم على ذلك.

وسمعت سيدي عليًا الخواص ﷺ يقول: من بادر إلى الأكل مما أرسله المرضى إلى فقراء الزاوية قبل قضاء الحاجة، فقد عرض بدنه للدمامل، والقروح، وشرب الأدوية الكريهة، والحقن الكبيرة حتى ينفق على الأدوية أكثر من ثمن ذلك الطعام مرات، وإذا أتى الزاوية شيء من الفواكه ونحوها مما يفرق في العادة؛ فللشيخ أن يشرك أهل بيته مع الفقراء، وإن كان ذلك مما يدخر في العادة؛ كالقمح، والعسل، والأرز فله ادخاره على اسم فقراء الزاوية، وغيرهم من الفقراء والمساكين الواردين على الزاوية في مستقبل الزمان، وإذا كانت القرائن تعطي أن ذلك الشيء إنما أرسله صاحبه إلى الشيخ خاصة؛ كالثوب الصوف، والعمامة، والقلنسوة، والنعل فللشيخ أن يتخصص به؛ لأنه لا يَتَبَعَّض ليفرق على كل واحد قطعة قطعة.

وينبغي له ألا يغفل عن وعظ إخوانه في الزاوية، ولا عن تربيتهم وإرشادهم إلى مصالح دنياهم وآخرتهم، ويكون هو إمامهم في كل ما يعظهم به ويزهدهم فيه، فلا يأمرهم بقيام الليل مثلاً وينام هو، ولا ينهاهم عن جمع الدنيا والرغبة فيها، ويفعل هو بضد ذلك؛ كما عليه بعضهم، فيصير الفقراء يضحكون عليه من ورائه، ويستهزئون ويسخرون به، وقد قالوا: من عقل الرجل ألا يأمر أحدًا بأمر حتى يفعل هو به، وإن لم يكن ذلك شرطًا، فإذا عمل بذلك الأمر فهناك يحسن منه أن يعظهم

ويأمرهم، بشرط الرحمة والشفقة واللين والعطف؛ كأن يقول لهم: اعلموا أنه ما أحب أحد الدنيا، ورغب فيها لغير ضرورة إلا سقط من عين رعاية الله ﷻ، وصار مهينًا في ملكوت السماوات والأرض، فعلم أن من خفة عقل الرجل أن يأمر إخوانه بالإنفاق لكل شيء دخل يدهم على الفقراء والمساكين، ويمسك هو الدنيا، ولا يسمح بها لمحتاج إليها؛ فربما لم ينقد له أحد، ولا يعود يفتقده ويحجبه شاهد جماله عن سماع مقاله، وكيف تنقاد الفقراء لشخص يرونه يزاحم على الدنيا، ويركب كل قليل للأغنياء والأمراء فيزورهم في دورهم، أو يرون الأمراء يزورونه، ويحملونه على النصب عليهم؛ ونظير ذلك ما لو رأوه يخاصم الناظر أو الجابي على معلوم وظيفة نظر، أو مشيخة حضور، أو تدريس علم، أو خطابة، أو إمامة، ونحو ذلك مما خالف فيه طريق السلف الصالحين.

وكذلك من الأسباب التي يترك الناس الاعتقاد في الفقير: كونهم يرونه يسافر إلى البلاد البعيدة يطلب الدنيا كالمرتب والمسموح؛ فإن طلبه لاعتقاد الناس فيه مع ذلك، وقبولهم إرشاده من قلب الموضوع، وما هكذا كان آحاد المريدين في الزمن الماضي فضلاً عن الأشياخ؛ لأن أول مراتب الإرادة هو الزهد في الدنيا.

وسمعت سيدي عليًا الخواص ﷺ يقول: علامة صحبة الإرادة زهد الفقير في الدنيا، ومحل صدقه في الزهد أن يصير ينقبض خاطره إذا جاءته، وينشرح إذا تحولت عنه، انتهى.

وينبغي للشيخ: أن يُرغب جماعته في عمل الحرفة؛ ليأكلوا منها ولو كان لزاويتهم وقف، ويقول لهم: إن أكلكم من عمل أيديكم أفضل لكم من الأكل من صدقات الناس، وأعون لكم على طلب الطريق والترقي في مقاماتها.

وكان سيدي إبراهيم المتبولي يقول: أنا لا أحب للفقير أن يجلس للتعبد في الزاوية بلا حرفة يأكل منها؛ لئلا يقتسم أصحاب تلك اللقيمات جميع الحسنات، التي نشأت من قوى تلك اللقيمات؛ لأنها لولا هي ما قدر على ذلك التعبد، وكان يقول: من أقبح أحوال الفقير أن يكون لا حرفة له، ويأكل بدينه خبزًا وطعامًا، ويصير الناس يعتقدونه لانقطاعه للعبادة، ويرسلون له الطعام واللباس، ويقولون له: ادع لنا؛ فإن هذا يذهب دينه كله، وتنقل حسناته في صحائف المعتقدين فيه، حتى يوافي القيمة وليس معه حسنة؛ لأنه استوفى أجر أعماله كلها في الدنيا.

وقد كان الفضيل بن عياض يقول: لأن آكل الدنيا بالطبل والمزمار، أحبُّ إليَّ من أكلها بديني، وكان ﷺ يسقي على جمل بمكة، ويتقوت هو وعياله من ثمن الماء؛ كما أوضحنا ذلك في كتاب «العهود» والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: أن يأمر المجاورين بالتعفف عن هدايا الناس، وصدقاتهم، والقناعة بساتر العورة ولو من شراميط الكيمان(١)، والقناعة بما يسد الرمق ولو كان من ورق الخس، والبقل الذي يلتقط من الموارد والأنهار؛ كما جرى عليه الفقراء الماضون، ووالله لقد فعلت ذلك سنين؛ حتى وسع الله تعالى عليَّ الرزق من حيث لا أحتسب، ولا [...](٢) في طريقه؛ ثم شرعت في الزرع، فأغناني الله تعالى به عن الناس، فأخزن كل سنة منه قوتي وقوت عيالي، وألبس منه الجبة والعمامة وغيرهما، فالحمد لله رب العالمين.

---

(١) كلمة عامية تعني: القطع البالية من القماش.

(٢) كلمة غير واضحة بالمخطوط.

وينبغي للشيخ: أن ينهى الفقراء المقيمين عنده على نية التجرد، وطلب الطريق عن إمساكهم الدنيا، إلا ما لا بد لهم منه في طريق سيرهم؛ وذلك كزاد المسافر مما لا بد له منه كإبرة وقصعة وسكين وخريطة؛ لا كطراحة ولحاف وصندوق للثياب وإمطار من الفخار، وأما الذهب والفضة فيمنعهم من إمساك ذلك جملة واحدة؛ حتى يكمل حالهم ويفطمهم عن الدنيا فطامًا صحيحًا، وحينئذٍ لا يضر أحدهم جمع الدنيا، ولو كان عنده أموال جميع الخلق ما شغلته عن ربه عز وجل.

وليحذر من قبول جهة المريد أنه ما أمسك الدنيا إلا لأجل العيال؛ فإنه ربما كان ذلك منه تلبيسًا على نفسه، وكل من شامخ مريدًا بإمساكه الدنيا من غير امتحانه فقد غشه؛ ثم إن نهاه الشيخ عن الدنيا ولم يفته فهو الغاش بنفسه، وليس على الشيخ منه في ذلك شيء، وهذا الأمر قد عم فقراء الزوايا في هذا الزمان؛ فيأذن لأحدهم شيخه بأن يربي المرتدين، ويرشد السالكين، وهو لم يفطم عن محبة الدنيا؛ بل ربما عامل الناس بالربا، وصار يقرض الألف دينار فأكثر، ويشتكي الناس من بيوت الحكام، وإذا ساقوا عليه شيخه، يقول: ما يحل للشيخ من الله تعالى أن يضيع مالي؛ كما شاهدت ذلك من بعض مريدي إخواننا في مصر، وقد رأيت من يملك الألف دينار؛ ومع ذلك يأكل من صدقات زاوية شيخه، ولو أن صاحب الصدقة علم بهذا ما أعطاه رغيفًا.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي يقول: والله ما كنا نظن إننا نعيش إلى زمان صار الناس يجبسون في زوايا الفقراء؛ لأجل الدنيا، ويوهمون الشيخ وجماعته الصادقين أنهم ما جلسوا؛ إلا للآخرة وطلب طريق القوم، وسمعته يقول: من شرط الصادق من الفقراء أن يجلس عند الشيخ للآخرة، ويجعل الدنيا بحكم التبع؛

فعكس الفقراء اليوم ذلك، فالله يلطف بنا وبهم؛ آمين...آمين.

وينبغي للشيخ إذا رأى جماعته قد كسلوا عن العبادة والاشتغال بالله عز وجل- أن ينبههم على نقص حالهم، وينهاهم عن الأكل من خبز الزاوية؛ ترقيةً لهممهم، ويقول لهم: إن صاحب الوقف ما وقفه بالأصالة إلا للمنقطعين إلى الله تعالى المقبلين على عبادته ليلاً ونهارًا، فمن لم يكن منقطعًا للعبادة، فلا حقَّ له في تلك الصدقات التي في الزاوية؛ وإنما هو يزاحم الفقراء في طعامهم بغير حقٍّ، فلا يزداد باطنه بالأكل منها إلا ظلمةً، ولا قلبه إلا سوادًا، ولا همته إلا فتورًا وكسلاً وغفلة، ولو أنه قيل للواقف حال حياته: إنَّ فلانًا قليل العبادة لا يلتفت إلى عبادة؛ بل هو يأكل، ويشرب، ويلهو، ويلعب، وينام طول الليل؛ لقال: لا حاجة لنا بإدخاله في فقراء الزاوية؛ بل كان يخرجه منها.

وينبغي للشيخ: أن يبين كل قليل لفقراء الزاوية ما كان عليه السلف الصالح من التقشف، وأكل الخبز اليابس بالملح أو حافًا، ولبس الجيب الخشنة والبشت والفروة الكباشية والخيش ولبس الأسود من الثياب، ونحو ذلك مما لا يشغل تحصيل عن الله تعالى ويمنعهم لبس الجوخ الرفيع والعمامة الرفيعة، والثياب النفيسة جملةً واحدة؛ لئلا يشتغلوا عن عبادة ربهم بتحصيل ثمن ذلك أولاً، وعن خياطته ثانيًا، والعُجْب به ثالثاً، وغسله إذا اتسخ رابعًا، وكثرة الخروج والزيارة للإخوان خامسًا.

وفي الحديث: «مروا النساء كي يلزمن قعور بيوتكم فإن المرأة إذا أكثرت ثياب زينتها أكثرت من الخروج إلى الناس ليروا ثياب زينتها»[1]، أو كما قال ﷺ.

---

(١) لم أقف عليه هكذا، وانظر: «العهود المحمدية» (ص٢٨٠).

وقد رأيت سيدي عليًّا الخواص، وأخي أفضل الدين، والشيخ عبد القادر – أخي-لا يغسلون عمامتهم إلا في عيد الفطر فقط، وكانوا يغسلونها بالملح تحقيقًا للمؤنة، وتقوية للقماش؛ فإن الملح يزيده قوة، وكان سيدي إبراهيم المتبولي يغسل ثيابه بالملح، ويقول: نوسع على إخواننا بالصابون، ويُخبر أن أهل الصفة كانوا يغسلون كذلك به ثيابهم.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: لا ينبغي لفقراء الزاوية أن يلبسوا المضربات النفيسة، ولا الجيب الرفيعة، ولا غير ذلك في لباس أهل الرعونات، ويقول: إن الفقراء إذا فعلوا ذلك، مالوا إلى مجالسة أبناء الدنيا من التجار والمباشرين ونحوهم، فماتت قلوبهم بمجالستهم كما جرب؛ بخلاف ما إذا لبسوا الجبة الغليظة، والمرفقات بالخيش، وسبح عليهم القمل؛ فإن نفوس أبناء الدنيا تنفر من مجالستهم، بل نفس الفقراء لا يحبون مجالستهم؛ لعدم مشاكلتهم في أحوالهم، وقد طلب الإمام الأوزاعي الصحبة من إبراهيم بن أدهم، فقال له إبراهيم: يا عبد الرحمن، الطير لا يطير إلا مع شكله، انتهى.

وسمعت سيدي محمد بن عنان ﷺ يقول: يجب على الفقير حذف العلائق الدنيوية، حتى الوظائف التي لها جامكية[1]؛ فإن الفقير يحتاج إلى مباشرتها في أماكنها فيضيق الوقت عليه، ويصير له وقت يقدر منه على طول مجالسة الله -عز وجل- فينقطعون عن الخير، ويصير أحدهم في الغفلة كأبناء الدنيا بل أشد؛ لأنهم ذاقوا طريق الفقراء ثم تركوها، ومن هنا قال الجنيد: لو أقبل عارف على الله تعالى ألف عام

---

(١)الجامكية: لفظ فارسي معرب، وهو رواتب أصحاب الوظائف من الأوقاف. انظر: «معجم لغة الفقهاء» (١/ ١٥٨).

ثم أدبر عنه لحظة، كان ما فاته في تلك اللحظة أكثر مما ناله في الألف عام؛ وذلك لأن كل لحظة متضمنة لجميع الإمداد السابق عليها، وبزيد عليها بمدد الوقت فافهم،انتهى.

وسمعت سيدي محمد الشناوي ﷺ يقول لهم: الفقير قبل صحبة الفقراء؛ كالحديد النقرة، وبعد صحبتهم ومفارقة طريقهم حكم الدرهم الزغل(١)؛ فلا يقبله أحد، انتهى.

وسمعت سيدي محمد المنير ﷺ يقول: ليحذر الفقير أن يدعي الحاجة إلى ما يجمعه من الدنيا، والحال أنه كاذب؛ وإنما يجمعه محبةً في الدنيا فإن الناقد بصير، ومن فعل مثل ذلك فقد غش نفسه وشيخه، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: أن يرقي الفقراء في مقامات اليقين، والرضا بالقسمة الإلهية، ويكون هو أولهم في ذلك، فيقول لهم: مقصودنا التعفف عن الدنيا، ورد كل ما أتانا منها؛ لنكتسب عزة النفس المحمودة بذلك، فإنه لا يخلو ما نرد من أحد شيئًا، إما أن يكون لم يقسم لنا فلا تتبعه نفوسنا، وإما أن يكون قد قسم لنا فهو حاصل لنا، ولو رددناه لا يرتد لاسيما الزكوات التي هي أوساخ الناس، وهدايا العمال التي لا تسلم في الشبهة، وتحتها مائة بلية، وكان لأحدهم تقطيب وجهه لمن أتى شابك الهدية إليهم ثانيًا، ويتعين فعل ذلك على أهل المروءات من الفقراء؛ ليريحوا أنفسهم وشيخهم من التلطخ بأكل الشبهات، وأوساخ الناس، وغسالة ذنوبهم؛ فإن مثل من يقول للشيخ: خذ زكاتي لك ولأصحابك؛ مثل من يقول: خذ وسخي وصناني

---

(١) الزغل:الغش، وهو يقصد أنه يصبح كالدرهم المغشوش. انظر «المعجم الوسيط» (١/ ٨٢٠).

وبصاقي، وتلطخ به أبدانهم وقلوبهم؛ كما أشار إلى ذلك رسول الله ﷺ بقوله في الصدقة: «إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَإِنَّهَا لا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلا لآلِ مُحَمَّدٍ»(١).

قال بعض الأئمة: والوسخ يشمل سائر فضلات الإنسان من غائط وبول، ولكنه ﷺ كان يكني عن القبيح في العرف، انتهى.

وأما قوله في الحديث: «ولا لآل محمد» فيشمل آله من حيث الروحية؛ كما أشار إليه حديث: «آلُ مُحَمَّدٍ كُلُّ مُؤْمِنٍ تَقِيٍّ»(٢)، ولا شك أن الفقراء من خدام رسول الله ﷺ؛ لكثرة اتباعهم سنته، ومولى القوم منهم.

وقد كان سلمان الفارسي لا يأكل من الزكاة، ويقول: قال رسول الله ﷺ: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»(٣) فتحًا لباب التأسي به؛ فكل فقير تنزَّه عن أوساخ الناس فهو تابع في ذلك أهل البيت، ثم لا يخفى أن الوسخ يزيد في القبح، وينقص بكثرة الشبهة التي في تلك الصدقة، وقلتها، وطيب مطعم صاحبها، وكسبه؛ فمن الناس من يشبه كسبه: الغائط، ومنهم من يشبه كسبه روث البهائم، ومنهم من يشبه كسبه ذَرْقُ العصافير، وهكذا إلى ونِيمُ الذباب إلى دم البراغيث.

وسمعت سيدي عليًّا الخواص ؒ يقول: علم مال من يغش في المعاملات، ويأكل الربا والرشوة والحرائم؛ كالقيح والغائط، وحكم مال من ينصح في المعاملة، ولكنه يبيع على من يأخذ أموال الناس بالباطل؛ كالبول والدم، قال: والحاذق لا يخفى عليه مثل ذلك، وكان يقول: ما بقي للفقير خلاص في مأكل ولا ملبس، إلا أن

---

(١) رواه مسلم (٧/ ٦)، والنسائي (٢/ ٥٨)، والبيهقي (٧/ ٣٢).

(٢) ذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ١٩).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٥/ ٢٠٢)، والطبراني في «الكبير» (٦/ ١٠).

يكون في درجة المضطر؛ فإن المحترف بتقدير أنه ينصح في حرفته فيبيع على مَنٍّ، إذ التجار وسائر السوقة الآن إلا من شاء الله-لا يريدون دراهم أصحاب الشبهات إذا جاءتهم، ولا شك أن حكم من أخذ مال هو لا حكم؛ كحكم من أخذ من أصحاب وظائف الظلم بلا واسطة، انتهى.

وكان سفيان الثوري ﷺ يقول: أكل الحرام يضر آكله، ولو لم يعلم به كما يضر السم، ولو لم يعلم به آكله، انتهى، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: ألا يتخذ نقيبًا أو صاحبًا من الفقراء، ويقربه منه إلا إن كان يقبل التربية والصدق، وإلا شك قربه من الشيخ سريرته؛ فإن حكم الشيخ حكم الفتيلة التي تنور على البقاع حولها، وكل من عمل في الضوء فاحشة رآه الناس، بخلاف القرب من غير الشيخ، فإنه ربما كان لا مزية له فلا يكشف ستر من قرب منه؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، ولا تطلبوا القرب من شيخكم، إلا إن كان أحدكم طاهر القلب والجوارح من كل رذيلة، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: ألا يأخذ شيئًا من معلوم الفقراء؛ ليتوسع به في نفقة عياله وملابسه ومراكبه وضيوفه، ويخرج فقراء الزاوية عنده طلبًا للشكر بين الناس، ووصفه بالسخاء والكرم والجود لاسيما إن كانوا -يعني: فقراء الزاوية-يغلب الحياء من الشيخ، ولا شك أن مثل ذلك معدود من الغُلُول(١)، ولو أنصف الشيخ لأعطى الفقراء جميع الهدايا الكثيرة الداخلة للزاوية؛ لأنهم شبكته التي يصطاد بها، ولولاهم ما أهدى أحد إليه تلك الهدايا الكثيرة كما مربطه قريبًا.

---

(١) قَالُوا: الْغُلُولُ وَالْإِغْلَالُ: الْخِيَانَة، إِلَّا أَنَّ الْغُلُولَ فِي الْمَغْنَمِ خَاصَّةً وَالْإِغْلَالُ عَامٌّ. (الصحاح في اللغة/ غلي).

وسمعت أخي أفضل الدين ﷺ يقول: ليحذر شيخ الزاوية أن يصطاد شيئًا على اسم الفقراء من غير علمهم؛ ثم لا يعلمهم به إذا وصل إليه من قمح أو نقد أو ثياب ونحو ذلك، ولا يعمر به دارًا، ولا يزرع به زرعًا، ولا يشتري به حمارًا ولا فرسًا، ولا يكسو به أولاده ولا عياله؛ فإن ذلك كله ممحقةً للبركة من يده، ولا بد أن تركبه الديون عقوبة له، ويقل رزق زاويته كما جرت؛ لاسيما إن علم بذلك فقراء الزاوية، وأعلموا صاحب تلك الهدايا التي أخذها على اسم الفقراء بأنه تخصص بها؛ فإنه يحول هديته وصدقته إلى زاوية أخرى كما مرَّ.

وليحذر الشيخ من أن يأخذ شيئًا من زيت الزاوية ليوقد به في بيته، وكذلك لا يأخذ من حصر الزاوية شيئًا يفرشه في بيته وقت الوليمة أو غيرها؛ كما يتناهل فيه كثير من الناس.

وليحذر أيضًا من أن يقبل مرتبًا من مال السلطان، أو مسموحًا أو جوالي؛ بل يجب عليه التعفف عن مثل ذلك، إذا كان الفقراء يتبعونه على ذلك؛ فإنه يقطعهم عن الطريق، وكان الأولى له إذا عرضوا عليه ذلك أن يرده، ويقول: جند السلطان الذين يسافرون في التجاريد، ويحمون بيضة الإسلام أولى مني، فإنه لا تقع في الإسلام؛ كما كان عليه المشايخ الذين أدركناهم أوائل النصف الأول من القرن العاشر، فقد أدركت -بحمد الله- مائة وخمسين شيخًا من أولياء مصر وقراءها؛ بأن أحدهم إذا عرض الأمر عليه مسموحًا أو مرتبًا، لا يقبله تورعًا وزهدًا، رضي الله عنهم أجمعين.

وذلك لا ينبغي لفقراء الزاوية؛ أن يكتبوا زلة أحد من إخوانهم في سجل من فاحشة وقع فيها، أو سرقة، أو عمل زغل، ونحو ذلك؛ لأن من شأنهم الستر لآحاد

المسلمين، فكيف لإخوانهم وأصحاب شيخهم؟ ومن يسبب في كتابة محضر، أو كتابة سجل لمن وقع في زلة، كان عليه الإثم بعدد كل من خاصم ذلك الشخص، وكشف السجل على ممر الأزمان، وعرض نفسه لكشف السوءة والهتيكة، بقدر من كشف على ذلك السجل، وكان عليه في كشف السجل كل مرة من الإثم؛ بقدر الإثم الحاصل له يوم وقع في تلك الزلة لهتيكته الأولى، نظير ما ورد في أجر المصيبة؛ أن كل من تذكرها بعد تقادم عهدها، فأخذت لها استرجاعًا، كان له من الأجر كأجرة يوم أصيب، وبالجملة فلا يقع في كشف السوءات إلا الشياطين وأهل حضرتهم؛ لكثرة عداوتهم للمؤمن، فإياكم أيها الإخوان من مثل ذلك ثم إياكم، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: أن يبالغ في زجر من يخرج عن طاعته من المجاورين، ولا يتأهل في ذلك؛ لاسيما إن عاد من ذلك ضرر على غيره من المجاورين؛ كعدم تقرب أحد منهم بعد ذلك، قياسًا على ما جرى له مع ذلك المجاور الذي خرج عن طاعته، وأكثر الفساد أن يفتح أحد على إخوانه باب المقاصرة في الخبز والطعام، وكفران نعمة الله التي أجراها على يد الشيخ؛ فإن الله تعالى يحول النعمة حين تكفر، وما دام الفقراء معترفين بنعمة الله تعالى عليهم؛ فالنعمة مخلدة عليهم، ولكن إبليس بالمرصاد لكل مكان رأى فيه خيرًا كثيرًا وسماحةً عظيمة، فيوسوس لأحد الفقراء بالطعن في الشيخ والجابي مثلاً، ويتهمونهما بأنهما يأكلان حق الفقراء؛ والحال أنهما بريئان من ذلك، فيحول الله تعالى تلك النعمة عنهم، تشتت شملهم، وتبطل تلك المجالس التي كانت لهم في الذكر، والعلم، والمناقشة، وتصير همتهم كلها لبطنهم وفرجهم؛ فاعملوا ذلك أيها الإخوان وسدوا باب الاعتراض على شيخكم، وعلى كل من أقامه عليكم من جابي وغيره، واستغنموا مجالس الذكر والنصح وهدوء السير في حياة

شيخكم؛ فإن الخيرات اليوم قد قلت من زوايا الفقراء كما هو مشاهد، ووالله إن حكم الخير الذي في زاويتنا الآن كالتيغار(١) الماء، الذي تصدّع وتكسّر من سائر الجوانب، وهو يخر الماء منها الذي هو كناية عن خروج دين الإنسان من قلبه وجسده، فيحتاج من يريد جمع فقراء الزاوية كلهم على الخير إلى صبر شديد؛ فإن جميع ما يفعلونه من الخير إنما هو أمور مستعارة لا دوام لها.

وقد سمعت سيدي عليًّا الخواص ﷺ يقول: حكم من يريد من مشايخ الزوايا الآن جمع أصحابه على الخير؛ حكم الحجاج إذا رجعوا من الحج، وشاهدوا أوطانهم؛ فإن أحدهم يترك تقطير جماله مع جمال غيره ضرورةً، ولو طلب أحدًا أن يقطرها يخالفه، ويتخاصم هو وإياه، انتهى.

فالعاقل من عرف زمان، ولم يطلب من أهله إلا ما يقدرون عليه من مسمى الاستقامة.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي يقول: ليحذر شيخ الزاوية أن يطلب من فقرائها كلهم أن يكونوا تحت أمره وطاعته؛ بحيث لا يخرج أحد منهم عن طاعته في وقت من الأوقات، فإن ذلك أمر لم يجعله الحق تعالى لمحمد ﷺ في حق قومه، بل قال بعضهم: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ (البقرة: ٢٨٥)، وبعضهم: ﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ (النساء: ٤٦)، وبعضهم قال: ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ (فصلت: ٥)، فإذا كان هذا شيئًا لم يصح لرسول الله ﷺ، مع كونه أعظم الخلق سياسة ولطفًا ورحمةً وشفقةً، فكيف بمن هو من آحاد الأمة؟

---

(١) وعاء كبير من الفخار يستعمل في عصر الدبس.

وقد قالوا: يجب على العالم بالله تقرير الوجود في باطن الأمر على ما هو عليه من شقي وسعيد، موافقةً لما سبق في علم الله عز وجل قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (السجدة: ١٣) ونحوها من الآيات، فكل شيخ طلب من جماعته أنهم يطيعون كلهم ظاهرًا وباطنا، فقد رام المحال مع ما في ذلك من معارضة ما سبق به العلم، وإن كان ما عارض أيضًا مما سبق به العلم؛ فافهم.

وسمعت سيدي عليًّا الخواص ﷺ يقول: لا يكمل الرجل في مقام العرفان، حتى يصير مراده مراد الله، وينشرح لكل مقدور؛ ولا يجد شيئًا يحصل له به قهر ولا يتق، وهناك يدخل حضرة النعيم المقيم في الدنيا قبل الآخرة؛ فإنه ليس على النفوس شيء أشد عليها من مخالفة أغراضها النفسانية، وقد قدمنا على أن من شرط الكامل أن يصل إلى مقام يجب عليه موافقة نفسه فيما تطلب له من الخير؛ إذ النفس إذا اطمأنت لا تصير تأمر صاحبها، إلا بما أمر الله ورسوله به، فمن خالفها فقد خالف أمر الله وأمر رسوله.

وسمعت أخي أفضل الدين ﷺ يقول: من علامة كمال الفقير: أن يصير يستحلى جميع الأقدار الإلهية من حيث التقدير والحكمة، ويذوق مرارتها من حيث الكسب، والتكليف والقائل بأحد هذين الشيئين أعور ينظر بفرد عين، والكامل ينظر بعيني الشريعة والحقيقة، انتهى.

وكان يقول: الكامل من بحث عن الحكمة في تقدير العاصي على العباد، وعرف الشيب الذي قدر الله تعالى به على عباده ما قدر؛ لأمن جهل ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ينبغي الفقراء إذا كان لهم جار فقيه، ودعاهم إلى وليمة، فلم يختصروا له طريق العذر، ويقولون: نقول كلنا: نستغفر الله العظيم، ونتوب إليه من تقصيرنا في حقك يا أخي، وليحذروا أن يقيم أحد الحجة عليه، ويقولون: نحن مشغولون بما هو أهم من حضور وليمتك؛ فإن الفقيه لا ذوق له فيما فيه الفقراء من الأحوال: كالاصطلام(١)، والبوادة(٢)، والهجوم(٣)، والمراقبة، وغير ذلك، وليحذر أحدهم أن يقول له: فلأي شيء أنت لم تحضر مجلس ذكر بالله صباحًا ومساءً وتفوز بمجالسة الله تعالى طرفي الليل والنهار؟ فإنه ربما أقام الأدلة على أن ما هو فيه أفضل، بتعصب وحظ نفس، ولم يرجع إلى إقامة الحجة عليه(٤).

---

(١) قال القاشاني: الاصطلام هو نعت وَلَهٍ يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه، فإن دام ذلك بالعبد حتى سلبه عن نفسه، وأخذه عن حسه، بحيث لم يُبق منه اسماً، ولا أثراً، ولا عيناً، ولا طللاً، حتى صار مسلوباً عن المكونات بأسرها، فما دام العبد كذلك فهو ممحو الآثار، فلهذا لا يجري عليه أحكام التكليف، ولا يوصف بتحسين، ولا يخص بتشريف. اللَّهم إلا أن يُرَدَّ بها يجري عليه من غير شيء منه فيكون في ظنون الخلق متصرفاً، وفي التحقيق مصرَّفاً. قال تعالى: (وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ) الآية.

(٢) قال القشيري: ما يفجأ قلبك من الغيب على سبيل الوهلة، إما موجب فرح، وإما موجب ترح.

(٣) قال القشيري: والهجوم: ما يرد على القلب بقوةً الوقت، من غير تصنع منك.

ويختلف في الأنواع على حسب قوَّة الوارد وضعفه. فمنهم من تغيره البواده، وتصرفه الهواجم.

ومنهم من يكون فوق ما يفجؤه حالاً وقوة. أولئك سادات الوقت. الرسالة القشيرية (١/ ص ٤٠).

(٤) قال الشيخ المصنف: قال السهروردي-رحمه الله تعالى-: وهي العلوم التي سموها بأسماء غريبة اصطلحوا عليها نحو الجمع أو التفرقة والبوادة والهجوم والتجلي والاستتار، والتجريد، والسكر والصحو، والمحو والإثبات، والفناء والبقاء ونحو ذلك مما هو مذكور في «رسالة القشيري» وغيرها وحاصلها أنها إشارة إلى أحوال يجدونها، ومعاملات قلبية يعرفونها لا يعرفها إلا من ذاق فافهم، وكان من الحزم رمزها؛ لأنها من أسرار الله تعالى، ومن خصائص أهل الطريق التي لا توجد في غيرها، واعلم

وقد كان سيدي علي الخواص ﷺ يقول: لا يكون فيه بمرةٍ الذكر من مجالسة الحق تعالى، ويزيد عليه بتعدي منفعته إلى الأمة في تصحيح عباداتهم ومعاملاتهم، وأما إذا كان العلم يحصل معه، فقلة عن مشاهدة الحق تعالى فليس هو أفضل من الذكر، انتهى.

وهو كلام نفيس فاعلموا ذلك أيها الأخوان، واعملوا به، والحمد لله رب العالمين.

أن المريد الصادق من أول قدم يضعه في الطريق يعرف إشارات القوم التي رموزها وإشادتهم ومراداتهم بها حتى كأنه الواضح لها، فإن ادَّعى دخول الطريق، ولم يفهم المراد بها إلا بتفهيم أحد له أو مطالعته في كتاب فهو غير صادق في طلب الطريق، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وتأملوا في هذا الخلق فإنه نافع جدًا، والحمد لله رب العالمين. [الأخلاق المتبولية ص٦٢٤] بتحقيقنا.

الباب الخامس

في ذكر جملة أخرى من آداب فقراء الزاوية وأخلاقهم

اعلم يا أخي أنه ينبغي للشيخ إذا رتب السلطان أو أحد من الأكابر لزاويته مرتبًا، أو أخرج لهم مسموحًا أن يصرف ذلك في أحوج الناس إليه من العميان، والعرجان، والأرامل، وكل عاجز عن الكسب عجزًا شرعيًا أو حسيًا، وإن كان هو وأولاده محتاجين لذلك أخذوا منه أسوة الفقراء.

وليحذر أن يسأل جماعة السلطان في مثل ذلك، بعد إظهاره النسك، والعبادة، والتورع، وإنفاق كل ما دخل يده على الفقراء؛ ثم إذا أعطوه ما سأل ينفق منه مدة؛ ثم يعترضه الشيطان، ويحول بينه إلى حرمان الفقراء، ويصير ينفق منه على نفسه وأولاده، ويبني به دورًا ويغرس به البستان، ويتخذ له فرسًا وخادمًا وثيابًا نفيسة؛ فإن ذلك حرام من وجوه عديدة؛ ثم لابد له من إشاعة الفقراء ذلك عنه والعيال الأمر إلى الحرام، فيندمون على إجابته إلى ذلك المرتب، ويقل اعتقادهم فيه وفي بقية الفقراء، وربما حولوا ذلك المرتب عنه إلى شخص آخر؛ كما وقع ذلك في إسطنبول:

فخرج السلطان متنكرًا هو وثلاثة من أصحابه، فدقوا باب زاوية شيخ، وقالوا له: نحن جيعانون، فقال: اصبروا؛ ثم أخرج لهم بعض خبز يابس وملحًا، فقالوا له: دستور بعلم السلطان يرتب لك شيئًا، فقال: نحن بخير ببركة السلطان، فعجزوا فيه فلم يجيبهم إلى ذلك ففارقوه، وطرقوا زاوية أخرى لبعض النصابين، وكان السلطان قد رتب له ولفقراء زاويته أربعة خرفان من الغنم كل يوم، وأرز، وعسلاً، وغير ذلك فأطعم الواردين من ذلك مدة؛ ثم منعهم فبلغ ذلك السلطان،

فلبس له مرقعة، وأخذ له إبريقًا وعكازًا، وأتى إلى الزاوية بعد العشاء، وقال: أنا جيعان، فقالوا: ما عندنا شيء، فألح السلطان عليه، وقال: بكرة النهار أُخبر السلطان، فقالوا له: تخبره أو لا تخبره ما عندنا شيء، فأمر السلطان بعض الجاوشية بأن يأتي إلى تلك الزاوية، بعد أن ردوه بلا عشاء، فقال لهم: أنا من جماعة السلطان، وأنا بلا عشاء فأخرجوا له حلوًا ولحمًا وكذا وكذا لونًا، فأخبر بذلك السلطان، فحول ذلك الطعام عنهم إلى شيخ آخر، وأمر ذلك النصاب بالخروج من اسطنبول فخرج، وأسكن مكانه الشيخ الأول؛ هكذا أخبرني بعض قضاة الأدوام.

فاعلم ذلك أيها الشيخ، واجتنبت أكل الحرام والشبهات، وأعط الفقراء ما اصطلدته على اسمهم؛ لاسيما إذا كانت القرية تعطي ذلك، كما إذا رتبوا للزاوية كل يوم عشرين نصفًا؛ فإن مثل ذلك لا يعطى لواحد يجمع ويمنع، إنما يعطى مثل ذلك لأمير يسافر في التجاريد، ويحمي بيضة الإسلام؛ كما بسطنا الكلام على ذلك آخر العهود الكبرى، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ إذا كان هو الناظر على وقف الزاوية: أن يحميه من أخذ الظلمة شيئًا منه، وذلك بأن يكون زاهدًا في الدنيا، لا يمسك منها شيئًا إلا عند الضرورة، ورد كل ما جاءه من الولاة وغيرهم، ويكون مجتنبًا لسائر المعاصي القولية والفعلية والخواطرية، الظاهرة والباطنة، وألا يتخصص عن الفقراء بشيء منه في ملبس ومأكل، أو منكح، أو مركب أو غير ذلك، وأن ينفقه جميعه في مفارقه الشرعية؛ بحيث لا يعرف منه شيئًا في غير ما شرط له فمن، فعل ذلك حمى الله تعالى وقف زاويته من سائر الظلمة، وخافوا منه بفضل الله أشد الخوف، وأما من كان بالضدِّ من ذلك، فلا يقدر على حماية نفسه فضلاً عن غيره.

وإيضاح أن الله تعالى ما سلط الظلمة إلا على أهل الدنيا، وأما أهل الآخرة فلا يقع عليهم تسليط، ومن أدعى أنه من أهل الآخرة، وأخذ الكشاف، ومشايخ العرب، والماكسون شيئًا من وقف الزاوية، أو من الهدايا الداخلة إليها من الأرياف مثلاً، فليس هو بصادق إنما هو من أبناء الدنيا؛ كما هو مشاهد في بعض مشايخ الزوايا؛ فإن الظلمة يأكلوا غالب وقفه، وربما ذُلَّ لبعض الأمراء، و طلب منه أن يجمعه فلم يقدر؛ لعدم استحقاق ذلك الشيخ للحماية، وإن قدر أن الشيخ من أبناء الدنيا الآخرة، وعارضه الولاة في وقف زاويته؛ فهو لعدم استحقاق فقرائها؛ كما سيأتي إيضاحه في الباب السابع إن شاء الله تعالى.

وسمعت سيدي الشيخ عبد الحليم بن مصلح المنزلاوي يقول: ينبغي للشيخ: أن يحمي وقف زاويته، وما يأتي إليها من الظلمة كالمكاسين، وذلك بالزهد في الدنيا؛ فإن زهد ثم تعرض أحد من الظلمة لحماتها؛ فذلك لعدم استحقاق فقرائها، لابد من ذلك كأن يكون أحدهم قليل العبادة، مقراضًا في الناس، غافلاً عن ربه --عز وجل- لا يتعبد بقراءة قرآن ولا ذكر ولا علم، وفي بعض الآثار يقول الله عز وجل: «يَا دُنْيَا مَنْ خَدَمَنِي فَاخْدِمِيهِ، وَمَنْ خَدَمَكِ فَاسْتَخْدِمِيهِ»(1)، انتهى.

وفي الحديث الصحيح: «من أصبح همه الدنيا فليس من الله في شيء، وشتت الله عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه؛ ثم لم يأته من الدنيا إلا ما قسم له، ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله عليه شمله وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»(2) أو كما قال؛ فاقلبوا ذلك أيها الأخوان إرشاد نبيكم ﷺ، واشتغلوا بعبادة

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) رواه الترمذي (٤/ ٦٤٢)، والدارمي (١/ ٨٦)، وابن ماجه (٢/ ١٣٧٥) بنحوه.

ربكم تفوزوا بخير الدنيا والآخرة، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقراء الزاوية: ألا يخرجوا عن إشارة شيخهم؛ لأنه أمين على أديانهم، فضلاً عن دنياهم؛ فإذا نهاهم عن جمع الدنيا الزائدة عن حاجتهم في يومهم، وجمعتهم، أو شهرهم، أو عامهم فمن الأدب اجتناب ما نهاهم عنه.

وسمعت سيدي عليًّا الخواص ﷺ يقول: كان سيدي إبراهيم المتبولي يقول: أكثر ما بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه أدخر قوت عامه؛ تشريعًا لضعفاء اليقين من أمته، فينبغي لفقراء الزاوية: ألا يخزن أحدهم من الدنيا ما يزيد على نفقة سنة؛ لشبههم بأهل الصفة، بل ورد أن رسول الله ﷺ وجد في حجرة إزار شخص من أهل الصُّفَّة دينارين، فقال: «كَيَّتَانِ مِنْ نَارٍ»(١).

وكان سيدي عليٌّ الخواص يقول: ينبغي لفقراء الزاوية: ألا يدبروا عن عبادة ربهم في ساعة من ليل أو نهار؛ فإن إدبارهم عن العبادة يعسر عليهم أرزاقهم؛ لأن الحق تعالى ما ضمن تسهيل الرزق إلا لمن كان مقبلاً على عبادته.

وسمعت أخي أفضل الدين ﷺ يقول: إن رزق الزاوية ووقعها ينقص في كل سنة بقدر ما أخلُّوا به من شعائرها ووظائفها، فمن طلب من النظار أن ريع وقفه يأتي إليه كاملاً؛ فليأمر المستحقين بأن يسدّوا في وظائفهم كلها، أو يأتي إليه من ريعه النصف، قلنا: فإن ساروا فيها بحكم النصف، وهكذا إلى العشر؛ ولهذا كان ريع غالب الأوقاف إلى الآن يذهب على الكشاف، ومشايخ العرب، وغيرهم، فلا يسلم للمستحقين إلا بقدر ما باشروه من وظائفهم، مع أن خراج رزق الأوقاف الآن في

---

(١) ذكره النووي في «روضة الطالبين» (١/ ٢٦٦).

زيادة، ولا نرى لتلك الزيادة أثر في جوابك المستحقين، بل يأكلها النظار والمباشرين وغيرهم، وقد رأيت بعض فقراء الزوايا شرط الواقف عليهم، كل يوم ختمًا يقرؤونه، ويختمونه كل ليلة عند الغروب؛ فاختصروه إلى أن صار واحد يقرأ عنهم الختم كل يوم؛ ثم جعلوه ربعة تقرأ بعد العصر، ثم جعلوه قراءة: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص: ١) كل ليلة ثلاث مرات، وقالوا: إنها تعدل ثلث القرآن فمنع الله تعالى البركة من رزق الزاوية، مع أني رأيت شخصًا استأجر جهة من وقفها بأربعين ألف نصف في سنة واحدة، ولا تجد الآن فيها شخصًا واحدًا جالسًا يقرأ القرآن أو العلم، أو يذكر الله مجلسًا، فبالله عليكم أيها الإخوان قوموا بوظائفكم، وعبادة ربكم، ولا تختصروا الأسباع ولا نوبة الأذان، ولا تسرقوا من زيت الوقود، ولا من قمح الفقراء، ولا تعلفوا منه دجاجكم، ولا تخزنوا في شيء من وقفها؛ فإن ذلك ممحق للبركة كما جرب.

وسمعت أخي أفضل الدين رحمه الله يقول: إذا شبع الفقراء من الخبز والطعام تعسرت عليهم الأرزاق، وإذا جاعوا رقت قلوبهم، وتيسرت لهم الأرزاق لكثرة توجههم حينئذٍ في طلب أرزاقهم إظهارًا لعبوديتهم، قال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾ (العلق: ٦ - ٧) أي: يخرج عن وصف عبوديته حال غناه بما خزنه من النقود، والأقوات، والثياب، وغفل عن ربه بذلك، ومن هنا اختار رسول الله ﷺ لأهل بيته وأصحابه، وأمته التقلل من الدنيا، وقال: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا»[1]، وفي رواية: «كفافًا»[2]؛ وذلك ليكون أحدهم سائلاً ربه مظهرًا لفقره

(١) رواه مسلم (٢/ ٧٣٠)، (٤/ ٢٢٨١)، وابن ماجه (٢/ ١٣٨٧)، وأحمد (٢/ ٤٤٦).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (١٤/ ٢٥٤)، وذكره العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٤٧١).

وحاجته إليه، والقوت والكفاف: هو الذي لا يفضل منه شيء بعد العشاء، ولا بعد العشاء؛ وهذا أمر قد أغفله غالب مشايخ الزوايا، فيخزن أحدهم قوت عامه وأكثر، فيصير أكثر غفلة من التجار والمباشرين وأعوان الظلمة.

ولذلك كان من خُلق سيدي أحمد الزاهد، وسيدي مدين أن يشتري أحدهما الدقيق، والسيرج، والحطب، ونحو ذلك كل يوم، ولا يخزن من الأقوات وآلاتها شيئًا؛ ليصير فقراء زاويتهما متوجهين إلى الله في تحصيل أقواتهم كل يوم، وبلغنا ذلك عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي وتلامذته، وعن سيدي يوسف العجمي، وسيدي أحمد بن الرفاعي[1]؛ فكان لا يسأل ولا يرد ولا يدخر ﷺ، فاعملوا ذلك أيها الفقراء،

---

(١) هو الغوث الكبير سيدي أحمد الرفاعي، من انتهت إليه الرئاسة في علوم الطريق وشرح أحوال القوم، وكشف منازلاتهم، وبه عُرف الأمر بتربية المريدين بالبطائح، وتخرَّج بصحبته جماعة كثيرة، وتلمَّذ له خلائق لا يُحصون، وهو أحد من قهر أحواله، وملك أسراره، وله كلامٌ كثيرٌ عال على لسان أهل الحقائق، وهو الذي سُئل عن وصف الرجل المتمكن فقال: هو الذي لو نُصب له سنان أعلى شاهق في الأرض، وهبّت الرياح الثمانية ما غيَّرته.

وكان يقول: الزهد أساس الأحوال المرضية والمراتب السنية، وهو أول قدم الصادقين إلى الله ﷻ، والمنقطعين إلى الله، والراضين عن الله، والمتوكلين على الله، فمن لم يحكم أساسه في الزهد لم يصح له شيء مما بعده. وكان يقول: الأنس بالله لا يكون إلا لعبدٍ قد كملت طهارته، موصفًا ذكره، واستوحش من كل ما يشغله عن الله تعالى، فعند ذلك آنسه الله به، وأورده بحر حقائق الأنس، فأخذ عن وجدٍ طعم الخوف لما سواه. وكان يقول: لو تكلَّم الرجل في الذات والصفات كان سكوته أفضل، ولو خطا من قافٍ إلى قافٍ كان جلوسه أفضل. و٤كان يقول: لما مررت وأنا صغيرٌ بالشيخ عبد الملك الخرنوبي أوصاني وقال لي: يا أحمد، احفظ ما أقول لك، فقلت: نعم، فقال: ملتفت لا يصل، ومتكسِّل لا يصلح، ومن لم يعرف من نفسه بالنقصان فكل أوقاته نقصان، فجعلت أكرِّرها سنة، ثم رجعت إليه فقلت: أوصني، فقال: ما أقبح الجهل بالألباء، والعلة بالأطباء، والجفاء بالأحباء، ثم خرجت وجعلت أردِّدها سنة، فانتفعت بموعظته. وكان يقول: الشفقة مما يقرب إلى الله. وكان يقول: أخوك الذي يحل لك أكل ماله بغير إذنه هو

واشتغلوا بالله وهو يضمن لكم أرزاقكم، ويسهلها عليكم، والحمد لله رب العالمين.

الذي تسكن نفسك إليه، ويستريح قلبك. وكان يقول: إذا صلح القلب صار مهبط الوحي والأسرار والأنوار والملائكة، وإذا فسد صار مهبط الظلم والشياطين، وإذا صلح القلب أخبرك عمّا وراءك وأمامك، ونبّهك على أمورٍ لم تكن تعلمها بشيءٍ دونه، وإذا فسد حالك بباطلات يغيب عنها الرشد وينتفي معها السعد.

وكان ﷺ لا يجازي بالسَّيئة السَّيئة، ولكن يعفو ويصفح تخلُّقًا بأخلاق رسول الله ﷺ، وكان إذا تجلَّى الحق تعالى على قلبه بالتعظيم يذوب حتى يصير بقعة ماء، ثم يتدارك باللطف فيصير بحمد الله شيئًا فشيئًا حتى يرد إلى جسمه المعتاد، ويقول: لولا لطف الله بي ما رجعت إليكم.

قال يعقوب الخادم: ولمَّا مرض السيد أحمد مرض الموت قلت: تجلَّى العروس في هذه المرة؟ فقال: نعم، فقلت له: لماذا؟ فقال: جرت أمور اشتريناها بالأرواح، وذلك أنه أقبل على الخلق بلاء عظيم فتحملته واشتريته بما بقي من عمري فباعني، وكان يمرغ وجهه الشريف وشيبته الكريمة في التراب ويبكي ويقول: العفو العفو، اللَّهُمَّ اجعلني سقف البلاء عن الخلق.

وكان مرض الشيخ بالبطن، فكان يخرج منه كل يومٍ ما شاء الله تعالى، فبقي في المرض شهرًا، فقيل له: من أين هذا كله، ولك عشرون يومًا لا تأكل ولا تشرب؟! فقال: يا أخي، هذا اللحم يندفع ويخرج، ولكن قد ذهب اللَّحم وما بقي إلا المخ، اليوم يخرج وغدًا نعبر إن شاء الله تعالى، فخرج منه شيءٌ أبيضٌ مرّتين أو ثلاث، ثُمَّ تُوفي يوم الخميس وقت الظهر، ثاني عشر جمادى الأوّل سنة سبعين وخمسمائة، وكان يومًا مشهودًا.

وكان آخر كلمة قالها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، وهو الشيخ الجليل الحسيب النسيب أحمد بن أبي الحسين عليّ الرفاعي بن يحيي بن ثابت بن حازم بن أحمد بن يحيي بن خازم بن حسن بن مهدي بن أبي القاسم محمد بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن موسى الثاني بن إبراهيم المرتضى بن إبراهيم المجاب ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام زين العابدين،ابن الإمام الحسين السّبط، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.
وانظر: طبقات الشعراني الكبرى (١/ ١٢١)، وقلائد الزبرجد شرح حكم مولانا أحمد له أيضًا، بتحقيقنا.

و ينبغي للشيخ: أن يرشد كل من طمع من المجاورين في جانبه أن يكسوه ألا يجعل له [حظًا][1] إلى كسوة أهله؛ لأن ذلك إشراك مع الشيخ، وهو مجرب لتعسير الخير الذي للمريد على يد الشيخ؛ فهو كمن لا ينسى نفسه في كسوة ولا غيرها، وقد عجزت أني أجر نفعًا إلى بعض جماعته عندي من المجاورين؛ لعدم عقليتهم عن تدبير أحوالهم، فكلما أردت كسوة أحدهم منهم يحول بيني وبينها؛ بخلاف من كان ناسيًا نفسه اشتغالاً بالله -عز وجل- فإن الأمور تأتى إليه على يدي من غير سؤال، والله أعلم.

وينبغي لشيخ الزاوية: أن يفتش في كل هدية دخلت الزاوية من الفلاحين، وغيرهم لربما كانت شبهة؛ لاسيما الكبر واللبن والفول المشوي والفريك، فقد جرت عادتهم بأن يأخذوا ذلك من أي مارس كان، وربما كان من مارسهم بغير إذن شريكهم، وأما اللبن فربما كان من لبن الجاموس، والغالب فيه الشبهة؛ لأن الجاموس لا يتقيد على الأكل من زرع صاحبه كالبقر، بل ربما كان صاحبه هو الذي يطلقه ليلاً في زرع الناس عامدًا، فلا ينبغي لشيخ الزاوية: أن يشرب لبن الجاموس، ولا يطعم منه أحدًا من فقراء الزاوية وغيرهم، إلا إن أعلمهم بذلك، وربما كانت التبعة عليه بعد إعلامهم أيضًا؛ لأنه راع وكل راع مسئول عن رعيته فلهم المهنأة بأكلهم، وعلى الشيخ التبعة، وكيف ينبغي لمن كان أمينًا على أديان الفقراء أن يطعمهم الشبهات؟

وسمعت سيدي عليًا الخواص ﷺ يقول: ينبغي للفقير إذا كان له صاحب له جاموس: أن يعلمه الورع، وأن يطعم جاموسه من الحلال؛ ثم بعد ذلك يشرب من

---

(١) غير واضح بالمخطوط.

اللبن الذي يأتي به؛ ثم إذا تاب صاحب الجاموس من رعي جاموسه في زرع الناس، فلا ينبغي للمتورع: أن يأكل من لبنه إلا بعد أن تمضي عليه مدة يظهر لنا منه توبته الخالصة من سنة، أو أكثر بحيث يطمئن قلبنا إلى الأكل من لبنه بالأمارات والقرائن.

وكان جدي ﷺ لا يأكل لبن الجاموس مطلقًا، ويقول: إن أمهات تلك الجاموسة، وأباها لم يكونوا ينضبطون على الأكل من زرع ملاكهم، فقد نبت لحمهم من الشبهات.

وكان أخي أفضل الدين يقول: ينبغي للفقير إذا جاء طعام فيه شبهة أن يقدر عدم قسمته له من الأصل، أو عدم هدايته له، بل لو قسمه الله له لا ينبغي له أكله، إلا إن لم يكن للشرع عليه اعتراض؛ فإن الذي قسمه للعبد: هو الذي نهى العبد عن أكله؛ فافهم، والله أعلم.

وينبغي لشيخ الزاوية إذا كان مسلكًا ألا ينام ليلاً ولا نهارًا؛ لأن الأمداد الإلهية لم تزل نازلة في الليل والنهار؛ ولذلك كان سيدي علي النبتيتي[1] لم تزل يده مبسوطة

---

(١) هو سيدي على النبتيتي الضرير، العالم العامل، الفقيه الصوفي الكامل، كان مقصودًا من الآفاق لحل الإشكالات. وكان مُقيمًا ببلده، ويأتي إلى مصر أحيانًا، فينـزل عند شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وهو الذي يقال إنه عاونه في شرحه للبهجة، فلذلك سماه بعض الناس: شرح الأعمى والبصير.

كان كثير الاجتماع بالخضر عليه السلام، وكان يقول: لا يجتمع به إلا من كان سليم الصدر لأهل الإسلام، وهو على السنة في جميع أحواله، ولا يحرص على الدنيا، ولا يدخر شيئاً لغد.

قال الشعراني: ما كنت أمثلة إلا كالفضيل بن عياض، رحمه الله. وكان يرى المصطفى ﷺ يقظة.

وحكى عنه والده الشيخ عمر، أنه كان لا يزال يمد يديه نحو السماء ويقول: الحق عطاؤه فياضٌ ليلاً ونهارًا، يعرض بذلك في كل وقت، فكما أنه تعالى لا يمل من العطاء، فكذا لا يمل العبد- لشدة فاقته- من الأخذ. وكان إذا نزل بالناس بلاء، لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يضحك، ويبكي حتى يصير

نحو السماء إن قعد، أو مشى، أو اضطجع، ويقول: إن صدقات الحق على عباده لم تزل نازلة عليهم في الليل والنهار، ولا ينبغي لعاقل أن يكون غافلاً عنها؛ لاسيما من له تلامذة فإن مدادهم لا يصل إليهم إلا بواسطته، فإذا غفل عن تليقها فاتته وفاتتهم، وكيف يكون المريدين مستيقظين في الليل، والشيخ نائم، وجميع أهل الحضرة الإلهية قد اصطفوا بين يدي الله في سائر أقطار الأرض؟ هذا خروج عن أحكام المشيخة، وبالجملة فمن طلب أن يكون رئيسًا على الناس في أعمال الدنيا أو الآخرة، فلا ينبغي له النوم؛ لأنه إن نام في الليل ضيع نفسه من الأمداد الإلهية النازلة على المستيقظين، وإن نام في النهار ضيع أمر رعيته فإن المظلوم ربما أتاه؛ ليزيل ظلامته، فوجده دائمًا لا يستطيع الدخول إليه ليشكو إليه حاله؛ ولذلك كان عمر بن عبد العزيز ﷺ لا ينام ليلاً ولا نهارًا مدة خلافته، ويقول: إن نمت في الليل فاتني إمداد الليل، وإن نمت في النهار ضيعت مصالح رعيتي.

فاترك أيها الشيخ النوم إلا لضرورة؛ فإنك إن لم تكن تمد الفقراء، فلا تكن أنقص درجة منهم، والواجب عليك أن تبارك كل فقير عندك في الزاوية في كل مدد نزل عليه في ليل أو نهار؛ فإن هذه الدار ليست هي بدار إقامة ولا نوم، إنما هي دار سفر للآخرة، فالعاقل من أكثر من الزاد؛ ثم اعتمد بعد ذلك على رب العباد لا على ذلك الزاد، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ إذا رأى من المجاورين مزاحمة على هدية دخلت الزاوية من عسل، أو عنب، أو تين، ونحو ذلك: أن يعطيهم، وتُذكر لهم حكايات الفقراء

كالطير المذبوح. مات يوم عرفة سنة سبع أو ست عشرة وتسعمائة، ودفن ببلده.

انظر: طبقات الشعراني (٢/ ١٢٤)، الكواكب السائرة (١/ ٢٨١)، والدرية (٨٠٨).

الصادقين في عفتهم، وورعهم، وعدم مزاحمتهم على الدنيا، ويقول لهم: إن كنتم تتشبهون بهم، فتشبهوا في العفة والزهد والورع، دون لبس الجبة وإرخاء العذبة، ونقول لهم: إن الفقراء ما تميزوا عن غيرهم إلا بالزهد في الدنيا اختيارًا لا اضطرارًا، وقد كان الناس يأتون إليهم بالهدايا من نقود، وطعام، وثياب، وغير ذلك فيردونها، فكيف حال من تزاحم على ذلك، ويتعرض له بالسؤال بالحال أو بالقال.

وينبغي للنقيب: أن يزجر من يراه من الفقراء يزاحم على ذلك من صغير أو كبير، ويأمرهم بالعفة والإيثار، وأن من الأدب إذا رمى بينهم فاكهة أو نحوها ألا يأخذ أحدهم شيئًا مما وقع بين يدي أخيه؛ إلا بإذنه ويدمنهم على ذلك، حتى يصير ذلك عادة لهم، وأجره على الله تعالى.

وكذلك ينبغي للنقيب: أن يخفي من فقراء الزاوية مقدار الهدية التي دخلت في ليل، أو مغطاة بغطاء؛ وذلك ليكون فيها البركة، ولئلا تطمح إليها نفوس من عندهم شَرَهُ نَفْس، وعدم إيثار؛ فيطلب كل واحد منهم النقيب أكثر من نصيب أحد من إخوانه، وربما أعلمهم النقيب بقدر الهدية وزنًا أو كيلاً أو عددًا؛ ثم فرقها عليهم، فقالوا: نفى منها شيء لم يفرقفَيُخَوِّنه؛ فترفع البركة من الزاوية بواسطة تخوين النقيب، فإنه الشيخ الفاني في الزاوية، وهو الواسطة عادة في جميع الأرزاق التي تدخل الزاوية، وأما قول بعضهم: ينبغي للنقيب ألا يؤاخذ أحدًا من الفقراء إذا نسبه إلى خيانة، فلا ينافي ما ذكرناه؛ لأنه ولو سامحهم، فلا يستحقون أن يجزى الله تعالى على يده خيرًا لهم؛ لسوء أدبهم وكفرانهم نعمته.

وكثيرًا ما يُعلم النقيب الساذج الفقراء بقدر الهدية، فيطلب كل واحد منهم التميز على إخوانه، ويخاصمه إن لم يفصل معه ذلك، ولو إنه لم يُعلمه بقدرها؛ لما كان

يعرف النصيب الزائد من الناقص، بل قالوا: إن من أدب الشيخ: ألا يدخل الهدية التي جاءت على اسم الفقراء بيته، ثم يفرقها بعد ذلك؛ لأن الفقراء ربما نسبوا الشيخ، وأولاده، وعياله إلى أنه تميز عن الفقراء بشيء زائد، فيخونون الشيخ فضلاً عن النقيب؛ ثم إذا فرق النقيب تلك الهدية، فليحذر من التفاضل بينهم جهده إلا بإذن جميعهم؛ اللهم إلا أن يعسر عليه المساواة بينهم على التحديد؛ كما لو فرق العنب، أو التمر، أو التين، فيحكم عليه التفرقة بخمس تمرة أو عنبة، أو نصفها، أو ثلثها، ونحو ذلك؛ فمثل ذلك ينبغي للفقراء مسامحة النقيب به، أو يقول لهم النقيب: فرقوا أنتم على أنفسكم، إن كانوا من أهل الإيثار والمعروف؛ فإنه أخلص لذمته.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: أدركنا فقراء سيدي الشيخ محمد الغمري، وسيدي مدين، وغيرهما؛ وكل واحد يطلب من النقيب أن ينقص نصيبه، ويجعل الزائد لإخوانه.

وينبغي للشيخ إذا رأى بين أكابر المجاورين فتورًا عن نصرته، وعدم إعانته على تأديبه أحدًا استحق التأديب من المجاورين؛ كالذي ينسب الشيخ إلى الخيانة، وأنه يأكل كل حق المجاورين: أن يشركهم معه في التحدث على الوقف، فإذا رآهم قاموا بحقه، وعذروه في النظر عليهم، فإن شاء رجع إلى النظر، وإن شاء تركهم وبعضهم بعضًا، فإن الوقت قد ضاق على الفقراء في هذا الزمان، وصار أحدهم ولو مشى على الاستقامة لا يحملونه، ولا على حال أنفسهم من الطمع والتخصص.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: لا ينبغي للمريد أن يكون جابيًا لوقف الزاوية؛ فإن الشيخ ربما خاونه في المال الذي دخل يده، فيرد كلام الشيخ، ويقول: تصدق سيدي، ولكن المسألة فيها كيت وكيت، خلاف ما ظنه الشيخ؛

فيخرج عن الأدب، فلا ينتفع بالشيخ اللهم إلا أن يكون ذلك المريد قد رسخت محبته للشيخ، واعتقاده فيه؛ بحيث صار يكذب نفسه ظاهرًا وباطنًا؛ فيما أجابت به عن نفسها ويصدق شيخه، فهذا لا بأس يجعله جابيًا للوقف، انتهى.

وقد كان شخص من مشايخ الزوايا متكلمًا على وقف زاويته؛ فكان فقراءها ينسبونه إلى أنه يأكل الوقف، فأرشدته إلى أنه يشركهم معه في النظر على الوقف، فجعل بعضهم جابيًا، وبعضهم نائبًا عنه في النظر، وبعضهم شاهدًا، وبعضهم مباشرًا، وبعضهم صيرفيًا؛ فصاروا هم يجيبون عن الشيخ، ويقولون لمن ينسبه إلى أنه يأكل الوقف: حاشا لله أن الشيخ يأكل شيئًا من الوقف، ويعذرونه بما صاروا يعذرون به نفوسهم، ولو أنه لم يشركهم معه لداموا على اللوث بعرضه، فيحتاج الناس اليوم إلى سياسة شديدة زيادة على السياسة التي كانت لأهل الزمن الماضي، والله يدبر من عمل شيخًا في هذا الزمان بحسن تدبيره؛ فإنه إن لم يكن له قدم راسخ مع الله في معاملته عباده لأجله، وإلا ندم أشد الندم حين يكفر الفقراء نعمته، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقراء الزاوية: أن يتحملوا عن شيخهم أوساخ النسب، وينزهوا شيخهم عن إضافة الرذائل إليه، ويقولون: الحق مع شيخنا ونحن الخارجون عن الطاعة، ولولا وجود شيخنا ما وصلنا إلى شيء مما نحن فيه من الخير، وهذا الأمر قد صار عزيزًا في هذا الزمان، بل رأيت من يجرح شيخه، ويزكي نفسه -فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم- والحمد لله رب العالمين.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: ينبغي للشيخ: ألا يطلب من فقراء الزاوية تحقيق المحبة له؛ وأن يشكروه على ما يفعله معهم من الإرشاد والخير، بل

يكتفي منهم برائحة دعوى المحبة، ويجعل معاملته مع الله تعالى لا معهم.

وقد كفر جماعة من الزاوية مرة نعمة نصحي لهم، وخدمتهم بطيب فراقهم؛ فرأيت سيدي عليًّا الخواص ﷬ في المنام بعد موته، وهو يقول لي: قال لك رسول الله ﷺ: اصبر مع إخوانك، طالب بخدمتهم وإرشادهم وجه الله، وتخولهم بالموعظة الحسنة كل قليل، واعذرهم في تنكر قلوبهم من بعضهم بعضًا في هذا الزمان؛ فإن القلوب قد أقبلت على حب الدنيا، وصار كل واحد يود أن لو أخذ ما في يد أخيه ولو بغير حق، انتهى.

ويؤيد ذلك قوله ﷺ: «ما دخلت الدنيا بين قوم إلا ألقى الله تعالى بينهم العداوة والبغضاء شاءوا أم أبوا»(١)؛ فإن ذلك أمر قهري عليهم؛ ثم إن العداوة والبغضاء إذا وقعت بين قوم لأجل الدنيا، كانت بحسب كثرة محبتهم للدنيا وقلتها.

وقد سمعت سيدي عليًّا الخواص ﷬ يقول لشخص مرة: يا أخي أنت محب للدنيا، وقد حرم الله تعالى دخول حضرته على أحد يحب الدنيا، انتهى.

وقد اجتمعت [بالبطرك](٢)، فقلت له: هل محبة الدنيا عندكم مذمومة؟ فقال: نعم، وكيف لا تكون مذمومة وهي عدوة لله تعالى؟ لا يصح لعبد محبة الله تعالى إلا إن تركها؛ هذا لفظه.

وقد تقدم نقل الإجماع من سائر الملل والنحل على أن عدم محبة الدنيا، وإخراج ما بيد العبد منها وإنفاقه في الخيرات محمود، وأن أخذه مذموم.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في المخطوطة: بترك، والصواب ما أثبتناه، والبَطْرَك: مقدّم النصارى.

وسمعت سيدي عليًّا الخواص ﷺ يقول: إذا كانت محبة الدنيا قد عمت خواصنا في هذا الزمان، فكيف يطلب من أحاد الناس الزهد فيها، وقد سمعت مرة عالمًا يقول لآخر: أنت لو لاح لك حديد تفزه تحت سور قلعة؛ لهدمت القلعة كلها لأجله، وفي الحديث: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»(١) فعم الخطيات كلها، ولم يخص منها خطيئة واحدة دون أخرى، وبالجملة فما خرج عن حب الدنيا إلا الأنبياء والأولياء فقط، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: ألا يغفل عن تعليم المجاورين العلم والأدب؛ فإنهم رعيته وغنمه، وكل راع غفل عن رعيته فقد عزلته المرتبة؛ لأنه غاش لهم حينئذٍ، والغاش لرعيته لا يصلح أن يكون إمامًا، وينبغي له أن يضرب من لا يرجع عن قلة الأدب، إلا بالضرب والتأديب بالعصا على من يرجع بدون الضرب، لكن بحيث لا يبلغ به أدنى الحدود، وأن يكون ضربًا غير مبرح؛ لاسيما في هذا الزمان، فربما اشتكوا الشيخ للوالي.

وقد كان أحدهم في الزمن الماضي يحكم الشيخ في نفسه، وما له اختيار يتصرف كيف شاء، وهذا أمر تودع منه ما بقيت الدنيا؛ فليعرف الشيخ زمانه، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: أن يمنع من المجاورة عنده كل من رآه كسلانًا عن العبادة، لا يحضر مع الفقراء أورادهم ولا غيرها؛ كصلاة جماعتهم، أو يشتغل في أمر آخر حال قراءتهم أورادهم، ويقول: ما أنا فيه أفضل مما أنتم فيه، وكذلك ينبغي منعه من

---

(١) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٨٨)، وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ١٧٨)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٤١٢).

المجاورة لكل من عرف بخفة اليد، أو محبة الشباب؛ لاسيما إن تكرر منه ذلك على أطفال الزاوية، فإن مثل هذا يجب إخراجه كما مرَّ في هذا الباب؛ لأن إقامته تفسد أكثر شباب الزاوية لسرقة طباعهم منه؛ كما جرت.

وينبغي للشيخ: ألا يتخلف عن ورد من أوراد الفقراء في الزاوية في ليل أو نهار، بل يكون أول خاضع لذلك الورد، أو صلاة الجماعة؛ تقويةً لعزم الفقراء واتباعًا لسنة الأشياخ السابقين، عكس ما عليه بعض مشايخ هذا الزمان، زاعمين أن مثلهم استغنى عن حضوره مع الفقراء بالجمعية التي حصلت في قلبه بحضرة الله تعالى وغاب عنهم قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾(الكهف: ٢٨) فإنه تعالى أمر نبيه ﷺ أن يصبر نفسه مع فقراء الصحابة من أهل الصفة وغيرهم؛ تقويةً لعزمهم، وإن كان التبتل للعبادة في مكان مخصوص عسر على الأكابر؛ كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ فافهم هذا شأن الأكابر الذين يقدرون على التنزل لمراتب إخوانهم؛ فإن غلب على أحدهم حال قاهر فهو معذور.

وعلى ذلك يحمل حال سيدي مدين، وسيدي عليّ المرصفي، فقد كانا لا يخرجان من بيتهما إلا بصلاة العصر فقط، مع أن كلا منهما ساكن في الزاوية، وكانا يقولان للفقراء :عذرًا، ولعلهما كانا يريان الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، وكان سيدي مدين لا يدع أحدًا يجاور عنده إلا إن كان يحضر مجلس الذكر، مع الفقراء عقب الصلوات الخمس، وكل من امتنع من الحضور أخرجه، وجاءوا له يومًا برجل لم يحضر مع الجماعة مجلس الذكر، فقال له: ما منعك عن الحضور؟ فقال: إن اجتماع الفقراء في الذكر إنما هو تقويةً لقلوب الضعفاء والكسالى، وأنا بحمد الله قوي القلب

لا كسل عندي، فأمر بإخراجه، وقال: إن مثل هذا يتلف بقية الفقراء، فيصير كل واحد يقول: قلبي قوي ولا كسل عندي، فيبطل شعار الزاوية ونظامها، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: ألا يغفل عن خدمة من مرض عنده من الفقراء؛ الذين لا أصل لهم، ولا أصحاب يخدمونهم، قال الشيخ: هو المسئول عن ذلك بين يدي الله أولاً، وإن لم يكن عنده شيءٌ يشتري به الأدوية أرسله إلى المارستان، ووصى عليه الخدام والأطباء، وأحسن إليهم بما يقدمه عليه من الدراهم أو غيرها، وإن كان أصحابه من التجار، والمباشرين، والأمراء يكفونه في شر الأدوية؛ كان تمريضه في الزاوية أولى بطريقه الشرعي، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

وينبغي للشيخ أيضًا: أن يتوصى بالأيتام، والعميان، والعرجان، وكل عاجز عن الكسب، ويغتني بهم في الخدمة أكثر من غيرهم، ويوصي عليهم النقيب وأكابر الزاوية؛ فإن بهم يرزق الشيخ وجماعته، وبهم تنزل عليهم الرحمة، وبهم تصير الناس يتفقدون الزاوية بالهدايا، وبهم يرضى عند ربه، وبهم يرتفع البلاء، ومن فرط في ذلك كان بالضد من ذلك.

وينبغي للشيخ أيضًا: أن يتفقد المجاورين كل قليل، فمن لم يجد عنده منهم نهضة فيما أقامه فيه، حوله إلى أمر آخر، فإن أبى أخرجه؛ خوفًا أن يتلف بقية الفقراء، فإن شغل المجاور إما القراءة للقرآن والعلم، والمواظبة على الذكر، أو خدمة إخوانه.

وكان سيدي أحمد الزاهد يمنع من المجاورة كل من رآه كثير الجدال في العلم، ويقول له: اذهب لجامع الأزهر؛ فإننا لا نقرئ العلم إلا مع الأدب، والورع، والزهد في الدنيا، واحتمال الأذى، وعدم دعوى العلم، وعدم إدحاض حجة الإخوان؛ فقيل

له في ذلك، فقال: إن وقت الفقراء قد ضاق عن تحقيق العلوم المتعلقة بالأكوان من بيع، وشراء، ورهن، وغير ذلك، وغيرهم بحمد الله قائم عنهم بذلك؛ فإن في جامع الأزهر كل عام لو انفرد في إقليم لهدى أهله إلى الصراط المستقيم، وإنما طريق الفقراء الآن الاشتغال برياضة النفس والذكر؛ ليجد العلم في بواطنهم محلاً سالمًا من الربا، والدعاوى يقيم فيه، ولو إننا وجدنا بواطن الفقراء سالمة من جميع الأمراض الباطنة؛ ما أشغلناهم بشيء غير العلم أبدًا.

وبلغنا أن شخصًا دخل زاوية سيدي أحمد الزاهد فاشتغل بالإعراب، فقال له: يا ولدي، أعرب أولاً في أفعالك، ثم أعرب في أقوالك؛ ثم قال: إنما كان السلف الصالح يشتغلون بالنحو واللغة، وفقه المعاملات، والأقضية، وغير ذلك من أول أمرهم من غير اشتغال ذكر، ولا رياضة نفس؛ لسلامتهم من الأمراض الباطنة التي حدثت فيمن بعدهم؛ وذلك لأنه لا يظن عاقل أن أحدًا من السلف يرى في باطنه غلاً، أو حقدًا، أو كبرًا، أو عجبًا، أو حسدًا، أو محبةً للدنيا ورتابتها، ويترك علاج ذلك ويشتغل بالنحو ونحوه أبدًا؛ فإن ثَمَّ علم مهم وعلم أهم، فالعاقل من اشتغل في هذا الزمان بطهارة باطنه، حتى طهر كله، وخلص من الأدناس؛ ثم اشتغل بالعلم بعد ذلك، فإن العلم لا يسكن إلا في محل طاهر من جميع الأدناس، وإذا وقف العلم على باب القلب، ورأى في القلب دنسًا رجع ولم يدخل، وقد قال الإمام الشافعي رضي الله عنه:

شَكَوْتُ إِلى وَكيعٍ سوءَ حِفْظي ... فَأَرْشَدَني إِلى تَركِ المَعاصِي
وَأَخبَرَني بِأَنَّ العِلمَ نورٌ ... وَنورُ الله لا يُؤتى لِعاصِي

انتهى.

ومصداق علمه ﷺ بهذه الوصية: ما تواتر عنه أنه كان يقول: ما سمعت شيئًا قط ونسيته، أي: لصفاء باطنه وعدم تدنسه بشيء من المعاصي؛ فإن المعاصي كاسوادٍ من الفحم أو الحبر، لا يظهر فيه ما ينقش فيه من الكتابة.

وكان سيدي عليّ الخواص رحمه الله يقول: قد قامت الشريعة لمجموع الفقهاء والصوفية في دولة الباطن والظاهر، ولا يخلو الوجود من طائفة من كل من الفريقين، وتقدم في هذا الكتاب أن حقيقة الصوفي: هو عالم عمل بعلمه على وجه الإخلاص، فلو كان كل فقيه متصفًا بذلك؛ لكان الناس كلهم لهم لقب واحد، ولم يختلف تلقيبهم بفقهاء وصوفية، لكن لما كان الجامع بين العلم والعمل بكل ما علم قليلاً، فرق الناس بين الفقهاء والصوفية؛ فسموا من يراعي العمل بما علم صوفيًا، ومن لم يراعِ العمل بما علم كل تلك المراعاة فقيهًا؛ أي: فهيمًا يفهم العلم فقط، ومعلوم أنه لا يسمى عالمًا إلا من عمل بعلمه؛ كما جرى عليه السلف الصالح.

وسمعت سيدي عليًا المرصفي رحمه الله يقول: كن فقيهًا وصوفيًا، ولا تكن أحدهما فقط، وقدم ما هو أقرب إلى حضرة ربك، واستغنم الفضائل بقية عمرك، ولا تصغ إلى من يعزلك عن الاشتغال بالأفضل في ذلك الزمان، فإنه قد يغشك؛ إذ الفقيه يود أن الناس يكونون كلهم فقهاء، والنحوي يود أنهم يكونون كلهم نحاة، والمنطقي كذلك، والمتكلم كذلك، والأصولي كذلك، وقد حبب الله كل طائفة فيما أقامها فيه، فلو قلت للفقيه أو النحوي: اترك المطالعة، وتعال جالس ربك في ذكره لحظةً ما وجد عند نفسه داعية، وبالعكس، فليقلّ طريق من طرق الشريعة وآلاتها أقوام، وقد كانت الأشياخ الماضون من الصوفية يدرسون العلوم الظاهرة، حتى ماتوا، وكانوا يقولون: ألذ ما تقرأ كتب الشريعة وآلاتها على الله تعالى وعلى رسوله

ﷺ، وعلى الأئمة الأربعة وغيرهم، فيقرأ العلم على صاحبه؛ كأنه يعرضه عليه ليقر عينه بذلك، وقد تقدم أننا ذقنا ذلك -ولله الحمد- وهذا بعكس حال بعض المتصوفة؛ فإن أحدهم لا يقدر على تقرير درس في الفقه أو النحو، ويقول: إن ذلك حجاب، والنفس تنفر مما يحجبها عن ربها، انتهى.

وذلك جهل منه، كيف يكون العلم المشروع حجابًا؟ ولكن النكتة في جعله حجابًا: عدم إخلاص النية فيه، وطلبهم به الرئاسة والتقدم على الأقران؛ فإن صدق أحدهم في قوله: إن العلم حجاب، فهو لما يدخله، ويطرأ عليه من الآفات لا لذاته، وقد عزّ هذا المقام في متصوفة هذا الزمان، حتى صار الناس لا يكادون يقولون عن أحد من جماعة مشايخ القصر: إنه من طلبة العلم أبدًا؛ لقلة اشتغاله بالعلم، فاعلم ذلك، واعمل على تحصيل مقام العلم والعمل؛ حتى يستنير باطنك، وتصير تعرف أسرار الشريعة، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقراء الزاوية إذا نهاهم الشيخ عن عِشْرة أحد من إخوانهم؛ فضلاً عن غيرهم: أن يمتثلوا ذلك، ويجتنبوه، ولا يقل أحد منهم في نفسه: أن مثلي لا يغيره مثل ذلك؛ لعدم سرقة طبعي من طباع أحد من الفسقة؛ فإن ذلك خروج عن سياج التربية، وليعلم الفقير أن الشيخ أتم نظرًا منه، ولا ينهاه عن عشرة أحد إلا مصلحة له أو لهما؛ لاسيما إن كانت النفس تميل إلى ذلك الشخص؛ لبره وإحسانه، أو لجمال صورته وثيابه، فربما حصل للفقير الفتنة، وازدري ثيابه، وما هو فيه من النعمة.

وقد أخبرني سيدي الشيخ شهاب الدين الرملي (1) ﷺ قال: اشتريت لي جوخة

(1) قال المناوي: أحمد بن حسين بن أرسلان - بالهمزة كما بخطه، وقد جرى على الألسنة حذفها - الشهاب أبو العباس الرملي، الشافعي، رأس الصوفية المتشرعة في وقته. ولد برملة فلسطين كما قاله أجلّ

لونها بنفسجي، فكنت أَعْجب بها على فقراء رواق جامع الأزهر إذا لبستها، وأشكر الله تعالى على ذلك، فسألني الخواجا[1] ابن الزمن أن أقرئ ولده؛ فأجبته إلى ذلك، فلما دخلت على ولده وجدت عليه جوخة بنفسجي فنظرت إليها، فإذا هي كالحرير

تلامذته الكمال بن أبي شريف المقدسي، والشمس السخاوي وغيرهما. ولم يطّلع عليه بعض متفقهة زمننا ممن قصر نظره فظنه من غيرها، سنة ثلاثة وسبعين وسبعمائة، ثم رحل لأخذ العلوم، فسمع الحديث على جماعة كثيرين وبرع في الفقه حتى أجازه قاضي القضاة الباعوني، وتصدى للإقراء. قالوا: وما قرأ عليه أحد إلا وانتفع. وكان يكني جماعته بكنى كأبي طاهر، وأبي المواهب، فلا يتخلف أثرها. لزم الإفتاء والتدريس مدة، ثم ترك ذلك وسلك طريق الصوفية القويم، وجد واجتهد حتى صار منارًا يهتدي به السالكون، وشعارًا يقتدي به الناسكون. وغرست محبته في قلوب الناس، فأثمر له ذلك الغراس. وكان كثير الفقه والأدب، متمسكًا من التصوف بأقوى سبب، زائد التواضع في الرغب والرهب، أعظم أهل عصره اتباعًا للسنة النبوية، واقتفاءً للآثار المصطفوية، يراعي ذلك حسب الإمكان في دقيق الأمور وجليلها، ويأخذ نفسه فاضل الأقوال والأعمال دون مفضولها، أوقاته موزعه على أنواع العبادة، ما بين قيام وصيام، وتأليف وتربية وإفادة. فمن تصانيفه النافعة: شرح سنن أبي داود، والبخاري، وجمع الجوامع، ومنهاج البيضاوي، ومختصر ابن الحاجب، وشرح أرجوزته «الزُّبد» في كبير وصغير، وتصحيح الحاوي، ومختصر الروضة، والمنهاج، والأذكار، وأدب القضاء للغزي، وحياة الحيوان، وعلق على الشفا، ونظم في علم القراءات، وأعرب الألفية، وشرح الملحة، ونظم من علوم القرآن ستين نوعًا ، وعمل طبقات للشافعية، وغير ذلك.وله كرامات لا تكاد تُحصى. قال الكمال المقدسي: وقد حصل عند أهل الرملة والقدس وما حولها تواترها معنى. وكان صائمًا قائمًا، قلّما يضطجع بالليل. مات سنة أربع وأربعين وثمانمائة، ودفن في بيت المقدس، وارتجت الدنيا لموته. وصُلي عليه بالجامع الأزهر صلاة الغائب. وقال ابن البارد: ولم يخلف بعده في عصره بمجموعة مثله علمًا وتصوفًا ، ونسكًا وزهدًا وسلوكًا وانظر: جامع الكرامات (١/ ٣٢١)، الدليل الشافي (١/ ٤٥)، المنهل الصافي (١/ ٢٧٨)، الأنس الجليل (٢/ ١٧٤)، الكواكب الدرية (٦٨٤).

(١) كلمة عامية يقصد بها: كل من ليس بعربي، وكان يقصد بها في تلك الفترة الزمنية كل من هو من أصل تركي.

الهُرْمُزِيّ، ورأيت جوختي معها كمشاق الكتان، فازدريت جوختي؛ فكنت أنزعها ما دمت أقرئ الولد حقارة لها، فإذا دخلت جامع الأزهر، ورأيت ثياب فقراء المجاورين أعجبت بها؛ هذه حكايته لي ﷺ.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: ما دامت الأشباح تغلب الأرواح، فالفتنة واقعة برؤية الصور الجميلة، فإذا منَّ الله تعالى على العبد بغلبة روحه على جسمه؛ فقد أمن الفتنه على نفسه غالبًا، ومحك الصدق في ذلك أن يصير الشاب الجميل الصورة الطيب الرائحة عنده؛ كالشيخ الفاني القصَّاب أو السراباتي على حد سواء، لا ترجيح عنده للشاب المذكور عليه، وهناك لا يضر العبد عشرة أبناء الدنيا ولا المردان، فليمتحن الناصح لنفسه نفسه بهذا الميزان، انتهى.

وقد قدم تقرير ذلك في هذا الكتاب مرارًا، فاعملوا ذلك أيها الإخوان، وامتثلوا أمر شيخكم، وإخوانكم الصادقين إذا عرضوا لكم بعدم مخالطة أحد ممن اشتهر بالفساد؛ فإن الطبع يسرق، ولو على طول، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: إذا رأى بعض جماعة الزاوية في يوم عيد الفطر والجمعة؛ مثلاً ليس عندهم شيء من الثياب الزينة، وإنما عندهم خلقان الثياب من صوف، وقطن، وكتان أن يلبس في ذلك اليوم ثيابًا خلقة؛ مشاكلةً للفقراء، وجبرًا لخاطرهم، ويكون ذلك مقدمًا على نفسه أخشن ثيابه.

وكان على هذا القدم من السلف أبو القاسم الحسن، والشبلي، وسيدي أحمد ابن الرفاعي -رضي الله عنهم- وممن أدركناه على ذلك سيدي عليًّا الخواص، وأخي أفضل الدين، والشيخ عبد الحليم ابن مصلح المنزلاوي؛ فكانوا يشاكلون الفقراء في يوم العيد؛ خوفًا أن يزدري أحد من الفقراء نعم الله تعالى عليه؛ إذا رأى على الناس

الثياب الفاخرة، فيسيء الأدب مع ربه -عز وجل- فكانوا في مشاكلتهم للفقراء في ذلك؛ رحمةً بهم وغيرة على جناب الحق -جل وعلا- أن يسيء أحد الأدب معه.

وقد فعلت بذلك في عيد الفطر سنة سبع وستين وتسعمائة، فصليت العيد في جبة، وتركت لباس الزينة في العيد، ورأيت ذلك مقدمًا على لباس الزينة المأمور به في يوم العيد؛ حين عارضني في ذلك كسر خاطر فقراء الزاوية من عميان وعرجان، ولولا خوفي من تكليف إخواني في شراء ثياب لبعت ثيابي، واشتريت للفقراء بهم ثيابًا؛ وذلك لأنه لا معلوم لي في الدنيا إلا ما يفتح الله تعالى به علي من خراج رزقتي وثمن بعض زراعاتي، وذلك أمر لا يكفي أصحابي كلهم من الفقراء؛ فاعلم ذلك يا أخي واعمل به، فإن في الحديث: «ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا»[1]، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقراء الزاوية: أن يتعففوا عن المطاعم وغيرها؛ التي يفرقها الشيخ عليهم جهدهم، ما دام أحدهم يقدر على تركها عملاً بحديث: «ومن يستعف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله»[2] سواء أكان ذلك أتى الزاوية فتوحًا، أو من وقف الزاوية؛ فإن بذلك يكثر الله تعالى الرزق على فقراء الزاوية، ويهان عليهم كما جرب، فاعملوا ذلك أيها الإخوان، واقنعوا بما يعطيه لكم شيخكم من كعك العيد، ولحم الأضحية مثلاً، ولو كان يسيرًا؛ فإن الله تعالى ينزل لكم البركة فيه، ويكون أهنأ وأمرأ.

ومن استخرج من الشيخ شيئًا زائدًا على إخوانه بسيف الحياء، وقلة الأدب لم يبارك له فيه، مع أن في ذلك خروجًا عن سياج الأدب مع الشيخ، وربما مقت الله

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٦٣٧)، وأحمد (١/ ٣٨٧).

(٢) رواه البخاري (٢/ ٥١٨)، ومسلم (٢/ ٢٩).

تعالى من أتعب قلب الشيخ؛ بسبب السخط على ما أعطاه له، وقد قالوا: إن الشيخ سلم للترقي إلى مقام الأدب مع الله تعالى فمن رضي وقنع بما أعطاه له شيخه أرضاه عنه، وازداد فيه محبة، وترقى إلى مقام الأدب مع الله تعالى ومن سخط وشرهت نفسه، أغضب شيخه وازداد فيه كراهةً، وعدم الترقي إلى مقام الأدب مع الحق - جل وعلا- انتهى.

فليحذر الفقراء من قولهم ولو بالقلب، هذه قسمةِ ما أريد بها وجه الله، إذا فاضل الشيخ بينهم؛ كما يقع فيه بعضهم، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لنقيب الشيخ: أن يكون حاذقًا معظمًا لمقام الشيخ على مقام كل زائر، ووارد عليه من الأمر أو أرباب المناصب؛ فإذا حبس الشيخ نفسه في بيته من الناس يوم العيد مثلاً، وجاء الناس إلى زيارته فمن الأدب: أن يعتذر عن الشيخ بعذر مقبول، وإلا فتح على الشيخ معاداة الناس له، ونسبتهم له إلى التكبر، ومن الأعذار المقبولة -إن شاء الله تعالى قول النقيب: أن الشيخ خرج، فلم يعرف أين ذهب، ويعني بذلك خروجه فيما مضى، ولا ينبغي أن يقول: إنه جالس في البيت وقال: لا تدخلوا عليَّ أحدًا اليوم، وإن كان الشيخ صاحب عزم وهمة، فمن الأدب: أن يتوجه إلى الله تعالى، ويحمي الناس من الوقوع في التكدر منه؛ إذا جاءوا إليه في يوم عيد، ولم يخرج لهم، وقد تشاغلت في التوجه إلى الله تعالى في ذلك في عيد من الأعياد، فتكدر أصحاب الأنفس من اللغاة، ومنهم من عزم على أنه ما عاد يأتي إلي زيارتي أبدًا لجهله بالسبب الذي منع الفقراء من الاجتماع بالناس.

وقد سمعت سيدي عليًّا المرصفي رحمه الله يقول: من شأن الفقير أن يكون حاكمًا في غيره، لا أن غيره يحكم فيه، وكل صاحب نفس تكدر من فقير إذا لم يخرج له،

فقدم محبته إلى الفقير أولى، وما هكذا كان الفقراء الذين أدركناهم؛ بل كان أحدهم يرجع باللوم على نفسه إذا لم يخرج له الشيخ، ويصير يخاف من الشيخ أكثر مما كان، ويقول: لولا وقوعي في ذنب لما احتجب الشيخ عني؛ إذ هو رحمة الله تعالى التي يتحلى بها المريد فحبسه نفسه عن أصحابه؛ دليل على وقوع الحجاب بينهم وبين ربهم، وخروجه لهم دليل على رفع ذلك الحجاب عنهم، انتهى.

فاعلم ذلك أيها النقيب واعمل عليه، والحمد لله رب العالمين.

ولا ينبغي لأحد من فقراء الزاوية: أن يطلب من الشيخ أن يزوجه، بل يصبر حتى يشير عليه الشيخ بذلك من ذات نفسه، وكل فقير طلب ذلك من الشيخ فقد خرج عن الأدب؛ فإن الشيخ أمين عليه، ولو أنه كان رأى التزويج خيرًا لذلك الفقير؛ لأشار عليه به، وقد عد القوم التزويج للمريد من أكبر القواطع عن الله -عز وجل- وقالوا: من الأدب للشيخ ألا يزوج مريده إلا إذا كمل في مقام الرجولية، وصار لا يشتغل عن ربه بشيء من الكونين، وقالوا: إن تزويجه قبل ذلك من جملة الغش للمريد؛ اللهم إلا إن تفرس الشيخ في المريد عدم الصدق في طلب الطريق، وخاف عليه العنت، فله أن يشير عليه بالتزويج، وعمل الحرفة التي تقوم به ويزوجه.

وقد زوجت بحمد الله في فقراء الزاوية نحو خمسين نفسًا على هذه النية، حين رأيتهم لا صدق عندهم في طلب الطريق؛ خوفًا عليهم من الوقوع فيما لا ينبغي، فالله تعالى يمن على العزاب المقيمين الآن بالصدق في الطريق؛ بحيث لا يصير لأحدهم التفات إلى شيء من شهوات الدنيا والآخرة، ولا يطلبون من الله سوى تأهيلهم لمجالسته لا غير، فإنها هي مقصود أولياء الله في الدارين، ولا يجالس أحد

ربه في الجنة إلا بقدر الأوقات التي كان يجالس ربه فيها في دار الدنيا لا غير؛ فإنها كالخميرة للعجين، أو المادة للمجالسة الأخروية، ومن هنا ورد مرفوعًا ليس يتحسر أهل الجنة، إلا على ساعة مرت بهم في الدنيا، لم يذكروا الله فيها، انتهى.

فما أعظمها من حسرة، وقد كان سيدي إبراهيم المتبولي يقول: لا ينبغي لفقير أن يتزوج إلا بعد كمال المقام، فإن المرأة تنحس، وتفلس وتغلس، انتهى.

فاعلموا ذلك أيها العزاب، وشغلاً بالعبادة حتى يبدأكم شيخكم بالتزويج، وليحذر الفقير أن يطلب التزويج على امرأته، فيمنعه شيخه فيتأثر من ذلك، ثم لما يأذن له الشيخ يقول لزوجته: أنا ما كان على بالي تزويج، وإنما الشيخ هو الذي أمرني بذلك، فيغذي نفسه من غضب زوجته عليه بغضبها على الشيخ؛ فإن ذلك من أعظم الخيانة، وقد وقع لي ذلك مع بعض المجاورين، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لجميع فقراء الزاوية: أن يقوموابواجبحق الضيف الوارد على الزاويةفي غيبة الشيخ، ويؤنسونه بالكلام الطيب والتبجيل، ويقدموا له ما يجدونه من الطعام، ولو خبزًا وملحًا، أو خبز بغير ملح، ويحكون له من كان من السلف يأكل الخبز حافًا، ويجعل العافية إدامًا؛ كبشر الحافي، والإمام البغوي، وغيرهما؛ لئلا يحتقر ما قدم إليه ليخالف السنة، وإذا خرج الضيف من الأدب أن يشيعوه إلى باب الزاوية، ويسألوه الدعاء؛ من حيث كونه أفضل منهم بتواضعه لهم زيارته لشيخهم، ومعلوم أن علو المقام تابع لكثرة التواضع، وقد صار هذا الخُلق غريبًا في فقراء الزوايا؛ لعدم ارتباطهم بأشياخهم، فلا يكاد أحدهم يقري ضيفًا أتى إلى زيارة شيخهم، ولم يجده، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: ألا يغفل عما يأتيه من الهدايا إلى الزاوية؛ فقد يكون ذلك

معدودًا من الرشوة، أو من جملة هدايا العمال ولا يشعر؛ كما إذا كان له شخص مستأجر بستانًا أو عقارًا من وقف الزاوية؛ ثم مات فخافت زوجته أن الشيخ يخرج ذلك العقار أو البستان عن أولادها، فجاءته بهدية ليؤجر أولادها الأيتام؛ فإن ذلك في حكم الرشوة في المعنى، أو كحكم هدايا العمال؛ لأنه لولا خوف أم الأولاد على أولادها أن يخرج عنهم ذلك البستان مثلاً، ويعطيه لغير أولادها ما جاءته بالهدية؛ لاسيما إن كان في الأولاد أحد من القاصرين، وأخذت الهدية من تركة والده قبل القسمة أو بعدها من حصة الطفل؛ فاعلم ذلك يا شيخ الزاوية وتنبه لنفسك؛ فإنك مسئول في الآخرة عن فعل ذلك، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقراء الزاوية من أولاد الأرياف: ألا يسلكوا مسلك الجهل الذي كانوا عليه في الريف، بعد قراءتهم القرآن في الأمصار، وسماعهم كلام العلماء والصالحين، وذلك كأن يصفعوا من يدخل الحمام ليدخل على عروسته في عنقه؛ كما يفعل أهل السخريا بالشودب، أو أن يضربوه صباح الدخول بها بالجريد إذا لم يزل بكارتها وغير ذلك؛ إنما الأدب أن يعلموه أدب الجماع، أو المداعبة الحسنة مع زوجته، والتحبب إليها بالحلاوات، والفواكه، والطيب، ونحو ذلك، وأن يحذروه من الميل إليها بشهوة النفس الطبيعية؛ كما حذره الله تعالى في نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ (التغابن: ١٤)، وفي نحو قوله ﷺ: «ما تركت على أمتي فتنة هي أشد عليهم من النساء»[1]، انتهى.

فانظر كيف قدم الله تعالى ذكر الزوجة في العداوة على ذكر الولد، وانظر كيف

---

(١) رواه أبو شيبة في مصنفه (٤/ ٤٦)، والديلمي في الفردوس (٤/ ٩٤)، وذكره العجلوني في كشف الخفاء، جميعهم بنحوه.

وصف ﷺ النساء بأنهن أشد فتنة تقع لأمته بعد موته، وحقيق على كل فقير له أدنى عقل أن يحذر مما حذره الله ورسوله منه، وفي كلام سفيان الثوري ؓ: إذا تزوج الرجل فقد ركب البحر؛ فإن ولد له ولد فقد كسرت به المركب، وروى سفيان بن عيينة مرة: وهو واقف على باب الخليفة، فقيل له في ذلك، فقال: هل رأيتم صاحب عيال أفلح قط؟! وكان الإمام الشافعي ؓ يقول: من تعود أفخاذ النساء لم يفلح، وكان يقول لي: منذ ثلاثين سنة أسأل أصحابي المتزوجين: ماذا رأيتم في التزويج؟ فما منهم واحد ذكر أنه رأى خيرًا، انتهى.

وقد قال القوم: أنه ليس على الفقراء في انقطاعهم عن الطريق أضر من التزويج؛ وذلك لأن الزوجة تدعوه إلى الكسب؛ ليأتي لها بما تطلبه من شهوات الدنيا، ولا يخلو كسبه إما أن يكون على طريق أبناء الدنيا؛ بالبيع والشراء في الأسواق ونحوها، وإما أن يكون على طريق العباد المنقطعين في الزوايا للعبادة؛ فإن هؤلاء يكسبون شهوات نسائهم بذهاب دينهم بالرياء، والنفاق لمن يحسن إليهم بالطعام والكسوة وغير ذلك، فربما قال أحد من المتزوجين للزاوية: إن فلانًا تزوج، وإنه من عباد الله الصالحين، وليس له شيء يقوم به، فتصير الناس يحسنون إليه بعضهم بالطعام، وبعضهم بالخبز، وبعضهم بالكسوة، فيأكل الدنيا بذكره، وصلاته، وقراءته، ونحو ذلك، ويذهب إلى الآخرة صفر اليدين من الأعمال الصالحة، ويقال له يوم القيامة إن طلب ثوابها: إنك قد أكلت بها خبزًا ولحمًا، ولبست بها عمامة وجبة، ونحو ذلك؛ فلو تأمل بعين البصيرة لوجد حاله وهو عازب، أخف من حاله بعد التزويج، وأقل مؤنة ومنة من الناس، وقد أنشدوا:

عِشْ عَازِبًا تَحظَى بِعَيْشٍ هَنِي ... وَالحَزْم كُلّ الحَزْمِ حَفْظ المَنِي

فَهُو صَلاحُ الجَسْمِ إِنْ صُنْتَه   أَصْبَحْتَ عَن كُلِّ طَبِيْبٍ غَني

وليحذر الفقير من سماع كلام امرأته في حق جيرانه، ومن معاداته إخوانه في الزاوية أو غيرها؛ بما تلقيه إليه زوجته، فإن ذلك من أكبر المفاسد، وربما اتسعت الفتنة بين الفقراء، وصار كل واحد يصدق زوجته في حق غيرها، وترافعوا لبيوت الحكام، وأخرجوا من بيوتهم؛ فالعاقل من لا يسمع لزوجته كلامًا، وكان مع خصمه عليها، وأدى حق جاره من الإحسان إليه بالطعام والفاكهة، واحتمال الأذى منه، ونحو ذلك، حتى يفارقه بموت أو انتقاء عنه إلى حارة أخرى.

وإذا كان سكن فقراء الزاوية ملاصق لسكن بعضهم بعضًا؛ كالربوع فليحذر أحدهم من إطماح البصر إلى عيال أخيه في وقت من الأوقات؛ فإن ذلك من أعظم الخيانات، وربما جره النظر إلى ما هو فوقه في الفحش، قال تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٩٤) توعد تعالى بالعذاب كل من تعدى عما أحل له إلى غيره، فافهم.

فينبغي للشيخ: أن يحذر الفقراء القاطنين بالزاوية من إطماح البصر إلى عيال بعضهم بعضًا كل قليل، ولو لم يعهد لأحدهم فجوز قبل ذلك؛ لأن الشيطان بالمرصاد، وربما آلف بين الفقير وعيال جاره، حتى صارت زوجته تحب القرب من ذلك الجار أكثر من زوجها؛ إما لصغر سنه، وجمال صورته، وطيب نفسه بالنفقة؛ وإما لغير ذلك، ولم يزل يقارب بينهما، حتى وقعا في الزنا في غفلة عن الرقيب من الخلق من زوج، أو جارية، أو ولد؛ ثم شرعا في الفاحشة، وسوس للجيران، وقال: إن فلانًا مع فلانة، فتعالوا انظروا خلوته هو وإياها في غيبة زوجها، وقوموا بواجب حق أخيكم في التتبع عليه، وضربه، وإخراجه من عندها؛ فتصير الناس وأهل الحارة

يلوثون بها، ويهتك سريرتها، ويصير بعضهم عمل الفاحشة، وبعضهم يقول: كان عازمًا على العمل، فعلم به الناس فقطعوا عليه العمل؛ ثم بعد ذلك ربما تعصبت فقراء الزاوية عليه، فقالوا: لا نسكن بالزاوية إلا إن أخرج الشيخ هذا، فيخرجه الشيخ ضرورةً، ويفعل أكبر المصلحتين، فالحذر الحذر أيها الإخوان، وغضوا أبصاركم؛ كما كان عليه الفقراء الماضون الذين كانوا يتجاورون نحو الخمسين سنة، ولا يعرف أحدهم وجه جارته، وعندنا الآن في الزاوية جماعة على هذا الحكم؛ لا يعرفون صوت جارتهم، فضلاً عن لون وجهها، وهيئتها، فالله تعالى يمن عليهم بالدوام على ذلك إلى المهات؛ آمين...آمين.

وليحذر الفقير من سماع قول زوجته: إن الشيخ أعطى فلانًا من الفاكهة، أو من الطعام أكثر منك، وهذا يدل على استهانته بك، فلو كنت حديد اللسان؛ لأعطاك مثل ما أعطى الذين يخاف من نسائهم، فيصير يدمدم بالسخط على الشيخ، حتى ربما غضب الشيخ عليه بذلك، ومقته فلم يفلح؛ كما تقدم وقوع مثله لواحد من فقراء سيدي إبراهيم المتبولي، فاعترض على الشيخ في شيء قسمه بين الفقراء، فسلب جميع ما كان فيه من الكشف، وقسا الله تعالى عليه القلوب، ومات على أسوأ حال، نسأل الله العافية.

وإذا كان الفقراء يأكلون من طعام الزاوية بحكم السوية، ولم يكن في وقف الزاوية ما يقوم بأجرة خدمة الفقراء؛ من غربلة القمح، ونخله بعد الطحن، وعجنه وتقريصه، وتهيئة الطبخ؛ فمن المعروف أن يأمر الفقراء عيالهم بتهيئة ذلك؛ لاسيما إن كان يعمل في المواسم، ويفرق على جميع فقراء الزاوية؛ كالكعك، ولحم الأضحية، والوليمة لأحد من الفقراء، ويقدر كل واحد نفسه أنه ساكن في دار وحده وله

معيشة وحده؛ فإن كل امرأة تصير تغربل، وتنخل، وتعجن، وتطبخ لا تتوقف في ذلك، وقد كثرت فلوس بعض جماعة عندي، فطلبوا عتق نساءهم من الخدمة، فقلع الله عنهم إمداده، وتعسرت عليهم الأعمال الصالحة، وصار أحدهم إذا جلس في مجلس ذكر؛ كأنه جالس على الجمر، بخلاف من لم يطلب حماية زوجته من الخدمة؛ فإن مدد الله الظاهر والباطن عليه فائض، فإن الله تعالى أخبرنا على لسان نبيه ﷺ: «إن الله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه»(١)، انتهى.

لاسيما إن كان ذلك بإسناد الشيخ، فإنه ربما رأى تلك الخدمة دافعة للبلاء عن أجسام النساء، وأن تلك الخدمة من جملة زكاة العافية عن أبدانهن، وأولادهن، وسمعهن، وبصرهن، وأنهن متى خالفن إشارة الشيخ عرضن أبدانهن للحكة، والجرب، والحب الفرنجي، وضربان المفاصل، والعمى، والطرش، وطلوع الخراجات والطلوعات في فروجهن، وأنفهن، وأفواههن، وأكل الحب أعضاءهن؛ كما وقع في بعض الزوايا، وكذلك القول في الرجال؛ الذين يطلبون وظائف الخدمة التي أقامهم الشيخ فيها؛ كل وظيفة تدفع عن صاحبها الآفات، وقد قلت مرة للأخ محمد ابن أخت خضر: لا تغفل عن التسبيح في هذه الليلة، فعزم على النوم ؛فلدغته عقرب من قبل آذان العشاء، فلم يتم تلك الليلة، فقلت له: والله إن التسبيح على المنارة كان أهون من ذلك.

وكذلك ينبغي للفقير إذا تزوج: أن يحذر من التبسط في المأكل أول ما يتزوج، فيعود المرأة بشيء ثم يقطعه عنها، فيقع بينهما الخصام؛ وإنما الأدب أن يمهد للزوجة بساط القناعة، ويذكر لها ما كان عليه أزواج رسول الله ﷺ وبناته من الطحين على

---

(١) تقدم تخريجه.

الرحى، وأكل خبز الشعير بالملح أو بالخل، وأن ذلك أفضل؛ ثم بعد ذلك يزيد لها في المأكل شيئًا فشيئًا؛ فإن بذلك يقوى قلب الزوجة دون العكس، فإنه من شأن النصابين؛ فيتبسط في الأكل والفواكه أول ما يدخل بها، فيفرغ ما كان معه، فتزدريه المرأة في عينها؛ هذا حكم من لم يكن له شيخ، أما من كان له شيخ فهو تحت حكمه وإشارته ما يأمُره به؛ فإنه حكيمه وطبيبه في دنياه ودينه، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واعملوا به تفلحوا، ولا تغفلوا عن تفقد أحوالكم الصالحة، التي كانت لكم قبل التزويج؛ فإن المرأة ربما غيرت أحوالكم، ونقصت محبتكم لها أعمالكم، وأشغلتكم عن ربكم في الغالب، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقراء الزاوية إذا فضل عن غدائهم أو عشائهم خبز: أن يدفعوه للنقيب يفتته للفقراء في الجفاف، ولا ينبغي لهم ادخار شيء من ذلك في خزائنهم حرصًا وشرهًا؛ فإن ذلك مجرب في تعسير الأرزاق، وفي بعض الكتب الإلهية: الحسود لا يسود أبدًا، والحريص محروم أبدًا، والبخيل يأكل ماله الأعداء، انتهى.

وأي شيء يضر الفقير أن يعطي النقيب الخبز اليابس، ويأخذ بدله الخبز الطري في كل يوم؛ اللهم إلا أن يقل رزق الزاوية، ويحصل التفرقة، ويصير مؤنة كل فقير على نفسه دون الشيخ، فلا بأس لضعفاء اليقين بالادخار رخصةً لهم، وإلا فالأقوياء قد مدحهم الله تعالى بالإيثار في أوقات الخصاصة وضيق المعيشة؛ تشجيعًا لهم.

وقد بلغنا عن سيدي إبراهيم المتبولي، وسيدي محمد الغمري، وسيدي محمد ابن داود[1]، والشيخ عثمان الحطاب ﷺ: أنهم كانوا إذا حصل غلاء، وعند أحدهم

(١) قال الشيخ المصنف في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٢٣): هو شهاب الدين بن داود بن المنزلاوي

حاصل قمح؛ أخرجه للناس وفرقه عليهم؛ ثم يصير يشتري من السوق كما يشتري الناس، وقد عرضت هذا الأمر على فقراء زاويتي في سنة من السنين، فقالوا: لا نقدر على الجوع، ولا على شيء نشتري به القمح فأمكنه لهم، ولو أجابوني إلى ذلك لكان أرضى لله وللخلق، فالله تعالى يمن عليهم بكمال اليقين؛ ليصير أحدهم معتمدًا على فضل الله، من حيث لا يحتسب ذلك الفضل؛ كما عليه كل المؤمنين، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لشباب الزاوية: أن يلازموا الأدب مع كهولها؛ الذين لم يمن الله تعالى عليهم بحفظ قرآن، ولا علم بحكم العادة، ولا يقول أحد من الشباب لأحد من الكهوّل: أنا أفضل منك؛ لكوني من حملة القرآن والعلم، فإن في الحديث: «ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا»[1] يعني به الكبير في السن أو القدر، والصغير في

المحمدي رضي الله عنه، كان ملازماً للعمل بالكتاب، والسنة، ما رأيت يعني بعد الشيخ محمد بن عنان أضبط للسنة منه، وكان يقول: من أراد حفظ السنة فليعمل بها، فإنها تتقيد عنده، ولا ينساها، وكان يدرس العلم، ويقرأ كتب التصوف في زاويته على بحيرة دمياط، وكان مورداً للضيوف الواردين من دمياط، والصادرين، وكان ربما لم يجد شيئاً للضيف غير الأرز فيعلق الدست، ويضع الماء يغليه، ويطعمه للضيف فيقول له ما أطيب لبن هذا الأرز فيقول الشيخ: سبحان الستار، صحبته رضي الله تعالى عنه نحواً من أربعين سنة ما رأيته قط زاغ عن السنة في شيء من أحواله. مات سنة إحدى وخمسين وتسعمائة عن نيف وثمانين سنة رضي الله تعالى عنه.

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٣ ، رقم ٢٢٨٠٧) ، قال المنذري (١/ ٦٤): إسناده حسن. والحكيم (١/ ١٨٧)، والحاكم (١/ ٢١١، رقم ٤٢١) وقال مالك بن خير الزيادي مصري ثقة وأبو قبيل تابعي كبير. وأخرجه أيضًا: البخاري في التاريخ الكبير (٧/ ٣١٢ ، ترجمة ١٣٢٩)، والرافعي (٤/ ١٧٦) والضياء من طريق الطبراني (٨/ ٣٦١ ، رقم ٤٤٥). قال الهيثمي (١/ ١٢٧): رواه أحمد والطبراني في الكبير، وإسناده حسن.

القدر أو السن، فينبغي للكبير من حيث السن أو القدر أن يرحم الصغير؛ كذلك من حيث السن أو القدر؛ فلكل شخص من الكبير والصغير جهتا نقص وكمال، فهو من حيث كماله في السن يرحم الصغير فيه، ولو كان أعلم منه من حيث كماله، ونقصه في السن يوقر الكبير الذي زاد عليه في السن ونقص عنه بالجهل؛ وإن كان الذي يحسب من العمر حقيقة إنما هو زمن العلم دون الجهل، فافهم فإن هذا سر لعله ما طرق بالك قبل ذلك.

فإياكم أيها الإخوان إذا وقع بينكم وبين أحد من كهول الزاوية الذين لم يفتح الله تعالى عليهم بمثل ما فتح عليكم من القرآن والعلم، أن يقول له: أنا أفضل منك؛ فإن ذلك هو ذنب إبليس الذي أُخرج به من الجنة، وطرد، ولعن.

وإياكم إذا قام الشيخ مع ذلك الكهل دونكم، أن يقول أحدكم ولو في قلبه: ما للشيخ إلا التلميذ، ولو أن الشيخ كان معه مدد لأفاضه على فلان يعني الكهل؛ لأن مرتبة الشيخ إنما هي الإرشاد، ومحبة الخير للفقراء؛ وأما كونهم لا ينتفعون بكلامه، ولا يلتفتون إليه، فذلك إلى رحمة الله لا إلى الشيخ؛ فللشيخ أجر هداية الناس، وإن لم يفتح عليه بشيء مما فتح للقوم، فقال الشيخ: يا ولدي ما أحد أعز عند الوالد من ولده، ولكن التوفيق راجع إلى الله لا إليه، ولو كان بيدي توفيق؛ لقدمتك على مدين، وعلى محمد الغمري، وعلى غيرهما ممن فتح عليه، انتهى.

وكذلك بلغنا عن الأقطاب: أنه طلب من الله تعالى أن تكون القطبية لولده من بعده، فسمع الهاتف يقول: ذلك في الإرث الظاهر، وأما الباطن فهو إلى الله تعالى لا إليك، انتهى.

فاعلموا ذلك أيها الإخوان والزموا الأدب، مع من كان أكبر منكم سنًّا،

وأقدم مجاورة في الزاوية؛ كما أن من كان أقدم الواجب عليه: الاحتمال لمن قلَّ أدبه عليه من الشباب؛ لأن كل من كان أقدم أعلى مقامًا في المعرفة بالله، وفي دخول حضرته؛ فهو أحق بالاحتمال ممن كان بالضدِّ من ذلك، وإذا كان هذا الأدب مع كهول الزاوية، فكيف بالأدب مع الشيخ؟! فيقبح كل القبح أن يقول المجاور لصاحب الزاوية: إذا كان لا تحفظ القرآن أنت، ولو كنت شيخ الزاوية فأنا أفضل منك لحفظ القرآن دونك؛ كما وقع لبعض الفقهاء مع سيدي عثمان الحطاب؛ فكان عنده فقير يحضر دروس جامع الأزهر، ويرجع إلى الزاوية لأجل خبزها وطعامها، فقل أدبه على فقير يومًا، فقال: أنا أفضل منك ومن شيخك؛ يعني: الشيخ عثمان، فمقت الله تعالى ذلك الشخص، وسلب مما كان فيه، ومات وهو دائر مع شوذب المغاني في الريف -نسأل الله العافية- فاعلموا ذلك، واستعيذوا بالله من تغيير قلوب الأشياخ، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ وأولاده: أن يزيدوا في الإحسان لمن يقضي حوائجهم زيادة على عموم الإحسان للمجاورين، فإنه لا يلزم أحدًا من المجاورين خدمة الشيخ ولا أولاده، وإنما ذلك من باب البر والمعروف؛ كخدمة الزوجة لزوجها، هذا أمر يقع فيه الجهلة من المتمشيخين، فربما استخدموا المجاور في ملء الماء من الصهريج للغسيل كرهًا عليه، وعطلوا قراءة لوحه في ذلك اليوم، وذلك لا يجوز؛ فإذا أحسن إلى أحد فربما قابله كذلك بالخدمة، وجعل الإحسان كالأجرة للأجير، وسلم من الإثم، وإن جعل الشيخ أو ولده له خادمًا بأجرة ممن لا يقع في غير ذلك، كان أخلص للذمة، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقراء الزاوية: أن يأخذوا في أسباب الاتحاد بشيخ الزاوية؛ بحيث

يصير إذا هم بشيء يهم به؛ كذلك فقراء الزاوية، فإذا خطر على قلبه سماع القرآن يشرعوا فيه عقب الخاطر، وقد وقع لي مثل ذلك مرات مع الولد عبد الرحمن، ومع الأخ محمد الترساوي، فإني أحب سماع صوتهما بالقرآن والمدح لرسول الله ﷺ، فربما طلبت ذلك منهما ليلاً ونهارًا، فيشرعان في القراءة؛ فأجد لذلك حلاوة لا يقدر قدرها، وكذلك يقع لي مع الشيخ علي السرسي المؤذن؛ فربما كنت في الصلاة، وتطلع المؤذنون يسبحون الله دونه، فأريد أقطع الصلاة، وأوقظه فيستيقظ لوقته، ولا يحوجني إلى إيقاظه بالقول فالله تعالى يتم عليهم ذلك إلى المماتآمين...آمين.

وينبغي لجميع فقراء الزاوية إذا سألهم أحد من الأجانب عن مجلسنا مناقشاتهم مع بعضهم بعضًا، وقال: لأي شيء تغلقوا الأبواب عليكم؟ فإن كان ذلك نصحًا، فعموا به المسلمين ولا تختصوا به؛ وإذا كان غير نصح، فالأمر أسهل من أنكم تغلقون على أنفسكم الأبواب؛ أن تجيبوه بقولهم: إنه مجلس توبيخ للنفوس وتفريغ، وما كل معارفنا يقدرون على هضم نفوسهم بين إخوانهم، وتصبرون على إضافة الأفعال الناقصة إليهم؛ فإن كنت يا أخي تطلب أن تدخل معنا، فادخل في صحبة الشيخ وعهده؛ حتى يلطف كثائفك، ويطلعك على نقائصك؛ التي تقع فيها بينك وبين الله تعالى، وتصير ترى جميع ما ينقصك به أعداؤك دون ما تعلمه من نفسك، انتهى.

ويعلموه أيضًا أن غلق الباب في حال مناقشة الفقراء لم يبتدعه الشيخ من عنده؛ وإنما هو سنة السلف الصالح، فقد نُقل عن الحسن البصري، ومعروف الكرخي، وسري السقطي، والإمام الحسن، وأبي بكر الشبلي، وأبي حفص الحداد، والشيخ عبد القادر الجيلي، والشيخ أحمد بن الرفاعي: أنهم كانوا لا يجلسون في

مجلس المناقشة إلا بعد غلق أبواب دارهم، وجعل مفاتيحها تحت وركهم، ويقولون: ذكر الكلام لغير أهله عورة، انتهى.

فإياكم أيها الإخوان أن تدخلوا معكم صاحبًا من غير علم الشيخ؛ عملاً بما عندكم من محبته لكم، فإنكم قاصرون عن معرفة من يصلح للمجالسة كمن لا يصلح، بل اعرضوا أمره على الشيخ، واعملوا بما يشير به؛ فإنه أعلم ببواطن الناس؛ كالبيطار في معرفة مرض الدواب، واحملوا بما يشير به من نسبكم إلى الزندقة، وأعفوا عنه، واصفحوا، واكتفوا بعلم الله تعالى فيكم؛ فإنه لابد لكل من دخل طريق القوم من رمي بعض الناس بالزندقة؛ وذلك لأنه دخل دائرة خارجة عن معلومات الخلق عقولهم، فلا تحملونه على محمل حسن؛ إلا إن ذاقوا ما ذاق، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لجميع الفقراء: الذين يحضرون مجلس المناقشة ألا يكذب أحدهم الشيخ فيما يضيف إلى أحدهم من النقائص؛ التي لم يعرف من نفسه أنه وقع فيها، فربما كشف للشيخ أنه يقع فيها في المستقبل، فحذره من الوقوع فيها؛ ثم أخبره بدعائها ليداوي بها نفسه إذا وقع في تلك الزلة مثلاً؛ فإن الشيخ ربما خرق بصره، فرأى ما في عروق أصحابه ونفوسهم بالقوة قبل وقوعه بالفعل، ولا تستبعدوا ذلك عليه؛ فإنه مقام من مقامات إبليس، فإنه ورد: «إنه يجري من ابن آدم مجرى الدم»[1] فلا تستبعدوا على الشيخ أن يقول: يا رب أعطني مقام إبليس في أن أجري في مريدي مجرى الدم؛ لأعرف ما يعزم عليه من المعاصي، فأزجره عن الوقوع فيها،

---

(١) رواه البخاري (٥/ ٢٢٩٦)، وابن ماجه (١/ ٥١٦)، والدارمي (٢/ ٤١١)، والنسائي في الكبرى (٢/ ٢٦٣)، وأحمد (٣/ ١٥٦)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ٧١).

انتهى.

إذ العبد مأجور على مثل ذلك؛ سواء أكان ذلك الأمر من الأمور المعلقة، أو الأمور المبرمة، فافهم ذلك يا أخي، واعمل على تحصيل كمال اعتقادك في شيخك؛ لتنتفع به وبإشارته، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لجميع فقراء الزاوية: ألا يستكبروا لهم عملاً، ولو استغرقوا الليل والنهار بالعمل؛ فمن نظر إلى كثرة عمله وقف عن السير، وفاته في تلك الوقعة من المدد أكثر مما ناله قبل ذلك طول عمره؛ كما ذقنا ذلك، وقد قالوا: لا يجوز أن يستريح من العمل إلا بقدر ما يتنفس، فيأخذ له راحة، فإذا وصل إلى مقام ليلى، ومسك أطناب خيمتها، ووقف بين يديها، فهناك تقول له ليلى: استرح من التعب واجعل عملك مجالستي، وشهود مجانستي لا غير؛ فيا طول ما تعبت وتعنيت، ويا طول ما رجع غيرك من الطريق وجيت، انتهى.

فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واستغنموا ما بقي من عمر شيخكم؛ فإنه ربما بقي منه أيام قلائل، فيندم أحدكم على موته حين لا ينفعكم الندم، ولا يجد أحدكم بعده من ينصحه بكلمة واحدة، ولا من يأكله قبله على أشياء من الخيرات، وليكن منخاس[1] أحدكم من نفسه، ولا يتعب شيخه في تنبهه على العمل؛ بل يكون هو الذي ينبه نفسه، فلا يمل من عمل إلا وينتقل لعمل آخر؛ فإن طريق القوم جهاد لا صلح فيه، والله تعالى يتولى هداكم، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لجميع فقراء الزاوية: أن يعتنوا بالأعمى، والشريف، والضعيف الحال

---

(١) المنخاس: عود أو نحوه تنسخ به الدواب أو الرقيق.

الذي لا يؤبه له، أكثر مما يعتنون بجماعة الباشا، أو الدفتردار[1] أو قاضي العسكر إذا دخلوا؛ فيطلبون زيارة الشيخ، أو يفرقون فلوسًا على الفقراء، وكل فقير عظم جماعة الولاء على الفقراء والمساكين فقد تعكس، وانتكس، ونقض عهد شيخه، فيجب عليه طلب تجديد عهده ثانيًا؛ لأن العهد الأول قد انتقض، فما بقي يصلح له البناء عليه، ويكون على علم الإخوان أن مجموع عهد الشيخ يرجع إلى: عدم تقديم المريد أعمال الدنيا على الآخرة؛ طلبًا لمرضاة الله تعالى والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لجميع فقراء الزاوية: ألا يبيت أحدهم كل ليلة، حتى يعرض على شيخه صحيفة عمله في ذلك اليوم؛ وذلك إما ليرشده إلى طريق التوبة النصوح من تلك الأعمال السيئة أو الناقصة، وإما ليستغفر الله تعالى له فيغفر له، وإما ليناقشه عليها فيخفف عليه الوقوف للحساب في الآخرة؛ فإن الحساب يوم القيامة لا يقع إلا في أمور أهمل العبد نفسه فيها في توبيخها من أجلها، فمن أتقن في مناقشة نفسه هنا؛ بحيث لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا وناقشها عليها لم يوقف للحساب أبدًا؛ ومن ناقش نفسه في بعض، وأهمل البعض وقف بقدر ما أهمل، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واطلعوا شيخكم على جميع ما في صحيفتكم، ولا تخفوا منه شيئًا منها؛ تغشوا نفوسكم أولاً، وشيخكم ثانيًا، وتعرضوا نفوسكم لشدة الحسب ثالثًا، فقد ورد أن بعض الناس إذا وقف للحساب بين يدي الله تعالى يقع لحم وجهه من شدة الخجل من الله ﷻ، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لجميع فقراء الزاوية إذا غلب على أحدهم النوم زيادة عن الضرورة:

---

(١) الدفتردار: تعني مسئول مالية وخزينة المدينة (ماسك دفاتر حسابات الوارد والصادر أو الداخل والخارج من الأموال العامة).

ألا ينام إلا في المواضع التي يراه النقيب فيها؛ لينبهه للصلاة، والذكر ليلاً كان أو نهارًا، ومتى نام الفقير في المواضع القليلة الناس؛ كدوائر المئذنة، أو خلوة في السطوح، أو في مسجد آخر خارج الزاوية، فقد أخطأ الطريق، وهو دليل على غشه لنفسه، وأنه لا يجيء منه شيء في الطريق، ومثل هذا يجب على الشيخ والفقراء توبيخه؛ لئلا يفسد بين الفقراء بتعليمه لهم الحيل التي تضرهم في دينهم.

وكذلك مما ينبغي للفقراء: أن يزاحم أحدهم على أن يكون جلوسه في حلقة الذكر دون الجلوس خارج الحلقة؛ وذلك دليل على علو همته، وثبوته في المجلس من أوله إلى آخره، وعلى أن مقصوده أن يكون رأسًا في أمور الخيرات لا ذنبًا؛ عكس حال المريد الكسلان الذي لم يرد الله له الخير؛ فإنه ربما قال له النقيب: ادخل الحلقة، فيقول له: انظر لك أحدًا خلافي، فإني لا أتجوز في الحلقة؛ كما سمعت ذلك من بعض العميان، فالله تعالى يرزق إخواننا كلهم المزاحمة على الخيرات إلى المهات، آمين اللهم آمين، والحمد لله رب العالمين.

ينبغي لجميع من يحضر مجلس المناقشة: أن يأخذ جميع توبيخات الشيخ في حق نفسه دون إخوانه ببادئ الرأي، ولا يأخذ شيئًا منها في حق إخوانه؛ كما عليه بعض العوام إذا سمعوا واعظًا أو خطيبًا يقولون: أفلح الواعظ اليوم في الحط على الظلمة، وعلى فلان وفلان، ولا يكاد أحدهم يأخذ كلام الواعظ في حق نفسه أبدًا، ومن يعمل مثل ذلك فهو دليل على عدم الشفاعة بكلام الواعظ، أو الشيخ، أو الخطيب؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وخذوا جميع التوبيخات والتعريضات التي تقع من شيخكم في حق أنفسكم دون إخوانكم، ولو كان أحدكم غائبًا عن المجلس؛ فإن المريد الصادق يسمع صوت شيخه، ولو كان بينه وبينه مسيرة سنة وأكثر.

وقد بلغنا أنه كان لسيدي إبراهيم الجعبري مريدة بنواحي الصعيد، وكانت تسمع كلامه من زاويته خارج باب النصر بمصر؛ فبينما هو ذات يوم يعظ أصحابه، وهم يبكون إذ قال:

يـــا قاعــــدة في الطاقـــــة والكلـــب يأكـــل في العجـــين
يـــا كلـــب كـــل واتهنّـــا فـــما للعجـــين أصـــحاب

فلم يعرف الحاضرون سبب إنشاد الشيخ هذا الشعر، فقال: إن لنا مريدة بالصعيد جلست في غرفتها تسمع كلامنا، ونسيت العجين فنبهناها على أن تطرد الكلب عن عجينها، انتهى.

وتقدم أن هذا المقام أصله موروث من مقام إبراهيم لما نادى الناس بالحج، وهم في الأصلاب فأجابوه، وكذلك بلغنا عن سيدي أحمد بن الرفاعي: أنه كان إذا تكلم على الكرسي في أم عبيدة – بلده– انتشر صوته إلى سائر القرى التي حول بلده؛ فكأنهم في مجلسه الذي فيه الكرسي، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للنقيب: أن يعتني بجميع الفقراء الذين خلقهم سيئ في مجلس المناقشة، أكثر من اعتنائه بمن يكون حسن الخلق؛ لأن حسن الخلق ليس بمحتاج إلى من يهذب خلقه كل ذلك الاحتياج، بخلاف سيئ الخلق لما عنده من الإيثار، وكثرة الاحتمال للأذى؛ بخلاف من كان سيئ الخلق، فإنه هو الذي يقع منه الخصام، والشوم[1]، والشتم، والضرب، وغير ذلك؛ فكان أولى بالحضور، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) كلمة باللهجة العامية المصرية تعني: الفضيحة.

وينبغي لجابي وقف الزاوية: أن يكون عنده حذق يعرف به ميزان أعمال الدنيا والآخرة وسياسة يسوس بها الساكنين في بيوت الوقف والمزارعين في طينه، وذلك حتى يخلص الخراج منهم بسهولة من غير احتياج إلى شكوى من الحكام، فكل جابي احتاج إلى شكوى من حاكم شرعي أو سياسي فهو دليل على قلة معرفته بطرق السياسة، وإذا تحمل على فلاح أو ساكن في بيت أجرة أو خراج وعجز عن أخذ ذلك منه، وأراد الرزقة أو البيت لشخص آخر فمن العقل أن يخفي ذلك عن المديون حتى نستوفي منه، ويقول له: إن وفيت بما عليك لم نخرج عنك ذلك البيت أو الرزقة أبدًا، وقد غفل بعض الجباة عن هذه الإجارة السياسية، وأظهر إجارة تلك الجهة للمديون قبل أن يستوفي منه فأتعب سره واحتاج شكواه إلى الحكام، ولو أنه كان أخفى ذلك عنه لربما بادر إلى دفع ما عليه، فإن حساب المتصل ما هو حساب المنفصل.

وكذلك من حذق الجابي في الأعمال الأخروية ألا يطعم الناظر ولا ولده شيئًا من الوقف بغير طريق شرعي، ويقول لهما: إيكما يستحقان الوقف كله، ولولاكما ما قدر أحدنا أن يجبي شيئًا منه؛ كما يقع فيه بعض الجباة الغلف المتهورين في دينهم، وكان الأولى له أن يحفظ على الناظر دينه؛ بل لو قدر أن الناظر أو ولده طلب منه شيئًا من الوقف بغير حق شرعي، فمن الواجب عليه منعه من ذلك؛ لاسيما إن كان الناظر شيخه في الطريق؛ لأنه يتلف عليه قلبه فيعدم النفع به؛ كما إذا تلف قلب حجر الطاحون امتنعت من الدوران، فليحذر الجابي من أن يشتري لبيت الناظر - ليلة من الليالي- زيتًا حارًّا للمسرجة، أو بطيخة لضيف، ويتساهل في ذلك، ثم يضيفه إلى مصاريف وقف الزاوية؛ فإن ذلك حرام، والناقد بصير.

فينبغي للناظر أن يحذر من الجاني المتهور أكثر من حذره من التمساح، أو من

الحية السوداء، وليحذر الجاني أيضًا من أن يخرق سياج الأدب مع الفلاح؛ فيمده ويضربه من غير أن يكون له حرمة تمنع الفلاح من أن يمد يده إليه، فإن ذلك من خفة العقل، وربما أمر بضرب ذلك الفلاح، ثم رأى عينه حمراء عليه، وله أولاد عم أو أخ؛ فطلبوا أن يضربوه ويبهدلوه؛ إن مد يده إلى قريبهم، فرجع يرقرق لهم، ولحقوا به فازدادوا فيه قلة حرمة، وصغر في أعينهم؛ فليكن الجابي يحسب العواقب، وإلا ربما قتلوه ولم ينتطح فيه شاتان.

وقد نزل شخص يجبي خراج وقف، فشتم الفلاح فشتمه، فرمى عمامة الفلاح فرمى الآخر عمامته، فصارت رءوسهما مكشوفة، والناس ينظرون إليهما، وعجز عن استخراج الوقف، واحتاج الناظر إلى إرسال غيره، فاعلم ذلك أيها الجابي، وحسم نفسك، والله يتولى هداك.

وينبغي لجميع فقراء الزاوية: ألا يؤذوا واحدًا إن خرج من زاوية أخرى، وأتاهم مجاور عندهم إلا بنية صالحة، أو أذن الشيخ؛ كأن يقصدوا بإيوائه الإحسان إليه تخفيف الإثم على فقراء تلك الزاوية التي أخرج منها، فربما تعد واحد فرد الله في تأديبه وإخراجه، فازداد عليهم الإثم بعدم إيواء أحد له، وقساوة القلوب عليه؛ فأخذ الله تعالى بذلك؛ وقد فعلت مثل ذلك مع فقير أخرجوه من زاوية سيدي مدين.

وقلت: اللهم اجعل كل إحسان أحسنته إلى هذا الفقير في صحائف الذين أخرجوه؛ ليخفف عنهم الإثم، فعلم أن كل من أوى أحدًا أخرج من زاوية مكايدة لفقرائها، أو ليشكره الناس على ذلك؛ فهو لم يشم من الإخلاص رائحة، وهو من الأعمال التي أهل بها لغير الله، وهو خلق غريب قل من الفقراء من يراعيه؛ بل ربما

عادى أهل الزاويتين بعضهم بعضًا من تحت رأس ذلك الشخص، وترافعوا إلى الحكام، وخرجوا عن سياج الطريق؛ فالله تعالى يلهم جميع إخواني الإخلاص في جميع أحوالهم، آمين...آمين.

وينبغي لفقراء الزاوية: ألا يتساهل أحدهم بالجلوس على حوانيت السوقة المجاورة للزاوية، ولا يعاشر أحدًا من غير حرفته؛ خوفًا من سرقة الطبع من أفعالهم وأحوالهم الرديئة، التي لا تليق بالفقراء عادة، وربما كان المجاور أمردًا، فأفسده العُيَّاق بالبر والإحسان، حتى مال بقلبه إليهم، فنالوا منه أغراضهم الفاسدة، وذهبوا به إلى مواضع التنزهات، والخانات التي فيها بنات الخطأ، فانقطع عن قراءة القرآن، ومجالس الذكر، وفسد بالكلية.

فينبغي للشيخ أو النقيب: ألا يقر مجاورًا على مجالسة السوقة إلا لضرورة؛ لئلا يموت قلبه بمجالسة أهل الغفلة، ولا يصير له قلب إلى قراءة، ولا ذكر، ولا خير؛ وقد عجزت عن رد بعض جماعة عندي عن مثل ذلك، وماتت قلوبهم عن الخير، عكس حال الفقراء الذين لم يخالطوا السوقة؛ فالله تعالى يتم عليهم ذلك، ويتوب على غيرهم...آمين.

وينبغي لكبراء فقراء الزاوية: ألا يذكروا مجلس ذكر إلا بعد أن يمثلوا نفوسهم بين يدي الله ﷻ، وأكابر الحضرة الإلهية من أهل السماوات، وأهل الأرض حاضرون من ملائكة، وأنبياء، وأولياء؛ فإن الذكر في مثل هذا الموكب العظيم لذة عظيمة لا يقدر قدرها، وكان فقراء الزاوية جليان الحضرة، ومجاذيبها لهيئاتهم بين يدي ربهم، وهم واقفون يذكرون اسمه تعالى، وأكابر الملائكة، والإنس من جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعزرائيل، وغيرهم، ومحمد، وإبراهيم، وآدم، وموسى، وعيسى،

وغيرهم جالسون حلقًا حلقًا من خارج حضرة هؤلاء الذاكرين، وهم يمدونهم بالإمداد التي بأيديهم كل واحد حسب إرثه ومقامه؛ فالله يلهم جميع إخواني ألا يذكرون مجلسًا إلا مع هذا المشهد؛ ليفوزوا بالإمداد من أكابر الملائكة وأكابر الأنبياء...آمين.

وسيأتي في الباب الآتي: أن سبب جلوسي بعض الأوقات في حال الذكر؛ إنما هو لاستشعاري من أكابر الحضرة أنهم يطلبون مني: الجلوس شفقةً عليَّ حين عملوا كهوليتي، وقوة عزم الذاكرين، فامتثل أمرهم واجلس، والحمد لله رب العالمين.

الباب السادس

في جملة أخرى من آداب فقراء الزاوية وأخلاقهم.

وهو ختام الأبواب إذا علمت ذلكفمن أدب الشيخ والفقراء إذا وقفوا رزقة أو بيتًا مثلاً على الزاوية، أو أراد غيرهم أن يقف شيئًا عليها: أن تكون نية الواقف منهم جازمة؛ إذ هي من القرب الشرعية، فلا ينبغي لأحدهم أن يجعل لنفسه في رفقة الإدخال والإخراج مثلاً، وقد كنت من أشد الناس كراهةً لذكر الواقف مثلاً ذلك في كتاب وقفه، وأقول: كيف يتقرب العبد إلى الله تعالى بشيء يتردد فيه؟ حتى أن القاضي عبد القادر القادري أراني مسودة كتاب وقف زاويتنا؛ الذي وقف فيه الجهات على شعائرها، وسماط الفقراء بها؛ فرأيته قد جعل لي فيه ما جعله لنفسه من الإدخال، والإخراج، والتغيير، والتبديل؛ فتكدرت من ذلك، وقلت له: اضرب على ذلك في حقي دخله في حق نفسك، فأبى فبعد مُدة خرج الشيخ عمر الإمام عن طاعتي في الزاوية، وصار الفقراء يخافون من لسانه، فذكرت ذلك للقاضي عبد القادر، فقال: أخرجه من الوقف بالشرط الذي جعلته لك، فهددته بالخروج، فندم واستغفر؛ فكان الواقف أتم نظرًا في مراعاة مصالح الفقراء في الزاوية مني، فإنه لو لم يكن لي هذا الشرط، ما كنت أقدر على إخراجه إلا بثبوت أمر بفسقه مثلاً، وقد كان الناس في الزمن الماضي أهل صلاح ونيات صالحة، وكان أحدهم إذا أسدى إليه أحد معروفًا، لا يرى أنه يقدر على مكافأته طول عمره، وكان إذا جعله في جامعة إمامًا أو خطيبًا مثلاً؛ ثم قال له: عزلتك لا يعادي الواقف، ولا يشتكيه من بيوت الحكام، بل يقول: إنه محسن؛ فإن شاء أدام إحسانه عليّ، وإن شاء حوله إلى من هو أولى مني به مثلاً، فصار الواقف اليوم إذا فعل مثل ذلك يتجرد المستحقون لعداوته وإيذائه بكل

ما يقدرون عليه؛ فلذلك احتاج إلى أن يشرط لنفسه، ولمن شاء من ذريته، أو غيرهم من النظار على وقفه الإدخال والإخراج؛ رحمةً بهم، ومصلحة لبقية المستحقين؛ ليصير يخرج من ذلك الوقف: كل من تعدى حدود الله تعالى، أو لم يتعد، بل رأى غيره أصلح منه، وفي كلام السيد عمر بن الخطاب ﷺ: إن الله تعالى يحدث للناس في كل زمان أقضية بحسب زمانهم، انتهى.

وتأمل يا أخي لما صار الناس يقع من أحدهم البراءة لخصمه عند الحاكم؛ ثم بعد ذلك يقول: الأمن الشيء الفلاني، ويدعي الذهول والنسيان؛ كيف صار القضاة يكتبون في مستند البراءة؟ ولا ذهولاً ولا نسيانًا سدًّا للباب، وإلا فإذا ادعى العبد الذهول والنسيان، ربما يقبل الحاكم ذلك منه إذا كان مشهورًا بالدين، ولم يعهد عليه كذب ولا دعوى باطلة؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واشكروا فضل الواقف حين جعل لي الإدخال والإخراج، وإنه صح لي تقريركم في وظائفكم، ومساكنكم، وزيادة جوامك بعضكم، وإخراج من يؤذيكم في الزاوية؛ ولولا ذلك ما صح لي ولكم شيء من ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ينبغي للشيخ وكبراء الزاوية المجاورين إذا كثرت الخيانة في الزاوية: في سرقة النعال والأمتعة، ولم يعرفوا السارق: أن يتوجهوا إلى الله تعالى في تأديب ذلك السارق؛ فإنه تعالى لا يغرب عن علمه شيء، فيؤذيه تعالى إما بالإخراج من الزاوية؛ بسبب من الأسباب، وإما يبتليه بمرض يمنعه التلذذ بالأكل، والشرب، والنوم، والجماع، حتى يموت، أو يخرجه من الزاوية إلى بيت الوالي بسرقة تثبت عليه، أو بتهمة من التهم، ويضربه المقارع والكسارات، ووضع الخوذة المحماة على رأسه، وغير ذلك من أنواع العقوبات؛ لانتهاكه حرمة ربه في حضرته؛ إذ المسجد بيت الله

الذي يناجيه عباده فيه مناجاة خاصة، فكان ما ذكرناه من العقوبات دون ما يستحقه.

وتأمل يا أخي إبليس لما كانت معصيته في الجنة التي هي حضرة الله تعالى البرزخية، كيف كانت عقوبته اللعن والطرد من الحضرة، وتأبيده بعد ذلك في النار؟ وكم وقع غير إبليس في المعاصي؟ ولم يقع له ما وقع لإبليس؛ لكونه عصى في حجاب عن شهود حضرة الله ﷻ، فافهم.

ثم إن هذه الخصلة من جملة ما يعيبه علينا اليهود والنصارى؛ فإن النصراني أو اليهودي يضع نعله على باب الكنيسة أو البيعة، ثم يدخل فلا يأخذ أحد نعله؛ ولو مكث على باب الكنيسة شهرًا، زاعمين أن ذلك تعظيمًا؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وتوجهوا إلى الله تعالى في تأديب من خان في الزاوية؛ فإنه تعالى يعلمه، ولا تشتغلوا بالتهمة لبعضكم بعضًا؛ فقد يكون من اتهموه بريئًا من مثل ذلك، ولو سبقت له بذلك عادة، وهذا الذي ذكرناه لكم من التوجه أولى، وقد فعلنا به في الزاوية مرات، ورأيناه أحسن من التهمة، وإن وقع للفقراء أنهم لاثوا بأحدٍ من فقراء الزاوية؛ فليكن ذلك من حيث كونه لم يحفظ ظاهره عن تعاطي ما يؤذن بقلة دينه، حتى صارت التهمة تقبل في حقه، ولو أنه كان حفظ ظاهره بإذن الله تعالى لكذب الناس كل من اتهمه بسرقة، وقالوا له: تكذب على فلان، وحاشا لله أن يكون فلان حرامي ونحو ذلك، والحمد لله رب العالمين.

ينبغي لخادم الفقراء من شيخ وجابي ونقيب: أن لا يقصد بخدمته الفقراء الأجر الأخروي؛ وذلك لأن من طلب الآخرة تبعته الدنيا، ومن طلب الدنيا نفرت منه الآخرة، وقالوا: من أراد بخدمته الآخرة وفق للصواب، ومن أراد بخدمته الدنيا

وفق للخطأ، أي: وقع فيه، وقالوا: حقيق بجزيل الثواب من خدم فقيرًا واحدًا، فكيف بمن يخدم ما لا يحصى من الفقراء؟ وذلك لأن الله تعالى يدخل عليه من السرور بقدر ما أدخل على الفقراء بخدمته لهم، وتخفيف التعب عنهم، ومساعدتهم على عبادة ربهم، والوقوف بين يديه تعالى ولولا تلك الخدمة؛ لاشتغلوا عن عبادة ربهم بتهيئة أثر مقامهم، وربما جعل الله تعالى ثواب تلك العبادات التي عملها الفقراء في صحائف من خدمهم، من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

وليحذر شيخ الزاوية والنقيب من أن يكلف نفسه ما لا يطيق المداومة عليه عادة، إذا شكره الناس على ذلك، أو طلب به الأجر الأخروي؛ فقد قالوا: من يكلف في أعمال الدنيا أو الآخرة أدركه التعب والعناء، وكان كالذي حمل دابته في السفر الطويل فوق طاقتها؛ فلابد أن ترقد؛ فلا هو قطع الطريق، ولا هو أبقى ظهره؛ وهذا الأمر يقع فيه النقيب الذي عقله خفيف، فيوري أهل الزاوية الهمة والنشاط، أو الخدمة الزائدة، ثم تفتر همته ويكسل، وتسميها الناس نفحة الإسطبل؛ فليعامل النقيب ربه ونفسه بالرفق دون الخرق، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لشيخ الزاوية ونقيبها: أن يكون قصير الأجل جدًّا؛ ليستغنم خدمة الفقراء، ولا يسوق فيها؛ فإنها من الأعمال الصالحة بيقين، وإن خرجت عن الصلاح؛ فإنما ذلك الأمر عرض لها، وقد قالوا: من كان عالي الهمة في أعمال الدنيا والآخرة، وفاضت خدمته وفضله على أصحابه؛ فهو طويل العمر وإن قصر عمره، ومن كان دني الهمة، ولم يفض له فضل على أصحابه؛ فهو قصير العمر وإن طال عمره، وقالوا: ما واظب نقيب على خدمة الفقراء إلا ورقاه الله تعالى إلى مقام الأشياخ؛ كما أن من واظب الخدمة بباب السلطان لابد أن يقضي حاجته، وينال فوق

ما كان يؤمل.

ومما وقع: أن نقيب خطب ابنة السلطان، فقال له السلطان: أنت لا تقدر على مهرها، فقال: وكم مهرها؟ فقال: من جملته عشر جواهر؛ كل جوهرة بعشرة آلاف دينار، فقال: وأين محل تلك الجواهر؟ فقال: في البحر المحيط، فأخذ النقيب قصعته، وذهب إلى ساحل البحر ينزح ماءه على الساحل، فمر عليه بعض الناس، فقالوا له: في ذلك! فقال: أنضحه؛ حتى أصل إلى الجواهر التي فيه، أو أموت دونها، فأخبروا بذلك السلطان، فأعجبه همته، فأرسل له فحضر، فقال: قد زوجتك ابنتي؛ فقل: قبلت نكاحها، فقال ذلك فجعله وزيرًا له؛ لما رأى من علو همته، انتهى.

وكذلك الشيخ ربما أعجبهُ همة ذلك النقيب؛ فمده بالإمداد، وجعله خليفة على الفقراء بعده، فخضعت له رقاب الملوك؛ كما وقع ذلك لسيدي حسن التستري مع سيدي يوسف العجمي رضي الله عنهما.

وسمعت سيدي عليًا المرصفي رحمه الله يقول: من شرط من يخدم الفقراء: أن يزين لهم ما يراه منهم من الصواب، فيزدادون بذلك بصيرة؛ فاعلم أيها الأخ واعمل به، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للنقيب: [أن يهاب][1] الشيخ كما يهاب الملوك؛ لأن الشيخ لا يدخل تحت التحجير؛ لما عنده من تأييد الحق تعالى له في حركاته وسكناته؛ كما لا يدخل الملوك تحت تحجير خدامهم.

وفي كلام الحكماء ثلاثة أمور لا يتجزأ عليها إلا جاهل قليل العقل، ولا يسلم

---

(١) سقطت من المخطوط، ولعل إثباتها الصواب.

من ضررها إلا قليل من الناس: صحبة الملوك والأولياء، وطلب الأمانة من النساء في كتمانهن الأسرار، وحفظ نفسها بالغيب وشرب السم للتجربة، وقالوا: ثلاثة لا تنال إلا بعلو الهمة وعظيم المخاطرة وهي: خدمة الأشياخ، والخروج منها سالمًا، وتجارة البحر، والمبارزة للعدو.

ينبغي للنقيب: أن يلوم نفسه إذا أبعده الشيخ، ومنعه دخول داره بعد شدة التقريب، ويكثر من الاستغفار، وليحذر كل الحذر من استصغار ذنبه في خيانة ليمونة، أو ثمرة، أو جديد نقرة؛ فإن ذلك ربما جره [إلى][1] الخيانة في أكبر الأمور، وقد قالوا: الأمانة تدخل العبد إلى صدر البيت، والخيانة تخرجه من صدر البيت إلى القعار، وقد قالوا: لا يكن كالفأر يخرجه أهل الدار، وينفونه عنهم مع شدة مجاورته لهم؛ لكونه يؤذيهم، وتأمل الباز كيف تدخله الملوك ويجالسونه ويجلسونه على أكفهم، مع كونه وحشًا غريبًا؟! لما فيه من النفع، فاعلم ذلك أيها النقيب، وإياك والخيانة ولو في حبة خردل، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ والنقيب وجميع الفقراء: ألا يركنوا لمن يكون تكرر منه الأذى في الزاوية لإخوانه، ويتوب وينقض التوبة؛ بل الواجب عليهم كلهم الحذر منه؛ لأن تكرار الأذى دليل على كون ذلك طبيعة له، والخروج عن الطبع عسير جدًّا، وقد قالوا: إذا قيل لك: أنَّ جبلاً تحول عن مكان فصدق، وإذا قيل لك:إن فلانًا تحول عن طبعه فلا تصدق إلا بعد طول امتحان؛ فربما رجع إلى طبعه بعد سنة وأكثر، وقد قال بعض الحكماء: لا يغرك عدم لدغ الحية لك؛ إذ لو وطئتها برجلك، فتعود ثانيًا

---

(١) سقطت من المخطوط، ولعل إثباتها الصواب.

لو وطئها، فتقتلك بسمها؛ فإن الطبع أغلب، وقد قالوا أيضًا: نحت الجبل بالأظافير أهون من مخالفة الهوى، إذا استحكم في الفقراء، انتهى.

ويؤيد ذلك قول الفقهاء: إنه يشترط في الفقهاء التوبة عن ذنب، حتى يتحقق عدم عوده إليه أن يمكث مدة تغلب على الظن أنه لم يبق عنده داعية تدعوه إلى الوقوع، وقدرها الأكثرون بسنة، وبعضهم بثلاث سنين، انتهى.

فليكن الفقير الذي كان يؤذي إخوانه، ثم رجع عن ذلك؛ كذلك لا ينبغي الركون إليه، إلا بعد مضي المدة التي تغلب على الظن علينا أنه صادق في توبته، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: أن يحذر جملة الفقراء: من أن يؤذوا أحدًا من إخوانهم إلا بطريق شرعي، لا تلبيس فيه، ونعلمهم أن الله تعالى لابد أن يأخذ للمظلوم حقه من الظالم؛ إما في الدنيا وإما في الآخرة، وأن الله تعالى من شأنه الحكم، وعدم المعاجلة بالعقوبة، وإنه ربما يعجل على الظالم من الفقراء بالعقوبة؛ فيظن أن الحق تعالى عفا عنه وسامحه؛ والحال أنه ادخر عقوبته إلى الدار الآخرة، والحمد لله رب العالمين.

ينبغي للشيخ: أن ينهي المجاورين عن عمل المكائد لبعضهم بعضًا؛ لئلا يرجع كيدهم عليهم كما هو مشاهد؛ ومما وقع أن جارية من جواري هارون الرشيد وقع بينها وبين أخرى عداوة، فما قدرت على تنفير الخليفة منها بوجه من الوجوه، فشرعت في العمل على قتلها؛ فعمدت إلى سم فوضعته في قصبة، وتركت عداوتها حتى نامت، وجاءت على دبرها، ووضعت القصبة في دبر تلك النائمة؛ تريد تنفح السم في دبرها فتقتلها، فلما وضعت فمها على ثقب القصبة؛ لتنفخ السم خرج من النائمة ريح، فرجع السم مع الريح إلى حلقها فماتت؛ فمن هنا قالوا: لا تفعل مع

أحد سوءًا فيرجع عليك مثله؛ فإياكم أيها الفقراء في أن تسعوا في إخراج أحد من الزاوية بغير حق، فيقيض الله لكم بحكم العدل من يخرجكم، ومن شك فليجرب، وإياكم أن تفعلوا مع أحد من الناس سوءًا مطلقًا، إلا بطريق شرعي لا تلبيس فيه؛ فإن الله ولي كل عبد مظلوم، والحمد لله رب العالمين.

وليحذر خادم الشيخ، وبقية الفقراء من الخيانة لبعضهم بعضًا في أعمال الدنيا أو الآخرة؛ كأن لا يخدم أحدهم صاحبه إلا لرهبة أو رغبة، ولا ينصحه إلا لأجل ذلك؛ فإن الله تعالى قد أوجب النصيحة على كل مسلم مطلقًا، وقال علماء الشريعة: إن النصيحة مشتقة من النصيحة التي هي الإبرة، فكما تؤلف الإبرة بين أجزاء الثوب، وتجعله كأنه قطعة واحدة؛ كذلك الناصح يؤلف بين أجزاء الدين بعد تفرقها، فتجمع النصيحة للمنصوح دينه بعد تفرقته.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: من كتم عن إخوانه نصيحة، فقد عدم الرشد؛ وكان كمن كتم الطبيب مرضه، أو كتم الإخوان رأيه، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وانصحوا بعضكم بعضًا، واخرجوا بذلك وأحبوا الناصح، والحمد لله رب العالمين.

وليحذر فقراء الزاوية كالإمام والنقيب: من أن يعاقب أحدًا من أطفال الزاوية بغير سبب شرعي؛ كأن يطلب من الطفل أن يخدمه بحمل خبزه إلى التنور، أو شيله[1] الماء من البئر؛ فمن فعل ذلك مع أحد من الأطفال، فربما قيض الله تعالى له بحكم العدل من يعاقبه كذلك بغير سبب موجب جزاءً وفاقًا، وقد قالوا: لا ينبغي للحاكم أن يعاقب أحدًا على الظن والتهمة؛ وإنما يعاقب على الأمر المحقق، بخلاف

---

(١) أي: يحمل.

السلطان؛ فإن مقامه يجل عن التقيد كغيره، ولا يدخل تحت التحجير سوى للتنازع فقط، بخلاف مؤدب الأطفال وشيخ الزاوية؛ لأن مقامه دون ذلك –اللهم- إلا أن يبلغ الشيخ مقام الاستطالة كالشيخ عبد القادر الجيلي ﷺ؛ فإنه يكون كالملوك، فكما أن من يخدم الملوك مخاطر بنفسه، ودينه، وجسمه؛ فكذلك من يخدم أكابر الأولياء، وفي كلام الحكماء: من ذا الذي داخل السلطان فدام له منه الإحسان؛ فإن مثل السلطان في قلة وفائه بحقوق أصحابه؛ كمثل المكتب كلما خرج واحد جاء آخر، وقالوا: من شأن أكابر الأولياء الإطلاق كالسلطان؛ فهم يرضون عمّن لا يستحق الرضا، ويسخطون على من لا يستحق السخط من غير سبب ظاهر.

وينبغي للشيخ وأكابر الزاوية: أن يكونوا من أزهد الناس في الدنيا وشهواتها، فلا يزاحمون بقلوبهم أطفال الزاوية على هدية دخلت الزاوية.

وسمعت سيدي عليًّا الخواص ﷺ يقول: خير الأشياخ من أشبه النسر حوله الجيف، لا من أشبه الجيف حولها النسور.

ويقبح على شيخ الزاوية: أن يكون ممن تصطاده الدنيا وشهواتها كالأطفال والنساء؛ إنما اللائق به الشهامة والعفة الدائمة، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، والحمد لله رب العالمين.

ينبغي للشيخ والفقراء: ألا يغلطوا القول لمن تكرر منه العوج كثيرًا؛ فإنه كالحية في جحرها، أو كالأسد في غابته، وقد قالوا: من عقل العاقل الهرب ممن لا يطاق شره، وقال الحكماء: لا تطلبُوا تقويم من لا يستقيم، ووطنوا نفوسكم على تحمل البلايا إذا فعلتم خيرًا؛ فإنه لابد لكم منه، وقد قالوا: من سارع إلى فعل الخيرات تسارعت إليه البليات، وإياكم ومشاورة النساء، وعشرة اللئام؛ فإن من

شاور النساء فتن، ومن عاشر اللئام أهين، وقالوا: إياكم ومعاونة أهل الإثم؛ فمن عاونهم كان شريكًا لهم في عقوبة الآخرة، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وزنوا أفعالكم وأقوالكم بميزان الشريعة والعقل، والحمد لله رب العالمين.

ينبغي لشيخ الزاوية: أن يكون عنده شيء من علم الفراسة، فيعمل به في بعض الأوقات عند الحاجة إليه، وكثيرًا ما كنت أسمع سيدي عليًّا الخواص ﷺ يقول: من علامة صاحب الكذب، والغيبة، والنميمة، والفجور: أن يكون عينه صغيرة كثيرة الاختلاج، وأنفه مائلاً إلى جانبه الأيمن، وما بين عينيه من الشعر ممتدًا، وينكس رأسه إذا مشى، ولم يزل يلتفت إلى ورائه، وفي كلام الإمام الشَّافِعِي ﷺ: إياكم من معاشرة الأعور، والأعرج، والأشقر، والأفجج[1]، وفي كل جسمه نقص؛ فإن فيه التواء، ومعاشرته عسرة، انتهى.

فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واحذروا ممن كان بهذه الصفات في الزاوية كل الحذر، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: أن يرقي همة كل من يراه يخدم الفقراء، ويجلب إليهم المنافع الدنيوية والأخروية، ويأمره بأن يفعل ذلك على نية نفع الغير، لا على نية نفع نفسه هو بالأصالة كما يفعله الحمقى؛ فإن ذلك قليل الأجر، وقد قالوا: من صنع المعروف لنفع نفسه في الدنيا؛ كطلب الفخر أو اكتسابه الأجر كان كالصياد، والذي يبذر الحب في الفخ لنفع نفسه لا للطير، وليس ذلك من فعل أصحاب العقول الكاملة.

---

(١) الأفْلَجُ الذي اعْوِجاجه في يديه، فإذا كان في رجليه، فهو أَفْجَج، والفَلِيجَةُ: شقة من شقق الخباء. انظر: «تهذيب اللغة» (٤/ ١٣).

وسمعت سيدي عليًّا الخواص رحمه الله يقول: لا تتم مروءة فاعل الخير، إلا أن يعفف بباطنه عن طلب العوض على ذلك في الدنيا والآخرة، فإذا تم له ذلك وجب عليه إظهار الفاقة، والحاجة إلى فضل الله وثوابه، وطلب ذلك من الله من باب الفضل والمنة؛ كما طلبه الأنبياء في نحو قولهم: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾(يونس: ٧٢) فإن الله تعالى غني عن العالم، وما خلق نعم الدارين إلا لعباده، انتهى.

وسمعت سيدي عليًّا الخواص رحمه الله يقول: ينبغي لشيخ الزاوية: أن يأمر الفقراء بجميع ما يكفيهم عن سؤال الناس، ويغنيهم عن الحاجة إلى أصحابهم؛ ليكسبوا بذلك عز النفوس، وتعكف عليهم الإخوان، وما ذم الشرع إلا من يجمع الدنيا حرصًا وبخلاً، ولا ينفق منها على نفسه ولا على إخوانه؛ فما جمع أحد المال وشح به إلا كانت عاقبته عليه شرًّا في الدنيا والآخرة، وقد قالوا ما الأهل والإخوان إلا مع المال، فمن لا مال له، فلا أهل له ولا إخوان؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان واعملوا به، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: أن ينهي أقوياء الفقراء في الزاوية عن أن يظهروا قوتهم على ضعفائها وغيرهم؛ فإنه ما اغتر قوي بقوته على ضعيف إلا هد الله قوته، ونصر عليه الضعيف ولو بعد حين، وكذلك ينبغي له: أن يرشد المتعبدين في الزاوية إلى مقام الصدق، ولا يقنعون بثناء الناس عليهم؛ فقد أجمع القوم على أنه لا يسمى الفقير عابدًا، إلا إن كان يقوم النهار ويقوم الليل، ويحفظ جوارحه الظاهرة والباطنة عن جميع الأشباه؛ كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ﴾(الأنعام: ١٢٠) وقالوا: لا يكمل صوم العبد إلا إن كان يفطر على الماء والخبز الحاف، ومتى أكل دسمًا نقض صومه؛ كما عليه غالب الناس، فما استفاده من الجوع بالنهار من النور،

خسره آخر النهار من ظلمة الدسم؛ وكأنه لم يصم، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وحاسبوا نفوسكم، وزنوا أعمالكم بميزان أسرار الشريعة، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ وفقراء الزاوية: أن يرشدوا من كان مرّ اللسان في الزاوية إلى حلاوة لسانه، ولا يتركوه كالثعبان يلدغ بلسانه ضعفاء الفقراء، وقد قالوا: الطعن باللسان أشد من الطعن بالسنان؛ فإن طعن السنان يندمل، وطعن اللسان لا يندمل، وربما دام جرحه إلى الدار الآخرة حين يقع الحساب.

وقد سمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: ليحذر فقراء الزاوية من الوقوع في أعراض بعضهم بعضًا؛ فإن ذلك أشد من الجراح بالسهام؛ لأن الكلام الذي يؤذي إذا وصل إلى القلب لا يمكن خروجه منه، بخلاف النصل من النشّاب مثلاً؛ فإنه يمكن استخراجه.

وسمعته يقول: يجب على فقراء الزاوية كظم الغيظ، والتغافل عن جواب الكلام الذي يؤذيهم، وعدم مقابلتهم بمثله؛ لاسيما الوجوه التي تقابل بعضها بعضًا طول النهار والليل، وسمعته ﷺ يقول: من أراد السلامة من المخاوف والريح العاصف، فليكن كالحشيش تميل مع الريح، حيث مالت به وليس له اختيار، وتشهد القلوب كلها أنه لا غرض له في ذلك الميل؛ وإنما حركته فسرته، فلا يؤاخذ بها.

وينبغي للشيخ: أن يحذر الفقير من الركون إلى إحسان عدوه له على خلاف عادته معه؛ فربما أحسن إليك عدوك خديعة؛ حتى تميل إليه، فينال منك غرضه بالأذى، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقراء الزاوية: أن يعمل كل واحد منهم على تحصيل مقام العفة والإيثار؛ بحيث يصير ذلك سجية له لا يتكلفه، لاسيما أكابر الزاوية؛ كالإمام،

والنقيب، والجابي: مؤدب الأطفال، فيقبح على أحدهم أن يقوم يزاحم الأطفال على فلوس، أو هدية دخلت الزاوية، أو تحد به نفسه بأن يأخذ من ذلك، وقد صح عندي بحمد الله جماعة في الزاوية قلبهم فارغ من حديث نفس تأخذ شيء دخل الزاوية؛ تقديمًا للعمل بالعفة والإيثار، حتى أن بعضهم إذا فرق النقيب الحلاوة ليلة الجمعة في الليل لا يقبل شيئًا من ذلك، ويقول: هذا إنما يأتي به صاحبه؛ ترغيبًا للأطفال وصغار العقول الذين ضعفت داعيتهم عن الخير، فربما يغلب على أحدهم النوم وهو يناجي ربه، فيعطيه النقيب حبة عقيد، فيستيقظ ويذهب نومه؛ فمثل هذا كأنه ينادي على نفسه: ألا اشهدوا أن حبة العقيد عندي أعظم [من](1) مناجاة ربي، انتهى.

فعلم أن كل من زاحم على هدية، أو حدثته نفسه بأن يأخذ من النقيب الحلاوة التي تفرق في الليل؛ فهو من جملة الأطفال، وإن كان له لحية بيضاء، وممن علمته تحقق بهذه الصفة: الشيخ الصالح أبو بكر بواب الدشطوطي، فأخبرني النقيب أنه يعجز فيه أن يأخذ شيئًا من الحلاوة، فلا يقدر عليه؛ فالله تعالى يكثر في فقراء القوم من مثله آمين... آمين.

وللشيخ وكبراء الزاوية أن يعمل أحدهم على تحصيل مقام تحمل الأذى؛ تأسيًا بأخلاق الله تعالى كما أشار إليه قوله ﷺ: «لا أحد أصبر على أذى من الله ﷻ»(2)، انتهى.

فإنه تعالى ما أعلمنا بمثل ذلك؛ إلا لنقتدي به في ذلك، وإلا فهو تعالى لا يدخل في حد الأذى الواقع لخلقه؛ لأنه تعالى هو الخالق لأفعال عباده كلها، فافهم.

---

(1) سقط من الأصل.

(2) رواه مسلم (٤/ ٢١٦٠)، وأحمد (٤/ ٣٩٥) بلفظ: «لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله...».

سمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: يتعين على شيخ الزاوية وفقرائها: أن يعمل أحدهم على تحصيل مقام الانشراح كلما آذاهم الناس، حتى يصير أحدهم ينقبض خاطره إذا لم يجد من يوصل إليه أذى من أعدائه؛ محبةً في التخلق بأخلاق الله ﷻ، وطلبًا لتحصيل مقام الكمال، ولولا أن تحمل الأذى مقام كمال، ما أضافه الحق تعالى إلى نفسه؛ فإن قال قائل: إن الجزء البشري الذي في كل إنسان لا يمكن أن ينشرح بالأذى، فالجواب أن هذا الجزء يدق في الفقراء بالرياضة والعلاج، حتى لا يكاد يحس به إلا كل حاذق لدقته؛ فكأنه معدوم لقلته، فلا يظهر عن صاحبه تأثير، ولا تكدير بما يقال فيه من العيوب والنقائص مثلاً؛ فافهم، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ وجماعة الزاوية: أن يعمل أحدهم على تحصيل مقام التلذذ: بطول العبادة في الليالي الطويلة الباردة، حتى يصير قلبه يخفق كلما تذكر طلوع الفجر؛ كما يخفق إذا قرب من معصية؛ محبةً في مناجاة ربه ﷻ، ثم العمل على مقام [التضرع](1) من المناجاة وطول السهر، حتى يصير كأنه واقف، أو راكع، أو ساجد، أو جالس على الجمر؛ فرحًا بمفارقة حضرة الله ﷻ؛ أن يكون مثله واقفًا بين يديه تعالى عند حال سلوكه؛ فإن بعضهم قال: من حصل عنده ثقل بطول مجالسة الله ﷻ، فقد أساء الأدب مع الله ﷻ، ورجح ذلك الثقل في الإثم على حصول أجر ذلك السهر الطويل، وفي تلك العبادة، انتهى.

وبالجملة فيحتاج العبد إلى عدة عيون، فعين يستغفر منها إذا شعر بالثقل من مناجاة ربه ﷻ ومحبته؛ لفراق تلك الحضرة الشريفة، وعين يفرح منها لفراقها؛ لعدم

---

(١) غير واضحة بالأصل.

رؤية نفسه أنها أهل لمناجاة الله ﷻ، كما قررناه من مرارًا، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: أن يحذر الساذجين من الفقراء من عشرة قرناء السوء؛ فإن الطبع السليم الساذج يسرق جميع ما كان في جلسة من خير أو شر، ولو على طول؛ وفي كتاب «سياسة الملوك»: قل ملك ابتلي بوزراء السوء، إلا وألقوه في المهالك؛ فإذا كان هذا في حق الملوك مع كمال عقولهم، فكيف بآحاد فقراء الزاوية؟

وسمعت سيدي عليًا المرصفي ﷺ يقول: ما وثق أحد بأمانة نفسه إلا وخانته في الأمانة، وما قال فقير: إن عشرة الأرزال لا تؤثر فيَّ، إلا وصار من الأرزال، انتهى.

فاعلموا ذلك أيها الإخوان، ولا يستبعد أحدكم وقوعه في مثل فعل الأرزال إذا خالطهم؛ فإن الطبع سراق، والحمد لله رب العالمين.

ينبغي لمن يجاور في الزاوية: أن يكون كثير التواضع كثير الأدب إن أراد الترقي في المقامات، والثناء من ورائه كما هو بحضرته، فقد قالوا: من تكبر وطلب الثناء الحسن، أو أساء الأدب وطلب الشرف؛ فقد أخطأ الطريق، وقالوا: ما تكبر أحد وأساء الأدب إلا وتقرب منه أصدقاؤه، وذكروه من ورائه بكل سوء، وما استهان شيخ الزاوية بضعفائها، وأكرم أقويائها إلا واستحق العزل من تلك المشيخة؛ كما يشهد لذلك حديث: «لا قدس الله أمة لم يأخذ قويها الحق لضعيفها»[1]، أو كما قال: فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وكونوا عباد الله إخوانًا، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقراء الزاوية إذا غضب الشيخ على فقير: أن يتمهلوا في تطييب

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٨١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ١١٨) بنحوه.

خاطره عليه؛ حتى يبدأهم الشيخ بالتربص لذلك، وليحذروا أن يطلبوا من الشيخ أن يطيب خاطره على ذلك الفقير، قبل أن يرى الشيخ استحقاق الفقير بذلك؛ فإنه سوء أدب مع الشيخ ومع ذلك الفقير.

سمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: يجب على فقراء الزاوية: أن يعتقدوا في شيخهم أنه ما هجر فقيرًا، أو طلب إخراجه من الزاوية إلا لمصلحة تعود على ذلك الفقير لا تشف للنفس، ولو كان ذلك مخلوطًا بحظ النفس، فلا ينبغي للفقراء رد الشيخ عن عقوبة ذلك الفقير قهرًا عليه، وقد قالوا: لا يطلب من الملك إذا غضب المشي على الاستقامة؛ فإن السلطان إذا غضب لا يلتفت لقول أحد، ويستوي عنده صغير الأمور وكبيرها، انتهى.

فالحقوا أيها الفقراء الشيخ بهذا الملك، واصبروا عليه حتى تخمد نفسه ذلك الفقير، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: ألا يبادر لإخراج أحد من فقراء الزاوية بسبب شيء من التهم؛ إلا بعد مشاورة جميع إخوانه وأكابر الزاوية، فقد قالوا: الشيخ في زاويته كالسلطان في مملكته؛ فكما لا ينبغي للملك أن يبادر لعقوبة أحد بالتهم، إلا بعد مشاورة أصدقائه ووزرائه مرارًا، فكذلك الشيخ؛ لأن ضرر المسلمين أمره شديد، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وعليكم بالحكم على كل من قل أدبه من فقراء الزاوية، حتى تخمد نفوسكم من حمية الجاهلية، ومن العصبة، وكونوا مع شيخكم فيما يريد تفلحوا، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لشيخ الزاوية إذا كان ناظرًا على وقفها: ألا يغفل عن محاسبة الجابي كل سنة، فيُخلص ذمته وذمة الجابي؛ فإنه مسئول عن ذلك يوم القيامة، وإن علم الشيخ

من نفسه مشقة الالتفات إلى الدنيا، فليوكل من يحاسب الجابي ممن له معرفة بالحساب.

ثم إنه ينبغي له: أن يعلم الجابي أول السنة، أنه لابد أن يحلفه آخر السنة على أنه ما اختلس شيئًا من مال الوقف من وراء الشيخ والفقراء؛ ليأخذ حذره من التساهل بأخذ شيء لا تسمح نفوسهم به، زيادة على معلوم الجباية الذي عينه له الواقف أو الحاكم الشرعي، وصورة الحلف أن يقول الجابي: اللهم إن كنت اختلست شيئًا من مال هذا الوقف؛ مما لا تسمح نفوس أقراني به لو علموا به، فأنزل على جسمي بلاء من بلائك لا ينفع فيه طبيب، ويمنعني لذة الأكل، والشرب، والجماع، حتى أموت؛ هذا صورة اليمين إن كان صادقًا؛ وذلك ليؤاخذه الحق تعالى على اختلاسه بسؤاله هو لربه، ولا يكون على الناظر تبعه من تلك المؤاخذة، وكان سيدي الشيخ أبو الحسن الغمري يفعل ذلك مع جابي وقف الجامع؛ فكان الجابي إذا علم اشتغال ذمته بشيء من الوقف، يصير يحلف ويتلجلج، وربما امتنع عن الحلف؛ خوفًا من نزول البلاء به، انتهى.

وأنا أوصي الناظر من بعدي على وقف زاويتنا: أن يفعل مثل ذلك مع الجابي؛ ليخلص ذمة كل منهما في الدنيا قبل الآخرة، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للمتعبدين في الزاوية: أن يحذر أحدهم من التعريض للناس، إنه على طريقة حسنة، ولو على سبيل التحدث بالنعمة؛ فإن الشيطان ربما زين له ذلك، فذكره على سبيل التحدث بالنعمة، ثم لما اطمأن له عين نيته، وزين له حب الرياء والسمعة، وصارت أفعاله تكذب دعواه، نظير من يصف نفسه بالزهد، والورع، والعفة، والقناعة، وهو عين بطنه كبطن الدب، وقد قال أهل العقل: ثلاثة تسخر

منهم الناس:من وصف نفسه بالنبل، والعبادة والورع، والعفة؛ وهو سمين غليظ لا خشوع عنده ولا رقة، والمرأة التي تزعم أنها عذراء أولاً، وليست بعفيفة ولا حَصَان، والذي يدعي أنه شهد القتال، وأسر الرجال، وسبي الذراري، وليس له أثر ضربة ولا طعنة؛ فليحذر الفقير من مثل ذلك، ولا يتكلم إلا بما كان عليه شاهد منه، والحمد لله رب العالمين.

وليحذر أكابر الزاوية من تعليم الجهلاء العلم إلا إذا زاد عليهم علامات القول والصلاح، فما كمل علم ينفع صاحبه.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: من الجهل تعليم العلم للجاهل الذي لا يقبل وعاؤه العلم، والتحريش بالسفهاء الذين يقعون في أعراض كل من خالف أهواؤهم، وإفشاء السر لغير الثقة؛ فاحفظوا نفوسكم أيها الإخوان من الوقوع في شيء من هذه الثلاث خصال، ولا تتساهلوا فيها تندموا، والحمد لله رب العالمين.

وعليكم بمواصلة إخوانكم الذين كانوا في الزاوية؛ ثم خرجوا منها إلى بلادهم، أو مكان آخر في البلد، قال تعالى:﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾(البقرة: ٢٣٧) وإياكم أن تتساهلوا بالإحسان إلى أخيكم، وترك إرسال هدية أو مكاتبة إليه؛ فإن ذلك جفاء يسرع بقطع الود من القلب، كما أن من لم يسرع بالثناء على المحسن، أو لم يعترف له به قطع وده من قلبه، فافهموا ذلك، وامشوا على ترتيب الوجود تفلحوا، والحمد لله رب العالمين.

وعليكم بالتباعد عن الكذاب، والذي لا يملك نفسه عند الغضب، والسلطان الذي يرتب العظائم من غير مشاورة النصحاء والوزراء؛ فإن هؤلاء

الثلاثة يعملون بغير الحق، ورجوعهم إلى الصواب عسر جدًّا، وكذلك أوصيكم أيها الإخوان: بعدم الضحك أو بقلته إلا لضرورة؛ لاسيما بحضرة الأكابر الذين يُستحى منهم عادة، فقد قالوا: أربعة لا ينبغي الضحك بحضرتهم: السلطان، والفقير، الناسك، والساحر، والسيئ الخلق.

وعليكم بمعرفة صديقكم وعدوكم؛ لتعطوا كل منهما حقه في المحبة والقرب والمداراة، وقد قالوا: من اتخذ صديقًا، وأضاع حق أخيه؛ لأجله حرم ثمرة تلك الصداقة، عقوبةً له على تعديه الواجب، وربما أيس أهل مودته من وده وبعدوا عنه، واعلموا أن كل من رجوتم منه الخير فهو صديق، وكل من رجوتم منه الشر فهو عدو، وعليكم بمؤاخاة كل من يعترف بالجميل ويراه كثيرًا، وإن كان قليلاً، وإياكم من يكون بالضد من ذلك، وقد قالوا: إذا لم تجد أحدًا يعرف مقامك؛ فأنت معدود في الموتى ولو كنت حيًّا، وإذا وجدت أحد يعرف مقامك وأنت حي وإن كنت ميتًا، وقالوا: من البلاء المبين الذي من العدو وفراق المحب؛ لاسيّما إن كان العدو قريبًا أو جارًا.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: من عقل الفقير إذا ابتلى بمخالطة عدو في الزاوية أو في الحارة أن يصالحه، ثم يصانعه، ويظهر له الود والمحبة، وتعجل الانصراف من مجلسه إذا وجد إلى ذلك سبيلاً، وعليكم أيها الإخوان بعدم الركون إلى أحد من الخلق، ولو قريبًا أو جارًا.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: من عقل الفقير إذا ابتلى بمخالطة عدو في الزاوية أو في الحارة أن يصالحه، ثم يصانعه، ويظهر له الود والمحبة، وتعجل الانصراف من مجلسه، أو وجد إلى ذلك سبيلاً، وعليكم أيها الإخوان بعدم الركون

إلى الخلق ولو قريبًا؛ فقد قال بشر الحافي: العاقل يعد أباه صديقًا، وأخاه رفيقًا، وزوجته إلفًا، وابنه ذكرًا، وابنته خصومة، وقريبه غريبًا، ونفسه فردًا وحيدًا، ومن ركن إلى أحد من هؤلاء، وجعله كالجزء منه فهو أخرق العقل؛ لاسيما إن كان ذا مال؛ فإن هؤلاء كلهم يتمنون مكانه.

وعليكم أيها الإخوان بما يزيدكم ودًّا، أو يسهل عليكم أرزاقكم، ويرضي عنكم ربكم وإخوانكم؛ وذلك بكف الأذى، وحسن الأدب، ومجانبة الريب، وحسن الخلق، والإكثار من العمل الصالح، وعليكم بمجانبة الأشرار، ولو كان [ذا][1] مالٍ؛ فقد قالوا:

من لم ينفق ماله، فهو شرٌّ عليه.

ومن كانت زوجته تميل إلى غيره، فهي شرٌّ عليه.

ومن كان ولده عاصيًا لربه، فهو شر عليه.

ومن كان له أخ يخذله، ويخاف من شره، فهو شر عليه.

ومن كان ساكنًا في بلد لا يطمئن على نفسه فيها، فهو شر عليه.

ومن صحب من لا عهد له، ولا وفاء بذمة، ولا يرجوا منه خيرًا إلا إن أسدى إليه مثله، فهو شر عليه.

وعليكم بالقناعة باليسير من الرزق في زاويتكم؛ ما دمتم تجدون فيها ما يسد رمقكم ومعيشتكم، على القيام بما أنتم فيه من الأوراد وغيرها، وأحدكم أمين في خلوته أو بيته؛ فإن ذلك خير لكم من التوسع في الدنيا وشهواتها، مع نقص العيش،

---

(١) زيادة ولعلها سقطت من النسخة.

وعدم الأمن، وعليكم أيها الإخوان بالعفو، والصفح عن كل من جرح عرضكم من الأقران؛ فإنه ما جرح عرضكم إلا حين رأى رجحانكم عليه في العلم، والعمل، وإقبال الناس عليكم بالاعتقاد فيكم دونه؛ فقصد بتجريحكم أن يرد حالكم إلى حاله، وفي كلام الشيخ أبي المواهب: لم تزل الأشراف تبتلى بالأطراف، ولم تزل الجهال تحسد العلماء، ولم تزل الجبناء يحسدون الشجعان، ولم تزل الأشرار يحسدون الأخيار؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واعرفوا زمانكم وأهله، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ إذا فرغ قمح الزاوية، وصار الأصحاب يفتقدون فقراءها بالقمح من البِّر والصدقة ألا يأكل من ذلك، بل يشتري له من السوق كل يوم رغيفًا يأكله؛ لاسيما إن كان في ذلك القمح رائحة بتحريمه؛ كل ذلك ليكون الشيخ مرفوع الرتبة على فقرائه، ولا يكون كأحدهم في مهيأة الهمة؛ فإن مقام الرجولية فوق ذلك، فهنيئًا لأصحاب الحرف الذين يأكلون من كسبهم دون صدقات الناس، وقد فعلت بهذا الخلق مرات، لما فرغ قمح الزاوية من زرعي ومن الوقف.

وينبغي للشيخ: أن يعلم المجاورين الأدب مع كل فقير دخل الزاوية لصلاة أو غيرها، وأن يقوموا له، ويقبلوا يده، ويسألونه الدعاء؛ كما قال الجنيد لأبي حفص الحداد- رضي الله عنهما-: قد أدَّبت أصحابك أدب الملوك، فقال أبو حفص: إن أدب الملوك دون أدب أهل الله ﷻ.

ويقبح على فقراء الزاوية أن يدخل عليهم شيخ من أشياخ الطريق، فلا يقوم له أحد ولا يسلم عليه؛ لما في ذلك من الإزراء به، وفتح باب اللوث بشيخ الزاوية؛ حيث لم يعلم أصحابه الأدب مع الأشياخ، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لأرباب الوظائف في الزاوية: أن يكرموا من سدَّ عنهم مـن إخوانهم في وظائفهم؛ من فراش، ووقاد، وميضأة، وغير ذلك، وإن لم يطلب هو منهم عوضًا؛ فإن في كل إنسان جزءًا يحب العوض الدنيوي، ولا يجد له داعية لفعل الخير إلا به، وقد جربنا ذلك كثيرًا في فقراء الزاوية، فيجعل أحدهم الخير من أذان، أو خدمة ميضاة، أو مباشرة سقاء، مدة، ثم بعد ذلك ينظر إلى العوض، حين يرى أرباب الوظائف يقبض أحدهم جامكية، ولا يعطيه شيئًا؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان.

ولا تأكلوا معلوم وظيفتكم من غير مباشرة لها؛ فإن ذلك حرام، وإن تعذر عليكم المباشرة، فاستبينوا لكم أحدًا، والله يتولى هداكم.

وينبغي للشيخ: أن يتفقد حال المجاورين الذين خالطوا أبناء الدنيا، وشاكلوهم في الهيئة والملبس والمأكل، فربما كان أحدهم يزدري نعمة الله عليه؛ فعماه عن حال الفقراء، وفتح عينه لحال أبناء الدنيا، ويقول له الشيخ: إني أخاف عليك من تحويل النعم؛ لقلة شكرك، ويقول له: انظر إلى أهلك الذين فارقتهم في الريف من أخ، وعم، وابن عم، وجار، وانظر إلى ملابسهم ومأكلهم، وما أنعم الله به عليك من: المُضَرَّباتِ(١) البعلبكي، والجوخ الرفيع، والعمامة الرفيعة، والثوب الرفيع، ونحو ذلك مما ليس هو عند شيخ بلدك، فلعل أحدهم يتذكر ما هو فيه من النعمة، ويشكر ربه على ما هو فيه؛ فإن نعمة مجيء العبد من بلاد الريف إلى مثل مصر من أكبر نعم الله عليه؛ كما أشار إليه قول يوسف عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ (يوسف: ١٠٠) فرأى مجيء إخوانه من البدو من أكبر الإحسان إلى العبد؛ فإياكم أيها الإخوان من استبيان نعم الله تعالى عليكم، فربما حولها عنكم،

---

(١) هي ثياب غلاظ.

وردكم إلى مخالطة الفلاحين وسكنى الريف، وصار أحدكم في أسوأ حال؛ يحكم فيه المباشرون من النصارى إن عمل مباشرات بلد، ولا يصير يقدر على شراء جوخة، ولا عمل مضربة بعلبكي، ولا شيئًا من النعم التي كانت عليه في مصر، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لأصحاب الجوامك من فقراء الزاوية: ألا يحضروا معهم أحدًا ممن ليس له جامكية وقت القبض، إلا إن كانوا يقاسمونه في الجامكية؛ وذلك لئلا ينكسر قلوبهم، ويكون على أصحاب الجوامك اللوم، ويقبح على من يدعي محبة أخيه أن يتخصص عنه بشيء من الدنيا؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واعملوا به يحصل بينكم التعاطف والمحبة، ولا تطلبوا من إخوانكم الفقراء المحبة مع عدم البر؛ فإن ذلك عزيز وجوده في غالب فقراء الزوايا، وإنما ذلك خاص بالفقراء الصادقين الذين راضوا نفوسهم، حتى باشر صريح الإيمان قلوبهم، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: أن يمشي بالعدل بين فقراء الزاوية في دنياهم وأديانهم، ويحمي كل من يحبه عن الدخول في أمور الدنيا، ويجعل في الدنيا من كان دون إخوانه عنده في المحبة؛ تأسيًا بأخلاق رسول الله ﷺ، فقد ثبت عنه أنه كان يعطي أصحابه العطاء، ثم يقول: «إن الذي منع أحب إلي من الذي أعطى»[1]، انتهى.

وينبغي للفقير إذا طلب من الشيخ: أن يجعله صائنًا لمال الوقف مثلاً، ومنعه أن يشكر فضل الشيخ على ذلك، ويقول: لولا أنه يحبني ما منعني من الدنيا، وقد ورد في الحديث مرفوعًا: «إن الله ﷻ ليحمي عبده المؤمن من الدنيا؛ كما يحمي

---

(١) رواه البخاري (١/ ٣١٢)، وأحمد (٥/ ٦٩).

الراعي الشفيق غنمه من مراتع الهلاك»[1]، انتهى.

وقد كان ﷺ يقول: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون؛ فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء»[2] فإذا كان هذا خطاب رسول الله ﷺ لأصحابه الذين هم أفضل الناس من أمته، فكيف بأهل النصف الثاني من القرن العاشر أبي العجائب والغرائب؟ وفي الحديث أيضًا: أن رسول الله ﷺ قال يومًا لأبي ذر ﷺ: «إني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم»[3].

وسمعت أخي أفضل الدين ﷺ يقول: لابد لفقراء الزاوية التي لها وقف من جابي يجبي خراجها؛ فإن وجد الشيخ أمينًا زاهدًا في الدنيا؛ فمن العقل توليته، وإن لم يجد أمينًا، أو وجده ولكن خاف عليه من الخيانة في المستقبل، وأخذ شيء لنفسه وعياله، فمن علم الشيخ والفقراء؛ فلا ينبغي له توليته، حتى يقول بلسانه: اللهم إني أسألك بأسمائك، وأنبيائك، وأوليائك إن خنت في هذت الوقف، أن ينزل على البعيد بلاء من بلائك في جسده، لا ينفع فيه حكيم، يمنعه لذة الأكل والشرب والنوم إلى أن يموت؛ فمن قال ذلك فليوله الشيخ الجباية، وحينئذٍ يصير الحق تعالى ولي الشيخ والفقراء في أمر الوقف، فيؤاخذ ذلك الجابي؛ عملاً بما سأل ربه فيه، انتهى.

وهذه حيلة للشيخ والفقراء في دفع من يطلب الجباية لوقفهم، ممن يخاف عليه الخيانة؛ وأما من كان يعرف من نفسه الصدق في الأمانة، فلا يهرب من هذا الدهاء

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٣٢١)، وذكره المناوي في فيض القدير (٢/ ٢٩٨).

(٢) رواه مسلم (٤/ ٢٠٩٨)، والترمذي (٤/ ٤٨٣).

(٣) رواه مسلم (٣/ ١٤٥٧)، والبيهقي في السنن الكبرى. (٣/ ١٢٩).

على نفسه، بل يدعو به وهو منشرح؛ لعلمه من نفسه عدم العزم في المستقبل على أخذ شيء من غير علم الشيخ والفقراء، بحيث لو عرض عليه لا يسمحون له به.

وسمعت سيدي الشيخ أبا الحسن الغمري ﷺ يقول: من علامة خيانة الجابي: أن يزيد في ملبسه ومأكله وأمتعة داره عما كان عليه قبل الجباية، ومثل هذا إن كان دعا على نفسه بالدعاء المتقدم قبل دخوله في الجباية، فلا بد من نزول البلاء عليه قبل موته؛ إما بالحب الفرنجي، وضربان المفاصل؛ وإما بتجرد الكلى، وتقطعها في بطنه، ونزولها من دبره؛ وإما بحاصر البول، والحصيا(١)، والفتاقات، والبواسير، والشقاق، ونحو ذلك مما يصير يتمنى الموت منه فلا يجاب.

وقد وقع مثل ذلك لشخص عندي في الزاوية؛ فكان الحكيم إن داوى مرضًا تحرك عليه المرض الآخر، إلى أن مات؛ وذلك لأن ولي الله ووقف زاويتي؛ لعدم قدرتي على إلقاء بالي إلى ما يدخل من خراجها، وما يخرج على التفصيل، فقلت: اللهم أنت وليٌّ في هذا الوقف، وما مع الله لعب؛ وإن كان عندكم أيها الفقراء شك، فسوف يظهر لكم صدقي، فيمن يخون بعد هذين الشخصين اللذين ذكرتهما؛ فاعلموا ذلك، واستكفوا البلاء، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ إذا رأى جماعة الزاوية يميلون إلى القراءة في البيوت أو المقابر بالفلوس، ويقولون: إنما نقرأ جبرًا لخاطر الإخوان، لا محبة في الدنيا، وأكل الحلو واللحم، أن يقول لهم: استخفوا نفوسكم، وأعرضوا عليها ما إذا دعوكم القراءة بلا فلوس، ولا أكل، ولا شرب هل كان ذلك يخف عليكم؛ كما يخف عليكم القراءة بالفلوس والطعام؟ فإن كان الأمر متساويًا عندكم، فلا حرج عليكم في القراءة

---

(١) يقصد حصوة الكُلى- نسأل الله العافية.

بالفلوس والطعام، وعلى ذلك يحمل قول العلماء: أنه يجوز أخذ الأجرة على تلاوةالقرآن؛ لأن به يخرج العبد عن بيع ثـواب القرآن بعرض من الدنيـا، الذي نهى عنه الشارع؛ فاعلموا ذلك أيها الفقراء، واعملوا به.

ولا يقرأ أحدكم بفلوس، ويدعي على أن همته ليست للدنيا؛ وإنما هي لجبر خاطر أخيه المسلم؛ فإن الناقد بصير، وقد فعلت أنا بذلك مع بعض المجاورين المحبين للدنيا، فربما ترك أحدهم السهر معنا في ليلة الجمعة؛ لتلاوة القرآن، والذكر، والصلاة على رسول الله ﷺ، وخرج يقرأ في القبور، ويزعم أنه يحب تلاوة القرآن أكثر من الذكر والصلاة على رسول الله ﷺ؛ فقلت لهم: إن كنتم صادقين، فخذوا عن مجلسنا ليلة الجمعة جانب، واتلوا القرآن من العشاء إلى الفجر بغير فلوس، وانظروا؛ فإن كان يخف عليكم المداومة على القراءة بالفلوس، وأكل الحلو واللحم، فأنتم صادقون في محبة تلاوة القرآن؛ قربةً إلى الله تعالى فنظروا في نفوسهم، وافتضحوا واعترفوا لي بالنصح؛ فأسأل الله من فضله أن يجعل جميع إخواني من المحبين للآخرة، ويحفظهم من التخليط والغش لأنفسهم -آمين اللهم آمين- والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للنقيب إذا احتاج فقراء الزاوية إلى قمح، أو عدس، أو حطب، ونحو ذلك، ودَرْوَزَ[1] لهم أن يدروز بلياقة وعزة نفس؛ وذلك بأن يمهد لذلك الأمير، أو الكبير الذي يريد يأخذ منه حاجته ببساطٍ يريه فيه أن الحظ الأوفر له في ذلك؛ بحكم الأصالة، ونفع الفقراء إنما هو بحكم التبع؛ وذلك ليكسب الأمير أو الكبير الأجر

---

(١) الدَّرْزُ: واحد دُرُوز، الثوب ونحوه وهوفارسي معرّب، وعن ابن الأعرابي أنه قال: الدَّرْزُ نعيم الدنيا ولَذَّاتها ويقال للدنيا: أُمُدَرْزٍ. وربما يقصد هنا بالدرز طلب أشياء الدنيا من أمير ونحوه. وانظر: لسان العرب [درز]، فالمعنى: يطلب لهم ما يحتاجونه.

والثواب، مع عدم هضم خباب الفقراء، وإظهار ذلهم له، وحاجتهم إليه، وقد كان لي نقيب اسمه الشيخ إبراهيم السندبسطي رحمه الله إذا دروز للفقراء يدخل على الأمير، فيسلم عليه على لساني سلامًا كثيرًا، ويخبره بشدة محبتي له، وكثرة ثنائي عليه بحسن النية في الأعمال الصالحة، وحسن معاملته لله عز وجل، ويقول له: طلب بعض الأمراء أن يرسل للفقراء شيئًا من القمح، أو الأرز، أو العدس مثلاً، فقال سيدي الشيخ: إن أرسل لكم شيئًا فلا تقبلوه؛ خوفًا من أن يرى لنفسه المنة على الفقراء بذلك، ولا تقبلوا شيئًا إلا ممن يحبكم، ويحسن إليكم الله تعالى مع رؤيته الفضل بكم عليه؛ بقبولكم هديته، أو صدقته لصاحبنا فلان، ويشير إليكم، وأسأل الله تعالى من فضله أن يسبغ عليكم النعم، ويزيدكم إخلاصًا في أعمالكم كلها، انتهى.

فاعلم ذلك أيها النقيب واعمل عليه؛ فإن الكذب في مثل ذلك جائز على لسان الشيخ؛ قياسًا على الكذب لإصلاح ذات البين، أو على الزوجة التي لها ضرة، وقد احتاجت مرة للقمح، فذهب النقيب إبراهيم رحمه الله إلى بعض الكشاف، وقال له: قد طلب الكاشف فلان أن يرسل لنا الزاوية أمس ثمانين إردبًا من القمح، فقال سيدي الشيخ: لا تأخذوا منه شيئًا، فإنه بلغنا أنه يكره صاحبنا فلانًا، وذكر اسمكم، فلما سمع الكاشف الثاني بذلك أرسل لنا أربعين إردبًا سابقة في المحبة، والأجر لذلك الكاشف الأول، والحال أن الشيخ إبراهيم كان غير صادق في أن ذلك الكاشف طلب [أن][1] يرسل للزاوية شيئًا؛ إنما قصد بذلك تحريض الكاشف الثاني، والأعمال في مثل ذلك بالنيات، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ إذا رأى عند المجاورين مللاً من قراءة القرآن، والذكر،

---

(١) زيادة ولعلها سقطت من النسخة.

وغيرهما من الطاعات في أيام رمضان وغيره: أن يجلس معهم، ويقرأ ويذكر، أو يصلي، أو يسبح تقويةً لقلوبهم؛ فإن غالب فقراء هذا الزمان قد حجبوا عن شهود الحق تعالى في عباداتهم، وعن شهود الجزاء على ذلك بلا شك عادة، وفي الحديث: «عجبت من الجنة كيف ينام طالبها، وعجبت من النار كيف ينام هاربها»(١)، انتهى.

وقد فعلت أنا بهذا الخُلق مرارًا مع المجاورين، فأترك وردي الخاص بي في البيت، وأخرج إليهم أجلس معهم؛ محبةً في ذكرهم لربهم، وتلاوتهم لكلامه ﷻ، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقراء الزاوية: ألا يختار أحدهم وردًا غير ما اختاره له شيخه، ولو كان ذلك أفضل مما أمره به شيخه عند العلماء؛ فإن العلماء لم يلتزموا مع الفقير ما التزمه معه الأشياخ من كونهم لا يأمرون أحدًا بعمل إلا إن كان فيه ترقية، وإنما يأمرونه بالخير مطلقًا ولو كان مفضولاً؛ من حيث أصله، أو من حيث العلة الفادحة فيه، وكل فقير سلك هذا المسلك مع مرتبة؛ فإنه خير كثير.

وقد ابتليت ببعض جماعة في الزاوية؛ لم أزل آمر أحدهم بالأمر الذي فيه الترقي له، فيتركه ويشتغل بما تهواه نفسه، ويخادعني في ذلك، وهو خيانة في الصحبة، ولو أنه خرج بلسانه، وقال: أنا لا أدخل تحت مرتبتك؛ لكان أخف حالاً ممن يظهر لمرتبة أنه تحت طاعته باللسان ويخالفه بالفعل؛ ولذلك عدم غالب فقراء الزاوية الترقي بالأعمال التي ينفردون بها دون قراءة الورد، الذي جعله لهم شيخهم؛ كما إذا قام أحدهم في مجلس الذكر، أو نقيبًا ينبه الناس من النوم للذكر والقرآن، فليس له أن يترك الذكر للقرآن أو التنبيه، ويجلس يقرأ أو يذكر؛ وليعلم أن شيخه ما جعله

---

(١) رواه الطبراني بنحوه في الكبير (١٩/ ٢٠٠)، والأوسط (٤/ ٧٤)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١١٩).

نقيبًا إلا حيث لم ير عنده همة للعبادة، فأشغله بتنبيه الناس؛ ليحصل له الأجر كلما ذكر أحدًا وقرأ القرآن، ولو أن شيخه رأى عنده همة لمباشرة الذكر والقرآن، والدوام على ذلك لأشغله به، فعلم أن من خالف شيخه عدم النفع؛ فلا هو فعل ما أمره به شيخه، ولا هو قدر على الاشتغال بما اختاره لنفسه، وعندي من هذا النوع جماعة لهم عندي أكثر من عشرين سنة، وهم يخادعون، ويتركون ما أُفتيهم فيه؛ فلا هم سمعوا النصح، ولا هم ثبت لهم قدم في الأمر الذي اختاروه، ففاتهم العلم والذكر والحرفة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وينبغي لفقراء الزاوية: أن يتنبه أحدهم لنفسه، ولا يكلف شيخه كثرة التعب في تربيته؛ بل يكتفي منه بالإشارة، وقد قالوا: ما دام الفقير يرجح أعمال الدنيا من كسل وخمول وغفلة ولهو ولغو وأكل شهوات ونوم، فمربيه معه في غاية التعب؛ فلا يستريح مربيه من التعب فيه إلا إن خرق المريد ببصره إلى الدار الآخرة، ورأى محاسباتها وموازناتها، وصار يقدم أعمال الآخرة على الدنيا، فهناك يستريح معلمه من التعب، ويصير يعمل الأعمال الصالحة بلا [فتور]؛ فإن نام لا ينام إلا غلبة، وإن أكل لا يأكل إلا لضرورة، وإن تكلم فكذلك، وإن لبس ثيابًا فكذلك، وإن مسك الدنيا فكذلك، وهكذا في سائر أحواله؛ كما أنه إن خرج في حاجة فهو ذاكر في نفسه، أو قارئ، أو مسبح، أو متفكر ليلاً ونهارًا؛ بخلاف حال المحجوب عن الدار الآخرة؛ فإن مربيه لا يكاد يغفل عن مراعاته، وينبهه لحظة؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، ولا تحوجوا مربيكم إلى تعب في تقويم عوجكم، وقوله لكم أذكروا واقرءوا، أو خذوا، أو اذكروا، أو املئوا الميضأة، ونحو ذلك، وليقم كل شخص بالفرع الذي أقامه شيخه فيه؛ فإن نجاته من الهلاك والآفات التي تصيبه في بدنه في ذلك، والحمد لله

رب العالمين.

وينبغي لفقراء الزاوية: ألا يتركوا خيرًا يفعل إلا ولهم فيه نصيب من قراءة قرآن، وتسبيح، وذكر، وصلاة على رسول الله ﷺ، وإنصات للخطيب، وقراءة الأذكار التي بعد الصلوات الخمس ونحو ذلك، ويقبح على من يجاور في مسجد: أن يكون الواردون على المسجد من الحارات البعيدة يحصلون الخير دونه، وأقبح من كل قبيح تهاونهم بالوضوء، حتى يدخل الوقت، وتفوتهم تكبيرة الإحرام مع الإمام، فضلاً عن ركعة وأكثر، أو يصير خطيبهم يعظهم، وهم مشغولون عنه بحديث الدنيا مع بعضهم بعضًا؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وتنبهوا لنقص دينكم قبل أن تندموا، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لأرباب الشعائر: أن يكون الغالب على أحدهم مباشرتها؛ طلبًا لإقامة شعار الدين، ويحصل المعلوم على ذلك بحكم التبع لا بالقصد الأول، وأقبح من كل قبيح تعكيس المؤذن في مثل يوم الجمعة، أو ليالي رمضان مثلاً؛ طلبًا لشيء زائد يأخذه من الناظر، يعمل به موسمًا أو يكسوا به أولاده، ويركب عليه الناظر؛ فإن ذلك ممحقة للبركة لا يستر صاحبه، ولا يغني من جوع كما جرب، وربما كان الناظر من عباد الله الصالحين فدعا على ذلك الشخص بقلة البركة في عمره ورزقه، ففاته خير الدارين؛ فاعلموا ذلك، واطلبوا أيها الإخوان الدار الباقية التي عن قريب تنقلون إليها، دون الفانية التي عن قريب ترحلون عنها -وقد نصحتكم- والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لشيخ الزاوية وجميع الذين لا يعرف لهم وارث؛ لبعد بلاده مثلاً كالهنود والمغاربة والعجم ألا يتساهلوا في التصرف في شيء مما خلفه؛ بل يرسلونه

لناظر بيت المال، ولو كان سواكًا أو نعلاً أو خلقة بالية، ولا يقل أحدهم: نأخذ ذلك، ونقرأ له الفاتحة مثلاً؛ لأن ذلك معدود عند أهل الورع من الغلول، فقد ورد في الكتاب والسنة ما شهد لذلك في نحو قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٧) وسمى رسول الله ﷺ من أخذ من الغنيمة مخيطًا؛ أي: إبرة، أو مسلة من غير علم أمير الجيش: غالاً، ومعلوم أن الغلول حرام؛ فإياكم أيها الإخوان أن تتساهلوا في مثل ذلك، فتشغلوا ذمتكم بشيء ليس تحته طائل، وليس معكم إذن من السلطان بالتصرف فيه، ومن فوائد ذلك: أن يعلم ناظر بيت المال بإرسال نحو المخيط، أو الصحن له شدة وريبكم، ويصير يقبل قولكم بعد ذلك فيمن مات عندكم من الأغراب؛ بخلاف ما إذا فعلتم بالعكس، وغمزه أحد عليكم، وربما تساهل أحدكم في جبته وعمامته البالية فيرقى من ذلك إلى ما هو أنفس منه، وكتمه عن ناظر بيت المال؛ فأرسلوا وراءكم، وأسمعوكم الكلام في حقكم، وقد نصحتكم؛ فاعلموا ذلك واعملوا به، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقراء الزاوية: ألا يتلفت أحدهم إلى ثياب الزينة في مثل يوم العيد ويوم الجمعة؛ فإنه ما جاء إلى الزاوية إلا للعبادة، واكتساب الفضائل الأخروية، وتنظيف قلبه من الرذائل والشهوات، وأما طلب النفس لثياب أبناء الدنيا وغيرها؛ فلم يكن الدخول إلى الزاوية يثبتها، وفي كلام الجنيد ﷺ: أحسن ثياب الفقير، وأكثرها نورًا ما طرح عليه الرقعات في يوم العيد ويوم الجمعة، وكذلك ورد في الحديث: «من ترك زينة الدنيا، وهو يقدر عليه خيره الله تعالى يوم القيامة في أي حلل الجنة شاء يلبسها»[1]، انتهى.

---

(١) رواه أبو داود (٤/ ٢٤٨)، والترمذي (٤/ ٦٥٠)، وأحمد (٣/ ٤٣٨).

فاعلموا ذلك أيها المجاورون، ولا تنظرا إلى لباس من أبناء الدنيا في يوم العيد وغيره؛ فإن أحدهم ما حصَّله إلا بتسويد باطنه، ونقص زهده وورعه، وعن قريب يكسوكم الله تعالى من حلل الجنة ما شئتم، وقد نصحتكم فاقبلوا نصحي حتى يوسع الله عليكم من الحلال الذي يأتي بلا سؤال، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للفقير إذا أعطاه الجابي جامكية وظيفة: أن يحسب جميع الأيام أو الساعات التي أخل فيها بالعمل، ويردها على الوقف؛ فإنه لم يباشر بنفسه ولا بوكيله، ولو قدر أن الجابي والناظر طابت نفوسهما يصرف كمال تلك الجامكية، فليس ذلك حجة لصاحب الوظيفة في إباحة القبول؛ فإن الحق في ذلك للواقف لا لهما، هذا ما أدركنا الفقراء عليه أوائل النصف الأول من القرن العاشر، وعكس ما عليه فقراء هذا الزمان؛ بل بعضهم خاصم الجابي والناظر إذا لم يصرف له مدة تعكيسه في مباشرة الوظيفة؛ لغيبه في سفر أو لكسل، وهو خروج عن قواعد الشرع وعن الورع، وكذلك من ورع صاحب الوظيفة إذا استناب فيها شخصًا أن يعطيه المعلوم كاملاً، ولا يشاركه فيه بالنصف أو الثلث مثلاً؛ لأن المعلوم إنما هو لمن عمل إلا أن يشرط الواقف غير ذلك، فيتبع ذلك الشرط.

وقد فعلت بهذا الخلق في وظائفي بمدرسة أم خوند من حين كتبوها باسمي، فأعطيت معلومها كله للنائب إلى وقتي هذا، وذلك نحو سبع وثلاثين سنة؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واعملوا عليه، واطلبوا التنزه في الدنيا من باب فضل الله مطلقًا، ولا تقيدوا ذلك بمعلوم وظيفة، وتخاصموا على معلومها وتقولوا: هذا حقنا، فإنه ولو كان حقكم فلكم ترك نورها، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للذَّاكرين الله تعالى في الزاوية: ألا يكتفي أحدهم بمجلس الذكر مع

الناس صباحًا ومساءً، بل يزيد على ما استطاع؛ لاسيما أوقات غفلة الناس عن الذكر: وقت الضحى، وبعد صلاة الظهر أو العصر أو المغرب؛ فإن ذاكر الله في الغافلين؛ كالشجرة الرطبة في الحطب اليابس كما ورد، مع مضاعفة الأجر الحاصل لهذا الذاكر، وكثرة نزول الإمداد الإلهي عليه؛ فكأنه يأخذ جميع الأمداد التي كانت تنزل على جميع أهل الزاوية وتلك الحارة لو كانوا ذكروا الله في مجلس.

وقد شاهدت الولد علي البهوتي، والولد أحمد البحيري(1)، وغيرهما إذا ذكر أحد ربه في وقت الضحى وبعد الظهر مثلاً؛ كأنه جالس الله تعالى وحدة في حضرة خاصة، وصار الإمداد يأتيه من جهاته الست، فالله يلهم جميع أصحابي أن يفعلوا مثل ذلك؛ ليفوزوا بنعيم الدارين، وقد تقدم أنه ما ثمَّ مقام يطلب في الدنيا والآخرة أعظم، ولا أضخم، ولا أفخر من مجالسة الله تعالى في ذكره أبدًا.

فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واستغنموا عمركم في الخير؛ فعن قريب يأتي أحدكم الموت على غفلة، فيندم حيث لا ينفعه الندم، وسيأتي في هذا الباب: أن الله تعالى أعطاني مقام الغيرة على ذكر الله ﷻ، وأنه من ترك ذكر الله لا يصير بيني وبينه علاقة في المحبة، ولا مقدار شعرة واحدة، فالله تعالى يمن علي بذلك إلى الممات عملاً بقوله تعالى: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا ﴾ (النجم: ٢٩) والحمد لله رب العالمين.

---

(١) هو الشيخ العلامة المفنن السالك الشاعر المعمر شهاب الدين أحمد البحيري المصري المالكي. حفظ القرآن العظيم، وسلك في شبوبيته على الشيخ العالم الزاهد الناسك أبي العباس المرسي مريد الشيخ الملك محمد الحنفي الشاذلي، وأخذ الشيخ مدين، واستقل في العلم، وأمعن في العربية ولاسيما التصريف، وألف فيه شرحا جيداً على المراح، وكتب بخطه كثيرًا، ومما كتب شرح مسلم للآبي، وأخذ الفقه عن الشيخ يحيى العلمي، وله نظم جيد وألغاز، وكان قانعاً متقللاً، وتزوج وهو شاب، ثم تجرد، وتوفي خامس شوال سنة تسع وعشرين وتسعمائة رحمه الله تعالى. [الكواكب السائرة ١/ ٩٦].

وينبغي للفقراء إذا دخلوا في مجلس الذكر: ألا يفتح أحدهم عينه من حين يفتح المجلس إلى أن يختمه؛ وذلك ليجمع قلبه على حضرة ربه ويزول عنه التشتت، ولاسيما إن كان في المجلس أحد من أصحاب الصور الحسان، فربما لمح البصر تلك الصورة، فاشتغل بها عن مناجاة ربه ﷻ، وحجب عن شهوده، وربما تحركت بشرته في حال حجابه؛ بسبب رؤية تلك الصورة الجميلة، واشتهى تقبيلها مثلاً فمقته الله تعالى؛ كما وقع لبعض الإخوان، وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب «قواعد الصوفية»، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقراء الزاوية: ألا يغفلوا عن تأليف الناس من أهل الحارة؛ لحضور مجلس الذكر الذي في الزاوية ليحصل لهم الخير، لاسيما من كان شريرًا في الحارة، فلعل ببركة مجالسته مع الفقراء يرق قلبه، ويقل شره؛ فيكفي الناس أذاه.

ولا ينبغي للفقراء: أن يحوجوا شيخهم إلى تأليف أهل الحارة إلى حضور مجالس الذكر؛ لأن في ذلك إهانة للطريق، لحملهم على أنه ما يدعوهم إلا للتمشيخ عليهم، وطريق الفقراء في تأليف أهل الشر من الحارة أن يقولوا له: إن سيدي الشيخ يحبكم كثيرًا وسمعناه مرارًا يقول: أود فلان وفلان ألا أذكر مجلسًا ولا أفعل خيرًا إلا وهم شركائي في ذلك؛ لنبعث يوم القيامة نحن وإياهم سواء، فلعل أحدهم ينشرح لحضور مجلس الذكر ولو مرة، فإذا حضر فربما ذاق الخير الذي هو فيه، فيصير هو يحب الخير من ذات نفسه، وفي الحديث: «من دلَّ على خير، فله مثل أجر فاعله»(١).

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي ؒ يقول: لا لوم على أهل حارتكم في عدم حضورهم معكم في أورادكم؛ إلا بعد أن تدعوهم إلى ذلك مرات، وترغبوهم فيه؛

(١) رواه مسلم (٣/ ١٥٠٦)، وأبو داود (٤/ ٣٣٣)، والترمذي (٥/ ٤١).

وإلا فمن كان بينه وبين الخير سبعون ألف حجاب، فربما كان معذورًا في تركه الحضور معكم، انتهى.

فبالله عليكم أيها الإخوان لا تغفلوا عن تأليف إخوانكم من أهل الحارة، وليعين كل واحد منكم نفسه لواحد منكم؛ ليكتب أجر كل من يجلبه من غير أن ينقص من أجره شيء، وليكن الداعي لكم إلى ذلك محبةً مجالسة إخوانكم لربهم ﷻ، لا شيئًا من الأغراض النفسانية، ولو طلب الثواب؛ خوفًا أن تكتبوا في ديوان العبد السوء الذي يطلب على خدمة سيده أجرًا، مع رجوع منفعتها إليه لا إلى سيده، إن الله لغني عن العالمين، وفي بعض الكتب الإلهية يقول الله ﷻ: «ومن أظلم ممن عبدني طلبًا للجنة أو خوفًا من النار، لو لم أخلق جنة ولا نارًا لم أكن أهلاً لأن أطاع» - انتهى- والحمد لله رب العالمين.

ينبغي للنقيب: أن يتفقد أطفال الزاوية في أوقات اللهو، واللعب الحاصل في البلد؛ كيوم خروج المحمل، ويوم عيد الفطر، ويوم عيد النحر؛ فيمنعهم من الخروج في ذلك اليوم، وإن شاء خرج معهم ودام مع أحدهم، حتى رجع وفاءً بحق التربية؛ لاسيما إن كان أحدهم في كفالة الحق - جل وعلا- كاليتيم الجميل الصورة؛ فإن خروج النقيب أو أحد من الفقراء الثقات معه متعين، وقد فسد من الخروج عندنا عدة أطفال، وبعضهم صار يشرب البوظة، ويدخل على بنات الخطأ كما أخبرني عن نفسه، وإذا خرج النقيب أو أحد من الثقات مع الأطفال؛ فليحذر من أن يسمح لأحدهم بلعب النرد أو البندق أو غير ذلك من القمار؛ وإنما يريه ذلك بالعين ويقول له: إن ذلك حرام، ويقبحه في عين الطفل أشد القبح، ويحذر من الركون إلى أحد من العُيَّاق، أن يقبل منه فلوسًا، أو حلاوة، أو طعامًا؛ فإنه ربما فعل ذلك مع الطفل

ليصطاده به، ويصير يستحيي منه أن يخالفه إذا قال له: اذهب بنا إلى الموضع الفلاني مما فيه ريبة، ولا يدرك الطفل بعقله ما عزم ذلك العائق على فعله من الفجور؛ فالله...الله أيها الفقراء، وألقوا بالكم إلى أطفالكم الذين يخدمونكم، ويقرءون عليكم، وقوموا بنصحهم جهدكم، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقراء الزاوية: أن يفدوا ثياب مشايخهم بثيابهم، إذا جاء سائل يطلب منه عمامته أو جبته مثلاً؛ فإنه ما كل لباس يصلح للشيخ في الحل والزي، فإذا أعطى السائل ما طلب من ثيابه، فربما لا يجد شيئًا عليه يلبسه تلك الأيام، وقد ظفرت طول عمري بثلاثة من الأصحاب يفدون ثيابي دائمًا بثيابهم في الحضر والسفر، وهم: الشيخ إبراهيم السندبسطي ﷺ والولد محمد بن أخت الشيخ خضر، والولد عليّ التلباني؛ فما جاءني سائل يطلب جُبَّتي، أو قلنسوتي، أو عمامتي مثلاً إلا وأعطوه ما طلب من ثيابهم، من غير توقف ولا إشارة مني، ولم يفعل مثل ذلك معي إلا القليل؛ فأسأل الله من فضله أن يرحم الشيخ إبراهيم، وأن يسبغ عليهما نعمة الدنيا والآخرة، وأن يلطف بهما في الشدائد حتى يجاوزا الصراط، وأن يمنَّ على بقية الإخوان بمثل ما منَّ عليهما من السخاء بثيابهما من غير تطلع إلى رؤية عوض على ذلك في الدارين -آمين اللهم آمين- والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقراء الزاوية: أن يخصوا أصحاب شيخهم الصادقين بعد موته، بزيادة المحبة والود وفاءً بحق شيخهم؛ فإنه والدهم في التربية، وقد كان عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- يقول: من بر الوالدين بعد موتهما الإحسان إلى أصدقائهما من بعدهما، ورواه بعضهم مرفوعًا، وروي: أن عبد الله بن عمر رأى شيخًا من الأعراب قد طعن في السن، فنزع ثوبه وعمامته، وكساهما له، فقيل له: رحمك الله إنهم

الأعراب، وهم يرضون منك بدون ذلك، فقال: إن هذا كان ودًّا لعمر، وإن من البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه، انتهى.

فأوصيكم أيها الإخوان بود أصدقائي من بعدي؛ كسيدي شرف الدين بن الأثير، وسيدي محمد الحنفي، وسيدي أبي الفضل صهره، وسيدي زين العابدين خُوُلي سَواقي عُجْرُود(١)، ونخل سواقي القلعة، وسيدي زين العابدين سبط سيدي علي المرصفي، وولد خالته سيدي علي، وسيدي جلال الدين التاجر بخان الخليلي، وسيدي محمد بن الموفق، وسيدي محمد العبادي، وأخيه سيدي يحيى، وسيدي علي بن الأمير أزبك، وسيدي محمد ابن الأمير، وسيدي شرف الدين بن الأمير الخطيب، والشيخ حسن الطريني، والشيخ عامر الطريني، والشيخ شمس الدين الطنيخي، وجماعة ذكرناهم في كتاب: «المفاخر والمآثر في مناقب أهل القرن العاشر»، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لنقيب الشيخ في الزاوية: أن يكون حاذقًا عارفًا بأحكام الورع، وله إشراف على مقام ورع الشيخ وغيرةٌ على دينه، فإذا أرسله بدراهم إلى السوق؛ ليشتري له بها طعامًا مثلاً، فلقيه شخص من المتعبدين في الشيخ، وقال له: أعطني هذه الدراهم أتبرك بها، وخذ هذه الدراهم فاشتر للشيخ بها حاجته، فليس له أن يعطي تلك الدراهم لذلك الشخص، ويشتري للشيخ بدراهم غير دراهمه؛ لأنه ما كل دراهم يصلح أن يشترى بها حاجة الشيخ، وقد تكون دراهم ذلك المعتقد فيها شبهة ما، أو هي دون دراهم الشيخ في الحل، وكل نقيب فعل مثل ذلك، فقد خان أمانته وشيخه.

---

(١) من مَناهِلِ الحجّ المِصْرِيّ فيه ماءٌ خَبِيثٌ وسَكَنَتْهُ بَنُو عَطِيَّةَ. [تاج العروس (١/ ٢١٠٦)].

وقد أرسلت مرة الولد علي البهوتي يشتري لي بطيخة بدراهم أعطيتها له؛ فأخذ دراهمي، واشتري لي بطيخة من ثمن غزل، فرددتها عليه ولم آكل منها شيئًا، وقلت له: كيف آكل من كسب امرأة عجوز تستحق الصدقة، فقال إنها ملَّكت ذلك لي وأنا ولدها؛ فقلت له: إذا كنت أنت عديم المروءة تأكل من كسب أمك، فكيف تطلب مني النزول إلى مقامك في دناءة المروءة؟ فليعلم ذلك جميع نقب الأشياخ، ولا يشتروا لشيخهم إلا بعين دراهمه، وإن طلعت مغشوشة توقف عن شراء تلك الحاجة، حتى يراجع الشيخ في الدراهم التي يشتري بها، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: أن يحذر المجاورين من تحمل شهادة؛ لاسيما إن كان أحدهم ساذجًا، أو قليل الضبط واليقظة؛ فإنه ربما نسي الشهادة، وشك فيها عند التأدية عند الحاكم، فنسب إلى الزور إن شهد، أو ضيع أموال الناس؛ لاسيما فيما يتعلق بالإبضاع والفسخ على الغائبين، وأموال الأيتام والقاصرين.

وكان سيدي عليٌّ الخواص ﷺ يقول: لا ينبغي لفقير أن يتحمل شهادة إلا إن تعمدت عليه شرعًا، وإن وقع أن أحدًا من الموسوسين الذين لا يعتقدون شهود المحلة عقد عند شهود المحكمة، ثم جاءهم يجدد العقد عندهم، وقال لهم: أنا ما اعتقد إلا شهادة مثلكم، فمن العقل رده وعدم تحمل الشهادة؛ خوفًا أن يكون فيها مكيدة يخفيها عن الفقراء.

وقد منعت جماعة من إخواني عن تحمل الشهادة مطلقًا؛ لكثرة سذاجتهم، وعدم حرجهم كالشيخ محمد المنوفي ملأ الميضاة، كان والشيخ شهاب الدين المنشاوي الإمام بالزاوية، والشيخ علي السرسي المؤذن وأمثالهم؛ رحمةً بهم وبالناس حين رأيت منهما دخول الحيلة على عقولهم، فما وقع للشيخ محمد المنوفي أنني سألته

في خامس شهر شوال: كم مضى في الشهر يوم؟ فقال: خمسة عشر يومًا، فقلت له: بالعجل؟ فقال: لا تأخذ علي؛ فإن ذهني سبق إلى إنك تسألني عن الشهر الماضي، انتهى.

فقلت له: وهل مضى في الشهر الماضي خمسة عشر يومًا فقط؟ قال: نعم، وحمل يومًا خشبة، وركب الحمارة، وقال: إنما فعلت ذلك شفقة على الحمارة، وحج معنا فقيل له في العقبة: إن حملت هذا الحجر مكثت زوجتك بلا ولادة حتى ترجع؛ فحمل الحجر على رأسه، وعزم على أنه لا يضعه، حتى يرجع من الحجاز، وقال: أخاف أن تعمل عصيدة وأنا مسافر، ولا تخلي لي منها شيئًا.

وأما الشيخ شهاب الدين المنشاوي فإن بعض المجاورين قال له: يا سيدي وجهك أصفر، ولعلك ضعيف؛ وهو جالس يقرئ الأطفال، فقال للأطفال: هل أنا ضعيف؟ فقالوا له: نعم وجهك أصفر، فأرسل لعياله في البيت أن ترسل له مخدة وعصابة، فأرسلتها له، فتعصب واضطجع، وصار يقول: آه...آه...آه، فأخبروني بذلك، فخرجت وقلت: لعله نزل عليه حادر، فوجدته على ذلك الحال، فقلت له: أي شيء يوجعك؟ فقال: ما أحس بشيء يوجعني، ولكن فلان هو والصغار كلهم قالوا لي: وجهك أصفر وأنت ضعيف، فقلت لعقلي: إن هؤلاء كلهم ما يكذبون، انتهى.

فمن تلك الواقعة منعتها عن تحمل الشهادة مطلقًا، وقلت للناس؛ الذين كان عادتها أن يستشهدوهما من حمل هذين شهادة؛ فهو ظالم.

وكذلك منعت أصحابي من أن يسعوا في فسخ نكاح أحد من الغائبين؛ لاسيما جند السلطان الذين يرسلهم إلى الأماكن البعيدة في الغزوات وغيرها، فربما غاب

أحد من العسكر؛ ثم جاء فوجد زوجته قد فسخت عليه؛ فعبث بالشهود، وضرب أحدهم ضربًا مؤلمًا، أو قتله بالكلية، وقد يكون ذلك الغائب أيضًا صاحب خال، أو مستند إلى أحد من أصحاب النوبة؛ فيقتله أو يمرضه بالحال -بإذن الله تعالى- ثم الداهية العُظمى: أن تكون تلك المرأة التي فسخوا نكاحها قد تزوجها شخص من الزاوية؛ فإن البلاء يعظم بذلك، ومن شكَّ فليجرب.

ويلحق بصاحب الحال الذي غاب عن زوجته: قطاع الطريق من العرب والعياق، فربما كان من تزوج زوجتهم المذكورة؛ فإن القتل عندهم بسبب ذلك أهون ما يكون، وقد كان الأخ ناصر الدين السندبسطى قد عزم على الشهادة على شخص من عرب محارب، غاب عن زوجته عندنا نحو خمس سنين: بأنه لم يرسل لها نفقة ولا كسوة، وطلب أهلها منه الشهادة؛ ليفسخوا على البدوي، فقلت له: يا ناصر الدين إنك تنزل البلاد لأجل الخراج، وربما قالوا للبدوي: إن هذا هو الذي شهد عليك، حتى فسخوا نكاح زوجتك، فطعنك بالحربة فخرجت منك، ولا يؤخذ لك بثأر فامتنع؛ فالحذر أيها الإخوان من دخولكم في الشهادة، ثم الحذر إلا بطريق شرعي واضح كالشمس، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: أن يعظ المجاورين على حسب كثرة ذكرهم لله تعالى، واستنادهم إليه دون خلقه، بكل من كان أكثر ذكرًا، أو استنادًا إلى الله تعالى أحبه أكثر، وافتقده بالأكل معه أكثر إجلالاً لله ﷻ؛ وليكن على علم شيخ الزاوية أنه ما أجل أحد ربه بالغيب إلا أجله الله في الملأ بين عباده: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (التوبة: ١٢٠) وقد منَّ الله تعالى علي بالعمل بهذا الخلق، فليس أحد أحب إليَّ ممن أراه يذكر ربه أكثر؛ لاسيما في أوقات الغفلات عن الذكر؛ كوقت الضحى

الأعلى، وكالوقت الذي بين الظهر والعصر، وكبعد العصر والمغرب؛ فإذا رأيت ذاكرًا لله تعالى في هذه الأوقات، أود أني لو شققت قلبي، وجعلته فيه بجسمه؛ تبعًا لحبه الذي وضعته له في قلبي قال تعالى: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ (البقرة: ٩٣) المراد أشربوا حب العجل لا جسد العجل؛ فهو على حذف مضاف، ولكن لما كان للتحقق من المحبة للأجسام هو الميل لصاحبها، اكتفى الناس بحصول المعنى غالبًا؛ فافهم.

وسمعت سيدي عليًا المرصفي ﷺيقول: من الواجب على شيخ الزاوية ترجيح الذاكرين في الزاوية على غيرهم، وألا يأكل شيئًا إلا ويشركهم معه فيه؛ إجلالاً لله ﷻ لمجالستهم له في ذكرهم، انتهى.

فينبغي لكل شيخ: أن يفعل ذلك إلا أن يكون ذلك الذاكر في مقام المجاهدة والرياضة؛ فإن الطعام اللذيذ ربما ضره ونقص به رأس ماله، فبهذه النية يا أخي أترك شركتهم معك في الأكل، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: أن يذكر مع الفقراء قائمًا إذا قاموا، ولا يجلس إلا بإذن من أصحاب الحضرة الإلهية؛ فإن الغالب عليهم الذكر وهم جالسون؛ كما تقدم تقريره، فإذا استدعاه جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، أو سيد المرسلين، أو السيد إبراهيم الخليل، أو القطب، أو الأوتاد إلى الجلوس؛ فمن الأدب امتثال أمره، ويكون ذلك مقدمًا على القيام؛ تنهيضًا لهمة المجاورين، وهذا سبب جلوسي في بعض الأوقات، حال قيام المجاورين في مجلس الذكر في مكان جلوسي قبل قيامهم ،أو داخل حلقتهم إن لم يكن بي وجع، فاستشعر استدعاء بعض أكابر الحضرة الجالسين خارج حلقة

الذاكرين، حال وقوفهم إلى أني أذكر مع الفقراء جالسًا، فامتثل إشارتهم، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: أن يعمل على تحصيل مقام الاطلاع على عمل أصحابه القبول، وعملهم المردود إذا كان يفرق عليهم حلاوة، أو حمصًا، أو زبيبًا إذا غلب على أحدهم النعاس؛ وذلك ليكون على يقين من حصول الأجر لصاحب تلك الحلاوة، أو من يكون عمله مردودًا عليه؛ إما لمخالطته بالرياء والنفاق والعجب، فلا ينبغي للشيخ أن يطعمه شيئًا من ذلك؛ لعدم الفائدة لصاحب الحلاوة، فهو كمن يطعم أحدًا عيشًا من غير حاجة، وهذا أدب دقيق قل من يتنبه له من الأشياخ الذين يسهرون الليل كله؛ كجماعة سيدي الشيخ نور الدين الشوني ونحوهم، فربما أطعم أحدهم من كان عمله مردودًا، فيخالف غرض صاحب تلك الحلاوة من مساعدته على حصول الأجر؛ ليكتب له الأجر نظيره، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واعملوا به إذا عمل أحدكم شيخ مجلس، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: ألا يغفل عن تشجيع الفقراء الكسالى بالذكر أمامهم، والقيام في الذكر، إذا كان أحدهم يذكر جالسًا وهو ينعس، ويأمر بالذكر من ليس له عادة بكثرته؛ ليقول الكسلان، ولو في نفسه: انظري إلى ذكر فلان، وكيف صار أعلى همة في ذكره منك، فيصير يذكر الله تعالى مثله، بخلاف ذكر من له عادة بكثرة الذكر؛ فإنه ربما لم ينهض له همة أحد من الكُسالى؛ لكون ذلك صار عادة له عندهم، فلا يستغربونه ولا يحرك همتهم.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: ما دام الفقراء يطرقهم الكسل عن الخيرات؛ فشيخهم معهم في تعب عظيم، ومتى غفل عنهم تركوا العبادة، ولم يلتفتوا

على حاجاتهم من مناجاة ربهم ومجالسته؛ بخلاف ما إذا كان لأحدهم مذكر من نفسه، ومنخاسة منه؛ فإن شيخه يستريح من التعب فيه.

وسمعته يقول أيضًا: ما دام الفقير مخلطًا في أحواله: يطيع تارة، ويعصي أخرى؛ ويتورع تارة، ويقع في الشبهات أخرى؛ ويقبل على ربه تارة، ويدبر أخرى؛ فجهاد معلمه له واجب، ومحاربته واجبة، وقد قال لي مرة فقير: إن مخالفتنا لك يحصّل لك منها الأجر أكثر، فقلت: كيف؟ فقال: بصبرك على تربيتنا، فقلت له: هذا من تلقين إبليس لك؛ بل حصول الأجر للداعي إلى خير؛ إذا عمل المدعوون به أفضل، وأتم من أجر الصبر عليهم إذا خالفوا؛ فإياكم أيها الإخوان من تلبيس الشيطان عليكم، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للنقيب: أن يمنع أطفال الزاوية وغيرهم إذا خالفوا من النوم بلا غطاء في ليالي الصيف، فينزل على أبدانهم الطل آخر الليل؛ فتثقل أجسامهم، ويخدل عظامهم حتى يكون أثقل ما على أحدهم من يأمره بالقيام؛ لصلاة الصبح وقراءة الورد، وبعضهم يحسب حساب تنبيه النقيب له فيغير مكان مرقده؛ حتى لا يعرف النقيب مكانه، فإما يطلع منارة المسجد، وإما يخرج لمسجد آخر قريب ينام فيه؛ حتى لا ينبهه أحد، وإن كان له خلوة أغلق بابها عليه؛ فلينتبه النقيب ومن يريد الخير من المجاورين لمثل ذلك، وينام بالغطاء أو تحت سقف -«والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»- والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ والنقيب وكبراء الزاوية: أن يمنعوا الشباب من تعلم الدقاف[1]، ورمي النشاب إلا على يد معلم يخشى الله ﷻ؛ لئلا يجرهم إبليس من

(١) انظر: الضوء اللامع (١/ ٢٤٩)، والعهود المحمدية للمصنف (ص١٨١).

ذلك إلى الفساد، وعشرة العياق الذين لا يتقيدون على حدود الشرع، فيخرج أحدهم عن مراسم الفقهاء والفقراء إلى طريقة الذعر والعياق؛ فإياكم أيها الشباب من مثل ذلك، ثم إياكم، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لمن تعكس وظيفته من جميع المستحقين بالزاوية: ألا يقل حياءه على الجابي والناظر، أو كان الغيبة إذا ضبطوا عليه أوقات البطالة، وأسقطوا قدرها من جامكيته؛ بل يخضع لهم، ويشكر فضلهم على مناقشته في تخليص ذمته من أخذ ما لا يستحقه شرعًا، ولا يجوز له أن يعكس، ويكابر من ضبط عليه عنادًا وفسقًا، أو يقول لأحدهم: كذبت علي؛ فإن في ضمن ذلك تكذيبًا للملائكة الكرام الكاتبين المعصومين من الكذب، سلمنا أنه يكذب جنسه من البشر جحدًا وعنادًا، فماذا يفعل برسل الله تعالى الذين وصفهم الله تعالى بأنهم يعلمون عليه؛ كما يفعل لا يغادرون صغيرة ولا كبيرة إلا أحصوها عليه، حتى أنهم يكذبون الكذبة كذبته؛ كما ورد في الحديث(١).

وبالجملة فلا يقع في مخاصمة من ينهه على نقصه في دينه، إلا كل من طرده الله تعالى عن طريق الشريعة والحقيقة؛ فاعلموا ذلك أيها المستحقون، وإذا غاب أحدكم أو كسل؛ فليستنيب من يسد مكانه، ولا ينبغي أن يرضي من يؤذن عنه، احتسابًا من

---

(١) نصه: «عَنْ سَعْدِ بن جُنَادَةَ، قَالَ: لَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ، نَزَلْنَا قَفْرًا مِنَ الأَرْضِ، لَيْسَ فِيهِ شَيءٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: اجْمَعُوا ، مَنْ وَجَدَ عُودًا فَلْيَأْتِ بِهِ، وَمَنْ وَجَدَ عَظْمًا أَوْ شَيْئًا فَلْيَأْتِ بِهِ قَالَ: فَمَا كَانَ إِلا سَاعَةً حَتَّى جَعَلْنَاهُ رُكَامًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَتَرَوْنَ هَذَا، فَكَذَلِكَ تَجْتَمِعُ الذُّنُوبُ عَلَى الرَّجُلِ مِنْكُمْ كَمَا جَمَعْتُمْ هَذَا، فَلْيَتَّقِ اللهَ رَجُلٌ، فَلا يُذْنِبْ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً، فَإِنَّهَا مُحْصَاةٌ عَلَيْهِ». أخرجه الطبراني (٦/ ٥٢ ، رقم ٥٤٨٥).

أطفال الزاوية أو غيرهم؛ لأن ذلك رضا ينقص الدين، وهو لا يجوز فللناظر عزله، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقراء الزاوية إذا مدح أحد رسول الله ﷺ أو الرب -جل وعلا- أن يستحضر أحدهم أنه في حضرة الله تعالى ورسوله، والله تعالى أو رسوله يسمع ما يقوله ناظم ذلك المدح، أو المنشد له فيه، ولا ينبغي لأحد منهم أن يسامح قلبه بالخروج من حضرة الله ﷻ بمجرد ما يفرغ الذكر؛ بل يداوم على الحضور، واستشعار نظر الحق تعالى إليه لحظة؛ فإن أنشد أحد شيئًا من كلام القوم فذاك، وإلا استأذن ربه ثم انصرف؛ قياسًا على ما ورد في السلام على من كان في مجلسهم، ثم قام عنهم؛ فإن رسول الله ﷺ قال: «إذا قام أحدكم من مجلس فانصرف؛ فليسلم على القوم؛ فليست الأولى بأحق من الآخرة»(١)، انتهى.

وقد أنشد الشيخ محمد الترساوي قصيدة الشيخ محمد بن أحمد بن المهلهل الفيومي؛ الذي جعلها على حرف الدال بعدها ألف، وجعلها كلها استعارات على أبوب النحو: من باب التعريف إلى باب الإدغام، وهي قصيدة ما سمعنا بمثلها طول عمرنا؛ فرأيت في الوقعة حال إنشادها أنني عند رأس رسول الله ﷺ، وسمعته يقول لأبي بكر وعمر: اذهبا فاسمعا محمد الترساوي، وهو ينشد ما مدحني به ابن المهلهل؛ فإنه ليس على وجهِ الآن أحد يمدحني بمثلها، فجاء أبو بكر وعمر فجلسا على يساري في المجلس، حتى فرغ المنشد منها؛ فحصل لأهل المجلس بكاء حتى تناحبوا، وكان وقتًا مشهودًا بين أرباب القلوب من أهل المجلس؛ فاعلموا ذلك أيها

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٣٤٢)، والترمذي (٥/ ٦٢)، وأحمد (٢/ ٤٣٩)، والطبراني في الصغير (١/ ٢٣٠) جميعهم بنحوه.

الإخوان، وإن لم تصغوا فتصاغوا؛ قياسًا على قول عبد الله بن عمر: فإن لم تبكوا فتباكوا، وقيل: إنه مرفوع، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: ألا يغفل هو والنقيب وكبراء الزاوية عن نصح المجاور الذي غير وبدل ما كان عليه من الضبط والمكث في الزاوية، وعدم الغيبة عن حضور جماعاتها وأورداها، وصار يعاشر أبناء الدنيا ويكثر من مخالطتهم؛ لأن أحوج ما يكون إليك أخوك إذا عثرت دابته، أو أصابته مصيبة في دينه أو دنياه، وانعوج بها عن طريق الاستقامة، ويحذر الفقراء من اتباع مثل هذا فيما فعل، أو يخيرهم في المجاورة وعدمها، وإلا فربما أتلفوا ضعفاء الفقراء؛ الذين قصروا بصرهم على أمور الدنيا دون الآخرة.

وينبغي للشيخ: أن يقصد بالتحذير من فعل ذلك الفقير الذي غير وبدل حمايةً من تبعة الذي تبعه في ترك صلاة الجماعة، وعدم قراءة الأوراد، والاشتغال بالعلم، والقرآن، وغير ذلك من خدمة الفقراء؛ خوفًا عليه أن يكتب من جملة من أضل الناس، لا بغضًا فيه وتشفيًا للنفس.

سمعت سيدي عليًّا المرصفي ﵀ يقول: **لا ينبغي لشيخ الزاوية**: أن يصرف لمن غير وبدل شيئًا من خبز الزاوية وطعامها؛ إلا إذا أمن على جماعة المجاورين من التشبه به في الخروج عن الطاعة، مع صرف الخبز والطعام الموقوف على المجاورين؛ فإن خاف على المجاورين من اتباعه على ذلك، فليشاورهم، ويقطع خبزهم، أو يطعمه من مال نفسه دون مال الوقف، انتهى.

وقد فعلت أنا مثل ذلك مع بعض من خرج عن سياج المجاورين، وأصرفت

له الخبز من قمح زراعتي لا من خبز الوقف؛ وفاءً بحق الصحبة السابقة قبل التغيير والتبديل، فإني أعلم من الواقف ﷬ أنه لو رأى أحدًا من المجاورين خرج عن السياج الذي عليه الفقراء لم يمكنه من المجاورة، ولم يصرف له شيئًا من الخبز والطعام والكسوة، فكان من الواجب على من يكون ناظرًا بعده على الزاوية: ألا يفعل إلا ما فيه توفير الأجر على الواقف، ومن أطعم من واقفه من علم أنه لو كان في حياته لما صرف له طعامًا، فقد خان غرض الواقف، وقد صار الفقراء اليوم لا يتشبهون إلا بمن قل حياءه وأدبه في الزاوية؛ فإذا صرف الناظر الخبز لمن خرج عن طاعته، قالوا: إن فلانًا قد خرج عن الطاعة، وما فعل الشيخ فيه شيئًا، بل خبزه وطعامه مصروفًا له إلى الآن؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، ونزهوا نفوسكم عن الرذائل، وعن مخالفة من حبكم، حتى تفارقوه على رضائه عليكم، وقد خرجوا فوجدوا كل من فارق شيخه على غير رضًا منه لا يفلح بعده أبدًا، وربما استحكم فيه المقت؛ فلم ينفع بعد شيخه في أعمال الدنيا ولا أعمال الآخرة، نسأل الله العافية.

وينبغي لفقراء الزاوية: أن يغادروا كل من غير وبدل ما كان فيه من الخير بالشر والبطالة؛ لأنه صار محجوبًا عن طريق الخير التي كان فيها حتى يتطلبها، وليحذر أحدهم من رؤية نفسه عليه؛ لأنه ربما كان في علم الله إنه الآخر لا يموت حتى يبدل ويغير.

وسمعت سيدي محمد المنير ﷬ يقول: حكم الفقير الداخل في طاعة شيخه حكم الشخص الجالس في حضرة السلطان؛ فهو محفوظ من سائر الآفات، وحكم الفقير الخارج عن طاعة الشيخ حكم من ابتلعه تمساح وجعله في فمه؛ فلا ينبغي للشيخ أن يكلفه بطاعته إلا بعد أن يخلصه من فم التمساح -انتهى- فاعلموا ذلك،

والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ وكبراء الزاوية: أن يرشدوا أطفال الزاوية إلى أن كل من وجد شيئًا من حوائج المجاورين يحفظه لصاحبه، وينادي عليه ولا يكتمه؛ ولو دواة، أو قلمًا، أو إبرة، أو رقعة، ولا يتساهل في ذلك؛ فربما جره كتمانه الحديد النقرة إلى كتمانه النصف، وجره النصف إلى الدينار؛ كما جرب.

وقد وقع لأبي يزيد البسطاميﷺ: أنه سافر في رد إبرة نسيها في متاعه مسيرة أحد عشر يومًا، وكان قد استعارها من شخص لقضاء حاجته بها، ونسي أن يردها إلى صاحبها قبل أن يسافر؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان المجاورين، ودربوا أطفالكم على الدين، والخير، والإيمان بيوم الحساب، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: ألا يأذن لفقراء الزاوية في المشي في زفة ختان أو عرس؛ إلا إن كان لا يخاف عليه من ازدراء نعمة الله تعالى عليم إذا رأوا تلك الثياب الفاخرة التي في الزَّفة، ولا يشتغلون بذلك عن ربهم ونحو ذلك من الأمور المطلوبة شرعًا؛ فإن خاف عليه شيئًا من ذلك، أو اطلع على عدم صلاح نيتهم في ذلك، منعهم من الذهاب إليها، ولا ينبغي له التعلل بكسر خاطر صاحب الزفة؛ لأن مثل هذا في العقل كالطفل، والأطفال لا يجابون إلى كل ما دعتهم نفسهم إليه؛ فاعلم ذلك، ودر مع الحق تعالى وشرعه، ولا تضع ميزان الشريعة والنصح للمسلمين من يدك، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: ألا يتساهل في السكوت على محبة مريده؛ لمن أحسن إليه من التجار والمباشرين والأمراء؛ فإن ذلك غش للمريد وإتعاب للشيخ، وحكم هذا المريد حكم من دخل في فم التمساح، وطلب من شيخه استخلاصه من فم

التمساح، فيقاسي الشيخ ما لا يطيقه عادةً، حتى يخرجه من فم التمساح، ويحتاج إلى تعب عظيم في مداواة ذلك المريد؛ فإن التمساح إنما كان دغدغ جسمه وعظمه، حين طبق عليه بأنيابه، وكسر أضلاعه؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وإياكم أن يبلعكم التمساح الذي هو المحسن إليكم من الناس، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ والنقيب: أن ينهضوا همة كل من يخدم الفقراء، وكذلك يقووا قلب المخدومين على ما هم فيه من العبادة؛ فإن العلة في كسل الخدام مركبة من ضعف العزم في طلب الثواب على ذلك من الله في الدار الآخرة، ومن ضعف داعية الفقراء عن العبادة، وكثرة إدبارهم عن الله ﷻ؛ فإذا أخذ المجاورون في العبادة والإقبال على الله، وقويت داعية الخدام في طلب الثواب من الله، سارت المركب بأهلها، واستراح الرئيس والنوابية.

ومن الأمور المساعدة على تقوية عزم الخدام: الإحسان إليهم عاجلاً في هذه الدار، وتفضلهم في العطية إذا حصل في الزاوية هدية من نقود أو طعام أو ثياب ونحو ذلك؛ فإن في كل إنسان جزءًا يطلب الدنيا، ولو ارتفعت درجته؛ ما عدا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

فمن هذا الجزء يحصل الملل عن فعل الخير تحابًا بلا عوض في الدنيا، ثم إن الملل يختلف باختلاف الناس؛ فمنهم من يعمل طلبه للعوض، ومنهم من يقل؛ فاعلم ذلك أيها الشيخ والنقيب وكبراء الزاوية، وداووا كل من ترونه ضعيف العزم عن فعل الخير؛ نصيحةً له، وتحصيلاً لمنفعة الإخوان به؛ وإذا فرقتم شيئًا، فزيدوا كل من كان أكثر نفعًا في الزاوية في أمور الدنيا أو الآخرة؛ كالقائمين بشعار الدين فيها، والمخلصين في الخدمة أو غير المخلصين؛ رجاء أن يخلصُوا بعد ذلك إن شاء الله

تعالى.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي يقول: لا ينبغي لشيخ الزاوية: أن يغفل عن ترغيب المجاورين في فعل الخير كلما تقارب الزمان؛ فإن الهمم تزداد فتورًا كلما طال عليها الأمد، قال تعالى: ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾(الحديد: ١٦) ومعلوم أن الكسل عن فعل الخيرات، إنما يقع بعد حجاب القلب عن شهود الآخرة وقساوته، وقد أشار إلى ما ذكرناه قوله ﷺ لأصحابه: «سيأتي على الناس زمان يكون ثواب العامل فيه كأجر خمسين منكم»(١)؛ أي: من أمثالكم وإلا، فقد قال ﷺ في حق خواص أصحابه: «لو أنفق رجل مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»(٢)، انتهى.

فلذلك قلنا: أي: من أمثالهم لا من أعيانهم، وفاءً بحق الصحابة، وأدبًا معهم.

وسمعت سيدي الشيخ أبا الحسن الغمري يقول: ينبغي لشيخ الزاوية: أن يتلطف بخدام الزاوية إذا رأى أحدهم كسل عن فعل الخير؛ لأن غالب الناس اليوم قد صاروا في غمرة وحجاب عن شهود الحق تعالى وشهودهم ثوابه؛ حتى يعاملون خالصًا، أو لأجل الثواب، فيحتاج الشيخ إلى سياسة عظيمة، وتعب في تلطيف كثائف الخدام؛ حتى يقوموا بخدمة الزاوية، انتهى.

وينبغي للشيخ أيضًا: أن يخبر الفقراء بأن طريق القوم جهاد مع النفس والشيطان على الدوام، ما داموا في دار التكليف؛ فلا ينفك أحدهم من عمل صالح، إلا وينتقل إلى عمل صالح حتى يموت، ويتلوا عليهم نحو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٩١)، والطبراني في الكبير (١٧/ ١١٧)، والأوسط (٣/ ٢٧٢) بنحوه.

(٢) رواه البخاري (٣/ ١٣٤٣)، ومسلم (٤/ ١٩٦٧)، والترمذي (٥/ ٦٩٥).

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠) أي: اصبروا على طاعة الله، وعلى اجتناب مناهيه، ولازموا الصبر، واتقوا الله؛ أي: اخلصوا في ذلك؛ لتجدوا ثوابه في الآخرة، فمن لم يصبر، ولم يصابر، ولم يرابط، ولم يخلص في علمه وعمله فاته الثواب -انتهى- والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لجميع الخُدَّام الذين في الزاوية: أن تكون ثيابهم سوداء أو زرقاء؛ لتحمل الوسخ، ويخف عنهم كلفة غسلها، ولا يلبس أحدهم البياض إلا يوم الجمعة؛ كما مر تقريره مرارًا، لاسيما الطباخ والعجان ومُلَّاء الميضأة.

وسمعت سيدي محمد بن عنان ﷺ يقول: من شرط الفقراء الذين يخدمون في الزاوية: قصر الثياب والأكمام، وشدة العزم؛ فيكون أحدهم كالفرس المسرج الملجم على الدوام، فكل نقيب اعتنى بغسل ثيابه البيض، فقد تودع من صلاحه، انتهى.

وقد ابتليت بنقيب عندي لم يزل يعتني بغسل ثيابه وعمامته، فأزجره على ذلك وانتهره؛ فيقول: تبت إلى الله تعالى ثم بعد يوم أو يومين أجده غائبًا يغسل ثيابه، فلما تكرر ذلك منه كثيرًا، علمت أنه لم يؤهل لمقامات الرجال فتركته، فالله تعالى يمنُّ علينا وعليه بالنظر إلى أمور آخرتنا، وتنظيف محل نظر ربنا، آمين...آمين.

وينبغي للشيخ وجميع المجاورين إذا كثرت الخيانة في الزاوية، ولم يعرفوا هل تلك الخيانة من جماعة الزاوية، أو من الواردين عليها من بلاد الريف وغيرها؟ أن لا يلوثوا بأحد معين بالظن، لا من المجاورين ولا من الواردين؛ لأن ذلك سوء ظن لا يجوز، وإنما الأدب أن يقفوا كلهم في الزاوية ويتوجهوا إلى الله تعالى أن يؤدب من يخون في بيته، وينتهك حرمة الزاوية إما ببلاء في جسده، وإما بتهمة في بيت الوالي،

وإما يتوب عليه بالاستغفار ورد المظالم إلى أهلها، وإما يخرجه من الزاوية ليستريح الفقراء منه؛ فإن الله تعالى لا يعزب عن علمه شيء في الوجود العلوي والسفلي، فيؤدبه بما شاء، أو يتوب عليه، أو يخرجه من الزاوية.

وقد فعلت أنا والفقراء ذلك مرارًا؛ فتارة يظهر الحرام، وتارة يخرج السارق بنفسه من غير إخراج، وقد عمَّت البلوى في الزوايا والمساجد؛ بسرقة العمائم والنعال وغيرها من الأمتعة، فلا يكاد مسجد الآن في مصر يخلو من سارق، وذلك من أقبح خصال المسلمين، حتى أن بعض النصارى إذا وضع نعله في الكنيسة ونسي مكانه يقول للرهبان: كأنكم ناوون أن تبلوا دينكم كما يفعل المسلمون في مساجدهم، وهذا من أقبح التوبيخ لفسقة المسلمين.

وقد غفلنا مرة عن حاصل القمح في الزاوية، فسرق جماعة من المجاورين منه في ثلاث ليال نحو خمسين إردبًا، فكانوا يغلقون باب صحن الزاوية الذي بين المجاورين وبين حاصل القمح، ويحملون منه الغرائر إلى بيت بجوار الزاوية بعد نوم الناس، ويبيعون ذلك للطحانين، فتبعنا أثر القمح وقبضنا عليهم؛ فاعترفوا بذلك، ثم خرجوا من الزاوية.

ومما وقع أن بعض المجاورين أكثر من الهيام في الذكر، حتى كان يضرب به المثل في هيجانه في الذكر، ثم عُمل له مفاتيح على عدد خزائن الزاوية، وصار يتغافل أصحابها، ويفتح خزائنهم في الليل، ويأخذ أمتعتهم فأخرجوه؛ وبعضهم رأى شخصًا معه خمسمائة دينار في زاوية سيدي مدين فوضعها في خلوته، فعمل أعمى مدة كذا كذا شهر، حتى غاب صاحب الخلوة؛ فأخذ الخمسمائة دينار تلك الليلة،

وخرج بصير العيون أعمى القلب؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وتوجهوا إلى الله في إخراج من يخون عندكم، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لجميع المجاورين: أن يرشدوا عيالهم إلى فعل الأوراد الواردة في السنة، وإلى جميع الآداب والأخلاق التي يسمعونها من الشيخ؛ وإلا رغبوهن في محبة الشيخ، وأمروهن أن يسألن الشيخ أن يجعل لهن وقتًا يجتمعن معه فيه؛ ليعلمهن ما يجهلنه من أمور دينهن؛ كما كان عليه سيدي أحمد الزاهد ﷺفإن الله تعالى وصف المؤمنات بما وصف به الذكور، بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ ﴾ (الأحزاب: ٣٥) إلى آخر النسق، فجعل لهن نصيبًا من جميع ما جعله للمؤمنين؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وكملوا إحسانكم إلى عيالكم بإكمال ما يتقن من دينهن؛ فإن ذلك أعظم من الإحسان إليهن بأمور الدنيا، ولا تحوجوهن إلى الخروج إلى واعظ يحضرن مجلسه؛ فإن في ذلك عدة مفاسد، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لجميع المجاورين: أن يزجروا عيالهم إذا حكين لهم صورة امرأة من الأجانب، أو ذكرتها بنقص؛ لما ورد في ذلك من الوعيد الشديد، وإن هجر أحدهم زوجته الليالي والأيام في الفراش كان أزجر لها وأرضى لله ﷻ، وقد هجر النبي ﷺ بعض نسائه لما ذكرت ضرتها بنقص، مع ما عند الضرائر من شدة الغيرة ولم يعذرها في ذلك؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان واتبعوا شريعة نبيكم، ولا تتساهلوا في ترك العمل بشيء منها، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقراء الزاوية إذا كانوا يأكلون من وقف الزاوية، أو مما يفتح الله تعالى وليس لأحدهم نصيب معين على عمل معين، ألا يتصدق بما زاد عن حاجته على

أحد من الطوافين الذي يسألون الناس إلا بإذن الناظر؛ لاسيما إن كان المجاورون في الزاوية كثيرًا، وهذا أمر يقع فيه نساء المجاورين، وليس لأحدهن ذلك؛ بل يجب عليها رد كل ما زاد عن حاجتها إلى النقيب، وإن طلبت التصدق؛ فلتتصدق من كسبها، وخياطتها، وغزلها؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واعملوا عليه، والحمد لله رب العالمين.

ينبغي لجميع فقراء المجاورين: ألا يغمس أحدهم شرموطًا من قناديل المسجد؛ لينزل به الميضأة مثلاً إلا بإذن الوقاد،الدَّين الخيِّر العالم بالحلال والحرام؛ فإن كان قليل الدين، فلا عبرة بإذنه في ذلك وهو حرام؛ لأن قناديل المسجد إنما جعلت لتنور على المصلين، اللهم إلا أن ينطفئ نور الميضأة في الليالي المظلمة، فلا بأس بتغميس الشرموط لدخول الميضأة في الليل؛ لئلا يتنجس، أو خوفًا من أن يعبث به الجن مثلاً، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للمنشد في مجلس الذكر: ألا يُنشد دائمًا إلا بعد أن يشير عليه شيخ المجلس بالإنشاد، وكما إذا رأى همة الذاكرين فترت عن الذكر، بتشتت قلوبهم في أودية هموم الدنيا، فعند ذلك يشير عليه بالإنشاد؛ ليجتمع بتلك المعاني أو الصوت الحسن قلوبهم على حان الذكر، وكتب القوم ورسائلهم مشحونة بذلك في مجالس اجتماعهم؛ كقولهم: اجتمع الجنيد، والشبلي، وأبو حفص الحداد، وفلان وفلان؛ فأشاروا إلى القول بأن يسمعهم شيئًا، فأنشدهم كذا...كذا، فعُلم أن من أدب المنشد أن يكون ملاحظًا بعينه لشيخ المجلس؛ فإن أشار إليه بالإنشاد أنشد، وإلا ترك الإنشاد وذكر الله تعالى مع الفقراء.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: لا ينبغي للمنشد أن ينشد

للذاكرين، إلا إن سرى فيه حال الذكر، وامتلأ قلبه من معناه، وإلا فإنشاد الفقير وهو خال عن ذلك الشعور ربما فرق قلوب الذاكرين، وكان وزر ذلك عليه، انتهى.

وقد جهدت كل الجهد أن أجعل المنشد عندنا في الزاوية يلاحظ هذا المعنى، فلم يُقدّر الله له ذلك، وكثيرًا ما ينشد بغير إذن، ويكون قلوب الجماعة مجتمعة فتتفرق؛ فتارة استحي من قولي له: أسكت؛ خوفًا من ثوران نفسه، وتارة أقول له: أسكت، ولو كان من أهل الأدب لم ينشد دائمًا، إلا أن أشار عليه شيخ المجلس؛ لأن الإنشاد حكمه حكم التداوي للمريض باستعمال العقاقير، فإذا حصل الشفاء كان استعمال تلك العقاقير عبثًا لا فائدة فيه، ثم إن هذا كله من هذا المنشد يدل على أن إنشاده صار بحكم العادة، لا بحكم العبادة؛ فليتنبه منشد الفقراء لما ذكرناه، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ إذا أراد أن يؤدي أحدًا من فقراء الزاوية بضرب أو خروج: أن يعلم فقراء الزاوية بذنبه، وما في تأديبه من المصلحة له ولهم، ثم بعد ذلك يتفق هو وإياهم عليه، وتكون كلمتهم واحدة؛ وإلا فربما كان بين ذلك الشخص، وبين أحد من الفقراء ارتباط باطني لعلة من العلل، فيبادر إلى المعارضة في تأديبه، ويقع في سوء الأدب، ولم يرجع عن معارضة الشيخ إلا بعد استفهام الخبر، ولو أن الشيخ كان أعمله بالقضية؛ لربما كان وافق الشيخ، ولم يعارضه لا باطنًا ولا ظاهرًا؛ كما عليه أهل الأدب مع الشيخ، فليرفق الشيخ بجفاة الطبع من المجاورين؛ فإنهم في حجاب عما هو فيه من الأفعال التي تعود مصلحتها عليهم، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لجميع فقراء الزاوية إذا تجدد لهم صاحب مريد أسن يصير يحضر معهم مجالس أورادهم وذكرهم: أن يبسطوا وجههم إليه، ولا يعبسوا في وجهه؛ لأن

مثله في مقام التأليف، وإذا طلبت من أحد من الفقراء أن يكلمه لغوًا، ويقطع الورد؛ فليقطعه، ويكلمه لغوًا، ويلاحظ الورد بقلبه؛ حتى لا يفوته الأجر بالكلية، ثم إذا ثبت في الصحبة، وصار يحب مجالس الخير، ويكره من يشغله عنها فهناك يستغنى عن التأليف، فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وداروا الضعفاء من إخوانكم بالكلام المباح، فإذا قوي فلا حرج عليكم في ترك مداواته؛ لأن الكلام اللغو مثلاً في حقه؛ كاستعمال العقاقير الخاصة بالمرضى لغير من به مرض، وذلك ملحق بالعبث، وإذا علمتم من هذا الصاحب أنه متى رآكم قمتم من مجلس الذكر، قام الآخر وخرج، فمن المعروف عدم قيامكم؛ تحصيلاً لمصلحة أخيكم في الخير.

ويقع لي هذا كثيرًا فربما أكون محصورًا بالبول أو جيعانًا، ويغلب على ظني أنني متى قمت؛ لقضاء الحاجة أو للأكل يقوم ذلك الشخص، فأتحمله ولا أقوم إلا إن وصلت إلى حد الضرورة؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واعملوا عليه، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: أن يرشد المجاورين أنهم لا يضربون أحد الخصمين إذا حكموا بينهما؛ وإنما يأخذون بيد الظالم، ويكفونه عن الظلم؛ فإن يكن بذلك فلا حرج عليه، وهذا الأمر يخل به جهلة المجاورين، وربما ضربوا الخصمين؛ ليكفوهما عن بعضهما، وهو مخالف لقواعد الشريعة؛ وإنما أباح الحق تعالى ذلك للمظلوم فقط بقوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ (البقرة: ١٩٤)،وبقوله: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ (الشورى: ٤٠) فلأحد الخصمين أن يدفع خصمه بالأخف فالأخف؛ كما هو مبسوط في باب القتال من كتب الفقه، وأما غير الخصمين فليس له ذلك إلا بطريق شرعيٍّ، وكثيرًا ما يأتي شخص يخلص بين

الخصمين، فيمنع أحدهما عن صاحبه؛ فينقلب الخصم لمخاصمته، ويترك خصمه ويصير هو خصمه؛ لاسيما الجند وحاشية الولاة، فليكن الذي يخلص بين الخصمين على حذر، ولا يخفى أن تغيير المنكر باليد إنما هو للولاة، ومن داناهم؛ كما أن تغييره باللسان إنما هو للعلماء العاملين؛ الذين يمتثل الناس أمرهم، ويسمعون نصحهم، فمن لم يكن ذا شوكة، ولا يمتثل الناس قوله؛ فليس له مد اليد إلى أحد.

وقد كان سيدي إبراهيم المتبولي ﷺ يقول: وظيفة الفقير في إزالة المنكر: أن يتوجه قلبه إلى الله؛ فيزيل ذلك المنكر، وأما مد يده، أو كلامه فربما لا يفيد مع لحوق الضرر له غالبًا؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للفقير إذا كان يجتمع بطلبة العلم، ثم تركهم واجتمع بفقراء الصوفية: أن يلزم الأدب مع إخوانه الذين فارقهم، ولا يبالغ في مدح فقراء الصوفية، إلا بعد أن يرى عند أحدهم قابلية لصحبة الفقراء؛ وذلك لأن طلبة العلم في حجاب عما يذوقه الفقراء، بل ربما كان غالبهم يظن أن طريق الصوفية طريق بطالة، وهجر للعلم، ولا يكاد يشهد لهم بالكمال إلا إن علقت فيه صنارة محبة الطريق، فيصير الفقير الذي كان يجتمع بطلبة العلم؛ ثم فارقهم على تحمل الكلام الجافي منهم مدة طويلة، فإنهم معذورون.

وقد كان سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ يقول: ملخص طريق الصوفية: أنهم يُعلِّمون الفقيه الطريق الموصلة إلى العمل بما علم لا غير؛ إذ لا يلزم من معرفة الأحكام معرفة الطريق الموصلة إلى العمل بما علم؛ لاسيما في هذا الزمان الذي عَمِي فيه غالب الناس عن معرفة الإخلاص والورع، وقد كان السلف الصالح من الصحابة، والتابعين، والأئمة المجتهدين، والعلماء العاملين -بصفاء قلوبهم- لا

يحتاجون إلى شيخ آخر، خلاف شيخهم في الفقه؛ بل يكفيهم ذلك الشيخ عن كل شيخ.

وقد كان السلف الصالح أحدهم يرفض الطالب سنين؛ حتى يقربه العلم، ويمهد له مكانًا طاهرًا يكن فيه، فلما ذهب أولئك العلماء العاملون، واكتفى الناس بحفظ نقول العلم من غير مطالبة نفوسهم بالإخلاص في العلم والعمل، احتاج من وفقه الله تعالى لطريق السلف إلى شيخ آخر اسمه صوفي؛ أي: عالم عامل بما علم، يبين له عيوب الأعمال، ودسائسها بما أمره الله به، على وجه الكمال المأمور به شرعًا، وذلك كان يأمر الطالب بمداومة الجوع، والعزلة، والصمت، وذكر الله سرًّا وجهرًا، ليلاً ونهارًا؛ حتى يحصل له منه حال، ويرق حجابه؛ فيشهد الأمور الأخروية كأنها رأى عين، فلا يكاد يفرط في فعل خير؛ مع مشاهدة ثوابه، ولا يقع في منهي؛ لمشاهدته عقابه، وهناك يعرف أن كل عمل لم يرد به وجه الله تعالى يضمحل، لا يصل إلى الآخرة منه شيء، وهناك يأخذ في الإخلاص في علمه وعمله؛ حتى يصير صوفيًّا ضرورةً؛ أي: يصير عالمًا عاملاً، فهذا غاية طريق التصوف، انتهى.

وكان ﷺ يقول: لو أن طالب العالم اهتدى إلى علل الأعمال، ما احتاج إلى الصوفية؛ لكنه عمي عن شهود العلل في علمه وعمله؛ فلزمه دعوى العلم والإخلاص، من غير علم ولا إخلاص.

وكان يقولﷺ: من لم يعمل بعلمه على وجه الشريعة، ويختم عليه بخاتم الحقيقة، فهو إلى الإثم أقرب.

وكان يقولﷺ: ما افترق الفقهاء عن الصوفية، إلا من حيث إن الصوفي يطالب نفسه بالحقائق، بخلاف الفقيه؛ فإنه يكتفي بصورة الأعمال فقط، ولا يعرف

الطريق التي يدخل منها إلى تسهيل العمل بها علم.

فإذا قلت له: أرشدني إلى طريق الإخلاص، يقول: لك اقصد بعلمك وجه الله دون الأغراض النفسانية، هذا غاية ما يرشده إليه؛ بخلاف ما إذا قلت للصوفي: أرشدني إلى طريق الإخلاص، يقول لك: أكثر من ذكر الله ﷻ؛ حتى يرق حجاب نفسك، وتشهد الفعل البارز على يديك خلقًا لله تعالى وحده، وليس لك منه إلا كونك محلاً لبروزه لا غير؛ من حيث إن الأعمال أعراض، والعرض لا يقوم بنفسه؛ فلا د لها من جسم يظهر منه، فهذا هو الإخلاص، وأما الفقيه؛ فيأمرك بالإخلاص مع شهودك العمل لنفسك بالكلية، أو على حكم أن النصف لك، والنصف الآخر لله، ومن لازم ذلك كثرت العلل؛ تبعًا للذات المعلولة، بخلاف الفعل إذا كان للحق -جل وعلا- فلا يصح دخول علة فيه، فعلم أن من شهد الفعل له، وطلب الإخلاص؛ فقد أخطأ الطريق.

وفي كلام الشيخ عز الدين بن عبد السلام[1] مما يدلك يا أخي على أن الصوفية

---

(١) هو سلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم الحسن بن محمد بن مهذب السلمي المنوفي الدمشقي عز الدين الفقيه الشافعي، كان بمصر ولد سنة ٥٧٨ وتوفي سنة ٦٦٠.

له: الإشارة والإيجاز في بعض أنواع المجاز في القرآن. أمالي في تفسير القرآن. الإمام في أدلة الأحكام. بحار القرآن. بداية السول في تفضيل الرسول. بيان أحوال الناس يوم القيامة (بتحقيقنا). ترغيب أهل الإسلام في سكني الشام. رسالة في القطب والأبدال الأربعين وغيرهم. شجرة المعارف والأحوال (بتحقيقنا). شرح منتهى السؤل والأمل لابن الحاجب. الغاية في اختصار النهاية. القواعد الصغرى في الفروع. القواعد الكبرى. مقاصد الرعاية. فرائد الفوائد وتعارض القولين لمجتهد واحد. الفوائد في اختصار المقاصد. فوائد البلوى والمحن. الفرق بين الإسلام والإيمان. الفتاوى المصرية.

قعدوا على قواعد الشريعة، وفقد غيرهم على الرسوم مما يقع على يد أحدهم من الكرامات، والخوارق الدالة على صدقهم في اتباع الشارع؛ فإن الكرامات فرع المعجزات، فكما تدل المعجزات على صدق الأنبياء، فكذلك الكرامات تدل على صدق الأولياء؛ فمن وقف على ظاهر الفقه، ولم يصل إلى مقام الإخلاص، فلا يقع على يديه كرامة، ولو كان شيخ الإسلام في العرف؛ كما هو مشاهد، انتهى.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: يجب على كل طالب علم اجتمع بالفقراء: كثرة الاحتمال لقول من يعدله عن طريق القوم، ويقول له: إن هؤلاء أكلة، سطلة، بطلة، ولو أنك دمت على الاشتغال بالعلم؛ لكنت الآن من جملة علماء الإسلام، ونحو ذلك، فربما حصل له الندم والتأثير؛ وذلك دليل على أنه إلى الآن لم يدخل طريق القوم؛ فإن طريقهم الاكتفاء بعلم الله تعالى فقط، ولا التفات لهم إلى ذم الخلق لهم ومدحهم.

وسمعته ﷺ يقول: من حصل له ندم بقول من يعذله عن طريق القوم، فهو علامة على بقاء ريائه للخلق، وأنه يعمل لأجلهم أو يشكرهم في العمل مع الله تعالى ولا يخفى ما فيه؛ فليمتحن الفقير نفسه بها لو قام يصلي طول الليل، ويحفظ جميع جوارحه الظاهرة والباطنة عن كل منهي؛ ثم أجمع الناس على أنه فاسق قليل العمل، أو عديم الإخلاص وينظر؛ فإن تكدرت منه شعرة واحدة، فهو لم يشم من الإخلاص رائحة.

وقد وقع لبعض طلبة العلم من جامع الأزهر أنه اجتمع بنا، وأعرض عن خُلطة أهل الجامع؛ فكانوا يقولون له: لأي شيء تركت العلم، واجتمعت على هؤلاء المتصوفة الجهلة؟ فكان يحصل له بذلك التأثير، وذلك أنه كل سنة يقسم

«شرح المنهاج»(١) للشيخ شمس الدين الخطيب الشربيني؛ الذي جمع فيه زُبد ما في شرح «الروض»(٢)، وشرح «البهجة»(٣)، وشرح «الإرشاد والتصحيح»(٤)، وشروح «المنهاج» كلها، وقال لي شارحه: قد ذكرت فيه زُبدة تحريرات الشيخ شهاب الدين الرملي(٥)؛ التي لخصناها من دروسه مدة ثلاثين سنة، وقال لي: إني اكتفيت بمطالعة شرحي على «المنهاج» عن جميع الشروح، وإنه يكفي أهل درسي الكبير في جامع الأزهر، فقلت: لهذا اجتمع بنا إنك يا أخي مرائي بعلمك وعملك، وكيف يتأثر ممن يقول لك أنك تركت العلم؟ وأنت كل سنة تطالع جميع ما يقال في دروس الجامع الأزهر من تحريرات المتأخرين والمتقدمين، وكيف تترك يقين ما عندك لظن ما عند الناس؟ فاستغفر وتاب إلى الله من الرياء بالله تعالى، منَّ عليه بدوام ذلك...آمين.

ونظير هذه الواقعة ما وقع لبعض العلماء مع أخي أفضل الدين ﷺ يقول: وذلك أنه قال له: إني رأيت الليلة الماضية؛ كأني حامل شمعة تضيء عليَّ، ثم انطفأت مني، فخفت أن يكون قد انطفئ نور إيماني، وكان عند أخي عبد أسود عشاري السن، فقال للعبد: أجب سيدك، فقال: يا سيدي هذا يدل على أن إيمانك على الفتح، كيف يؤثر عالم خيالك في عالم شهادتك، وينسخ علم ما أنت عليه من الشهادة بما يقع لك في المنام، انتهى.

---

(١) هو مغني المحتاج في شرح المنهاج.

(٢) هو أسنى المطالب شرح روض الطالب لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري.

(٣) البهجة الوردية للقزويني، وممن شرحها شيخ الإسلام زكريا، والشمس الرملي.

(٤) هو الإمداد شرح الإرشاد، وفتح الجواد شرح الإرشاد كلاهما للمحقق ابن حجر الهيتمي.

(٥) التصحيح هو تصحيح التنبيه للنووي.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: طريق القوم أقرب الطرق إلى الله تعالى؛ أي: إلى دوام مجالسته وشهوده؛ وذلك لأن من دخلها يصير الغالب عليه النطق باسم الله ومراقبته، وشهود أنه بين يديه بخلاف الطرق التي فيها غالب الناس؛ فإن فيها دورات طويلة، ثم قال: وقد وقع بين الجنيد وأبي العباس بن سُريج مناظرة، فقال الجنيد: طريقنا أقرب من طريقكم إلى الحق، فقال ابن سريج: بل طريقنا أقرب، فقال الجنيد: بيننا وبينك البرهان؛ فأمر شخصًا برمي حجرًا في وسط حلقة الفقهاء فرماه، فقالوا كلهم: حرام عليك، ثم أمره مرة أن يلقي حجرًا في حلقة الفقراء، فرماه فصاحوا كلهم بأعلى صوتهم: الله...الله؛ فرجع إلى شريح إلى الجنيد، وصار يحضر حلقة الجنيد حتى مات، انتهى.

وكذلك وقع للإمام محمد بن أسعد اليافعي اليمني(١) ﷺ قال: مكثت خمسة

(١) هو العلامة الشيخ عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فلاح اليافعي الإمام عفيف الدين أبو السعادات اليمني الشافعي نزيل الحرمين ولد سنة ٦٩٨ وتوفي في جمادى الآخرة من سنة ٧٦٨ ثمان وستين وسبعمائة له من التصانيف: الإرشاد والتطريز في فضل ذكر الله سبحانه وتعالى وتلاوة كتابه العزيز،خلاصة المفاخر بمناقب الشيخ عبد القادر (بتحقيقنا). أطراف التواريخ. الأنوار اللائحة في أسرار الفاتحة. بهجة البدور في وصف الحور. الدر النظيم في فضائل القرآن العظيم. الدرة المستحسنة في تكرير العمرة. الراح المختوم بالدر المنظوم في مدح المشايخ أصحاب السر المكتوم. قصيدة. رسالة الملكية في طريق السادة الصوفية. روض البصائر ورياض الأبصار في معالم الأقطار والأنهار الكبار. روض الرياحين في حكايات الصالحين. سراج التوحيد الباهج. النور في تمجيد صانع الوجود. مقلب الدهور ومعرفة أدلة القبلة والأوقات المشتملات على الصلاة والصيام والفطور. عقد للآلي المفصل بالياقوت الغالي قصيدة في العقائد كفاية المعتقد ونكاية المنتقد مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان وتقلب أحوال الإنسان. مرهم العلل المعطلة في الرد على أئمة المعتزلة (بتحقيقنا). مناقب الأئمة المائة من أئمة الأشعرية. المنهل المفهوم في شرح السنة المعلوم. نزهة العيون النواظر وتحفة القلوب والخواطر في اختصار روض الرياحين. نشر الريحان في فضل المتحابين في الله من الإخوان. نشر المحاسن

عشر سنة، وخاطر يدعوني إلى دوام الاشتغال بطريق الفقهاء، وخاطر يدعوني إلى الاشتغال بطريق القوم من غير ترجيح لأحد الطريقين؛ فلقيني شخص من أرباب الأحوال في شارع من شوارع زبيد، فقال: يا محمد طريق الصوفية أقرب إلى رضا الله؛ لما فيها من تهذيب الأخلاق، قلت: بم؟ قال لي: اذهب معي إلى المسجد الفلاني؛ لأريك ذلك بالفعل، قال اليافعي: فذهبت معه، فجلسنا في المسجد؛ ثم قال للنقيب: أذهب إلى فلان المفتي، فقل له: إن الفقراء يطلبون حضورك إليهم في مسجد كذا، فقال: نعم؛ فأمر الشيخ الجماعة ألا يتحرك أحد له، ولا يرد عليه السلام، فلما دخل فعل ذلك معه؛ فتميز من الغيظ، فقال له الشيخ: الفقراء في نفسهم منك شيء، فقال: وأنا في نفسي منكم أشياء، وأشار بأصابع يديه؛ ثم خرج يسب الفقراء، ويلوم نفسه على حضورها لمثل هؤلاء، فقال الشيخ لليافعي: انظر؛ ثم أرسل إلى فقير من فقراء زبيد، وأمر الناس أن يفعلوا معه؛ كما فعلوا مع ذلك العالم، ففعلوا فتبسم، وصار يقول: السلام عليكم؛ أنا مسلم من إخوانكم العصاة؛ فأعطوني الأمان، فقال له الشيخ: الفقراء في نفسهم منك شيء، فأخذ النعال ووضعها على رأسه، وقال: أقول استغفر الله، وجزاكم الله خيرًا على تنبيهي على نقائصي، ولم يزل واقفًا والنعال على رأسه، يطلب رضًا القوم عنه؛ فقال: يا محمد انظر ثمرة طريق القوم، وثمرة طريق الفقهاء، قال اليافعي: فأقبلت من ذلك اليوم على طريق القوم إلى وقتي هذا،

الغالية في فضل المشايخ أولى المقامات العالية. نفحات الأزهار ولمعات الأنوار. نوادر المعاني. تاج الروس في الذيل المأنوس على سوق العروس. الدرة الفصيحة في الوعظ والنصيحة. روض الرياحين. ترياق العشاق في مدح حبيب الخلق والخلاق. حلية الأخيار في أخبار أهل الأسرار. مهيجة الأشجان في ذكر الأحباب والأوطان. الشهد الحالي في فضل الصالحين ومقامهم العالي. الشهد الشفا في مدح المصطفى. عالي الرفعة في حديث السبعة. شمس الإيمان وتوحيد الرحمن في عقيدة أهل الحق والإتقان.

انتهى.

وحكى لي سيدي عليًّا المرصفي ﷺ: أن جماعة الشيخ عبادة المالكي[1]- مفتي مصر- تركوا مجالسته وصاروا يحضرون مجلس سيدي الشيخ مدين، فصار الشيخ عبادة يحط عليهم ويقول: أتتركون العلم، وتشتغلون بطريق البطالين؟ فبلغ ذلك الشيخ مدين، فأرسل وراء الشيخ عبادة في مولده الكبير الذي يعمله كل سنة، وقال: لا أحد يتحرك للشيخ عبادة إذا جاء، ولا يفتح له ولا يلتفت إليه؛ فلما دخل الشيخ عبادة لم يقم أحد له، ولم يلتفت إليه، فضاقت عليه الدنيا، وندم على حضوره، فرفع سيدي مدين رأسه وقال: أفسحوا للشيخ ليجلس قريبًا ففعلوا، وأوهمه أنه لم يعلم به؛ فلما جلس بجانب سيدي مدين قال له: سؤال حضر، فقال: قولوا، فقال: هل يجوز لمسلم أن يقوم لمشرك مع أمانه من شره؟ وهل يجوز لمسلم أن يقول لإخوانه لا يرضيني منكم في التعظيم إلا أن تعظموني، وتقوموا لي؛ كما تقومون لربكم في الصلاة؟ فقال الشيخ عبادة: أما الأول فيحرم ذلك عليه، وأما الثاني فيكفر؛ فقال سيدي مدين: الله عليك...أما تكدرت من عدم قيام الناس لك، وطلبت منهم القيام لك؛ فنهض الشيخ عبادة قائمًا، وقال بأعلى صوته: أشهدوا كلكم على أني أسلمت على يدي الشيخ إسلامًا جديدًا، وهذا أول دخولي في دين الإسلام؛ ثم لم يزل ملازمًا لسيدي مدين إلى أن حضرته الوفاة، فأوصى أن يُدفن في تربة فقراء سيدي مدين - خارج باب النصر تحت عتبة التربة - انتهى.

---

(١) هو العلامة الشيخ عبادة بن علي بن صالح بن عبد المنعم بن سراج بن نجم بن فضل بن فهد، شيخ الإسلام زين الدين بن نور الدين الزرزاري الأنصاري المالكي، شيخ المالكية بالديار المصرية في زمانه. [المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي (٢/ ٦٧)].

فاعلم ذلك أيها الفقيه الذي اجتمع بالفقراء، واشكر ربك على اجتماعك بأوليائه وأصفيائه، وراع ربك وحده، ولا تطلب لك مقامًا عند الخلق؛ تمت على أسوأ حال، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لجميع المجاورين: أن يفرحوا كلما حرمهم الشيخ شيئًا من الدنيا، وأعطى ذلك لغيرهم؛ من حيث إن ذلك علامة على شهود الشيخ بقوة قدمهم في محبة الطريق، ولو أنه رأى قدمهم متزلزلاً؛ لقدمهم في العطاء على غيرهم.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي رحمه الله يقول: إذا رأيتم شيخكم يقدمكم في العطاء على جميع أصحابه؛ فاعلموا أنه رأى همتكم ضعيفة في طلب الطريق، ولو أنه رأى همتكم قوية؛ لكان حرمكم كما حرم أكابر الزاوية، فإياكم أن تعترضوا على شيخكم إذا أعطى أحدًا من طلبة العلم عمامة أو صوفًا، ولم يعط ذلك لكم؛ فإنه يريد بذلك تأليفه على الطريق، وأما أنتم فقد فرغ من تأليفه، فاشكروا الشيخ على حرمانكم، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لجميع المجاورين إذا ربى أحدهم دجاجًا، أو طلب أن يطبخ في بيته طعامًا خاصًّا به دون ضيوفه وإخوانه: ألا يعلف الدجاج من قمح الفقراء، ولا يطبخ من حطبهم الذي في الحاصل إلا بإذن من جميع الفقراء؛ وإن كان منهم قاصرون من الأيتام وغيرهم، فينبغي له أن يكتفي بإذن الأكابر البالغين؛ لعدم صحة إذن الأطفال فيما يخصهم من ذلك القمح، والحطب الآتي للزاوية من الوقف ومن صدقات الناس، وكل مجاور علف دجاجة من القمح المذكور أو طبخ من الحطب المذكور، فقد أكل شبهة؛ فاعلموا ذلك أيها المجاورون، واعملوا على تحصيل مقام الإيثار لبعضكم بعضًا؛ حتى يصير أحدكم يطيب خاطره بكل شيء يأخذه أخوه مما

يخصه؛ ثم خذوا من القمح، والعسل، والحطب، والأرز، ونحو ذلك ما شئتم سرًّا وجهرًا؛ كما كان عليه الفقراء الصادقون الذي كان أحدهم يدخل بيتهم في غيبتهم ويتصرف فيما يجده فيه من النقد، والطعام، والثياب، ويتصدق به، ويهادي به؛ ثم يدخل أحدهم بيته، فيحكون له ما فعل أخوه فيخر ساجدًا شكرًا لله على وجود مثل ذلك الأخ الصالح، وما دمتم أيها الإخوان لم تصلوا إلى مقام الإيثار؛ فاشكروا نفوسكم عن التخصص، ولو أن النقيب أعطى أحدكم شيئًا من غير علم إخوانه، فمن الدين رده عليه، وبذلك يزداد رزق الزاوية عليكم، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لجميع فقراء الزاوية: ألا يطلب أحدهم من الشيخ إلا ما لا بد منه من سد الجوعة وستر العورة، ولو كسرة شعير أو قطعة جبن ما دام سالكًا في الطريق، ومن طلب من شيخه زيادة على ذلك، فقد خرج عن محبته، ونكص على عقبيه، وقد أجمعوا على وجوب تجرد الفقير من كل أمر زائد عن الضرورة مطلقًا في: مأكله، وملبسه، ومنامه، وكلامه، وخلطته، وغير ذلك.

فليحذر الفقراء من أن ينافقوا مع شيخهم، ويصير أحدهم يرجح من يحسن إليه من أصحاب الشيخ، أو غيرهم في المحبة على الشيخ؛ فإنه ربما مقته الله، وجعله غلامًا لأبناء الدنيا يخدمهم إلى أن يموت على أسوأ حال؛ كما وقع لبعض من يعاشر أبناء الدنيا من المجاورين، ويطلب أن يكون لباسه كلباسهم، وطعامه كطعامهم، وكلامه ككلامهم؛ وربما مقت ذلك المحسن له كذلك بسببه؛ حيث أتلف أصحاب الشيخ بإحسانه إليهم؛ فاعلموا ذلك أيها الفقراء.

وليحذر أحدكم أن يقول للشيخ: إني والله أحبكم أكثر من فلان المحسن إلي، وإنه لولاكم لما أحسن لي، والحال بخلاف ذلك، قال الناقد بصير: وقد ادعى فقير

عندي ذلك، فقلت له: سافر إلى الجزيرة التي فيها الحطب للفقراء فائتنا بشيء منه، فحك في أذنه وقال: إن بدني ضعيف عن السفر، فعقب ذلك: سأله شخص يحسن إليه في قضاء حاجة أبعد من الجزيرة بسفر يومين، فخرج لذلك السفر قبل العيد بيوم منشرحًا، وترك يوم عيد الفطر عند شيخه وعياله، ولم يتعلل بمرض ولا ببعد مسافة؛ فالله تعالى يحمي فقراء الزاوية من مثل ذلك، ويجعل أحدهم قانعًا باللقمة والخلقة؛ حتى يبلغ مبلغ الرجال وتصير الدنيا تجري وراءه فلا يلتفت إليها؛ آمين...آمين.

وينبغي لجميع فقراء الزاوية: ألا ينظروا عدمهم إلى ثياب من كان مجاورًا عندهم؛ ثم فارقهم وسعى في الدنيا، وصار له ثياب حسنة، وامرأة سمينة وخادم، وصار يحلف بالعتق؛ لأن النظر إلى مثل هذا حمية للضعفاء، وليتأمل الفقراء في حال هذا تجده ما حصل تلك الأمور إلا بإدباره عن ربه ﷻ، وإقباله على الدنيا، وترك مجالس الذكر والأوراد والمناقشات، وتقديمه دنياه على آخرته، ولو أنه كان ممن يقدم الآخرة على الدنيا؛ ما فارق شيخه ولا إخوانه، ولدام على القناعة بالجبة الخشنة، وغيرها من أمور الفقراء الزاهدين في الدنيا، حتى أن بعضهم ترك الفراش والمخدة وصار ينام على التراب؛ فلا تنظروا أيها الفقراء، إلا لمن فارقكم لأعمال أخروية هي أفضل مما أنتم فيه، والله يتولى هداكم وهو يتولى الصالحين.

وينبغي لجميع فقراء الزاوية: أن يلقوا بالهم لمن يخل بوظيفته ويكتفي برفيقه فيها؛ كالمؤذنين الذين كل اثنين منهم في نوبة، فيكسل أحدهم عن الآذان، أو يؤذن ويذهب من غير صلاة؛ فإن مثل ذلك علامة على الخذلان وعدم التوفيق؛ ومن هنا وضع الواقفون للمساجد المشدّ، وكاتب الغيبة الذي يضبط على أصحاب الوظائف

أوقات التعكيس، وجعلوا ميقاتًا ينبهم على أوقات الصلاة؛ لاسيما إن كان المؤذن صاحب كتبة كبلع الحشيش؛ فإنه ربما نام في الآذان، واضطجع في الدرابزين إذا نسم عليه الريح؛ كما رأيت ذلك في بعض المدارس، فصار المشد يضربه؛ ليكمل الآذان فلا يقوم؛ فمثل هذا ينبغي للفقراء أن يكفوا الشيخ المؤنة فيه ولا يحوجوا الشيخ؛ لأن يكتب الغيبة عليه أو يتبع أحواله، ويجعلوا الشيخ لما هو أهم من ذلك من المناقشات، وجمع شمل نظام الفقراء، وتهيئة خبزهم وطعامهم، وإرشادهم إلى علل أعمالهم، ونحو ذلك.

وقد كان عندنا بمدرسة «أم خوند» مؤذن من الصالحين اسمه: الشيخ محمد الصعيدي، كان إذا مرض يزحف في المنارة درجة... درجة ولا يستنيب؛ فقلت له: في ذلك، فقال: إذا أذن غيري كتب ثواب ذلك في صحائفه دوني؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، ونبهوا بعضكم بعضًا على الخيرات بسياسة ورحمة، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للفقراء: ألا ينكروا على من ترك تورع تارة؛ كالذي يذهب إلى طعام الظلمة، والكاسين في بعض الأوقات اختيارًا؛ ثم يسألونه ويقسمون عليه مرة أخرى: أن يذهب إلى وليمتهم، فيأكل من طعامهم فلا يجيب؛ فيقول بعض الناس عليه مرة: هذا كله تنطع ورياء، ولأي شيء أكل طعام فلان أمس، واليوم يتورع عنه؟ فإن هذا الإنكار من الجهل؛ لأنه يرجع إلى أمره بأن يتورع مُطلقًا أو يأكل مطلقًا، وذلك معارض لقوله ﷺ: «إذا نهيتكم عن أمر فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم»[1]، انتهى.

---

(١) رواه البخاري (٩/ ٢٦٥٨)، ومسلم (٢/ ٩٧٥).

وقد يكون بعض طعام الظالم في بعض الأوقات حلالاً، فلا يؤمر أحد بالتورع عنه، وقد يكون طعام التاجر حرامًا فلا يؤمر أحد بالأكل منه؛ فاعلموا ذلك أيها الفقراء، وافرحوا لأخيكم إذا تورع، ولو مرة واحدة في السنة، ولا تقولوا: إنك لم تزل تأكل الحرام، فلأي شيء تتورع اليوم؟! ورغبوه في التورع جهدكم.

واعلموا أيها الإخوان: أن غالب الناس اليوم قد صار في غفلة وغمرة عن فعل ما يصلحهم، ويرفع درجاتهم، أو يزحزحهم عن النار، وصاروا ينكرون على من خالفهم في أكل الشبهات وتورع، حتى كأنه خرج عن الشرع -فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم- وإن شككت في قولي هذا أيها العالم أو الصالح؛ فاحضر وليمة الباشا أو الدفتردار، مع علماء بلدك وصوفيها، أو امتنع من الأكل دونهم، وانظر ما يقولون في حقك؛ حتى كأنك وقعت في معصية، وكان الواجب عليهم مدحك وشكرك على عدم أكلك؛ لكونك قمت بشعار ركن من أركان الدين وهو الورع؛ ثم يحزنون على أنفسهم، ويندمون غاية الندم، وفي الحديث مرفوعًا «وخير دينكم الورع»[1]، انتهى.

فما جعله الشارع خير ما في الدين، كيف يجوز لأحد أن ينكره على فاعله؟ فإياكم أيها الإخوان من الإنكار على من تورع من إخوانكم؛ ثم إياكم، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لشيخ الزاوية إذا كان هو الناظر على وقفها: أن يحذر الجابي لوقفها: ألا يتساهل بإطعام الشيخ شيئًا منه بغير طريق شرعي؛ لاسيما إن كان الجابي معدودًا من

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٦٥)، والطبراني في الأوسط (٤/ ١٩٤)، وراجع كتاب الشيخ: «الدرر واللمع في بيان الصدق في الزهد والورع» بتحقيقنا بمشاركة أخينا الدكتور محمد نصار النقشبندي.

تلامذته، فإن الواجب عليه جزمًا أن يحميه من مثل ذلك؛ لئلا يتلف قلب شيخه، فيعدم النفع به، هذا إذا كان الجابي من أهل الدين والخير؛ فإن كان قليل الدين فربما تعمد إطعام الناظر من الوقف، وزين له أنه يستحق مثل ذلك، ويقول له: لولا وجودكم ما وصل فقراء الزاوية إلى شيء من الوقف؛ وقصده: أن يلطخ الناظر بأكل ما لا يحل له؛ ليصير إذا أنكر على الجابي يقول له: وأنت الآخر قد أكلت كذا...كذا؛ فخلص ذمتك منه، فربما كان الناظر عاجزًا عن وزن مثله لجهة الوقف، فلا يسعه إلا السكوت على ما يأكله الجابي.

فاعلم ذلك أيها الجابي، ولا تطعم الناظر إلا ما تعلم أنه حقه، بطريق واضح لا شبهة فيه ولا تلبيس، وقد سألت الجباة في الزاوية مرارًا: ألا يطعموني ولا عيالي؛ إلا مما يعلمون أنه لي، وإن أطعموني ما ليس لي فالله تعالى خصمهم في الآخرة، وإنما كنت أسألهم في ذلك؛ لكون جهاتي الخاصة بي قد خلطتها مع وقف الفقراء، وجعلت شيء فيها كأحدهم، لا أتميز عنهم بشيء إلا لضرورة، ولو أنها كانت منفردة عن الوقف؛ لكنت كالأجنبي عن الفقراء، فكان لا يخفى علي حكم ما يطعمه لي الجابي، وكنت لا أقبله أبدًا، وأنا أوصي كل ناظر يأتي بعدي على الزاوية: أن لا يتخصص عن الفقراء بشيء إلا بطريق شرعي، ولا يخلط ماله بمال الوقف؛ فإن ذلك ولك أخلص لمقامه ودينه، والحمد لله رب العالمين.

ينبغي للشيخ والمجاورين: أن يكون عندهم شخص يضحكهم إذا حصل لهم نظرية من الجوع والمجاهدة؛ يخرجهم ذلك عن حد العبوس؛ كما كان نعيمان ﷺ يفعل مع رسول الله ﷺ وأصحابه، ونرجو أن لا يكون عليه من ذلك تبعة في الآخرة، وقد كان ﷺ يمزح مع أصحابه من النساء، والرجال، والأطفال، ولا يقول إلا حقًّا،

فقال مرة لعجوز: «إنه لا يدخل الجنة عجوز»[1]، وقال: «يا أبا عمير ما فعل النغير؟»[2]، وقال لشخص مرة: «أحملك على ولد الناقة»[3]؛ يعني: الجمل الكبير.

وفي كلام الإمام علي ﷺ: لا بأس للرجل بالفاكهة في الكلام؛ ليخرج بذلك عن حد العبوس، وإنما كان مزحه حقًا ﷺ في هذا الذي قاله؛ لأن الجنة لا يدخلها عجوز، وإنما هن كلهن بنات ثلاث وثلاثين سنة كما ورد، وأما قوله: يا أبا عمير؛ فوجهه لينزل لعقل الطفل.

ومما وقع: أن النبي ﷺ جاء من خلف إنسان، ووضع يده على عينيه فغماه؛ كما تفعل الأطفال مع بعضهم، وكما وقع: قال النبي ﷺ: «من يشتري العبد»[4]، فقال ذلك الإنسان: إذن تجدني والله يا رسول الله كاسد ،ومما وقع لنعيمان مع رسول الله ﷺ: أنه وجد في السوق سلة عنب مليح، فقال لصاحبها: اتبعني بها إلى الدار، فأدخلها دار رسول الله ﷺ، وقال لصاحب العنب: قف فخذ ثمنها، وذهب نعيمان إلى حال سبيله يظن رسول الله ﷺ أن ذلك هدية، وأكل منها وفرقها؛ وإذ بالرجل يطلب ثمنها فقال له: «من دلك على دارنا؟»، فقال: نعيمان، فأرسل رسول الله ﷺ خلفه فحضر، فقال: «ما حملك على هذا ونحن ليس عندنا اليوم ثمن ذلك»، فقال:

(١) رواه أبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (١٧٧)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٣٣٥).

(٢) رواه البخاري (٥/ ٢٢٧٠-٢٢٩١)، والترمذي (٢/ ١٥٤).

(٣)أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٧)، (١٣٨٥٣)، والبُخَارِي في «الأدب المفرد» ٢٦٨ وأبو داود (٤٩٩٨)، والتِّرْمِذِي ١٩٩١ ، وفي «الشَّمائل» (٢٣٨)، وأبو يَعْلَى في «مسنده» (٣٧٧٦).

(٤) رواه أحمد (٣/ ١٦١)، والطبراني في «الكبير» (٥/ ٢٧٤).

يا رسول الله أحببت أن أطعمك منه وليس معي ثمنه؛ فضحك النبي ﷺ[1].

ومن وقائعه أيضًا: أنه رأى شخصًا أعمى من أكابر زهرة يقول: من يدلني على البراز؟ فسمعه نعيمان، فأخذ بيده وأجلسه في المحراب، وقال له: اقض حاجتك هنا، فشمر الرجل ثيابه وتهيأ لقضاء الحاجة؛ فناداه الناس: إنك في محراب المسجد، فقام وأرخى ثيابه، فقال: من قادني إلى هنا؟ فقالوا له: نعيمان، فقال: لئن وجدته لأضربه بالعصا، فسمع بذلك نعيمان؛ فآتاه وقال له: هل لك في نعيمان؟ فقال: نعم، فأوقفه على عثمان بن عفان وهو ساجد، فقال: هذا نعيمان؛ فعلاه الأعمى بالعصا على مقعدته وظهره، وهو ساجد فصاح الناس أمير المؤمنين، فقال: من قادني إليه فقالوا: نعيمان، انتهى.

وسمعت سيدي محمد السروري ﷺ يقول: ينبغي لشيخ الزاوية أن يكون حوله شخص قوي الوجه، يتكلم بالحق الذي يستحي الشيخ أن يتكلم به؛ كما إذا رأى سائلاً يسأل من الشيخ ثوبه، ويدعي أن ذلك على وجه التبرك بها، فيقول له: إن عندنا جملة من شعر رأس الشيخ، فخذ لك منه ثلاث شعرات فتبرك بها، فإنها أولى من الثوب؛ لأنها جزء من جسم الشيخ بخلاف الثوب، فينتفع الشيخ والسائل بذلك، أما الشيخ فقد يكون فقيرًا، ليس له ثوب غير ذلك، وأما السائل فحماه عن أخذ ثوب الشيخ بسيف الحياء، انتهى.

وقد قيض الله تعالى عندي ولدًا اسمه: علي التلباني لم يزل يفعل مثل ذلك مع الذين يسألوني الثياب، فيقول لأحدهم: إن عندي شيئًا من شعر الشيخ؛ فإن كنت

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣١٦)، وابن ماجه (٣٧١٩).

تطلب التبرك أتيتك بشيء منه، فيذهب ذلك السائل، ويتبين أن سؤاله؛ إنما هو استكثار من الدنيا، ولا يخفى ما ورد فيه من النهي.

ومن وقائعه أيضًا: أننا خرجنا لجنازة شريف خارج مصر في بلد اسمها: بلقيس، فرأى الشيخ شهاب الدين المنشاوي - الإمام بالزاوية- اكترى له حمارًا، فقال له: يا شيخ شهاب الدين الحمار يهزك فيحرك عليك الدموية، فتحتاج إلى فصد وضعف، ولكن خلني أركبه، وامش أنت خلفي أهون عليك، فقبل الشيخ شهاب الدين منه ذلك لسذاجته، فأضحك الفقراء ذهابًا وإيابًا.

وقال مرة أخرى للشيخ محمد الترساوي: اركبني معك على حمارك، فلم يرض فقال له: فاركب أنت معي، فقال: نعم، فربط الحمار بخيط؛ فصار يعرج إذا ركبه الترساوي، فنزل الترساوي عنه، فحل الخيط وركبه فمشي بلا عرج.

ومن وقائعه: أن شخصًا سافر معنا من مصر، ونحن نعمر الزاوية التي في بلدنا؛ فاحتجنا إلى حماره في حمل الطوب الأحمر، فلم يسمح بذلك؛ فأخذ التلباني طوبة وخلطها خميرة عجين، ولطخ الحمار بها، وصار يحمله ويمر به على صاحبه، فيقول له: هذا حمار قوي لا تفتقه إلى آخر النهار؛ لظنه أنه حمار غيره، فلم يزل يستعمله إلى الغروب، فأعلموا صاحبه بذلك فغضب، فقلت له: يا تلباني ما حملك على ذلك، فقال: أحببت أن يكون له نصيب في عمارة المسجد؛ وله وقائع كثيرة فمثل هذا لا بأس به في الزاوية؛ لأنه يضحك العبوس، فلا ينبغي منعه؛ إلا إن تعدى حدود الله في الأدب بغير نية صالحة.

ولما حج سيدي محمد السروي(١) قال لأصحابه: اجعلوا جمالنا ساقة الحج كله،

---

(١) هو سيدي العارف الكامل، الغيث الشامل، المشهور بابن أبي الحمائل، زاهد قطف قطوف

الكرامات، وعارف وصل إلى أعلى المقامات.كان طودًا عظيمًا في الولاية، وملجأ وملاذًا لطلاب الهداية.

أخذ عنه خلق كثير كالشناوي، والحديدي، والعدل، وأضرابهم. وكان عالي الهمة، كثير الطيران من بلد لآخر. وكان يغلب عليه الحال ليلاً فيتكلم بألسنة غير عربية من: عجم، وهند، ونوبة، وغيرها. وربما يقول: قاق قاق، طول الليل، ويزعق ويخاطب قومًا لا يرون. وإذا قال شيئًا في غلبة الحال نفذ.

وكان مبتلى بالأذى من زوجته، مع قدرته على هلاكها. فربما أدخل فقيرًا الخلوة، فتخرجه قبل تمام المدة، وتقول: قال لك فلان أنا ما أعمل شيخًا؟ فلا يتكلم.وقدم مصر فسكن الزاوية الحمراء، ثم زاوية إبراهيم المواهبي، وبها مات. وعزم عليه أمير، فأجلسه في مقعده، فنظر إلى السقف وقال: هذا يصلح لزاويتنا. ولم يكن عمّرها، فلما عمرها أرسل من يشتري له سقفًا، فوجد ذلك السقف بعينه يباع في السوق، فاشتراه، فهو سقفها الآن. وقال: إذا غلب على الفقير الحال، وتفلت من يده، صار كالأسد إذا انفلت، يكسر كل من وجده حتى ولده وصاحبه. وقال: لقنت نحو ثلاثين ألفًا، فما عرفني منهم أحد غير الشناوي.وكان يكره للمريد قراءة أحزاب الشاذلية، ويقول: ما ثم جلاء للقلوب مثل: لا إله إلا الله. وقارئ أحزاب الشاذلية كزبال خطب بنت السلطان، وصار يقول للسلطان: أعطني بنتك، واجعلني جليسك، وهو لا يعرف شيئًا من آداب حضرته. وقال: ما رأينا مريدًا وصل مقامات الرجال بقراءة الأحزاب.ودخل مرة على جماعة إبراهيم الشاذلي، وهم يقولون: اللهم اجعل لنا كذا، وافعل كذا. فزجرهم وأقامهم، وقال: يقول أحدكم: اجعل لي، واعمل لي، وهو لا يصلح لخدمة الخلق، فكيف بالحق؟ قال الشعراوي: وسمعته يقول: كنت جالسًا عند الشيخ يحيى المناوي في خلوته بجامع عمرو، أقرأ عليه في الأصول، وإذا بشخص أسود كبير البطن جدًا، عليه خيشة، ومتحزم بحبل، وقف على رأس الشيخ، فنظر إلى الكتب التي عنده، وقال: ما أكثر هذه الكتب! هل تحفظها كلها؟ قال: لا. قال: أنا أحفظها كلها. فقال الشيخ: كيف ذلك؟ قال : أنا أعرف أن كل حرف منها يقول: كن رجلاً جيدًا. ثم اختفى، فلم نجده، فقال الشيخ: اتبعوه. فما وجده أحد. فسألت الشيخ عن كبير بطنه، فقال: يا ولدي، هذه إشارة إلى أن السيئة تضيع فيها لوسعها. فلا يؤاخذ أحدًا، بخلافنا يا ولدي، بطوننا ضيقة، أدنى شيء يظهر فيها.

وكان يقول: لا ينبغي لفقير الاجتماع بشيخ وعنده التفات لغيره.وقال: لا يكمل الفقير حتى يقتل الله بسببه وسبب أصحابه بعدد أعضائه من الظلمة الذين يؤذنهم.قال الشعراوي: لقنني الذكر وأنا طفل سنة اثنتي عشرة وتسعمائة. مات بمصر سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة، ودفن بزاويته بين السورين. طبقات الشعراني (٢/ ١٢٦)، الكواكب السائرة (١/ ٢٩)، الكواكب الدرية (٨١٩).

فصار أصحابه في تعب شديد؛ لكونهم لا يصلون إلى المنزل إلا قريبًا من وقت الرحيل، فلا يسع الوقت لطبخهم وراحتهم، فاتفق جماعة من جماعة الشيخ أن يزاحموا بالجمال في محل آخر في مقدمة الركب، ففعلوا ووقع بينهم ضرب؛ فلما أخبروا الشيخ بذلك شكرهم عليه، وقال: إنما ينبغي فعلك المعروف والإيثار، مع من يقابلك بمثله؛ وأما من يكون قلبه فارغًا منك فمزاحمته أولى؛ لئلا يهلك جمالك، انتهى.

فإن قال قائل: ولأي شيء لم يكن الشيخ يفعل ما يفعله جماعته: من عدم إعطاء السائل ما سأل من الثياب وتقديم الجمال؛ حيث حصل الضرر بتأخيرهم في الساقة؟ فالجواب: إن منصب الشيخ يأبى وقوع مثل ذلك منه، وقد كان ﷺ يعطي العطاء للسائل، ويقول: «يذهب أحدهم بهديته يتأبطها نارًا»، فقال له عمر: فلم تعطيهم النار يا رسول الله؟ فقال: «فماذا أصنع؟ يأبون إلا أن يسألوني، ويأبى الله لي البخل»[1]، انتهى.

وقد ورد أنه ﷺ أعطى سائلاً ثوبه ولم يكن عنده غيره، فجاء وقت الصلاة فلم يقدر على الخروج؛ فأنزل الله تعالى عليه: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٩) فمن ذلك اليوم صار لا يعطي إلا ما زاد عن ضرورته ﷺ؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، ولا تمنعوا من يمزح معكم في الزاوية، ويخرجكم عن حد العبوس والتطوية إلا إن خرج من سياج الأدب بالكلية؛ بل قال الإمام الشافعي ﷺ: ينبغي للعالم الكبير أن يكون حوله من يسافه السفهاء عنه - انتهى- والحمد لله رب العالمين.

(١) رواه الترمذي في نوادر الأصول (٣/ ٧٦) بنحوه.

وينبغي للشيخ والفقراء إذا اطلعوا على خيانة أحد من المجاورين في سرقة نعال الناس وعمائمهم مثلاً، وأرادوا إخراجه: أن يتفقوا مع الشيخ على أمره بمداومة الذكر، أو عمل الحوائج، والخدمة التي تشق عليه ولا يقدر على فعلها؛ ليكون هو الخارج بنفسه من غير قوله الشيخ والجماعة له: أخرج من عندنا يا حرامي؛ فإنه لا ينسب إلى ساكت قول بخلاف ما إذا مسكناه ثم أخرجناه، فإن ذلك ليس من أخلاق الفقراء.

قد فعلت أنا بذلك مع شخص كنت وضعته في الخلوة على باب الفقير، فكان كل من دخل لزيارتي من جندي أو فلاح أو فقيه أو تاجر يأخذ نعله ويخفيه، ثم يبيعه بعد ذلك بمدة، وكنا لا ننطق في ذلك الفقير أنه يخون؛ فأخفيت ذلك عن إخوانه، وصرت أقول لهم: إن كنت مجاور عندي فاترك كل ما عدى الذكر، واذكر ربك فلم يقدر على ذلك، فذهب إلى الجامع الأزهر فاسترحنا منه؛ فالله يتوب علينا وعليه من غير ذلك، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: ألا يحضر في محفل من محافل الولاة مع العلماء والأكابر إلا إن كان يعلم من نفسه اليقظة، والقيام لكل داخل منهم، والتأخر من مكانه لأجله، فإن لم يعلم من نفسه اليقظة لمثل ذلك، فمن العقل حضوره في غير وقت حضور الناس؛ امتثالاً لأمر من دعاه إلى الحضور إلى عنده من الولاة؛ لأنه ربما كان يكره القيام له فلم يقم لأحدهم؛ مخافةً أن يدخل عليه تكدير، أو كان حاله بعكس من ذلك، فقامت على الشيخ القيامة ونسبوه إلى التكبر، وإلى احتقار العلماء؛ كما وقع لي ذلك مع شخص من علماء مصر أيام الباشا إسكندر وأيام الباشا علي، فمن تلك الواقعة ما حضرت محفلاً، وإن وقع أن الباشا كتب اسمي مع الذين يحضرون من العلماء

والفقراء؛ أستأذنه في الحضور وأحضر في غير وقت حضور الناس، وإن لم يقع مني استئذان ذهبت إلى محل الحضور، وأرسلت قول للباشا: وبعد...فإن الفقير فلانًا حضر إلى المحل الفلاني قبل الناس؛ امتثالاً لأمركم على وجه الاعتناء والمبادرة تعظيمًا لأمركم، ولم أقصد بذلك مخالفة إشارتكم؛ فيرضى مني بذلك.

فعلم أنه ينبغي للفقير: أن يكون امتناعه من الحضور مع العلماء؛ إنما هو لخوف من الإخلال بحقوقهم، لا حملاً على التكدر من عدم القيام لهم، فإن ذلك سوء ظن بالعلماء، فيعامله كمعاملة من يسئ بهم الظن من غير سوء ظن وعِلم أيضًا.

فينبغي لكل فقير طلب الحضور مع العلماء: أن يكون يقظًا وإلا لاثوا به إذا لم يتحرك لدخول أحد منهم، وربما كذبوه باللسان أو بالقلب إذا قال: إنما تركت القيام لفلان؛ لظني فيه أنه يتكدر لقيامي له، ومن شك في قولي هذا فليجرب وينظر ما يقال فيه؛ فإنهم لا يكادون يحملونه إلا على التكبر، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: أن يصبر على وعظ أرباب الشعائر من المؤذنين والفراشين وغيرهم روحه عليهم، ماداموا لم يخرقوا ببصرهم إلى الدار الآخرة، وينظروا ما أعد الله تعالى لمن يخدم بيته، وينظروا ما أعد الله تعالى لمن يخدم بيته، ويدعوا الناس إلى حضرة ربهم، وينظف مواضع وقوفهم بين يدي ربهم؛ فإذا خرقوا ببصرهم إلى الدار الآخرة فهناك يستريح الشيخ من وعظهم وترغيبهم في ذلك.

وقد منَّ الله تعالى على جماعة من أرباب وظائف الزاوية، وقرأ الأسباع بها فخرقوا ببصرهم إلى الدار الآخرة، ورأوا ثواب الله تعالى، وما أعدَّ لمن يخدم بيته ويقرأ كلامه، وأرجو لهم من فضل الله تعالى أن يمنَّ عليهم عن قريب بأنهم يعبدون

الله تعالى، ويرون الفضل لله تعالى عليهم بتلك العبادة؛ بل لو كانت الدنيا والآخرة في يد العبد، وبدلها في نظير الوقوف بين يدي الله تعالى لحظة في العمر مرة كان ذلك قليلاً.

وممن علمته خرق ببصره إلى الدار الآخرة، واستغنى عن من ينبهه على فعل الخير: ولد عمي الشيخ عبد السلام، والشيخ أحمد المنشاوي، والشيخ محمد الصعيدي، والشيخ ناصر الدين السندبسطي، والشيخ علي السرسي المؤذن، والشيخ محمد الخضري، والشيخ علي شقير، والشيخ إسماعيل الطباخ، والشيخ علي البهوتي، والشيخ أحمد البحيري، وجميع من يقوم يتهجد في الليل ويذكر الله ﷻ والدار الآخرة، فإنه لولا حب الله ﷻ والدار الآخرة ما قام في الليل، فأسأل الله تعالى أن يديم عليهم ذلك إلى المات، وأن يمن على بقية المجاورين بما منَّ عليهم - آمين...آمين- فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وألقوا بالكم إلى تحصيل الدرجات الأخروية؛ فإنكم ما دخلتم هذه الدار إلا للتزود لتلك الدار، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ وكبراء الزاوية: أن يحققوا الورد الذي يقرأ بعد صلاة الصبح يوم المحمل أو كسر النيل بمصر؛ رحمةً بالأطفال الذين يحضرون الورد خوفًا من تنفير قلوبهم من الخير، فإن قلوبهم تصبح وهي ناظرة إلى الفرج، ولا يكاد قلب أحدهم يجتمع على قراءة الورد؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، وداووا قلوب أطفال الزاوية وإلا أخلوا بواجبات دينهم، أو بما هو أهم من قراءة ذلك الورد.

وقد شاور شخص سيدي عليًّا الخواص ﷺ على أنه يجلس للمشيخة بسلك الناس في مصر، فقال له الشيخ: افهم هذا المقال ثم اجلس أو لا تجلس، فقال: نعم،

فقال له: إذا فتح الفقيه المكتب يوم الخميس بعد العصر، وقد شردت قلوب الأطفال للانصراف فأي فائدة، يحبس أجسامهم بلا قلوب، فإن قلوب الناس صارت كقلوب هؤلاء الأطفال؛ كحكم من يريد ضبط هؤلاء الأطفال، أو حكم من يريد تقطير الحجاج إذا رجعوا من سفر الحج ورأوا أوطانهم على حد سواء، ولو أن أمير الحاج قطرهم قهرًا عليهم رأوا ذلك عذابًا عليهم، فعلم أن ثمرة العبادات إنما هو حضور القلب مع الله تعالى لا غير، وإذا غاب القلب عن شهود الرب؛ فلا فرق بين تلك العبادة وبين العادة، وفي بعض الكتب الإلهية: **إن الله تعالى يقول للملائكة الكرام الكاتبين: اكتبوا عمل عبدي فلان واكتبوا أين كان قلبه حال العمل**»-انتهى- والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لجميع فقهاء الزاوية: أن يرجعوا إلى قول الشيخ في أمر الأطفال الذين يعلمونهم القرآن والعلم، فإذا تفرس الشيخ من طفل سوءا، فلا ينبغي للفقيه أن يمل قوله؛ لأجل خميسة، أو لأجل خدمته له ونحو ذلك، بل يرجع إلى قول الشيخ، ويريح نفسه من شدة التعب معه؛ فإنه لا خير فيه، ومن شك من الفقهاء فليجرب، فإن ذلك الفقيه لا بد أن يحصل له من جهته ذلك الطفل سوء إما في الدنيا وإما في الآخرة فينتقل إلى منعه آخر، ويصير يحط على معلمه، أو يترك القرآن والعلم وينساهما جملةً، ويعمل محترفًا، أو يعمل قاضيًا يحكم بالباطل ويأكل الرِّشا، ويدعي مع ذلك أنه من الصالحين، مع كونهم من أول من يسعر بهم النار، وما دام الطفل يخاف من هجركم له، ويراعي الأدب فأدبوه بالجوع، وأجركم على الله تعالى؛ فاعلموا ذلك أيها الفقهاء، واسمعوا لشيخكم إذا تفرس في صغير سوء، أو قال لأحدكم: لا تتعب نفسك في هذا الولد؛ فإنه لا يقول لك ذلك إلا إن أطلعه الله تعالى على عاقبة أمر ذلك الطفل.

وقد جربنا شيخنا الشيخ أمين الدين(١) الإمام بجامع الغمري، فما رأيناه أشار إلى سوء يحصل من صغير إلا ولا بد من وقوع ذلك السوء منه، ولا أشار إلى خير يحصل من صغير إلا وقع ذلك منه، ومقت نحو ثلاثين نفسًا فما أفلح منهم أحد؛ نسأل الله العافية.

ينبغي للشيخ وفقهاء الزاوية ألا يمكنوا أحدًا من الشباب المجاورين في الزاوية يخرج إلى فحامهه، أحد من جند السلطان إلا بسياسة وحسن ملاطفة؛ خوفًا أن يقع بينهم ضرب وشتم، وربما جرح بعضهم أو قتل، فسعوا بالشباب المدلاة الأمور، فأرسلوهم إلى مراكب الهند يقذفون فيها، وأخرجوهم من جنات ونعيم وعيون وفواكه، وجلوس في ظل ظليل، وأتعبوا سر شيخهم في الشفاعة فيهم، وأشاع الناس أن أهل هذه الزاوية من الذعر لأمن الفقراء؛ فالعاقل من عرف زمانه، ولم يكن له بين الناس كلمة ولا حرمة، وإذا طلب أحد من جماعة الولاة بأخذ الجبن

---

(١) قال المناوي: هو سيدي أمين الدين بن النجار البدراني، ثم المصري. إمام جامع الغمري، كان عابدًا زاهدًا، صوفيًا فقيها محدثًا، كتب بخطه من كتب الفقه والحديث والتفسير ما لا يحصى، وكان إذا قرأ في المحراب أبكى سماعه الناس، وكان لا يخرج من الجامع، مكث فيه سبعًا وخمسين سنة.

وكان الشيخ الغمري رحمه الله يقول: هو روح الجامع، وكان أولياء مصر -كابن عنان رحمه الله وأقرانه- يعرفون حقه ويزورونه، وكان لا يراه أحد من أهل الدولة إلا ونـزل وقبل يده، ومع ذلك يحمل الخبز على رأسه ويخبزه في الفرن، وكان إذا مقت رجلاً لا يفلح أبدًا.مات سنة تسع وعشرين وتسعمائة، ودفن بتربة بجوار الجعبري رحمه الله.

قال سيدنا الشعراني: رأيته في النوم، فروى لي حديثًا أسنده بالسرياني ومتّنه بالعربي، فقال: قال رسول الله ﷺ:« من أدمن النوم بعد صلاة الصبح، ابتلاه الله بالبعج»، قلت: وما البعج؟ قال: وجع في الجنب.. قال: وجربته، فوجدته كذلك. انظر: طبقات الشعراني (٢/ ١٤٧)، الشذرات (٨/ ١٦٥)، الكواكب السيارة (١/ ٣٣)، والكواكب الدرية (٧٦١) بتحقيقنا.

أو البرسيم أو التبن الذي اشتراه من أحد، فمن العقل أن يتركه لهم، ولا يعارضهم فيه.

وقد كان سيدي أحمد بن الرفاعي يقول: لا ينبغي لفقير يخاصم أحدًا من ضعفاء المسلمين فكيف بأقويائهم؟ فجاء رجل بولده ليدعوا له الشيخ، فقال: أسأل الله ألا يجعل لولدك كلمة ولا حرمة، فقال: لا يا سيدي، فقال: إن طلبت له الراحة فادع له معنا بذلك -انتهى- والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لجميع فقراء الزاوية: أن يساعدوا مُلَّاء الميضأة إذا كثر فقراءها في أيام الصيف، ونزح ماءها رفقًا بأخيهم، ولا يطالبونه بأن يملأ الميضأة لهم كل يومين والثالث مثلاً؛ لما في ذلك من المشقة عليه، فاعلموا ذلك أيها المجاورين، وساعدوا خادم الميضأة؛ وإلا فربما ملأ لكم ماء طهارتكم خوفًا من لسانكم، فيصير أحدكم يتوضأ بماء كالمغصوب.

وقد منع بعض الأئمة صحة الصلاة بالطهارة من الماء المغصوب، وقد أدركنا الفقراء الماضين وأحدهم لا يفارق الحبل، والإبريق، أو الركوة في أي مكان يكون فيه؛ ليملأ لنفسه، ولا يحتاج إلى الطهارة من ما تكلف أحد في تحصيله.

ومما وقع: أن فقيرين دخلا لزاويتنا من فقراء بلاد الهند، ونحن في مدرسة أم خوند، فلما رأيا ميضأتها يملؤها شخص من البئر امتنعا من الطهارة منها، وخرجا إلى الخليج، وقالا: هذا ماء مكلف لا ينبغي لفقير التطهر منه، فأعجبني صدقهما في الطريق، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للمجاورين: ألا يتساهلوا في تنبيه عيالهم على تأدية الصلاة في وقتها؛ لاسيما إن ذهبت إحداهن إلى عرس أو عزاء بمصيبة، فإن الغالب في نساء الفرح

والعزاء ألا يصلين في دار الفرح أو العزاء عادةً، ولكن إن كانت الواحدة من نساء المجاورين دينة تخاف على دينها، فلتذهب إلى الفرح والعزاء متطهرة؛ لتصلي الصلاة في وقتها، وإلا عرضت الصلاة للخروج عن وقتها، وكانت مصيبتها أعظم من مصيبة من مات له ميت.

وقد كان السلف الصالح كسفيان الثوري، وبشر الحافي، والفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم- رضوان الله عليهم- يعزون كل من فاتته صلاة، ويرون ذلك آكد من تعزية المصاب في ماله أو ولده؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، ولا تتساهلوا في ترك عيالكم الصلاة إلا بطريق شرعي كحيض أو جنون، فإنكم مسئولون عنهن يوم القيامة، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقهاء الأطفال إذا ربوا طفلاً وتعبوا فيه أكثر من أولادهم، ثم طلع بيضة فاسدة، وأراد الشيخ إخراجه من الزاوية أن يكون الفقهاء منشرحين لذلك ظاهرًا وباطنًا؛ فإن الشيخ لا يخرج أحدًا من زاويته، وهو يرجوا خيرًا منه في المستقبل أبدًا؛ وإنما يخرجه إذا رأى عياله كلها قد صرمت من الخير، لاسيما إن صار الطفل يعاشر العُيَّاق، ويجتمع معهم في أماكن بنات الخطأ ومواضع السكر، فإن مثل هذا يجب التبرؤ منه قطعًا، وإن كان له والدة ساكنة في الزاوية، وشق ذلك عليها فلتخرج معه، وتشغله بحرفة من الحرف؛ فما كل من دخل الزاوية يكون فقيهًا، وإنما هي كعمل البيض فمنه ما يتخلق حيوانًا، ومنه ما يطلع مذرًا منتنًا لا ينفع في أكل ولا غيره؛ فالعاقل من أطاع شيخه، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ وكبراء الزاوية: ألا يمكنوا أحدًا من فقراء الزاوية يستعمل شرب القهوة، وإن أفتى العلماء بحلها من حيث ذاتها؛ وذلك لما يؤدي إليه ذلك عادة

من عشرة أهلها الذين لا يتقيدون على قواعد الأدب، وربما جرهم ذلك إلى استعمال البُرش والحشيش، ومن شك فليجرب ولو لم يكن في استعمالها إلا ذلك لكان فيه كفاية في الزجر، وقد أفتى العلماء بتحريم شربها؛ من حيث هيئة تعاطيها من إنشاد الشعر حال مناولة الكأس للشارب كما يفعل شربة الخمر، وتأمل يا أخي نفرة قلوب العلماء وأهل العقول من استعمالها، ومعلوم أن القلوب لا تنفر من شيء إلا وفيه رائحة ريبة؛ فاعلموا ذلك أيها المجاورين واسمعوا نصحي؛ فإني والله ناصح لكم ما أنا غاش ولا متعنت، وإن أبيتم إلا استعمال القهوة للتداوي وقطع البلاغم كما يزعمون، فليكن ذلك بعد فقدكم ما يقوم مقامها من سائر العقاقير، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقهاء الأطفال في الزاوية إذا كثر المجاورون بها، وضاق وقفها عن جميعهم: أن يطلبوا من أهل الأطفال أن يتفقدوا الزاوية ببعض قمح، أو شعير، أو جبن، ونحو ذلك، وإلا بدأ الناظر بمن ليس له أهل من العميان والأيتام فصرف لهم ما يكفيهم؛ ثم إن فضل منهم شيء صرفه إلى من كان له أهل من المجاورين، ولا ينبغي للفقهاء أن يعارضوا في ذلك، ويأخذ أحدهم ما يرسله أهل الأطفال، ويختص به دون أهل الزاوية؛ فإن ذلك حيف وطمع وشره نفس؛ ثم إذا أمر أهل الأطفال بافتقادهم بالقمح ونحوه، فإن كان أحدهم قادرًا على القيام بالطفل فليرسل له كل سنة ثلاثة أرادب، وإن كان متوسطًا فيرسل له إردابين، وإن كان دون ذلك فإردب؛ مساعدةً لشيخ الزاوية ما دام وقفها ضيقًا عن حاجة الفقراء، فإذا اتسع الرزق فينبغي للناظر أن يقول: لأهل الأطفال لا تعودوا ترسلوا شيئًا، ويسابقهم إلى الأطفال ليكون الأجر له وللواقف؛ فاعلموا ذلك أيها الفقهاء واعملوا به فإن فيه خلاصكم، والحمد لله رب العالمين.

ينبغي لجميع فقراء الزاوية: ألا يتعبوا قلب النقيب إذا فرق عليهم طعامًا أو فصَّل لهم ثيابًا، فيطلب كل واحد منهم أن يبدأ به؛ لأن ذلك سقاطة نفس لا تليق بشهامة الفقراء، لكن الأدب أن يقول كل واحد: ابدأ بأخي قبلي؛ لاسيما إن كان ذلك الأمر الذي يفرقه عليهم بطيخًا مخزونًا، أو بلحًا لا يؤكل إلا إن ترطب؛ فإن النقيب لا يقدر يفرقه في يوم واحد، بل في أيام بحسب ما يتعطب من البطيخ، أو يترطب من البلح، وقد قالوا في المثل السائر: إذا غاب عنك أصله فإن دلائله فعله؛ أي: إن أفعاله تدل على خسة أصله أو شرف أصله؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان والزموا الأدب؛ فإن كان زلة تقع من الفقير ترده إلى حالة هي أنقص مما كان فيه قبل صحبة الفقراء، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقهاء الأطفال: أن يمنعوهم من الحموم في الأنهار والبرك أيام النيل مثلاً إلا لحاجة حر أو حدث، ثم إن مكنتموهم من الحموم بهذا الشرط فلتوصوهم ألا يخالطوا أحدًا من أولاد المباشرين وأهل الصنائع، ونحوهم ممن لا يتقيد بأدب الفقراء، ويحذرهم من ركوب بعضهم بعضًا في الماء؛ فربما لمست عورة أحدهما الآخر، ولا يخفى ما يتولد من ذلك لاسيما العزاب، وكل فقيه سامح الطفل الذي يقرأ عليه في قلة أدب، فهو غاش له ومن غش الناس فليس من المسلمين؛ فاعلموا ذلك أيها الفقهاء، وربوا أطفالكم ولا تغفلوا عنهم، والحمد لله رب العالمين.

ينبغي لجميع المجاورين: ألا يعكسوا ورد الزاوية إذا مرض الشيخ أو سافر، بل يكونون على ذلك في غيبته أو مرضه أشد فعلاً؛ وذلك حتى لا ينقضوا لشيخهم ولا لأنفسهم عملاً، وكان جماعة سيدي علي المرصفي يجعلون ثواب أعمالهم كلها في صحائف شيخهم؛ مجازاةً له على أورادهم، ويقولون: جميع أعمالنا التي نعملها طول

عمرنا لا تكافئ شيخنا على كلمة نصح نصحنا بها.

وقد منَّ الله تعالى عليَّ بجماعة يقومون بأوراد الزاوية إذا مرضت أو سافرت، منهم ولد عمي الشيخ عبد السلام، والشيخ شهاب الدين الشناوي، والشيخ محمد الصعيدي، والشيخ علي المنوفي، والشيخ علي البسطي، والشيخ شرف الدين الصائغ، والشيخ أبو النصر التفهني، فجزاهم الله عن دينهم خيرًا؛ فاعلموا ذلك واعلموا عليه، فإنه يرجع نفعه إليكم بالأصالة، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للنقيب: أن يرشد الفقراء الذين يغربلون قمح الفقراء، وينقونه من الطين والبخر، ويطحنونه، ويعجنونه، ويخبزونه؛ أن يكون أحدهم على طهارة وذكر؛ لتنزل البركة في قوت الفقراء، وإن رأى النقيب أحدًا من العجانين أو غيرهم من خدام الفقراء عنده كسل، أو مرض، أو شغل قلب معين يضعف داعيته للخدمة عمل تلك الحاجة مكانه، ولا يعطل الخدمة كما يفعله من يتخذ النقابة وظيفة رئاسة بالكلام دون الفعل؛ فإن ذلك ينقص مقامه وتوقفه عن الترقي الذي يطلبه الشيخ، إذ الشيخ لا يعمل نقيبًا إلا من يريد أن يجعله خليفة على الفقراء من بعده، فكلما زاد النقيب في الخدمة كلما طوى المقامات، وقرب من مقام الشيخوخة؛ فاعلم ذلك أيها النقيب واعمل به، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لمن كان الشيخ واسطة له في التزويج من المجاورين: أن يزيد في خدمة الشيخ، ويزيد في العكوف عليه زيادة عما كان عليه قبل التزويج، وليحذر أن يشتغل عنه بتلك الزوجة، التي ربما لا تستحق أكل نخالة الشعير لقلة دينها، وتركها الصلاة، وتساهلها بالطهارة، وكفرانها نعمة زوجها وغير ذلك، ويكون على علم هذا المتزوج أن الشيخ ما ساعده في التزويج إلا لما توهمه فيه من الخير والفلاح،

فطلب تزويجه أن يعكف على حضرته؛ ليرقيه في مراتب العلم والأدب إلى الغاية اللائقة بمثله؛ فاعلم ذلك أيها الفقير، واعكف على شيخك ليترقى إلى العكوف على حضرة ربك؛ فإن الأشياخ على الأخلاق الإلهية، فكما أن الحق تعالى يحسن إلى عبده العاصي ليتوب ويرجع إليه، فكذلك الشيخ قال تعالى: ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٨).

وكذلك القول في هجر الشيخ للمريد، فإنه ما هجره إلا لعله يرتدع بذلك ويتنبه لنقصه، ويطلب الكمالات من: زُهدٍ، وورع، وكرم، وكثرة الاحتمال للأذى، ونحو ذلك؛ وقد بسطنا الكلام على ذلك في كتاب «قواعد الصوفية» في باب: الأدب مع الشيخ فراجعه، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لجميع المجاورين إذا صحب أحدهم أحدًا من أبناء الدنيا الذين يشغلونهم عن العبادة، وعجز الشيخ في تنفيره عنهم، فقال لأبناء الدنيا: إن فلانًا ذكر لي عنكم يكرهونا وينقضونا في المجالس، ونحو ذلك من الفتن، أن يصدق الشيخ ولا يقول: حاشا لله تعالى أني أقول مثل ذلك، فإن فيه تكذيب الشيخ وغش نفسه، أو الشيخ إنما قصد بذلك نفع الفقير بتنفير أبناء الدنيا عنه، وذلك من الشيخ من باب التحذير حقيقة لا من باب رمي الفتن بين المسلمين.

وقد فعلت مثل ذلك مع الولد علي التلباني؛ لما تعلق قلبه بالشيخ محمد العبادي وصار جالسًا في قلبه؛ كلما أريد أدخل قلبه أجد العبادي سبقني وجلس فيه، فقلت للعباد: إن هذا الولد يبلغني عنك أنك تبغضني، وإنما تكلمني نفاقًا وملقًا، فوعدني بأنه ما عاد يدخله قلبه؛ فالله يتوب علينا وعليه من كل شيء يقطعنا عن طريق القوم، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لكبراء المجاورين: أن يتكدروا إذا جاءتهم أُضحية من جهة لا تسلم من الشبهة؛ كالتي يرسلها مشايخ العرب، بل ولو كانت حلالاً لا شبهة فيها ينبغي لهم أن يظهروا العبوسة والتكدر، ويقولون لنفوسهم: لولا قلة دينك ما أرسل أحد إليك هدية، بل كنت تدفعين ذلك بالهمة، وينسون اسمك بالكلية، والله إني لأتكدر من مجاور دخل علي وهو مسرور بما يرسله الولاة إلى الزاوية، ولا أقدر على نفسي التبسم له، بل ربما نهرته فخرج وهو متكدر، وربما قال: هذا جزاء الخير الذي أخبره بشيخه ينفع الفقراء، كيف يتكدر منه فلان؟ ويقيس حالي على حاله، فرحم الله من ردَّ كل هدية جاءت الزاوية ولم يعلمني بذلك، جملة بيني وبين من ينتسب في شيء من الشبهات إلى فقراء الزاوية.

ولما أرسل عيسى شيخ البحيرة بقرتين أضحية على يد النصراني المباشر عنده دخل علي النقيب وهو فرحان يبشرني بذلك فكدت أن أذوب، ولو كان لي ولاية عليه لضربته تعزيرًا؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واحفظوا نفوسكم من أكل الشبهات؛ لاسيما ما يأتي على يد النصارى لما في ذلك من المنَّة، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للنقيب وكل من أراد الله تعالى له الخير: أن يتفقد أطفال الزاوية في مجالس الذكر، ويعاتبهم على عدم حضورها ليتمرنوا على الخير، وإن رأى عجزه عن الحضور في مجالس الذكر إلى آخره أمرهم بحضوره عند الختام، ولا يتساهل النقيب في مثل ذلك؛ فإن ذكر الله أفضل من جمعه لهم على الطعام أو تفرقة الزكاة ونحو ذلك، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لكبراء الزاوية: أن يرشدوا صغارها إلى ترك التخلق بسفاسف الأخلاق من الشره والقبح وترك التعفف ونحو ذلك، ويأمرونهم بالرضا بما يعطيه لهم النقيب إذا فرق عليهم فاكهة أو لحمًا في العيد، أو كسوة في الشتاء والصيف، وألا يرد أحدهم على النقيب ما يعطيه له؛ لأن ذلك من سوء الأدب مع الله تعالى، ومع الشيخ، ومع النقيب، ومع الإخوان؛ بل كان الواجب على من يدعي أنه فقير أن يوصي النقيب أن يعطيه أدون شيء يكون، ويوفر إخوانه بالنفيس أو بالفاضل من نصيبه.

وسمعت سيدي أبا الحسن الغمري ﷺ يقول: ليحذر فقراء الزاوية من ردّ نصيبه إذا فرق النقيب على فقراء الزاوية شيئًا، ويقول: ليس ردي لأجل حقارة ذلك، وإنما ردي لازدرائه لي ولمقامي، فيقال هذا على أي وجه رددت من هذين الوجهين، فعليك اللوم؛ وكأنك بردك نصيبك تنادي على نفسك بأنه دني الهمة وخسيس الأصل، وأنك من أهل الشره والشح، انتهى.

فاعلموا ذلك أيها المجاورون، واكتسبوا الفضائل في بقية أعماركم، واستروا عورتكم بالإيثار والعفة والقناعة، والحمد لله رب العالمين.

ينبغي للشيخ: أن يأمر فقراء الزاوية إذا دخلوا إلى طريق القوم بالعزلة عن بعضهم بعضًا، ولا يجالس أحدهم أخاه إلا لضرورة؛ خوفًا أن يشغل أحدهما صاحبه عن عبادة ربه ﷻ، وقد قالوا: إن خلطة فقراء الزاوية لبعضهم بعضًا من أكبر القواطع عن الله ﷻ؛ إذ الخلطة لا تليق إلا بالشيوخ الذين عرفوا من علامة نفوسهم، وصار أحدهم لا يشغله عن الله تعالى شاغل، انتهى.

وتقدم في الباب الأول: أنه لا ينبغي للشيخ: أن يمكن الأمرد الجميل من

المجاورة عنده، إلا إن غلب على ظنه أن له قوة تحمي المجاورين من آفاته، ومن لوث الناس بهم؛ وأنه إن لم يكن له قدرة على هذه الحماقة، فمن العقل أن يقول له: اذهب إلى زاوية أخرى.

وسمعت الشيخ عبد الحليم بن مصلح ﷺ يقول: ينبغي لشيخ الزاوية: ألا يمكن أصحاب الصور الجميلة من المجاورة عنده، ولو كان أحدهم على العبادة والنسك؛ لاسيما إن كان حلو اللسان خدومًا لإخوانه، يُأخذ كلامه بالقبول؛ فإنه يفسد قلوب الضعفاء من المجاورين، وبغير. [و][1] أحدهم يحتج بعلاج الشباب وكثرة عبادته، والحال أن حبه مخلوط بالشهوات النفسانية، فليقيس شيخ الزاوية نفسه، ويتوجه إلى الله تعالى في أمر هذا الشاب، ويقول: اللهم إن كان في مجاورته لنا خيرًا وله فاجعله يقيم عندنا، وإن لم يكن فيها خير لنا ولا له فاصرفه عنا بفضلك يا أرحم الراحمين.

وينبغي لجميع من دخل في عهد الشيخ من فقراء الزاوية أو غيرهم، وتاب على يديه: أن يجدد العهد والتوبة، وتلقين الذكر كلما وقع في ذنب، ولا يتساهل في ذلك فيغش نفسه وشيخه بموت قلبه؛ بتراكم الذنوب على قلبه، وعدم معرفته بالتوبة النصوح من غيرها؛ فإذا جدد العهد وتاب ثانيًا وتلقن، فقد أحيا قلبه الذي كان مات بتلك المعصية أو ضعف أو فتر. لا بد في المعصية من حصول أحد هذه الأمور بحسب كبر الذنب وصغره في الشرع، وهذا الأدب يخل به كثير من الفقراء، فيستحي أن يجدد العهد فيفوته خير كثير؛ لأن المحبة التي كان شيخه بذرها في قلبه قد تلفت وتسوست، وما بقيت تنبت خيرًا، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ

---

(١) زيادة اقتضاها السياق، ولعلها سقطت من النسخة.

ﭐلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (النور: ٣١) فعلق الفلاح على وجود التوبة الخلاصة والله غفور رحيم، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للنقيب: أن يصغر الخبز إذا قل قمح الزاوية، ويسمي الله تعالى على كل رغيف حال التقريص، ويرشد النساء إلى ذلك فإنه مجرب لحصول البركة في الرزق، فيقوم الرغيف الصغير مقام الرغيف الكبير؛ إذ هو رغيف على كل حال، والأحكام تتبع الاسم غالبًا، وكانت عائشة -رضي الله عنها- تقول: أصغر والله يبارك لكم فيه، انتهى.

ولا ينبغي لأحد: الاعتراض على الشيخ في تصغير الرغيف أيام ضيق المعيشة؛ فإن ذلك خروج عن سياج الأدب، بل من المعروف أن يكون الفقراء هم السائلون في ذلك لحديث: «ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطن، حسب ابن آدم لقيمات تقيم صلبه»(١)؛ فاعلموا ذلك أيها الفقراء واعملوا به، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: أن يوسع على المجاورين في يوم وفاء النيل بالأكل والشرب؛ فإنه كيوم العيد بل أعظم عند العارفين بمقدار النعم، ولا يمنع الأطفال من المشي في الخليج يوم الوفاء، لكن مع صحبة من يوثق به من الفقراء.

وكذلك ينبغي للشيخ: أن يعطي مناديان النيل الدراهم والطعام؛ لأنه بشير الخير، وكان سيدي على الخواص ﷺ يعطي القياس دينارًا كل سنة، ويعطي المنادي نصف فضة يوم البشارة بالنقطة، ونصف فضة يوم الوفاء؛ وكان سيدي محمد ابن عنان يقلي للمجاورين الزلابية في يوم الوفاء، ويخرج لهم قدور العسل النحل،

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٥٩٠)، وابن ماجه (٢/ ١١١١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥/ ٢٨) بنحوه.

ويكون عندهم يوم سرور وفرح؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واعملوا عليه بنية صالحة، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لفقهاء الأطفال بالزاوية: أن يحرروا نيتهم في قرأتهم الأطفال على محبة الخير للأطفال بمناجاتهم ربهم بكلامه تعالى؛ محبةً في الله تعالى، وفي حصول الخير للمسلمين، ولا ينبغي لهم أن تكون همتهم في قراءة الأطفال القرآن مصروفة إلى شيء من أغراض الدنيا؛ كافتقاد أهل الأطفال للفقهاء باللبن، والكبد، والدجاج، والسمن، والبطيخ مثلاً؛ فإن ذلك دناءة همة ومروءة لا تليق بحملة القرآن، وقد أرشدت بعض فقهاء الزاوية إلى تحرير نيته على محبة الخير، فأعانه الله تعالى على ذلك فسأل الله تعالى دوام ذلك عليه إلى الممات، وأن يلهم بقية الفقهاء إلى حسن النيات؛ فإني أكره لإخواني أن تكون أعمالهم الأخروية وسيلة إلى شيء من الأغراض الدنيوية، حين خرقت ببصري إلى الدار الآخرة ورأيت ثواب الأعمال، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: أن يقيم نقيبًا لينبه المجاورين في الليل والنهار؛ للذكر والقرآن والصلاة وغير ذلك من الخيرات؛ حتى يحببه في الله تعالى ورسوله وجميع المسلمين، فإن من لم يتحقق بمحبة الله تعالى، ولا محبة الخير للمسلمين ليس عنده داعية تجذب تنبيه أحد من القائمين، إنما بينهم خوفًا من غضب الشيخ عليه كالمكره، ومن كان كذلك فربما لا يطيعه أحد في الاستيقاظ.

وقد جهدت كل الجهد في حصول نقيب يحب الله ورسوله، ويحب الخير لإخوانه صادقًا؛ فلم أظفر به إلى الآن، وكثيرًا ما أقول له: أقل درجات محبتك للخير لإخوانك: أن توقظهم للأعمال الأخروية؛ مثلما توقظهم لتفرقة فلوس أرسلها الباشا

أو أحد من الأكابر لتفرق على فقراء الزاوية، وكثيرًا ما أنظر في حلقة الذكر، فأرى نصف المجاورين غائبًا؛ فأتحير بين أن أفارق حلقة الذكر وبين أن أدور على الغائبين أجمعهم، ثم أخرج النقيب فيدور عليهم كرهًا عليه.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺيقول: ما غاب أحد عن مجالس خير إلا وهو أعمى عن ما في ذلك من الثواب والخير له، والحاذق من الأشياخ من فتح أعين المريدين أولاً حتى يروا الخير، ثم يأمرهم بعد ذلك بالحضور، قال تعالى لمحمد ﷺ لما طلب أن يهدي العمى: ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ ﴾ (الزخرف: ٤٠) وقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ﴾(الجاثية: ٢٣) فاعلم ذلك أيها النقيب وساعد الشيخ في الخير، والله يتولى هداك، وهو يتولى الصالحين، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ وكبراء الزاوية: ألا يتساهلوا في أخذ أحد شيئًا من الهدية التي دخلت الزاوية قبل قسمتها ولو كان ولد الشيخ، بل ولد الشيخ أولى بترك ذلك؛ لأنه علامة على سقاطة نفسه وكثرة شراهتها، ومن كان كذلك لا يصلح أن يكون شيخًا على فقراء الزاوية في مستقبل الزمان، وهو ضد لما يقصده له والده، ومن يحبه من الفقراء، وكان سيدي محمد الغمري يؤدب كل فقير قدم نفسه على إخوانه بالهجر والتوبيخ؛ خوفًا من فتح باب شراهة النفس في الزاوية، وذلك يفتح باب المخاصمة على الدنيا، ويطلب كل واحد أن يتخصص عن إخوانه، وذلك خروج عن سياج الفقراء.

وقد أخذ ولدي عبد الرحمن بطيخة من هدية دخلت الزاوية من سيدي عمر ابن الأمير الجاي قبل القسمة، فوبخته غاية التوبيخ بين المجاورين، وقلت له: إن

المجاورين وعيالهم مائة وخمسون نفسًا، والبطيخ خمسة عشر، فأي دليل بجواز أخذك بطيخة وحدك؟ بل لو كان البطيخ مائة وخمسين بطيخة، لكان من الأدب عدم مزاحمتك للفقراء في بطيخة واحدة؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واحسبوا عدد الرؤوس، وقسموا الهدية على قدر الرؤوس، وهو في مثل هذه الهدية كل عشرة أنفس في بطيخة؛ فإن الله تعالى أوجب العدل على الحكام، ولم يخص ذلك بكثير الدنيا دون قليله، بل عمم الحكم في القليل والكثير، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: أن يرشد المنشد في المجلس إلى مقام محبة الله تعالى، ومحبة ذكره، ومدح نبيه حتى يكون إنشاده لله تعالى لا يريد عليه جزاءً ولا شكورًا، ومحك الصدق في ذلك: أن يحب من لم ينقطه بالدراهم، ولا يشكره على مدحه أكثر ممن ينقطه ويشكره، وذلك إن لم ينقطه ولم يشكره وفر عليه الثواب الأخروي، وساعده على الأدب مع الله تعالى ومع رسوله ﷺ، ومن نقطه وشكره نقص أجره الأخروي، وعجل له ثوابه؛ فذهب إلى الآخرة صفر اليدين من الأجر؛ فليمتحن مدعي الإخلاص في مدحه نفسه، فإن رأى قلبه يحب من لم ينقطه، ولم يمدحه أكثر؛ فليعلم أنه صادق في الإخلاص، وإلا فهو مرائي كما مر تقريرًا مرارًا، وهي ميزات تطيش على الذر.

ثم إذا وصل المنشد إلى مقام تقديم من لم ينقطه في المحبة، ولم يمدحه على من نقطه ومدحه يؤمر بالخروج عن ذلك إلى الغيبة عن الثواب على ذلك مطلقًا؛ ثم يؤمر بطلب الأجر من باب الفضل والمنة عليه من الله تعالى، لا في مقابلة عمل؛ بل يرى الكل منه تعالى وإليه، وإنما أمرناه بأن يختم عمله بطلب الأجر من الله تعالى؛ لئلا تكون صورته صورة من يقول: أنا لا حاجة لي بفضل الله تعالى، ولا يخفى ما فيه من

سوء الأدب مع كذبه في ذلك؛ فإن العبد محتاج إلى فضل الله، ويفتقر إليه على الدوام شاء أم أبى، فكيف يقول أنا لا حاجة لي بفضل ربي؟ فاعلم ذلك أيها المنشد، واتبع في تحصيل مقام المحبة لله ولرسوله؛ حتى يكون عملك مرضيًّا، وإلا خاب سعيك، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لكبراء المجاورين: أن يزاحموا على القرب من الشيخ في مجلس الذكر مما يفعل خواص العسكر مع أميرهم في صف القتال، ويقبح على قديم الهجرة المدعي بنسبته إلى الشيخ: أن يتأخر إلى حاشية الحلقة، ويتقدم إلى الشيخ الإغراء، وربما أعطى الله تعالى الشيخ في ذلك المجلس النظرة التي إذا وقعت على أحد سعد، وانصبت عليه الإمداد من حضرة الله تعالى صبًّا.

وقد وقع أن سيدي الشيخ يوسف العجمي[1] -شيخ سلسلة الفقراء بمصر-

---

(١) هو سيدي يوسف بن عبد الله بن عمر العجمي، العارف جمال الدين أبوالمحاسن الكوارني ثم المصري.ولد ببلدة وران، ونشأ بها على قدم التجريد، وجد واجتهد، وأخذ الطريق عن النجم محمود الأصفهاني، والبدر الششتري وغيرهما، ثم أمر بالتحول إلى مصر.

وذلك بينما هو نائم ذات ليلة إلا وقد أمر بالسفر إلى مصر، والإقامة بها للتسليك، فانتبه واستعاذ واستغفر، وتطهر وصلى ركعتين، ثم اضطجع ونام على جنبه الثاني، فأتاه آت، وأمره كذلك، ففعل كما فعل أولاً، وتكرر ذلك مرارًا ، فقال: لزم المسير.

وأخذ دلقه وقصعته، وخرج من البلد فورًا ليلاً، فأسفر الصبح وهو بشاطئ دجلة، فخاض فيها إلى أنصاف ساقية وقال: اللهم إن كانت رؤياي حقًا فأرنيه لبنا، وغرف بقصعته، فإذا هو لبن، فأراق، ثم قال كذلك واغترف، فإذا هو لبن – ثلاث مرات- فسار مجدًا في السير حتى دخل مصر.

وهو أول مسلكي مصر بعد انقطاع السلسلة منها. فكثر بها أتباعه جدًا، اشتهر ذكره، وبعد صيته، وكثر معتقدوه. قال ابن حجر: وكان أعجوبة زمانه في التسليك، وله أتباع ومريدون كثيرون، ولبس الخرقة،

ﷺ: خرج يومًا من مجلس الذكر، فطلب أحدًا من الفقراء يقبض عليه ما فاض من المدد، فلم يجد أحدًا فنظر إلى كلب على باب الزاوية، فصارت كلاب مصر كلها تنقاد له؛ فإن مشى مشوا، وإن وقف وقفوا، وصارت الناس يندرون الذبائح للكلاب، وضاقت عليهم شوارع مصر؛ فخرجوا إلى كيمان البرقية، فبلغ ذلك سيدي يوسف؛ فأرسل وراء ذلك الكلب، فلما وقف بين يديه قال له: اخسأ، فأكله الكلاب لوقته، وكان سيدي يوسف بعد ذلك يتأسف ويقول: لو أن تلك النظرة وقعت على فقير؛ لانقاد إليه جميع أهل مصر في الإرشاد وانتفعوا به؛ فاعلموا ذلك واعملوا به، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي لجميع كبراء الزاوية: ألا يفارقوا شيخهم مثلاً إذا طال بهم مجلس الذكر من العشاء إلى الفجر مثلاً؛ لأن المدد ربما كان لا ينزل إلا في آخر المجلس؛ لكثرة شتات قلوب أهل ذلك المجلس، وقد قالوا: ينبغي للفقير أن يكون مترقبًا للأمداد الإلهية ليلاً ونهارًا، لا يغفل عن ذلك؛ لأن نفحات جنود الحق -جل وعلا- ربما أتت إلى عبد، فوجدته غافلاً عن الافتقار إليها؛ فترجع إلى غيره، انتهى.

ومن هنا كان المريد الصادق لا يمل من العبادة، وقد كان ابن المؤذن بناحية أم عبد الله بالبحر الصغير، لا يراه أحد غافلاً عن التوجه إلى الله تعالى في ساعة من ليل أو نهار، حتى صلى الصبح بوضوء العشاء نحو أربعين سنة، وكان سيدي محمد السروي ﷺ يقول: ألا تعجبون من ابن المؤذن؟ لم يترك قطرة مدد تنزل من السماء في ليل أو نهار إلا وله فيها نصيب! انتهى.

ولقن الذكر، وسلك، فأجاد، وعم نفعه البلاد والعباد، انظر: طبقات الشعراني (٢/ ٦٥)، كرامات الأولياء (٢/ ٢٩٣)، والدرر الكامنة (٤/ ٤٦٣)، الكواكب الدرية (٦٨٤).

وممن أدركته على هذا القدم من مشايخي الشيخ محمد بن عنان، والشيخ على الضرير النبتيتي، والشيخ محمد الشناوي، والشيخ محمد العدل؛ كان نورهم في الليل والنهار إنما هو خفقات برؤوسهم وهم جالسون، وكان سيدي محمد الشناوي كثيرًا ما يفتح مجلس الذكر بعد العشاء في ليالي الشتاء الطويلة، فلا يفرغ منه حتى يطلع الفجر، ثم يفتتح المجلس الذي بعد صلاة الصبح، فلا يفرغ منه إلى الظهر، حتى كان الأصحاب الذين يأتونه للزيارة يرجعون مرضى من طول السهر؛ لاستحيائهم من الشيخ أن يناموا والشيخ جالس؛ فاعلموا ذلك أيها الإخوان، واستغنموا مجالسة ربكم في ذكره في هذه الدار ولا تملوا، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للمجاورين: أن يكون أحدهم دائم الحمد والشكر بدوام الاعتراف بفضل ربه تعالى عليه؛ فإن الله تعالى لا يحول عن عبد نعمة إلا إن كان غير معترف بفضل الله عليه فيها، وقد جربوا فوجدوا العبد إذا كان في ضيق من المعيشة، وقال: أنا بخير فلا بد أن يوسع الله تعالى عليه عن قريب عكس من يكون في خير ويشكوا من ضيق اليد؛ فإن الله تعالى لا بد أن يضيق عليه الرزق عن قريب؛ فاعلموا ذلك أيها المجاورين، واشكروا فضل ربكم عليكم، ولو لم يكن إلا نقلكم من بلاد الريف إلى المدائن، وإلباسه لكم الثياب الرفيعة، وإطعامه لكم المطاعم اللذيذة، فضلاً عن تعليمكم القرآن والعلم، وجلوسه في الظل وأهله في الحرث أو الحصاد والدراس، أو جرف الجسور ومدها، ونحو ذلك من الأعمال الشاقة، وإياكم أن يرد أحدكم على النقيب الخبز اليابس، ويطلب الخبز اللين؛ فإن ذلك ربما كان سببًا لتحويل النعم عنكم، والحمد لله رب العالمين.

ينبغي للنقيب إذا ضرب الشيخ به المثل في: قلة أدبه، وشراهة نفسه،وكسله

وخموله مثلاً دون غيره: أن يفرح بذلك، ويقول: لولا علم الشيخ من قلبي الإخلاص، وثبات الود والمحبة له لما ضرب بي المثل بذلك، ولكان حماني منه كما حمى من كان قريب العهد في صحبته، ممن هو في مقام التأليف؛ ثم إذا قدر أن النقيب أخذ على الشيخ في نفسه، وصار يمنُّ على الشيخ بخدمته السابقة له، فمن الأدب من المجاورين: ألا يحوجوا الشيخ إلى أن يعدد على النقيب ما جعله الله له على يديه من النعم، بل ينزهوا الشيخ عن مثل ذلك؛ لئلا يلوث القاصرون به، ويحملونه على أنه إنما تعدد على النقيب النعم التي جاءت على يديه بحظ النفس؛ كما هو شأن النقيب.

ويكون على علم الإخوان: أن الشيخ الأشياخ لا يعددون على مريد ما جاءه على يديهم من النعم؛ إلا تأسيًا بأخلاق الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ ﴾ (البقرة: ٤٠) لا لشيء من الأغراض النفسانية، وإنما يقصدون بذلك رد المريد إلى محل ترتيبهم؛ إذا ذكروه بتلك النعم التي جاءته على يديهم، ونسيها كما هو شأن كل داعٍ إلى حضرة الله تعالى.

وليحذر النقيب إذا تكدر من ضرب المثل به في الخمول والكسل، وخاب ظن الشيخ فيه العقل والثبات في المحبة: أن يعكس الأوراد، والاشتغال بالله، فتهامه في الشيخ؛ فإن منفعة تلك الأوراد إنما ترجع إلى قائلها، ولا ينبغي لمؤمن من أن يفوت على نفسه الخير، ولا ينوي فواته لو أنه لم يقيم، بل الواجب على النقيب الإكثار من الذكر والقرآن، وفعل الخيرات مدة تكدر شيخه منه؛ استجلابًا لرضا الله تعالى عليه، فإن غضب الشيخ أو رضاه عنوان على غضب الله تعالى على ذلك النقيب أو رضاه عنه.

وينبغي للنقيب إذا طلب يطيب خاطر الشيخ عليه: أن يسوق عليه أكابر الأصحاب والمجاورين؛ حرمةً للشيخ وإظهارًا للأدب، ولا يجوز له أن يحوج الشيخ إلى بدأته بالصلح، وتقبيل رأسه مثلاً؛ فإن في ذلك إجلال بمقام الشيخ، واستهانة بالطريق؛ كما يقع فيه المريد الأعمى القلب عن أحوال الدنيا والآخرة، ومن فقد ذلك فقد عزل عن مقام النيابة، وإنه يريد أن يكون الشيخ تحت حكمه وتصريفه، عكس ما كان يرى نفسه قبل ذلك؛ فاعلم ذلك أيها النقيب، واحمل شيخك على المحامل الحسنة حسب الطاقة، والحمد لله رب العالمين.

ينبغي للشيخ إذا كان ناظرًا على وقف الزاوية، وفاض له شيء على الوقف: أن يسامح به ويشارك الواقف في الأجر، ولا ينبغي له أن يطالب به جهة الوقف، أو يقطع شيئًا من جوامك المستحقين حتى يستوفى ذلك القابض؛ فإن ذلك معدود من الأمور التي تخل بمروءة الفقراء؛ لاسيما إن كان ذلك الوقف من جهة شيخه الذي هو في زاويته، وعائش في مدده كتلامذة سيدي أحمد الزاهد، أو سيدي مدين، أو سيدي محمد الغمري، أو سيدي إبراهيم المتبولي، أوخليفة سيدي أحمد البدوي وأضرابهم؛ فإن الخليفة لا ينبغي له أن يرى له ملكًا مع شيخه.

وقد جاءني جماعة سيدي أحمد البدوي يشكون لي من خليفتهم، الشيخ عبد المجيد؛ من حيث إنه طالبهم بما فاض له من المال بعد حساب الوقف، فأمرته بأن يسامح الوقف بجميع ما فاض له بعد حساب الوقف.

وقلت: أنت خليفة سيدي أحمد وخليفة سيدي عبد العال، وقد أحسنا لك بجعلك خليفة لهما في مقامهما؛ فكيف ينبغي لك أن ترى لك معهما ملكًا؟ إنما الواجب عليك أن تشكرهما على ذلك. فسامح بما كان له، فشكره الفقراء على ذلك،

فهكذا، فليكن التلميذ والخليفة في أمر وقف زاوية شيخه، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: أن يخرج عن كل من بدل وغيّر ما كان عاهده على فعله من تعليم العلم والأدب، وكثرة الذكر، وكف الجوارح عن المعاصي والرذائل؛ لئلا يتلف بقية الجماعة الذين لم يرسخ حب الطريق في بواطنهم؛ فإنهم إذا راءوا بعضهم يأكل، ويشرب، وينام، ويراعي الملابس النفيسة من الجوخة والمضربة والشاش الرفيع، وترك الأكل من طعام الزاوية، وهو مقيم بالكرم؛ طمحت نفوسهم إلى أن يتبعوه في ذلك، وأن يخرج الشيخ مثل هذا، فسوف يخرج هو ويترك الشيخ؛ فإنه لو كان صادقًا في صحبة الشيخ لكان حكمه بعكس حاله الآن، كلما طالبه صحبته ازداد زهدًا في الدنيا وملابسها ومأكلها؛ كما جرى عليه الفقراء الصادقون من عهد أصحاب الصُّفَّة إلى عصرنا هذا.

وقد كان مصعب بن عمير أعرف غلام بمكة، وأطيبه عيشًا بشهادة رسول الله ﷺ، فلما صحب رسول الله ﷺ صار يخرج في عنقه جلد كبش، وكان رسول الله ﷺ يبكي إذا رآه ويقول: «انظروا هذا دعاه حب الله ورسوله إلى ما ترون»[1]، انتهى.

كما اجتمعت بالبطرك قال لي: إن شرط رهبان الكنائس عندنا: ألا يلتفت أحدهم إلى شيء من شهوات الدنيا من مأكل أو ملبس أو بطالة، وكل راهب فعل شيئًا مما ذكر أخرجناه من الكنيسة؛ لئلا يتلف بقية الرهبان، وأخبرني أن من شرط البطاركة والرهبان: أن يجتنب عدوة الله إن أراد أن الحق تعالى يحبه، فقلت له: وما هي عدوة الله؟ قال: الدنيا من مأكل أو ملبس أو منام أو جاه.

---

(١) ذكره اليافعي في «مرآة الجنان» (١/ ٣).

وأخبر أيضًا: أن من شرط الرهبان عندهم: ألا يبيت أحدهم على دينار ولا درهم، ومتى بات على ذلك خرج عن طريق البطاركة والرهبان، قال: وكذلك بلغنا عن نبيكم، فقلت له: نعم كان ذلك من صفته، فقال: فلأي شيء تخالفون نبيكم؟ فقلت له: ذلك من الشقاء، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فقلت له: فهل يجد أحدكم في قلبه أنسًا بربه إذا ترك شهوات الدنيا؟ فقال: نعم ولولا ذلك الأنس ما وفَّى الرهبان بحق الرهبانية، فقلت له: ما غاية ما يصلون إليه في الرهبانية؟ فقال: غايته أن يغلب عسكر الروح والقلب على عسكر النفس، وذلك أن مطلوب النفس الأكل والشرب والنكاح وغير ذلك، ومطلوب الروح أو القلب مشاهدة الرب -جل وعلا- فما دام عسكر النفس غالبًا لعسكر الروح، فالراهب منا في محاربة على الدوام. انتهى كلام البطرك.

وسمعت سيدي عليًّا المرصفي ﷺ يقول: والله ما كنا نظن أننا نعيش حتى نرى زوايا الفقراء صارت مصيدة للدنيا، فنسبت فقراؤها إلى الطريق؛ ثم إذا لاح لأحدهم شيئًا من الدنيا وثب عليه كالأسد، وخاصم كل من صده عنه، وكان الواجب عليه أن يشكر فضل كل من صد عنه الدنيا؛ لأنه ساعده على عدم حجابه عن حضرة ربه، وربما خرج فقراء الزاوية في بعض الليالي إلى القراءة بالفلوس في البيوت وعلى القبور، حتى تصير الزاوية لا يوجد فيها أحد يقول: لا إله إلا الله - انتهى- فاعلموا ذلك أيها الإخوان، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: أن يعامل الله تعالى في تعبه في تربية المريدين، وخدمتهم في تهيئة ما يأكلون وما يشربون وما يلبسون، ولا يطلب منهم على ذلك جزاءً ولا شكورًا، بل يفعل ذلك كله إكرامًا لهم؛ لكونهم عبيد الله ﷻ، ولولا نسبتهم

بالعبودية إلى الله تعالى ما كان خدمهم تلك الخدمة؛ فإذا فعل ذلك، واطلع الحق تعالى على نيته جازاه بفضله أعظم جزاء، وأما من يخدم الفقراء؛ لعلة وقوع مجازاتهم له بالشكر في المجالس فيا خيبة سعيه؛ لأنهم لم يُقابلوا على خدمته لهم بشيء، ولا هو عامل الله تعالى حتى يجازيه بالأجر والثواب، وليعلم سيدي الشيخ: أنه في زمان ما بقي أهله يحتملون إقامة ميزان التحقيق في مقام يدعونه بالعاقل من أخلص في معاملته لله، واستعان به عمن سواه، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ: ألا يفرح بكثرة المجاورين عنده، وإنما اللائق به الحزن؛ وذلك لأنه يعجز عن تربيتهم ونصحهم كلما كثروا، وربما أحوجوه إلى سؤال الناس لهم القمح والأدم وغيرهما ولو بالتعريض، وقد قال رسول الله ﷺ: «ما قلَّ وكفى خير مما كثر وألهى»[1] ومن تأمل بعين البصيرة وجد غالب من يجتمع عليه، ويصحبه الزمان الطويل لا يستفيد منه أدبًا ولا علمًا صحيحًا، وغاية الواحد منهم أن يفتح عليه بشقشة اللسان بكلمات يتلقفها من الشيخ، لا تفتل أحدًا عن ما هو فيه من العمى والحجاب؛ ثم إن تنكر عليه الشيخ يومًا وطرده عن بابه، تكلم في حقه بما لا يليق؛ فالعاقل من عرف زمانه، بل رأيت أنا بعيني جماعة أخرجوا والدهم من الدار بعد أن رباهم وزوجهم، وأعطاهم بهائمه وزرعه، وقالوا له: اخرج عنا يا شيخ النحس ليس لك عندنا مال ولا دار، فصار دائرًا على وجوه الناس بالعجوز التي معه، لا يجد أحدًا يؤويه؛ فاعلم أيها الشيخ ذلك، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ إذا كان أحد من جماعته مكتسبًا بالتجارة أو غيرها: أن يعلمه

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٩٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٨/ ١٢١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٨٢)، والطبراني في الأوسط (٣/ ٧٧)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٢٩٧).

الآداب المتعلقة بالتجارة؛ لاسيما إن كان أحدهم شيخ السوق، وقد بسطت الكلام على آداب التجار وسائر المحترفة في أواخر كتاب «العهود الكبرى»، ولكن نذكر للإخوان هنا طرفًا صالحًا من ذلك، فنقول وبالله التوفيق:

من آداب التاجر: أن يكون أول غارم إذا نزل على السوق نازلة حسب طاقته، ولا ينبغي له أن يقول: أنا فقير الحال، ويتشفع بالعلماء والصالحين إلا إذا كان عاجزًا العجز الشرعي، وربما قبل الولاة شفاعة العلماء والصالحين، وعتقوه من تلك الغرامة، فنزلت عليه مصيبة وحده هي أشد من تلك الغرامة كما جرت.

ومنها: أن يكون شيخ السوق مع أهل سوقه بالباطن، ومع الولاة باللسان فقط، وإذا اجتهد شيخ السوق في مقدار غرامة كل أحد بحسب حاله، فخالفوه بقوله لهم: دستوركم أرفع يدي من بينكم، وأدع الحكام يحكموا فيكم بحسب ذنوبكم، فإذا اختاروا رفع يده يقول: اللهم اشهد، وينصرف عنهم، وليحذر كل الحذر من أن يكون مع الولاة على أهل سوقة في الجور عليهم، أو يسمر حوانيتهم؛ فإن ذلك يستحق به العزل عنهم، وليحذر أيضًا أن يحمي نفسه وعصبته وأقاربه ونحوهم من الغرامة، ويوزع ما كان عليه على الناس؛ بأن ذلك يذهب هيبته من القلوب لعدم عدله، بل ينبغي له إذا كان حاله واسعًا أن يتحمل عن فقراء السوق جميع ما يخصهم من الغرامة، ولو لم يشكروا فضله على ذلك أو يعلموا به؛ فإن المعاملة حقيقةً إنما هي مع الله تعالى لا مع الخلق.

ومنها: أن يكون آخر الناس دخولاً السوق وأولهم خروجًا، ويأخذ الفائدة اليسيرة من الناس؛ فإن الخوف يذهب البركة، وليحذر أن يبيع برأس ماله فقط من غير فائدة أصلاً، فإن ذلك يركبه الدين؛ لأن البيع إنما شرع للارتفاق بالناس والربح

من المشتري.

وأما قول بعض السلف: ليس من المروءة الربح على الإخوان، فذلك محمول على من يفعل ذلك من كان ماله واسعًا جدًّا.

ومنها: ألا يخرج من السوق مع الأوائل إلا إن ربح ما يكفي قوت عياله ذلك اليوم، وإلا مكث في حانوته إلى آخر النهار؛ لاسيما في يوم السوق والاثنين والخميس.

منها: ألا يغمز زبونًا وقف على جاره أو غيره؛ ليعطيه ما كان يطلبه من ذلك الشخص، ويكثر الحلف على البيع بالله تعالى وصفاته، أو يخبر المشتري وهو شاك فيه، أو يكتم العيب في تلك السلعة بأن ذلك كله ممحقة للبركة.

ومنها: أن يتوقى بيع من رآه جاهلاً بالقيمة إلا أن يكون أشفق عليه من والديه، فإن نصح المشتري، وأخرج له الثوب النفيس، واختار المشتري الخسيس، ولم يرجع لنصحه فليقل: اللهم اشهد أني نصحته، فلم يسمع نصحي ثم يبيعه بعد ذلك، وهذا الأمر قد كثر في الناس، فصار التاجر النصوح إذا أخرج للمشتري الثوب السالم من العيب يقول له: أعطني أحسن من هذا، فإذا أخرج له الثوب المعيب رضي به؛ وذلك لكثرة ما يرونه من غش الناس لبعضهم بعضًا.

ومنها: أن يعلم الشيخ من يقبل التعليم من أهل السوق آداب السلف في البيع والشراء، والأصحاب التي ينزل الله بها البركة، ونصح بها البيع والشراء من غير تحريم، وإن لم يكن الشيخ فارغًا لتعليمهم، فيرشدهم إلى أحد من الفقهاء يعلمهم ذلك.

وقد كان الإمام مالك ﵀ يدخل السوق كل قليل ومعه الدرة، فكل من رآه

لا يحسن البيع والشراء يضربه بالدرة، ويقيمه من السوق ويقول له: تفقه في دينك ثم بع واشتر.

منها: أن يأمر التجار بالصدقة في كل يوم لتدفع عنهم البلاء، فإن لكل يوم بلاء ينزل فلا يرفعه إلا الصدقة، وكان سيدي علي الخواص ﵁ يتصدق كل يوم بخمس الربح الذي يقع، ويقول: من واظب ذلك لم تلحقه فاقة أبدًا، ويقرأ قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ (الأنفال: ٤١) وإن لم تكن الآية نزلت في ربح التجارة؛ فهو قياس على الغنيمة.

وسمعت سيدي محمد المنير[1] ﵁يقول: ما دام التجار يخرجون زكاة أموالهم، فلا يسلط الله تعالى عليهم أحدًا يأخذ أموالهم بغير حق أبدًا، فليقيس التاجر نفسه

---

(١) هو سيدي أحد أتباع الشيخ إبراهيم المتبولي. كان صالحًا نحريرًا على طريق التصوف قديرًا. وكان مقيمًا ببلبيس، ثم عمّر زاويته المعروفة لما قيل: إنه عطشت امرأة وولدها من المارة في ذلك المكان، فمات الولد عطشًا، فاجتمعت عليه الفقراء. ووقف خاير بك رزقه على سماط زاويته.وحج بضعًا وستين حجة.وكان يقول: ما دامت اللقمة في زاويتي، فالبلاء عن أهل مصر من جهة المشرق مدفوع، فإذا فرغ الطعام منها أتاهم. وكانت عمامتـه من صوف أبيض، وله شعرة، ويلبس بشتًا مخططًا بأحمر، ويقول: أنـا أحمدي. ولا يركب في طريق الحج إلا نادرًا، ولا يحلق رأسه إلا لنسك.

وكان ممن يشفع بعرفة في الموقف في عصاة الحج.وكان سريع العطب لمن يؤذيه. أنكر عليه الشيخ محمد بن عراق قبوله لصدقات الأمراء للفقراء، فكشف رأسه، وجعل عمامته تحت إبطه، ووقف بباب خلوة ابن عراق، وقال: قولوا له: المنير. فلم يخرج إليه، فشكاة للمصفى ﷺ فمرض ذلك اليوم، فمات بعد العشرين يومًا، وكانت هذه عادته، ما كشف رأسه لأحد إلا قتل.ويقال: إنه كان يحفظ «الروضة». وإنه كان يأتي كل يوم من زاويته إلى القاهرة يحضر درس ابن إمام الكاملية، ويرجع إلى زاويته من يومه.مات سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة، ودفن بزاويته. انظر: طبقات الشعراني (٢/ ١٣٠)، الكواكب السائرة (١/ ٩٥)، والكواكب الدرية (٨٠٨) بتحقيقنا.

قبل أن يتظلم، انتهى.

وكان يقول: الفقراء الصادقون أولى وأحق من يزن الغرامات من غيرهم؛ خوفًا من كراهة الحق تعالى لهم، فإنه تعالى يكره العبد المتميز عن أخيه حتى في ترك وزن الغرامات.

ومنها: أن يمنع أحدهم أخاه أن يشتكي أحدًا في بيوت الحكام إلا لضرورة شرعية، وأن يقبلوا سياق العلماء والصالحين إذا طلبوا منه الصبر على المديون والتقسيط عليه بقدر حاله، أو إسقاط شيء من الدين عنه، وإن لم يقبل سياقهم فهو مغلوب في كل بيت دخله من بيوت الحكام كما جرب؛ وليعلم صاحب الحق: أن مقام العلماء والصالحين يجل عن رد شفاعتهم، بل الذي ينبغي له أن يرى الألف دينار قليل لا تساوي حق طريقهم لو تركها كلها للديون.

ومنها: أن يعطوا الفقير في السوق غفارته، وجماعة الولاة عادتهم لا يحوجوهم إلى إظهار الحكم فيهم بين الناس، وقد كان سيدي علي الخواص يعطي جباة الظلم عادتهم من غير سؤال، ثم يبرئ ذمتهم من ذلك في الدنيا والآخرة، ويقول: أستحي من الله أن أرى لي حقًّا يوم القيامة على أحد من عبيده؛ وبالجملة فيحتاج من يبيع ويشتري إلى معرفة أقوال علماء المذاهب؛ ليبيع بما يتفق عليه المذاهب كلها، أو على مذهب يرى صحته إن أراد التورع في مكسبه، والحمد لله رب العالمين.

[الخاتمة في مؤاخاة الشيخ الشعراني بين أصحابه وذكر من آخى بينهم]

الخاتمة الموعود بذكرها في الخطبة: اعلم أنه ينبغي للشيخ: أن يؤاخي بين إخوانه كلهم؛ اقتداءً برسول الله ﷺ، فقد ثبت أنه ﷺ كان يؤاخي بين أصحابه طلبًا لتأليف قلوب بعضهم على بعض ليتعاضدا، ويتساعدا على إحياء الدين وعدم ضعفه، وهذه إخوة زائدة على إخوة الإسلام العامة.

وقد جاءني [سيدي](1) الشيخ عبد القادر الجيلي، وسيدي أحمد بن الرفاعي- رضي الله عنهما- في ليلة الجمعة ثالث عشرين المحرم سنة سبع وستين وتسعمائة، وقالا لي: آخ بين أصحابك، فقلت: سمعًا وطاعة، فآخيت بينهم؛ امتثالاً للشارع ولأمر هذين الشيخين -رضي الله عنهما- فرأى تلك الليلة جماعات منهم في المنام، كأن الجماعة كلهم نزلوا في طين وحل، فصار بعضهم يأخذ بيد بعض ويطلعه، حتى طلعوا كلهم، فحمدت الله تعالى على ذلك؛ لأن فيه علامة على أن تلك المؤاخاة نفعتهم.

[ذكر جملة ممن آخاهم الشيخ في الله]

ولنذكر للإخوان جملة صالحة من أسماء الذين يؤاخوا في هذا الكتاب؛ ليرجعوا إلى ذلك إذا نسي أحدٌ أحدًا ممن يؤاخي هو وإياهم، فنقول وبالله التوفيق:

ممن آخيت بينهم تلك الليلة الشيخ الصالح الورع الزاهد الشيخ جامع -إمام المدرسة المؤيدية بباب زويلة الشافعي- آخيت بينه وبين جميع أصحابي من حضر منهم ومن غاب، ووضعوا كلهم خطوطهم في مستند المؤاخاة.

---

(١) الزيادة من «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٠).

ومنهم: الشيخ محمد العناني[1] الوقاد آخيت بينه وبين الشيخ عبد الرحمن، وبين ناصر الدين السندبسطي، والشيخ علي السرسي، والشيخ محمد الصعيدي، والشيخ علي البهوتي، والشيخ أحمد البحيري، والشيخ إسماعيل الطباخ[2].

ومنهم: الشيخ علي المرحومي[3] آخيت بينه وبين الولد عبد الرحمن، وبين الشيخ أحمد القلتي، والشيخ عبد السلام -ولد العم- والشيخ علي السرسي، والشيخ أحمد المنشاوي، والشيخ ناصر الدين السندبسطي، والشيخ علي التلباني، والشيخ بركات الأحمدي، والحاج علي المنوفي، وأبي النصر التفهني، وأحمد العزاري[4]، و[الشيخ] عبد القادر الصائغ[5]، وعلي البهوتي، وأحمد الشيبيني[6]، والشيخ أحمد البحيري، والشيخ محمد السبكي، والشيخ أحمد الشعيبي، والشيخ عبد الرحمن -النقيب بالزاوية- والشيخ محمد الترساوي، و[الشيخ] علي الضرير السنجري[7]، والشيخ إسماعيل الطباخ، والشيخ إسماعيل السرسي، والشيخ منصور- الذاكر في المئذنة- والشيخ أبي بكر -المؤذن- والشيخ عبد الغني الضرير، والشيخ علي شقير، والشريف معز، والشيخ عبد النبي المجذوب، والشيخ شرف الدين بن الأمير، وأخيه سيدي محمد، وسيدي شرف الدين الخطيب، وسيدي محمد بن الموفق،

---

(١) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٠) [الكتاني].

(٢) هكذا في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٠)، وفي الأصل: (الصباغ).

(٣) هكذا في الأصل وفي «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢١)، (المرحومي).

(٤) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢١): العذاري.

(٥) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٠) [الصانع].

(٦) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٠) [الشبيني].

(٧) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٠) [السنجرجي].

والشيخ محمد المغربي[1]- الإمام - والشيخ محمد الخضري، ومحمد المزين، و[الشيخ] محمد السماك، و[الشيخ] شرف الدين الصائغ.

ومنهم: الشيخ الصالح أبي البقاء التفهني آخيت بينه وبين الشيخ عبد السلام، والشيخ أحمد المنشاوي، والشيخ إسماعيل الطباخ، والولد عبد الرحمن، والشيخ أحمد البحيري، والشيخ علي البهوتي، والشيخ شرف الدين الطوخي، والشيخ عثمان الصعيدي، والشيخ عبد الرحمن النقيب، والشيخ منصور الذَّاكر.

ومنهم: الشيخ أحمد الشبيني آخيت بينه وبين الشيخ حسن الجبَّار، والشيخ علي شقير، والشيخ عبد السلام، والشيخ أحمد الشعيبي، والشيخ علي السرسي، والشيخ نور الدين النجاري، والشيخ عبد النبي الضرير، والشيخ شحاتة الضرير، وناصر الدين المنشاوي، ومحمد المزين، ومحمد القباني في مطبخ السكر، ومحمد بن السماك، والشيخ أحمد المقسمي، والشيخ يوسف المنزلاوي، وسيدي محمد القصبي، والشيخ سلامة السندبسطي، وشرف الدين البهوتي، والشيخ محمد السبكي، ومحمد القلقشندي.

وآخيت بين الشيخ علي البدوي، والشيخ محمد المغربي، والشيخ محمد الصعيدي، والشيخ عبد السلام -ولد العم- والشيخ علي السرسي، والشيخ إسماعيل السرسي، والشيخ أحمد المنشاوي، وأخيه زين[2] الدين، والشيخ إسماعيل الطباخ، والشيخ محمد التباني[3]، والشيخ علي التلباني، والشيخ عبد الرحمن النقيب،

---

(١) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٠) [المغزلي].

(٢) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٢) [الكتاني].

(٣) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٢) [ناصر].

والشيخ حسن الحبَّار، والشيخ أحمد البحيري، والشيخ علي البهوتي، وعلي الشعراوي، والشيخ أحمد الشعيبي، والشيخ شهاب الدين الحلبي، والشيخ محمد الأجهوري، وخضر القلقشندي، والشيخ سلام القهاوي، وأخيه خضر، والشيخ محمد المنزلاوي، والشيخ عبد النبي البصير، وشحاتة البصير، وعمر البصير، والشيخ عمر -المؤذن- وأخيه الشيخ أبي بكر، وعمر[1] المنذري، ومحمد السنجي، ومحمد البلشوني[2]، وعلي الشريف، وعبد الرحمن الصناديدي، وحسن السهرجتي، والشيخ علي البسطي، وأحمد السويفي، وأحمد الأسدودي، ومحمد الدمليجي، والشيخ عثمان الصعيدي، وعبد الله الضرير، وأحمد الضرير، ومحمد البصير، وعامر البصير، والشيخ علي شقير، والشيخ أحمد القلتي، والخضري، ومحمد المنذري.

وآخيت بين محمد بن خالد[3] الدلجموني وبين الشيخ علي البهوتي، والشيخ عبد النبي، وشحاتة البصير، ويوسف المسيري، وناصر الدين المنشاوي، وعلي الشعراوي.

وآخيت بين الولد سعد الدين[4] بن القاضي عبد المنعم القادري، وبين الولد عبد الرحمن، والشيخ محمد الصعيدي، والشيخ أحمد المنشاوي، والشيخ أحمد البحيري، والشيخ علي شقير، والشيخ نور الدين النجاري، والشيخ عبد النبي الضرير، وسيدي علم الدين الخطيب، وسيدي محمد بن الموفق الصغير.

---

(١) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٢) [عامر].

(٢) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٣) [البلشومي].

(٣) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٣) [محيي].

(٤) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٣) بزيادة [الرزمكي].

وآخيت بين الشيخ علي شقير، وبين الشيخ نور الدين النجاري[1]، والشيخ أحمد المنشاوي، والشيخ علي السرسي، والشيخ عبد السلام -ولد العم- والشيخ محمد الخضري، والشيخ علي البسطي، والشيخ نور الدين المليجي، والشيخ أحمد البحيري، والشيخ أحمد الشعيبي، والشيخ عبد الرحمن النقيب، والشيخ إبراهيم الشبيني، والشيخ أحمد الشبيني، والشيخ سراج الدين المتبولي، وسيدي أحمد بن الأسود الغمري، وسيدي جلال الدين السكري، وسيدي محمد القباني، والشيخ حسن الحبَّار، والشيخ عبد النبي الضرير، وشحاتة البصير، وعلي الشعراوي، والشيخ ناصر الدين السندبسطي، وناصر الدين المنشاوي، والشيخ محمد السبكي، والشيخ أبي بكر المؤذن، والسنجري[2] الضرير، والشيخ أحمد الكناني، والشيخ شرف الدين الثقباتي، والشيخ صلاح الدين المليجي، والشيخ أحمد القلني، والشيخ أبي بكر الدشطوطي، والشيخ أحمد المقسمي، وسيدي محمد القصبي، والشيخ جامع إمام المؤيدية الشافعي، وسيدي محمد المزين، وسيدي سعد الدين القادري.

وآخيت بين الشيخ علي البهوتي وبين الشيخ عبد السلام، والشيخ أحمد الشعيبي، والشيخ علي السرسي، والحاج علي المنوفي، والشيخ إسماعيل النقيب، والشيخ أحمد الشعيبي، والشيخ محمد الكناني، والشيخ محمد الترساوي، والشيخ أحمد الشبيني، [والشيخ علي البسطي]والشيخ أحمد البحيري، والشيخ سلامة السندبسطي، والشيخ عبد النبي البصير، وشرف الدين البهوتي، وشرف الدين الطوخي، والشيخ أحمد المنشاوي، والشيخ نور الدين المليجي.

---

(١) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٣) [البلشومي].

(٢) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٣) [البخاري] أحيانًا والنجاري في أخرى.

وآخيت بين الشيخ علي التلباني وبين الولد عبد الرحمن، والشيخ أبي بكر الدشطوطي، والشيخ شرف الدين بن الأمير، والشيخ أحمد المنشاوي، والشيخ ناصر السندبسطي، ومحمد بن الشريفة، والشيخ إبراهيم المرصفي الشبيني، والشيخ أحمد الشعيبي، والشيخ محمد السبكي، والشيخ أحمد التفهني(١)، وسيدي أحمد البرماوي، والشيخ محمد البرماوي(٢)، والشيخ محمد الخضري، وسيدي يحيى الأحمدي الماوردي، والشيخ نور الدين النجاري، والشيخ عبد الرحمن النقيب، والشيخ أحمد البحيري، وسيدي محمد الموفق الكبير، وسيدي أبي الفضل -صهر الحنفي- وسيدي محمد العبادي، وسيدي أبي بكر بن أبي أصبع، وسيدي علي بن الأمير أزبك، والشيخ يوسف العبادي، وسيدي عبد الغني أخيه، وسيدي أبي البقاء بن أخي القاضي شرف الدين، وسيدي الشيخ عمر بن الجابي، والشيخ محمد الترساوي، والشيخ أبي النصر الجزري(٣)، وسيدي أبي الفضل الجزيري، والشيخ شرف الدين اللقاني(٤)، وسيدي محمد بن السبع، والشيخ علي السنجيدي، وولد عمه الشيخ محمد، وأخيه، والشيخ نجم الضرير، وفخر الدين الضرير، ومحمد المناوي، ويعقوب الأعرج، وسنان الضرير، والشيخ مسلم البصير، وعمران البصير، ومحمد البصير الذاكر، وإبراهيم البصير، وأحمد السرسي البصير، وعامر السيدأبي البصير، والسنجري البصير، والشيخ شهاب الدين صهر الشوني، وموسى الضرير، وعبد الله الضرير، والشيخ محمد الضرير الشبيني، ورمضان الضرير، وعثمان الصعيدي، ومحمد بن

---

(١) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٤) [الشبيني] وهو خطأ.

(٢) ليست «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٤٣).

(٣) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٤) [الجزيري].

(٤) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٤) [الميقاتي]، والمثبت هو الصواب.

الشعيبي، وعيسى البواب[1]، والشيخ أبي بكر المؤذن، والشريف محيي الدين الوراق، ويوسف الضرير، وسالم المندراوي، والشيخ نور الدين الحداد[2]، والفقيه صلاح الدين المليجي، والفقيه أحمد العبادي[3]، والشيخ علي الذاكر، والشيخ علي البسطي، وأخيه حسام الدين، وسيدي جلال الدين السكري، وسيدي أحمد بن محيي الدين، وولده عبد الله.

وآخيت بين الشيخ نور الدين المليجي الحداد وبين الشيخ عبد السلام -ولد العم- وبين الشيخ أحمد المنشاوي، والشيخ أحمد الشعيبي[4]، والشيخ علي شقير، والشيخ محمد الترساوي، والشيخ علي البسطي، والشيخ أحمد البحيري، والشيخ علي البهوتي، والحاج علي الغرابلي المليجي، والشيخ شريف المليجي، وأخيه عبد القادر، والشيخ محمد بن رضوان، والشيخ أحمد المؤذن المليجي، وأخيه، والشيخ محمود المليجي، والشيخ أبي بكر الدشطوطي[5]، والشيخ علي التلباني، والشيخ علي -المؤذن بمابيج- والشيخ أحمد القلتي، والشيخ محمد الخضري، والشيخ أحمد الميلجي، والشيخ محمد الصعيدي، والشيخ أبي الخير بكر الغرابلي المليجي، والشيخ علي السرسي.

وآخيت بين سيدي محمد بن الشعيبي وبين الشيخ نور الدين النجاري،

---

(١) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٥) [حسين النواب].

(٢) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٥) زاد [المليجي].

(٣) صحفتفي «مناقب القطب الرباني» (ص٥٤) [للعباسي].

(٤) صحفت «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٥) [للشعبي].

(٥) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٤) [الدشطومي].

والشيخ علي شقير، والشيخ علي السرسي، والشيخ أحمد المنشاوي، والشيخ أحمد الشبيني[1]، وزين العابدين ابن الشيخ عمر، والشيخ أحمد البحيري، وشرف الدين الطوخي[2]، والشيخ محمد الصعيدي، والشيخ علي التلباني[3]، والشيخ عبد النبي البصير، والشيخ أبي بكر الدشطوطي،والشيخ منصور -الذَّاكر بالمئذنة-والشيخ عبد السلام ولد العم.

وآخيت بين الشيخ أحمد البحيري، وبين الشيخ نور الدين النجاري، والشيخ أحمد المنشاوي، والشيخ علي السرسي، والشيخ عبد السلام -ولد العم- والشيخ محمد الكناني، والشيخ محمد الخضري، والشيخ علي البسطي، والشيخ عبد الرحمن الفقيه بالزاوية والخليفة بها من ذرية سيدي علي المليجي، والشيخ عبد الرحمن النقيب، والشيخ أحمد الشبيني، والشيخ أحمد الشعيبي، والشيخ نور الدين الحداد، والشيخ إبراهيم المرصفي، والشيخ سراج الدين المسيري[4]، وسيدي جلال الدين السكري، وسيدي أحمد بن الأسود الغمري، والشيخ حسن الحبَّار، وسيدي محمد القباني، والشيخ عبد النبي الضرير، وعلي الشعراوي، والشيخ علي البهوتي، وشرف الدين الطوخي، والشيخ أبي بكر الدشطوطي، والشيخ سلام القهاوي، وسيدي سعد الدين القادري.

وآخيت بين الشيخ شهاب الدين الشعيبي الإمام وبين الشيخ علي السرسي[5]،

---

(١) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٥) [الشعيبي].

(٢) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٥) [الطويل].

(٣) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٥) [التلمساني].

(٤) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٦) [النوبي].

(٥) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٦) [السيوطي].

وبين الشيخ ناصر الدين السندبسطي، والشيخ علي شقير، والشيخ أحمد المنشاوي، والشيخ إسماعيل الطباخ، والشيخ نور الدين النجاري، والشيخ عبد السلام، وسيدي أحمد البرماوي، وسيدي شرف الدين ابن الأمير، وأخيه سيدي محمد، وأخيه سيدي حسام الدين، وسيدي محمد بن الموفق، وسيدي أبي الفضل الحنفي، والشيخ حسن الطريني، والحاج رمضان المناخلي، والحاج عوض، وولده سيدي أحمد، والحاج علي السلموني، وسيدي أبي بكر القباني، وسيدي إبراهيم الكتبي، والشيخ محمد الخضري، والشيخ محمد السبكي، والشيخ أبي بكر المؤذن، والحاج عبد الرحمن السندبسطي.

وآخيت بين سيدي شرف الدين بن الأمير -فسح الله في أجله- وبين ولدي عبد الرحمن، وبين جميع المجاورين بالزاوية كل واحد باسمه.

وكذلك آخيت بين علماء مصر، وأولاد أمرائها من الترك والعربان؛ كالشيخ بدر الدين الشهاوي، والشيخ سراج الحانوتي، والشيخ شمس الدين الخطيب الشربيني، والشيخ نور الدين النجاري، والشيخ محمد الحنفي الشاذلي، وسيدي عمر ابن الأمير الجاي، والشيخ حسن الطريني، والشيخ عامر الطريني، وسيدي أبي بكر ابن أبي الأصبع، وأخيه سيدي محمد، وسيدي علي باي بن الأمير أزبك، وسيدي سليمان بن بنت الملك المؤيد، والأمير منصور بن عمر، والأمير حسن بن حماد، وسيدي محمد العبادي، وسيدي محمد بن الموفق، وسيدي أحمد الراشدي، وسيدي أبي الفضل -صهر الشيخ الحنفي- وسيدي شرف الدين الخطيب، وسيدي عبد الباسط ابن القاضي عبد الباسط.

وآخيت بين الشيخ شهاب الدين المنشاوي، وجميع أصحابي القاطنين في

الزاوية والخارجين عنها كل واحد باسمه.

وآخيت بين سيدي جلال الدين السكري وبين الولد عبد الرحمن، والشيخ نور الدين النجاري، والشيخ أحمد البحيري، والشيخ علي البهوتي، والشيخ محمد الترساوي، والشيخ محمد الصعيدي، والشيخ محمد السبكي، والشيخ شهاب الدين المنشاوي، وسيدي أبي الفضل محمد -صهر الشيخ الحنفي- وسيدي أبي الفضل القباني، والشيخ علي شقير، وجميع من اختاره من الفقراء.

وآخيت بين سيدي محمد بن الأمير -شيخ سوق أمير الجيوش- وبين الشيخ أحمد الشعيبي، والشيخ محمد الخضري، والشيخ محمد الصعيدي، والشيخ علي البهوتي، والشيخ أحمد المنشاوي، والشيخ أحمد البحيري، والشيخ إسماعيل النقيب، والشيخ منصور -الذاكر بالمئذنة- والنقيب[1] أحمد العباسي، وسيدي محمد بن الموفق، وسيدي محمد العبادي، وسيدي أبي الفضل -صهر الحنفي- وسيدي عبد الباسط -ابن القاضي عبد الباسط صاحب المدرسة- وسيدي عمر بن الجاي الحنفي.

وآخيت بين الشيخ يونس بن عباد وبين الشيخ محمد الترساوي، والشيخ عبد النبي البصير، والشيخ محمد الصعيدي، والشيخ أحمد المنشاوي، والشيخ علي السرسي، والشيخ محمد السبكي، والشيخ سلام القهاوي، وأخيه خضر، والشيخ شهاب الدين العاملي.

وآخيت بين علي بن أحمد الأجهوري، وبين الشيخ ناصر الدين السندبسطي،

---

(١) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٨) [الفقيه].

والشيخ حسن الحبَّار، والشيخ علي[1] شقير، والشيخ علي السرسي[2].

وآخيت بين الأخ أبي النصر وبين الشيخ شهاب الدين الضبعي، والشيخ جامع إمام المؤيدية، والشيخ منصور الصعيدي، والحاج علي المقشاتي، والشيخ بشر[3] الحنفي، والشيخ شهاب الدين المقدسي، والشيخ محمد البرهمتوشي وغيرهم.

وآخيت بين محمد الشبراوي، والشيخ شهاب الدين المقدسي، والشيخ شهاب محمد البرهمتوشي وغيرهم.

وآخيت بين محمد الشبراوي، والشيخ محمد الترساوي، وشحاتة الضرير والشيخ حسن الحبَّار، والشيخ إسماعيل الطباخ، والشيخ عبد النبي البصير.

وآخيت بين الشيخ عبد النبي المنذري وبين الشيخ أحمد البحيري، والشيخ علي البسطي، والشيخ علي الشعراوي، والشيخ أحمد المنشاوي، والشيخ عبد الباقي، والشيخ محمد الترساوي، والشيخ علي شقير، والشيخ سلام القهاوي.

وآخيت بين القاضي شمس الدين العبادي وبين سائر المجاورين، وبين سيدي شرف الدين بن الأمير وإخوته، وبين سيدي أبي الفضل الحنفي، وسيدي محمد بن الموفق، وسيدي علي باي، وسيدي علي[4] بن أبي إصبع، وبين سيدي شرف الدين الخطيب، وبين سيدي أحمد الراشدي.

---

(١) صحفت في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٨) [حسن].

(٢) صحفت في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٨) [البيري].

(٣) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٦) [بشير].

(٤) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٦) [بكر].

وآخيت بين الأخ سلطان الحواوشي، وبين الشيخ أحمد المنشاوي، وأخيه ناصر الدين، والشيخ أحمد البحيري، والشيخ عبد النبي البصير، والشيخ علي شقير، والشيخ إسماعيل الطباخ، والشيخ علي الشعراوي، والشيخ محمد المنذري، والشيخ أبي الخير ابن عز الدين، والشيخ محمد الخضري، والشيخ عبد الرحمن النقيب، والشيخ صالح الشريف.

وآخيت بين ولد الأخ عامر وبين الشيخ عبد السلام -ولد عمه- والشيخ علي شقير، والشيخ محمد الصعيدي، والشيخ إسماعيل الطباخ.

وآخيت بين الشيخ علي البهوتي، والشيخ أحمد البحيري، والشيخ العاملي شرف الطوخي، وشرف الدين البهوتي، ومحمد السنجي، وأحمد الحواوشي، والشيخ عبد الرحمن النقيب، والشيخ علي البسطي، وشهاب الدين العاملي، وسلام القهاوي، وأخيه خضر.

وآخيت بين الشيخ علي السرسي، وبين الشيخ محمد الصعيدي، وبين الشيخ حسن الحبَّار، والشيخ أحمد الشبيني.

وآخيت بين ولد العم الشيخ عبد السلام، وبين محمد الأجهوري، والشيخ عبد النبي الضرير، والشيخ أحمد المنشاوي، والشيخ محمد السبكي، والشيخ علي شقير.

وآخيت بين الشيخ علي البسطي، والشيخ أحمد المنشاوي، والشيخ علي البهوتي، والشيخ نور الدين النجاري، والشيخ محمد الترساوي، والشيخ منصور الذاكر في الليل في المئذنة.

وآخيت بين الشيخ أحمد القلتي، وبين الشيخ أحمد الشعيبي، والشيخ علي السرسي، والشيخ محمد السبكي، والشيخ علي شقير، والشيخ إسماعيل الطباخ، والشيخ عبد الرحمن النقيب، والشيخ محمد الخضري، والشيخ علي التلباني، وشحاتة الضرير، وعلي الشعراوي، والشيخ أبي بكر المؤذن، ونور الدين الحداد، ويوسف المسيري والشريف حسن[1].

وآخيت بين الولد عبد الرحمن وبين الشيخ حسن الحبَّار، والشيخ أحمد المقياسي، والشيخ أحمد الشبيني، والشيخ إسماعيل الطباخ، والشيخ أحمد البحيري، والشيخ علي شقير، والشيخ محمد الكناني.

وآخيت بين سيدي محمد بن الموفق وبين سيدي أبي الفضل الحنفي، وسيدي شرف الدين ابن الأمير، وسيدي علي باي بن أمير كبير، وسيدي أبي الفضل القباني، ومحمد ابن أخت الشيخ خضر، وسيدي عبد المنعم، وسيدي أبي البقاء الدميري، والشيخ ناصر[2] الدين السندبسطي، والشيخ عبد السلام الشعراوي، والشيخ أحمد الشعيبي، والشيخ محمد السبكي وجماعة.

وآخيت بين الشيخ أحمد الشعيبي، وبين الشيخ إبراهيم الكفتي، والشيخ رمضان المناخلي، وسيدي علي البلموني[3]، وسيدي أبي بكر القباني، والسيد الشريف قنطر ساشاه، والريس حنكة وغيرهم.

---

(١) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٩) [معن].

(٢) صحفت في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٨) [ناظر].

(٣) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٩) [الميلموني].

وآخيت بين الشيخ خضر، وولده عبد المنعم، وبين أحمد المنشاوي، والشيخ محمد الخضري، والشيخ مدين، والشيخ عبد السلام، والشيخ علي النجاري، والشيخ محمد الترساوي، والشيخ محمد الصعيدي وجماعة.

وآخيت بين الأخ الصالح الشيخ شهاب الدين الضبعي الحنفي، وبين الولد عبد الرحمن، والشيخ عمر بن الأمير الجاي الحنفي، والشيخ أمين الدين الحنفي، والشيخ شمس الدين البرهمتوشي الحنفي وجماعة.

وآخيت بين سيدي محمد بن السبع، وبين الولد عبد الرحمن، وبين الولد علي التلباني، ونور الدين البرماوي، والشيخ محمد الصعيدي، وسيدي شرف الدين بن الأمير، والشيخ أحمد المقياسي(١)، والفقيه عمر المليجي، والشيخ محمد الترساوي.

وآخيت بين الولد جمال الدين الشطنوفي، والشيخ عبد النبي الضرير، والشيخ محمد الخضري.

وآخيت بين سيدي شرف الدين بن الأمير، وسيدي محمد بن الموفق، والأمير حسن بن بغداد، والأمير منصور بن عمر، والريس حنكة، وأمين الدين المحتسب، والحاج محمد شقير البنا، والشيخ إبراهيم الكتبي، وسيدي علي البلموني، وسيدي أبي بكر القباني، وأخيه ووالدهما، والشيخ بركات المزاهري، والشيخ علي، والشيخ أحمد المعلوف، والشيخ محمد(٢) الترساوي وجماعة.

وآخيت بين الولد عبد الرحمن، وبين الشيخ جامع إمام المؤيدية، وسيدي

---

(١) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٣٠) [العباسي].

(٢) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٦) [أحمد].

شرف الدين -ابن الأمير- والشيخ ناصر الدين السندبسطي وجماعة.

وآخيت بين الشيخ نور الدين النجاري، والشيخ حسن الطريني، والشيخ عامر الطريني، والشيخ علي الدكريسي[1]، والشيخ ناصر الدين العشماوي وجماعة.

وآخيت بين الولد عبد القادر السبكي، وبين الولد زين العابدين بن الشيخ عمر القلقشندي، وبين أحمد النعيم[2]، وأبي بكر[3] المؤذن، والشيخ علي السرسي، والشيخ علي شقير، والشيخ إسماعيل الطباخ، والشيخ علي البهوتي، والشيخ أحمد البحيري.

وآخيت بين سيدي أبي الفضل الحنفي، وبين الولد عبد الرحمن، وبين الشيخ محمد الترساوي، وبين الشيخ عبد السلام العزاري[4]، وبين الشيخ أحمد المنشاوي، والشيخ محمد السبكي، والفقيه أحمد العباسي، وبين سيدي محمد الحنفي -صهره- وبين الشيخ حسن الحبَّار، وسيدي محمد بن الموفق، وسيدي محمد جلبي، وبين سيدي الشيخ أبي الصفاء بن عنان، والشيخ حسين العبادي، وسيدي محمد العبادي، وسيدي جلال الدين السكري، وسيدي شرف الدين بن الأمير وجماعة.

وآخيت بين الشيخ عبد الرحمن النقيب، وبين الشيخ عثمان الصعيدي، وبين ناصر الدين المنشاوي، ومحمد الخضري، وعلي التلباني، ومحمد الكناني، والشيخ إسماعيل الطباخ، وجماعة نحو ثلاثمائة نفس ذكرناهم في كراسة مستقلة.

---

(١) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٣١) [الزركشي].

(٢) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٢٦) [اليتيم].

(٣) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٣٠) [أجادل].

(٤) في «مناقب القطب الرباني» (ص٢٣٠) [الشعراوي].

فاعلم ذلك أيها الشيخ،وآخِ بين إخوانك كلهم تألفًا، وأوصهم أن يقوموا بحقوق بعضهم بعضًا حسب الطاقة، وحذرهم من رؤية نفسهم على أحد من الفسقة إذا وقعت الأخوة بين الصالح والطالح؛ فإن الصالح متى رأى نفسه خيرًا من الطالح فقد خرج عن الصلاح، والحمد لله رب العالمين.

وينبغي للشيخ وكبراء الزاوية: ألا يمنعوا الأطفال أصحاب الصوت الحسن من قولهم في زفة الختان: سلام...سلام...سلام بالأنغام الحسنة، فإن الأطفال ليس عندهم شهامة نفس حتى يكون ذلك نقصًا في حقهم، ولكن ينبغي للشيخ وكبراء الزاوية: أن يعتبروا بذلك، ويتفاءلوا بدخول الجنة حين تقول الملائكة لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ (الزمر: ٧٣) ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٤) ونحو ذلك مما ورد في الشيخ، إذًا ينبغي لعاقل أن يفعل شيئًا إلا على وجه الاعتبار والأغراض الصحيحة، ومن فعل شيئًا من ذلك غافلاً عن الاعتبار قسى قلبه.

وليحذر الفقيه من أن يدخل رأسه في طوق الخلعة الحرير التي تخلعها عليه أم الصغير؛ لما يخطب في الإسراف بحضرة النساء، بل يجعلها على كتفه أو ينكسها، فيجعل ذيلها على كت٣٩٠فه وطوقها من أسفل؛ ليخرج عن اللبس المنهي عنه، كما قالوا في المحرم في الحج؛ فنسأل الله تعالى من فضله أن يُوقظنا في هذه الدار لكل ما فيه صلاحنا وصلاح إخواننا، وأن يلطف بنا في سائر الحركات والسَّكنات إلى أن نجاوز الصراط -إنه سميع مجيب- آمين...آمين...آمين.

وليكن ذلك آخر الكتاب المسمى بـ «**تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا**» على يد مؤلفه: عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراوي في سابع عشر شوال سنة

سبع وستين وتسعمائة بمصر المحروسة، حامدًا مصليًا محتسبًا مستغفرًا.

وكان الفراغ من تعليق هذا الكتاب في أواخر شهر شعبان من شهور سنة أربع وخمسين وألف.

وحسبنا الله ونعم الوكيل..ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم